١ مجموعة في العقايد والتوحيد

في العقايد



ما في هذه المجموعة المباركة

متن العقيدة الحاجبية

شرح العقيدة الحاجبية للشيخ الفاضل الكامل محمد بن ... المسمى تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب

رسالة في أسرار التوحيد للشيخ الإمام العارف ... شيخ أرسلان الدمشقي قدس سره

شرح هذه الرسالة للفاضل الكامل ...

أسرار التوحيد للشيخ الفاضل محمد ... المعروف بابن البنا قدس سره

كتاب الأنوار وشرحه للشيخ الكامل مولانا عبد السلام ... قدس سره

رسالة في ... أسرار التوحيد للشيخ الكامل عيسى ... قدس سره

كتاب التنوير في إسقاط التدبير لمولانا عطاء الله الإسكندري

كتاب الحكم في أسرار التوحيد لمولانا عطاء الله الإسكندري

شرح الحكم للشيخ الفاضل الكامل محمد ... الشهير بابن زروق

الحمد لله وحده وكفى والصلاة والسلام على ... وآله وصحبه الطاهرين وتابعيهم بإحسان ... وقف هذا العبد الفقير ... السالك ... السادة الفقراء ... الله تعالى ... للانتفاع به والعمل بما فيه ... وعاقبه إنه جواد كريم ... الفادي ... طريقة والواقف ... وستر ... والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات آمين



١٧٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
قال الشيخ الامام الفاضل المحقق الكامل الاسعد الاصعد ابو عبد الله
محمد بن الشيخ الحاج الناسك المقدس المرحوم ابي الفضل قاسم الكوفي نسبا
المكي شهرة رضي الله عنه وعنا به الحمد لله مبدع الاكوان الافاقية بقدرته
ومنزل الايات الفرقانية بحكمته الذي اختار طايفة من عباده لحفظ العقايد
الدينية والهمهم لتصحيح قضايا الاكوان فاثبتوها بالحجج اليقينية فكان منهم السابق
لذلك بما اطلع عليه من البراهين بما اقتصر عليه من التمسك بالشواهد النقلية
وصلى الله على عبده المخصوص بالمطلع الاسنا والجود الادنى مقدمة امره الاعلى
ونتيجة اسمايه الحسنى وعلى اله الذين تحققوا باحاطته العليا وانخرطوا
حقايقهم في سلك مضمر الملا الاعلى فاستغنوا عند ذلك بالعين عن الاثر وبالخبر
عن الخبر وسلم تسليما اما بعد فانه لما كان علم اصول الدين المسمى بعلم التوحيد
من العلوم الانسانية بالمكانة العظمى والمقام الاسنا لما اختص به من الفضل والشرف
وفاز به من فاز من رجال الخلف والسلف وكيف لا وموضوعه المعلوم والموجود
او ذات الواجب مع الممكن من حيث تحصيل المقصود ومتعلقه بالتحقيق الذات
الازلية والشئون القدسية ومسايله القضايا النظرية والعقود الشرعية
ومباديه الحقايق اليقينية والبراهين القطعية وغايته الايمان عن يقين
ومنفعته الفوز بالسعادة في يوم الدنيا والدين وكانت الجملة المختصرة
المنسوبة للشيخ الكامل والمعلم الفاضل المشتهر بالعلوم تحقيقا وتدقيقا
الحايز فيها قصب السبق عند كل من ضرب فيها بسهم او سلك فيها طريقا
ابي عمرو عثمان بن ابي بكر الكردي المعروف بابن الحاجب قدس الله روحه
وبرد ضريحه من اجمع المختصرات التي وضعت في ذلك مسايل واتبنها
واوجزها الفاظا واوضحها وقد سالني بعض الاخوان حين قراته اياها علي
ان اكتب له عليها ما يوضح مفرداتها ويحقق تصديقاتها ويرفع عن وجوه اسرارها

حجب

حجب الامتناع وينشر بين يدي اخوانها حلل الانتفاع بحيث يكون لما افترق
من هذا الشان الحقيقي جامعا ولغير المقصود منه مانعا سالكا في ذلك كله مسلك
الاختصار مقربا عما يمل من الاطناب والتكرار فاجبته الى ذلك مستعينا بالله
عما هنالك والله اسال ان ينفع به وان يجعله خالصا لوجهه وان يعصمنا
من الخطا والزلل في الاعتقاد والقول والعمل وسميته تحرير المطالب
لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب قال رحمة الله عليه بعد البسملة يجب
على المكلف شرعا ان يكون على عقد صحيح في التوحيد وفي صفات الله سبحانه
وفي تصديق رسله اقول لا بد قبل الشروع في المقصود من تقديم مقدمة
مشتملة على ثلاثة مباحث الاول قد تقرر في التعليم الاول من صناعة
الميزان ان لكل علم موضوعا ومبادي ومسايل اذ بها تنوعت العلوم
وتمايزت في المفهوم ثم من العلوم ان الناظرين في هذا الشان اعني علم
التوحيد والباحثين عنه على قسمين منهم من نظر نظرا عاما اي في المعلوم
من حيث هو معلوم وان كان المقصود اولا وبالذات العلم بواجب الوجود
ومنهم من نظر نظرا خاصا وذلك فيما يجب لله ويستحيل عليه ويجوز في افعاله
وما يوصل الى ذلك اجمالا لا تفصيلا والعلم الحاصل عن الاول هو المسمى
بعلم الكلام والثاني يسمى بعلم العقايد وهذا مندرج تحت الاول اندراج
اخص تحت اعم ولذلك كانت المطالب التي تحصل من الاول اكثر لشمولها
شئون الواجب واحوال الممكن كما هو مسطور في كتب هذا الفن خصوصا كتب
المتاخرين ولذلك حد هذا العلم بانه العلم الباحث عن احوال الواجب واحوال
الممكنات من حيث المبدا والمعاد وما يعم قصدا للتحقيق واما الثاني
فلا يحصل منه الا ما عبرنا باعتقاده فقط كما هو مسطور في هذه العقيدة
والنسفية واللمع وغيرها ويدل على هذا ما اقتصر عليه من سلك طريق الكلام
كما هو طريق المحدثين والفقهاء وغيرهم حيث اقتصروا على تحصيل العقايد

اسم الشرح

علم الكلام وعلم العقايد والفرق بينهما وموضوع كل منهما

من غير نظر في العالم بنظر المتكلم بل اقتصروا على المبادي السمعية وما
قرب من المبادي العقلية ولذلك نحد هذا العلم بانه العلم بالاحكام الشرعية
الاعتقادية عن قاطع عقلي او سمعي او وجداني نعني قاطع يخرج التقليد
وعقلي يدخل المتكلم وسمعي يدخل المحدث ووجداني يدخل الصوفي
وما حد به المحقق سعد الدين الكلام حيث قال الكلام هو العلم بالعقايد
الدينية عن ادلتها اليقينية فحدله باعتبار المقصود منه والا فهو مشكل
لامكان ورود منع الجمع وإذا تقرر هذا فنقول لا يكفي في معرفة موضوع هذا
العلم اعني علم العقايد ومسايله ومباديه معرفة موضوع علم الكلام ومسايله
ومباديه فلا بد من التعرض لذلك بخصوصيته فموضوع علم العقايد ذات
الواجب اذ الناظر في علم العقايد يبحث عن لواحق الواجب الذاتية اعني
صفاته وافعاله وكلما يبحث في علم عن لواحقه الذاتية فموضوع لذلك العلم
لا يقال موضوع العلم لا يتبين وجوده في ذلك العلم بل في علم آخر ومن
المعلومات العلم بوجود الصانع يتبين في هذا العلم فكيف يكون هو موضوعه
لانا نقول نمنع ان كل موضوع علم انما يتبين وجوده في غيره ولئن سلمنا ذلك
فنمنع ان صانع العالم يتبين وجوده في هذا العلم بل وجوده بديهي والمذكور انما
هو على جهة التنبيه قال تعالى افي الله شك ولهذا قال جماعة من المحققين
كابن البنا في مراسمه او انه مبين في علم اخر وهو علم الكلام الذي هو اوسع واشمل
كما نبهنا عليه واما مسايله فكل ما جعل الشرع العلم به ايمانا والجهل به كفرا وابتداعا قطا
واما مباديه فالقواطع العقلية والسمعية والادراكات الوجدانية والحسية
البحث الثاني قد خرج الترمذي وابو داود عن معاوية ابن ابي سفيان عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين
وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاثة وسبعين اثنتان وسبعون
في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وانه سيخرج من امتي اقوام تجاري بهم الاهواء

كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله وفي بعضها كلها
في النار الا ملة واحدة قالوا يا رسول الله من هم قال ما انا عليه واصحابي ومن المعلوم
ان الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه هو ما عليه اهل السنة والجماعة عه
بدليل ما هم عليه من حسن المتابعة الجاري على مقتضى العبودية وما اكرمهم الله به
من المعارف الالهية والخوارق العادية التي هي الوراثة المحمدية او مستلزمة
لها واعلم ان اهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب
ويجوز ويستحيل وان اختلفوا في الطرق والمبادي الموصلة لذلك او في لمية ما هنالك
وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوايف الاولى اهل الحديث ومعتمد مباديهم
الادلة السمعية اعني الكتاب والسنة والاجماع الثانية اهل النظر العقلي والصناعة
الفكرية وهم الاشعرية والحنفية وشيخ الاشعرية ابو الحسن الاشعري رضي الله
عنه وشيخ الحنفية ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهم متفقون في المبادي
العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه وفي المبادي السمعية فيما يدرك العقل
جوازه فقط والعقلية والسمعية في غيرهما واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية
الا في مسالة التكفير ومسالة التقليد وستاتيان الثالثة اهل الوجدان والكشف
وهم الصوفية ومباديهم مبادي اهل النظر والحديث في البداية والكشف والالهام
في النهاية واعلم ان الكتب الموضوعة في العقايد على قسمين منهم من خليها عن ذكر
الادلة بالكلية كما فعل النسفي والمؤلف رحمه الله ومنهم من يقتطف الادلة اقتطافا
كما فعل امام الحرمين في اللمع وغيرها فالاولون ذكروا المعتقدات واهملوا من الادلة
ونبهوا على انه لا بد من تحصيلها بالقاطع وتركوها قابلة لجميع حتى يمكن تبيينها باي
طريق من الطرق الثلاث وهذه الجملة التي صنفها الشيخ قد اهمل فيها الادلة بالكلية
تعريضا منه لذلك فلنجرها على الطرق الثلاث بحسب الامكان ولكن فليعلم ان
الوجدان الالهامي حصول العلم به قاصر على واجده فلا يمكن تعليمه ولكن ينبه عليه
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومن اجل ان هذه العقيدة موضوعة على

مذهب اهل السنة والجماعة نقتصر علي ما بينهم من المتفق فيه والمختلف ولا نتعرض
لخلاف غيرهم اذ هم خارجون عن الجماعة ولان ذكرهم يمنع المقتصر ويقويه علي
المقتصر **البحث الثالث** قد تقرر في كتاب الالفاظ ان من الموضوعات الموضوعات
الاصطلاحية التي اصطلح عليها اهل الصنايع العلمية وقد اصطلح اهل هذا
الفن علي الفاظ فيما بينهم فلا بد في ابتدا التعليم من تعلمها فمنها العالم وهو ما نصب
علما علي العلم بصانعه ماخوذ من العلم بمعني العلامة فمن ثم تعددت العوالم فيقال
عالم الانسان وعالم الجن وعالم الملايكة وغير ذلك كما نبه عليه صاحب الكشاف
ولما كان منشا التسمية في الجميع العلامة وكانت في مجموع العوالم اجلي واوضح خص
المتكلمون العالم بجملة ما سوي واجب الوجود تغليبا واختصارا ومنها
الجوهر وهو ممكن قايم بنفسه وهو ما يكون تحيزه بنفسه اي غير تابع في تحيزه
لتحيز شي اخر وقد يقال القايم بنفسه ما استغني بذاته عن محل يقومه ومنها العرض
وهو في مقابلة الجوهر فعند المتكلم هو الممكن القايم بغيره ومعني القيام بالغير
هو ان يكون تابعا في تحيزه لتحيز غيره ومن ثم امتنع قيام العرض بالعرض عند
المتكلم وقد يقال القيام بالغير هو الاختصاص الناعت وهذا التعريف
اولي لشموله قيام الصفات الازلية دون الاول اذ هو مختص بالمحدث
الجسما في ثم الجوهر علي قسمين فرد وهو ما لا ينقسم حسا ولا وهما ولا عقلا وجسم
وهو منقسم واقل ما يتركب منه الجسم جوهران والعرض ينقسم عند المتكلمين
الي احد وعشرين نوعا وعند بعضهم ثلاثة وعشرون او اربعة وعشرون
عشرة منها تختص بالاحيا وهي الحياة والادراك والشهوة والنفرة والارادة
والكراهة والقدرة والنظر واللذة والالم واحد عشر للاحيا وغير الاحيا وهي
الاكوان الاربعة الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتاليف
والاعتماد كالثقل والخفة والحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون
والصوت والرايحة والطعم والاثنان او الثلاثة البقا والموت والفنا

تحقيق

تحقيق **معتقدا** اعلم ان حكم الجواهر كلها والاعراض كلها الحدوث فاذا
العالم كله حادث وعلي هذا اجماع المسلمين بل كل الملل ومن خالف
في ذلك فهو كافر لمخالفة الاجماع القطعي وهذا المطلب مما يكفي فيه السمع
لعدم توقفه عليه لحصول العلم بوجود الصانع بامكان العالم وامكانه
ضروري **فاذا تقرر** هذا فنقول علي طريق اهل النظر بعد تقديم اصول
وهي ان المعلوم اما موجود واما معدوم والموجود اما واجب الوجود
لذاته واما ممكن وهو ما لا يقتضي الوجود لذاته والمعدوم اما ممتنع وهو
الذي يقتضي العدم لذاته واما ممكن وهو الذي لا يقتضي العدم لذاته
فان الممكن هو الذي لا يقتضي وجودا ولا عدما لذاته وهذا التقسيم علي
الراي المشهور من نفي الحال والا فالمعلوم اما موجود او معدوم او لا موجود
ولا معدوم وهو الحال وفسرت بما ليس بموجود ولا معدوم قايم بموجود
كاللونية والحيوانية والعالمية وايضا الموجود اما قديم واما حادث
والقديم هو الموجود الغير المسبوق بالعدم **واذا تقررت** هذه الاصول
فنقول لا شك في حدوث الاعراض اما ما شوهد منها انه لم يكن ثم كان فظاهر
واما غيره فلا يخلو اما ان ينعدم او لا فان انعدم فهو حادث لانه لو كان
قديما لامتنع عدمه وقد فرض عدمه هذا خلف اما الملازمة فلانه اذا كان
قديما فاما واجب الوجود او لا فان كان واجب الوجود امتنع عدمه لان ما
بالذات لا يتخلف وان لم يكن واجب الوجود فلا بد ان يكون اثرا لما هو دفعا
للتسلسل ثم لا يكون اثرا للمختار والا كان حادثا لان القديم لا يكون اثرا للمختار
ضرورة سبق تاثيرها بقصده والقصد الي تحصيل الحاصل محال واذا لم يكن
اثرا للمختار كان لغيرها وهو العلة والعلة يدوم معلولها بدوامها وقد
فرضت العلة دايمة لاجل وجودها فالمعلول كذلك فلا ينعدم وقد فرض معدوما
هذا خلف وان لم ينعدم فانعدامه ممكن فنفرضه واقعا ونجري فيه الدليل

والحادث هو الموجود المسبوق بالعدم

الي اخره وايضا فما سوي هذا العرض حادث وهو كاف في حدوث الجواهر
ويلزم فرض حدوث الجواهر حدوثه قطعا وهو المطلوب لايقال لا يلزم
من امكان عدمه وقوع عدمه لانا نقول هذا العرض لا يصح ان يكون اثرا
للموجب لخصوصيته والا لزم الترجيح من غير مرجح ضرورة تساوي الاعراض
في الماهية والاحتياج وهو الامكان الموجب وقد ثبت بما تقدم ان بعضها
وهو الذي شوهد عدمه عن الفاعل بالاختيار فيلزم الترجيح المذكور وهو
ظاهر فان قيل هذا الذي ذكرتم انما يجري في حدوث العرض الشخصي لا في النوعي
وللمدعي ان يقول ان العرض قديم بالنوع حادث بالشخص كما هو في حركات
الافلاك قلنا يلزم من حدوث الشخص حدوث النوع ضرورة ان لا وجود
للنوع الا في الشخص فان قيل لا نسلم لزوم ذلك وانما يلزم ان لو كانت الاشخاص
متناهية واما ان كانت غير متناهية فلا لحصوله في الاشخاص المتعاقبة
الي غير نهاية قلنا لا يمكن حصول اشيا غير متناهية سوا كانت مترتبة
او غير مترتبة متعاقبة او مجتمعة لانه لو حصلت اشيا غير متناهية
كذلك لامكن لنا ان نفرض سلسلة غير متناهية مبداها الكون اليومي وسلسلة
اخري مبداها انقص منها بواحد ثم نطبق احدي السلسلتين بالاخري فاما
ان تتساويا او ان تكون الزايدة تزيد علي ذلك التقدير بذلك الزايد فيكون
الناقص متناهيا وما تزيد به الزايدة متناهيا وما يزيد علي المتناهي بمتناهي
متناهي فالزايدة متناهية فاذا الجميع متناه وقد فرض غير متناه هذا خلف
فبان من هذا ان الاعراض كلها حادثة ثم نقول الجوهر لا يخلو عن العرض
خصوصا الاكوان الاربعة وهي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون اذ
الجوهر لا يخلو اما ان يلاصق جوهرا اخر ام لا والاول الاجتماع والثاني الافتراق
وايضا الجوهر اما ان يكون له حصولان في زمانين في مكانين او في مكان
واحد والاول الحركة والثاني السكون لا يقال نمنع الحصر فان الجوهر في اول

حصوله

حصوله لا متحرك ولا ساكن لانا نقول هذا المنع لا يضر لان احد الامرين لازم
وهو ثبوت الحصر او حصول الواسطة وايا ما كان كان الجوهر لا يخلو عن العرض
ضرورة ان الحصول في الحيز كون وايضا فهذا منع لا ينافي المقصود
وهو حدوث الجوهر فلا يسمع فان الجوهر لا يخلو عن العرض والعرض حادث
فالجوهر لا يخلو عن الحادث وما لا يخلو عن الحادث لا يسبقه اذ لو سبقه
لخلا عنه وما لا يسبق الحادث حادث فالجوهر حادث فنعود ونقول
العالم اما جوهر واما عرض والجوهر حادث والعرض حادث فالعالم
حادث وهذه انتهي حجج اهل النظر العقلي وقد يقال علي وجه اخر اتم واخص
وهو ان كل ما سوي الواجب ممكن وكل ممكن حادث فالعالم محدث اما
المقدمة الاولي فظاهرة واما الثانية فلان الممكن محتاج في وجوده الي
موجد والموجد لا يمكن ان يوجده حال وجوده والا كان ايجادا للموجود
وهو محال فيلزم ان يوجده حال لا وجوده فيكون وجوده مسبوقا بعدمه
وذلك حدوثه وهو المطلوب واما اهل الحديث فقد ثبت في الصحيح
عن عمران بن حصين ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال كان الله ولا شي قبله
وفي طريق ولا شي بعده وفي طريق ولا شي معه وقد ثبت الاجماع بل اجماع
اهل الكتب السماوية كلها كما نقله الامام الفخر في شرح عيون الحكمة وجعل
العمدة في هذه المسالة الاجماع واما طريق الصوفي فيقول بما تقدم
ثم يقول بلسان التنبيه مشيرا الي مما تخصه من وجده كل شي له اعتباران
من حيث صورة ذاته واعتبار من حيث صورة العلم به فالصورة الاولي
صورة عينية والثانية صورة علمية واعتبر نفسك فانك تجد الاثار
التي تبدو اعنك لها صورتان صورتها العلمية من حيث انها في ذهنك
وصورتها العينية وهو ما بدا عنك مطابقا لعلمك فالاشيا اما من حيث
صورها العينية فحادثة قطعا وذلك هو وجودنا الذي ندركه منه وفيه

تعيّننا وهذا يجده كل مدرك عاقل من نفسه والعالم كله متماثل ولا
تفاوت فيه وقد ارتفع النزاع في ذلك قال تعالى ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت وقال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن
عبدا وقال عليه السلام اللهم ربي ورب كل شيء انا شهيد
ان العباد كلهم اخوة واما من حيث صورها العلمية اعني علم الله بها
بذلك غيبت عنا اذ علمه غيب والله اعلم بغيبه وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال
وما اكتب قال اكتب علمي في خلقي فهذا ما نبه عليه الصوفي وغايته
الرجوع الى العجز الذي هو كمال الادراك والتسليم لما في علم الله من حيث
علم الله ومن فهم هذا التنبيه فهم المسالة الصعبة التي اشار اليها الشيخ
بن عطاء الله في اول التنوير وها هنا انتهى الكلام فلنرجع ونقول
حكم الاعراض والجواهر بعد وجودها جواز العدم عقلا ووقوعه سمعا
وهل على كلها او على بعضها خلاف كما ياتي في المعاد ~~اماصح اصلا~~ اما الجواز فضروري
امكانهما واستنادهما للفاعل المختار لما ياتي واما الوقوع فمن السمع
قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقال تعالى يوم نطوي السماء
كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده الى غير ذلك وفي الصحيح
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله تعالى السموات
يوم القيامة ثم ياخذهن بيمينه ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون
ثم يطوي الارض بشماله الى غير ذلك من الاحاديث وقد ثبت المعاد الجسماني
وهو اما بعد الاعدام او تفريق الاجزاء وايّاما كان فالعادم حاصل في الجملة
وهو المعتبر من الهلاك في الاية وهو اما اعدام الشيء من ذاته بالكلية
واما باعدام صورته وتفريق اجزائه وسياتي المسالة ثم اختلف العلماء
في كيفية ايقاع العدم فذهب جمهور الاشاعرة الى ان الاعراض لا تبقى

بنفسها

لنفسها زمنين ضرورة وقالوا لو بقيت لامتنع عدمها والثاني باطل
اما الملازمة فلانه لو انعدمت على ذلك التقدير فعدمها اما بنفسها
وهو محال والا انقلب الممكن ممتنعا واما بالفاعل المختار وهو باطل اذ العدم
لا يكون اثرا للمختار اذ لا فرق بين ان يقال لم يفعل شيا او فعل العدم ولكونه
اثرا له يكون بفعله ويفعل ولم يفعل متناقض واما الطرو بان ضد وهو باطل
اذ ليس رفع الطاري باولى من دفع الثابت واما لعدم شرطه وهو باطل
لان ذلك الشرط اما جوهر واما عرض وننقل الكلام اليه فيلزم الدور او
التسلسل فهذه مقتضيات العدم قد انتفت فيلزم امتناع عدمها
عملا بنفي المقتضي وهو الثاني واما بطلان الثاني فلانه يؤدي الى
انقلاب الممكن واجبا لذاته وهو باطل وهذا احسن ما قالوا في تحقيق
هذا الاصل وهو غير سالم من الاعتراض قالوا وجود الجوهر مشروط
بوجود العرض لعدم خلوه عنه واذا انتفى الشرط انتفى المشروط
قالوا وعند تعلق الارادة بالعدم لم يخلق الله في المحل العرض فلم يوجد
العرض فاذا لم يوجد العرض لم يوجد الجوهر فهذه طريق اكثر الاشاعرة
في كيفية وقوع العدم وذهب القاضي عند تصحيحها الى ان العدم
يكون اثرا للفاعل المختار والتحقيق هنا ان الاثر الحادث اذا كان فاعله
قديما فلا بد ان يتوقف تاثيره فيه على شرط حادث وهو تعلق الارادة
والقدرة بحيث اذا تعلقنا بما كان وجوده عملا بوجود الاثر عند تمام
ما يتوقف عليه التاثير فكذلك اذا لم تتعلق الارادة به لم يكن
وجوده ولم يكن وجوده هو عدمه واذا تحقق هذا فلا فرق بين العدم
السابق واللاحق وقد حققوا ذلك في المبادي الالاهية والمباحث العلمية
فاعرفه فهذا طريق اهل النظر واما اهل الحديث فلا يرون اثرا وجوديا كان
او عدما لغير الله ويدل عليه ما تقدم من الادلة السمعية واما الصوفي

فيقول اما العدم المطلق فلا يكون اثرا بالكلية اذ هو نفي محض واما
العدم المضاف فهو بالتحقيق تبدل وجود من وجود والوجود اثر باتفاق
والعدم المضاف وجود فالعدم اثر وقال تعالي انما امرنا لشي اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون فكما عند تعلق الكلمة بالوجود يكون فكذلك
عند تعلقها بالعدم يكون فالكل اثر الله تعالي وهاهنا انتهت المقدمة
فلنرجع الي المقصود من كلام الشيخ ونقول اقتصر الشيخ علي البسملة في البداية
دون الخطبة جمعا بين الادب والاقتدا والاختصار والسلامة من كداعي
الريا وكانه رجح رواية الخفض في قوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي
بال لا يبدا فيه بالحمد لله الحديث علي رواية الرفع علي الحكاية لما ثبت
في بعض الطرق كل امر لا يبدا فيه ببسم الله الحديث وقوله يجب
الوجوب لغة السقوط ومنه وجبت الشمس والثبوت ومنه قوله عليه
السلام اذا وجب المريض فلا تبكين باكية وفي غيرها فاما شرعا فهو اقتضا فعل
غير كف ينتهض تركه في جميع اوقاته سببا للعقاب وهو علي قسمين وجوب
عيني وهو ما لا يسقط فيه الطلب عمن لم يفعل بفعل غيره وكفاية وهو
بخلافه واما عقلا فهو اقتضا الشي لذاته اشيا اخر وقد يختص الوجوب
باقتضا الوجود والمكلف اسم مفعول لمن وقع عليه التكليف والتكليف
الزام ما فيه كلفة او طلب الفعل مطلقا والشرع يطلق مصدرا الشرع بمعني
استفتح ويطلق اسما بمعني الشارع والمراد به الباري جل وعلا اذ هو
الشارع حقيقة قال تعالي شرع لكم من الدين او الرسول
اذ هو المبلغ ويطلق والمراد به القواعد الدينية والاحكام السمعية
بقوله شرعا يرجع للوجوب اخراجا للوجوب العقلي والعقد هو الربطة
لغة ثم نقل لتصميم القلب علي ادراك تصوري او تصديقي والتصديقي
علم ان كان جزما او طابق عن موجب وجهل ان لم يطابق واعتقاد ان

طابق

ان طابق لغير موجب ويسمى تقليدا وظن ان لم يجزم به وكان راجحا
ومراده بالعقد الصحيح هنا العلم او الاعتقاد الشامل له وللتقليد بنا
علي ان التقليد يجزي والتوحيد مصدر وحد اذا اوقع نسبة الواحد
الي موضوعه والصفات جمع صفة وهي المعني القايم بالذات ومعني
القيام هنا هو الاختصاص الناعت اي بحيث يكون الذات منعوتا
بما يجري عليه من المعاني ثم الصفات علي ثلاثة اقسام نفسية ومعنوية
ومعني عند من يثبت الحال وعلي قسمين عند من ينفيها وهما الاولان
اما النفسية فعند اهل الحال هي الحال الثابتة لغير معنى زايد علي
الذات والمعنوية هي الحال الثابتة زايد علي الذات كالعالمية والمعني هو
الصفة المقتضية للحال واما عند غيرهم فالنفسية ما لا يتوقف
حصوله للذات علي امر خارج عن الذات بل هو راجع الي نفس الذات والمعنوية
ما كان خارجا عن الذات قايما بها وقد يقال الصفات علي اقسام نفسية
ومعنوية وقد سبية وهي صفات السلب وفعلية كالخلق والرزق
وجامعة كعزة الله وجلاله اذ يقال جل بكذا وجل عن كذا فيندرج في
الاول الصفات الثبوتية وفي الثاني السلبية وقد يقال صفات الجلال
وهي كل صفة سلبية وصفات الاكرام وهي كل صفة ثبوتية قال تعالي
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام والله اسم علم علي الذات الواجب
الوجود جل وعلا وهو اسم مختص به تعالي فلا يسمى به غيره شرعا ولم يقع
خارجا حفظا لاحديته وتنبيها للعقول السليمة علي عدم المشاركة في ذاته
فكما لا مشاركة في اسمه وصفا وعلما فكذلك لا مشاركة في المسمى وجودا
وعينا تتميم وتحقيق اعلم ان هاهنا مقامين الاول فيما يتعلق بهذا
الاسم الخاص اما الاول فالاسم قد يطلق في اللغة عموما والمراد به اللفظ
المفرد الموضوع لمعني تاما او غير تام مقترن بزمان او غير مقترن به وقد

بالاسم من حيث هو الثاني فيما يتعلق

يطلق خصوصا والمراد به ما وضع لمعنى مفرد تام غير مقترن بزمان
وهذا المعنى هو المتبادر منه عند الاطلاق وهو الذي يريده المتكلم
وهو المراد بالتسمية من حيث الوجود الخارجي لا من حيث الذهن وبالجملة فهنا
اربع امور التسمية وهي فعل الفاعل وهي جعل اللفظ بازا المعنى والاسم
وهو اللفظ المجعول والمسمى وهو المجعول له والمسمي وهو الجاعل ومن المعلوم
عند الاشعري ان التاثير هو الاثر من حيث الخارج وقد اختلفوا في الاسم
هل هو المسمى مطلقا او لا او الفرق بين اسما الافعال كالخالق فهو غير المسمى
واسما الذات كالله فهو هو واسما الصفات فلا هي هو ولا هي غيره والاول
لاكثر الاشاعرة والمحدثين متمسكين بقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى
وحاصل الاستدلال المسبح هو الاسم والمسبح هو المسمى اما الكبرى فقطعية
من الدين واما الصغرى فالاية المذكورة وقال تعالى ما تعبدون من
دونه الا اسما سميتموها والاستدلال كما تقدم والثاني لاكثر المتاخرين
متمسكين بقوله تعالى ولله الاسما الحسنى وبقوله عليه السلام ان لله تسعة
وتسعين اسما الحديث وحاصل الاستدلال ان الاسم متعدد ولا شي من
المسمى متعدد والثالث للشيخ الاشعري بنا على اصله من ان الاحكام
الجارية على الذات مرجعها الى صفات الذات كالعالم او الافعال
كالخالق وحاصله ان مدلول العالم العلم القايم بالذات والعلم لا هو هو ولا
هو غيره والخالق الخلق والخلق غير اذ هو الاثر الحادث وبالجملة فالمسيلة
مشكلة لان قولهم الاسم هو المسمى ان اريد به مصدوق الاسم وهو الذي
يعطيه عقد الوضع والاسم مفسر باللفظ حتى يكون مصدوقه نحو لفظ
العالم والخالق والقادر فهو لا يصح للقطع بان كل ذلك الفاظ وحروف
ولا شي من المسمى كذلك وان اريد به اسم فهو افسد وان اريد به مفهوم
الاسم من حيث هو فلا شك في طرقه على ما تحته من الالفاظ وهي مسمياته

نيصدق

فيصدق ان المسمى هو الاسم ولا يتصور نزاع فيه وان اريد ان الاسم
يقال بالاشتراك فتارة يطلق ويراد به اللفظ وتارة يطلق ويراد به
المسمى حتى يكون قول القايل رايت اسم زيد بمعنى رايت مسمى زيد وهو
المراد بقولك رايت زيدا فهذا بحث لغوي يتوقف على الوضع والاستعمال
وليس من مسايل الاعتقاد في شي وكان هذا هو مرجع كلام الشيخ والله اعلم
واما الصوفي فيقول الاسم حقيقة هو ما الجلي به الشي وتعين به عند
المدرك له والعارف به ومرجع الاسم عندهم الى ذات الشي من حيث
تعينه بتعين ما وعند حصول ذلك التعيين او صورته في نفس المدرك
له قد ينساق اللسان الى التلفظ بما يناسب ما في الضمير فيرتسم في ذهن
السامع منه صورة ما عرفه المدرك منه فعند ذلك يسمى ذلك اللفظ
اسما اما بالعلاقة او بالاشتراك وبهذا يظهر ان الاسم قد يكون حقيقة
هو المسمى وان الالفاظ اسما الاسمى كما يقوله المحقق الاعظم ان الالفاظ
الجارية على اللسان اسما الله لا اسما الله يعني بالتحقيق واهمال الواسطة
واسماوه باعتبار الواسطة وان في كل اسم كل اسم وبالجملة فلما كانت
اسما الله ترجع الى تجلياته وتجلياته لا نهاية لها كانت الاسما بهذا الاعتبار
لا نهاية لها فهي غير منحصرة قال عليه السلام اللهم اني اسالك بكل اسم
هو لك سميت به نفسك او انزلته في بعض كتبك او علمته احدا من خلقك
او استاثرت به في علم الغيب عندك وقال عليه السلام لا احصي ثنا
عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم ان اسما الله تعالى توقيفية عند اكثر
الاشاعرة وجميع المحدثين والصوفية وخالف القاضي مطلقا والغزالي في
الصفات وتوقف امام الحرمين ومعنى التوقيف عند ما عدا الصوفي
هو ان طريق العلم بها هو النص ولو احادا خلافا لمن اشترط التواتر او الاجماع
وهل يصح فيها القياس ام لا فيه تردد بنا على ان التسمية من باب العمل او من باب

الاعتقاد واما الصوفي فيقول اسما الله توقيفية بمعني انها موقوفة
علي التعليم الالاهي القا ... الحق علي قلب عبده علما من لدنه قال تعالي
وعلمناه من لدنا علما وقال وعلم ادم الاسما كلها وقال عليه السلام
او علمته احدا من خلقك هذا وان الكلام علي ما ورد منها وعلي احصايها
ومن موعدا وحفظ او تعبر او علم او تعلق او تخلق او تحقق او فهم الي غير
ذلك من العلوم المكنونة والاسرار المصونة التي ضن بها عن غير اهلها
او اعطيت لمن جعلت نفسه فيها اقل مهرها خارج عن المقصود من هذه
العجالة اذ ذلك علم مختص لنفسه وانما نذكرها هنا ما يسمي المعتقد فقط
واما الثاني وهو ما يتعلق بهذا الاسم الخاص فنقول قد تقدم
انه مختص بالذات العلي واختلف هل هو اسم للذات من حيث هو او اسم
للذات من حيث الصفات وعلي هذا اختلفوا اهل هو مشتق ام لا فبالنظر
الاول يكون غير مشتق وعليه جمهور العلما من اهل علم الكلام والحديث
والتصوف وبالنظر الثاني يكون مشتقا ثم اذا كان مشتقا فهو من معني
مستلزم لساير الصفات الالهية فلذلك كان الاحسن في اشتقاقه
انه من أله بمعني تحير فهو فعال بمعني مفعول اي المتحير فيه وذلك
لان ابصار الالباب تحيرت وتفرقت عند ظهور شمس جماله واندكت
جبال العقول عند تجلي نور جلاله وذلك يستلزم التميز عن ساير الممكنات
بذاته والتعزز من ان ينال شي من حقيقة افعاله فضلا عن صفاته وذاته
وبالجملة فهذا الاشتقاق يشعر بالاتصاف بصفات الجلال
وصفات الاكرام التي لا يمكن المشاركة فيها وذلك هو صفة الالوهية
او مستلزم لها او يكون مشتقا من اله بمعني عبد فعال ايضا بمعني مفعول
اي معبود ولانه جل وعلي متصف بجميع الصفات التي بها ايجاد الاشيا
وحفظها وكلما كان كذلك فهو منقاد له ومتذلل وكلما كان كذلك فهو

معبود فهذان الوجهان احسن ما ذكر في الاشتقاق وساير وجوه
الاشتقاق المذكورة في الكتب المبسوطة ترجع الي احدهما بالتامل
واما الالف واللام الداخلة علي القول بالاشتقاق فهي اما للتعريف
مجردا ابتدا او له مع التفخيم ولزومهما اما لانه عوض من المحذوف
واما لانه منقول فسبحان المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام الظاهر
لذوي العقول بشواهد الاعدام واما علي انه موضوع للذات من حيث
هي وعلي انه غير مشتق فالالف واللام جزان وعلي هذا القول يجري قول
من قال انه اسم الله العظيم الاعظم وعلي هذا القول جماعة من اهل
العلم وربما يقوي هذا القول بما اشتمل عليه من الخواص بحسب مادته
وصورته وذلك لان مادته ا ل ل ه فالالف الذات القيوم واللام
لام الامر والاتصال ثم لام الخلق والانعطاف والها ها الهوية
والرجوع وصورته صورة الوجود المتنزل اذ الامر يتنزل من الحق
للخلق ثم يرجع اليه يدبر الامر من السما الي الارض ثم يعرج اليه وانما
ادغمت اللام الاولي في الثانية اشارة الي بطون الامر في الخلق فافهم
وقد قيل ان هذه صورة هذا الاسم الاعظم في كل كتاب وانه
وجد في صحف ادريس وابراهيم والواح موسي عليهم السلام ويقال
انه نزلت ورقة مع مايدة عيسي عليه السلام فيها مكتوب الله الرب
وهو الذي لا بد منه وبه يجب التمسك واليه يرجع الامر كله ثم بعد
ذلك هذه الحروف ال ويذكر انه سيل جعفر الصادق رضي الله عنه
بحضر جابر بن حيان عن هذا الاسم فبادر جابر الي النطق بالجواب
وقال بامذا الاشتقاق له وقد قيل ان اصله اله فزيدت فيه اللام
تعظيما فقيل الاله ثم حذفوا الهمزة المتخللة وادغموا اللام التي للتعظيم
في التي تليها وقيل اصله لاه فزيدت اللام كذلك وقد قيل من النا له وهو

التعبد فلما فرغ قال له جعفر استغفر الله من هذا الاقدام على اسم الله
الاعظم هو الذي ينزل على ذاته وهو كذا في كل لوح وصحيفة وكتاب منزل
ولا يعلم في لغة لسان وان كان فهو على جهة الاتفاق واعلم يا جابر بن
حيان ان السر الالهي في تصريفه ومعرفة دورانه وسكونه في الضماير
وبه كانت الاصنام الطبيعية والفلكية وما عندها وفيها ثم هو يشرح
الغاية ولما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل على فضل الدرجة الرفيعة
هذا اخبرني ابي عن ابيه عن جده انتهى وبالجملة فهذا الاسم المبارك من كل
الوجوه وهو العلم المخصوص وساير الاسما تجري عليه جريان الصفات على
الموصوف وما قيل من ان علمية هذا الاسم تبنى على ان حقيقة الذات
هل هي معلومة ام لا فان كان الاول صح ان يكون علما اذ هو موضوع بازايه
على ذلك التقدير وان لا فلا يصح فيه نظر اذ ذلك انما يتم على تقدير ان يكون
الواضع غير الله جل وعلى وان الوضع يتوقف على العلم بالموضوع له من كل
وجه وكلاهما ممنوع بل الحق انه جل وعلى هو الواضع فقد وضع هذا الاسم
على ذاته لعلمه بذاته ثم اعلم به ملايكته ورسله صلوات الله عليهم اجمعين
فهذا ما يسره الله جل وعلا في هذه المسايل من حيث المعتقد تمهيدا وتتميما
واما ما يخص الصوفي ومن فوقه من هذا الباب فليس هذا محله اذ ذلك
من علوم الكشف والتحقيق لا من علوم الاعتقاد وتمهيد الطريق
فاعلم ذلك ولنرجع الى تتميم ما كنا فيه فنقول التصديق هو نسبة الصدق
الى المخبر والخبر عنه والصدق مطابقة الواقع والرسل جمع رسول فعول
من السفارة فهو رسول بمعنى سفير بين الله وبين العقلاء من خلقه ليبلغ لهم
ما لم تصل اليه عقولهم من الكمالات العلمية والعملية ومعنى هذه الكلمات
ان العبد المكلف يجب عليه وجوبا شرعيا تحصيل العلم بوحدانية الله تعالى
وصفاته وتصديق رسله اما ان هذا واجب فبالاجماع من جميع العقلا ولا

عبرة

عبرة بمنكر الرسالة اذ هو مباهت او جاهل واما ان ذلك الوجوب بالشرع
فهو معلوم من اهل السنة الا ما نقله صدر الشريعة في التنقيح ان الحنفية
يوجبونه بالعقل على ما ذكره في طالعة التنقيح حيث ذكر حد ابي حنيفة
رضي الله عنه للفقه فقوله الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها وبالجملة
المسالة فرع الحسن والقبح العقليين ستاتي دليل الجماعة قوله تعالى
قل انظروا فاعلم انه لا اله الا الله والاجماع وقوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا فلو كان الوجوب بالعقل لما وقف التعذيب على بعثة
الرسل ثم انهم اختلفوا في اول واجب ما هو اما الاشاعرة فمنهم من قال
اول واجب اول جزء منه ومنهم من قال اول واجب القصد اليه والخلاف
بالتحقيق لفظي بنا على ما هو المعتبر في الاول قصدا او وسيلة قريبا
او بعيدا والحق ان اول واجب قصدا المعرفة ووسيلة قريبا النظر وبعيدا
القصد وتوسط اول جزء اما ان اول واجب قصدا هو المعرفة فلقوله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس الا
ليعرفون وقال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا واما ان النظر وسيلة قريبة فبالوجدان
وكذلك اول جزء وكذلك القصد والدليل على وجوبها جملة ما تقرر
في الاصول ان ما لا يتم الواجب المطلوب الا به مقدورا او مطلقا شرطا
شرعيا فهو واجب واما اهل الحديث فاول واجب عندهم الاقرار بالشهادتين
ولوازمهما مطابقا بذلك قلبه ودليله ما في الصحيح امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله بجعل المقاتلة اللازمة للكفر مغياة بالنطق
بالشهادتين فالنطق بالشهادة والكفر متنافيان بالنسبة الى ما عبرنا
به ظاهرا فالنطق اول ما يدخل به لدايرة الاسلام ويخرج به عن دايرة الكفر
فهو اول ما يجب ان يحصل في الزمن الثاني من زمن الفهم فاذا هو اول

ومنهم من قال اول واجب
النظر ومنهم من قال اول واجب

٢

واجب وهو المطلوب والاشعري يقول له ذلك لا تخرجه عن
الكفر من حيث الاخرة وان اخرجه عنه من حيث الدنيا فلا تخرجه
عنه حتي يعلم ذلك ولا يعلمه الا بالنظر العقلي ولا ينظر حتي يقصد فعند
زوع السيف عنه يقال له اقصد الي النظر وانظر فيما تحصل لك العلم
فيما اقررت به وكان تقريره توقيع الحلي شيء هل في قولنا مثلا هل محمد حق
فايقاع نسبة الايجاب بذلك هو الاقرار ثم لا بد من الدليل بعد ذلك
كما هو في ساير المسايل المفروضة والمحدث يقول له قولك اما من حيث
الاخرة فلا ينفعه حتي تحصل المعرفة بذلك ممنوع وانما يتم علي تقديرا
لا ينفعه التقليد واما اذا كان ينفعه فلا وانا نقول ينفعه اذا كان تقليدا
للحق والغرض كذلك ولئن سلمنا ذلك ولكن قولك حتي يعلم ذلك بالنظر
العقلي ممنوع لجواز حصوله بغير النظر العقلي وسياتي تكميل هذه المسالة
عند كلام المصنف عليها واما الصوفي فهو يقول بقول الاشعري والمحدث
من حيث بدايته العامة واما من حيث بدايته الخاصة التي هي اول
مرتبته فيقول اول واجب الايمان والايمان سكينة القلب لخطاب الرب
ثم ارسال الجوارح للخدمة شكرا للنعمة وتحصيل الايمان يكون بحصول
اليقظة اما عن زاجر يخرج او جاذب مزعج قال تعالي اوليك كتب في
قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وقال تعالي افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو علي نور من ربه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب
ثم عند تمام هذا الايمان يظفر بروح اليقين وقرار العين برفع الحجاب وهو البين
المعبر عنه في اصطلاحهم بمقام قاب قوسين او ادني وهذا لا يحصل عن الكسب
والتعليم الانساني وانما يحصل عن موهبة الرب والتعليم الالهي وقول
الاشعري اول واجب هو القصد الي النظر والنظر ان اراد بالنظر الجاري
علي الطريقة المخصوصة فليس كذلك وان اطلقه حتي يشمل النظر في الايات

الدالة

بلغ مقابلة علي قدر الطاقة

الدالة متلوة كانت او مجلوة افاقية كانت او نفسانية فصحيح من حيث
توطين النفس ودفع الشرك لا من حيث تحصيل المقصود فان المقصود لا
يحصل الا عن الذكر والتخلي عن الفكر ولذلك قالت المشايخ الفكر علي المريد
في ابتدايه حرام كما هو في الرسالة وانما قوله ان اول واجب قصدا هو
المعرفة فان عنا المعرفة من كل الوجوه فذلك باطل كيف وقد قال
تعالي ولا يحيطون به علما وان كان من بعض الوجوه فذلك ضروري
لا يكلف به افي الله شك ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقد قال
بذلك جماعة منكم وستاتي المسالة واما قول المحدث اول واجب هو الاقرار
المطابق لما في القلب ان عنا بما في القلب الايمان فحق وان عنا غيره فليبينه
وبالجملة فقد قال عليه السلام ان الله لا ينظر الي صوركم واعمالكم
ولكن ينظر الي قلوبكم ونياتكم والكلام فيما يخرج من عهدة تكليف الحق لا
من تكليف الخلق اذ نحن نتكلم فيما يحصل السعادة الابدية لا الحالية والصواب
ان المعرفة المطلوبة معرفة الله جل وعلي من حيث انه واحد منفرد بالالوهية
التي تتعلق بها عبادة الخلق وعبوديتهم له كما قال عليه السلام في الصحيح
اول ما تدعوهم اليه عبادة الله فاذا عرفوا ذلك فاعلمهم ان الله قد فرض عليهم
الحديث بكماله قوله فيؤمن بان لا اله الا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا
نظير له في صفة من صفاته ولا قسيم له في فعله اقول الايمان يقال لغة ويقال
شرعا اما لغة فيطلق ويراد به التصديق والاعتراف ويتعدي بالبا امن الرسول
بما انزل اليه من ربه ويطلق والمراد به الاذعان والانقياد ويتعدي باللام
فامن له لوط وهو مشتق من الامن كما نبه عليه صاحب الكشاف وكان امن به
امنه من التكذيب والانكار عليه واما شرعا فاختلف مقالة اهل السنة
والجماعة فيه علي ثلاثة اقوال وملاهي هل هو الامر القلبي المعبر عنه بالاذعان
والتصديق فقط والنطق بموافقته شرط في اجرا الاحكام عليه وهو اختيار

حجة الاسلام او هو الامر القلبي مع النطق بحيث يكون الايمان مركبا منهما وهو
قول الشيخ ابي الحسن وجماعة من اصحابه او هو ذلك المركب مع العمل بالجوارح
بحيث يكون مجموع الثلاث وان لم يعمل لم يسلب عنه الايمان وهو قول
المحدثين وجماعة من اهل التصوف وهو مشكل للزوم نفي الماهية عند نفي
جزءها الا ان يتاول بالايمان الكامل لا مطلقه وسنذكر هذه المسالة مستوفاة
عند كلام المصنف عليها فمراده ببو من هنا معنى احد المذهبين الاولين فقط
بقرينة التعدية وادخل الفاء على المضارع اشعارا بترتب ما بعدها عما
قبلها والمعنى يصدق مذعنا بان لا اله الا الله الى اخره ثم اعلم ان هذه الجملة
وهي قولنا لا اله الا الله هي المفيدة لمضمون التوحيد الذي جاءت به الرسل
وهي الكلمة الطيبة ومفتاح الجنة فلا بد من الكلام عليها من حيث الوجوه
التي تتوقف الغاية بها عليها وذلك ينحصر في وجوه في مفرداتها واعرابها
ومدلولها والمقصود منها وفضايلها وخواصها فنقول لا حرف
موضوع للنفي واصل النفي ان يتعلق بالنسبة فيرفعها فكان الاصل في لا ان
تتعلق بالنسبة لكن قد يعدل بلا عن هذا الاصل فتدخل على المفرد النكرة
فيركب معها حتى يكونا بمنزلة الكلمة الواحدة يعبر بهما عن شيء محكوم به
او محكوم عليه كقولك زيد لا عالم ولا حي جماد وان كان التركيب لم يعتبره
النحوي الا في جانب المسند اليه وقد تدخل لا على الفعل المضارع فيطلب
بها الكف عن الفعل او نفيه والحاصل ان لا تارة يقصد بها رفع النسبة
وتارة يقصد بها رفع مدلول الفعل وتارة يقصد بها عدم ماهية الاسم
وبالجملة لا اوسع حروف النفي موقعا فحين تدخل على النسبة يحصل التناقض بين
القضيتين وحين تدخل على المفرد يحصل التناقض بين المفردين الذي ما له
الى العدم والملكة ولوازمهما متباينان اذ لازم التناقض بين القضيتين عدم
الرفع بخلافه بين المفردين هذا هو التحقيق في لا لا ما يعطيه كلام بعضهم من ان لا

لنفي النسبة في جميع مواقعها هذا وقد نص سيبويه على ان قول القايل لا رجل
في الدار لا رجل منه في محل رفع بالابتدا وفي الدار خبر عنه فمجموع لا رجل هو المسند
اليه فلو كانت لا لرفع النسبة لكانت هي النسبة الكاينة بين المسند والمسند
اليه فيكون المسند اليه هو رجل وقد نص على خلافه والمسالة مسالة خلاف
والاله فعال من اله بمعنى عبد فهو بمعنى معبود يجري فيه جميع الاشتقاقات
التي تقال في اسم الله على القول بانه مشتق وبالجملة فالاله اما بمعنى معبود او
بمعنى لازم له فتكون دلالته على ذلك المعنى وضعا او استعمالا وقد قال تعالى
قالوا نعبد الهك واله ابايك المعنى نعبد معبودك ومعبود اباك
فالاله هو المعبود اذ ذلك هو المتبادر منه فهو فيه حقيقة وضعا او غلبة
والا تاتي اداة للاستثنا اصلا فيه كما قد علم وقد تاتي صفة بمعنى غير والاستثنا
هو الاخراج بحروف وضعت له هذا ان اريد به المتصل فقط او ما دل على
المخالفة بالا غير الصفة او احد اخواتها ان اريد المتصل والمنفصل وقد تقرر
في الاصول ان الاستثنا من النفي اثبات اما وضعا وهو قول الجمهور واما
من حيث عرف الشرع في كلمة التوحيد وهو قول ابي حنيفة على ما قرر في
الاصول وقد اختلف في دلالة الاستثنا والصحيح ان الاسناد بعدها
لعله بعد الاخراج
خراج فارتفع التناقض الذي يوهمه ظاهر التركيب وبالجملة فاله مبتدا
والخبر محذوف تقديره ~~محذوف~~ موجود او في الوجود والله بدل من المحل وتقدير
المعنى لا اله غير الله موجود او هو الخبر وتقدير المعنى لا معبود غير الله او هو
المبتدا وما تقدم خبره والتقدير الله هو المعبود وعدل الى التركيب الخاص
قصدا الى نفي ما يدعيه المعاند صريحا وبالجملة فمفهوم هذه الجملة الكريمة
اثبات الالوهية لله ونفيها عن غيره مطلقا افرادا ان كان المخاطب بها مجوسيا
او وثنيا او قلبا ان كان المخاطب دهريا او طبيعيا على وجه او تعيينا ان كان
المخاطب بها واقفا وشاكا فمدلولها اذا هو التوحيد والتوحيد على اربعة

اقسام توحيد الالوهية وتوحيد الافعال وتوحيد الصفات وتوحيد
الذات فتوحيد الالوهية مرجعه ان الله هو الاله وحده اي هو المنفرد
بوصف الالوهية التي من اجلها يعبد وحده الذي هو الوجود الذاتي الذي
اليه يرجع كل ممكن لاحتياجه اليه وتوحيد الافعال مرجعه الي ان الله
هو الفاعل وحده وتوحيد الصفات مرجعه الي ان الله هو الحي وحده
وتوحيد الذات مرجعه الي ان الله هو الموجود علي الحقيقة وحده اما توحيد
الالوهية فهو صريح هذه الجملة الكريمة واليها دعي عموم الخلق وبالاقرار بها
يرتفع القتل لقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله
واني محمد رسول الله وبالايمان بها والاعتراف بها يدخل الجنة لقوله
عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة وحديث الشفاعة
لقوله عليه السلام فيقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله الحديث
بكماله وعن هذا التوحيد يبحث جميع العقلا من المتكلمين وغيرهم من اهل
النحل والملل وبه جات دعوة الانبيا عموما قال عليه السلام افضل
ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال
افضل ما قلته انا ولم يقل افضل ما علمته فافهم وبالجملة فمن لم يحصله
نفوكا فر بالاجماع ولا سعادة له بالكلية واما توحيد الافعال
فلم يقل به من الباحثين من اهل النظر الا الاشعري وجماعة من اصحابه
واتفق عليه السلف الصالح واهل الحديث والتصوف ولم يظفر به علما
وحالا الا الصوفي وبذلك فان اذ بذلك تتحقق العبودية ويظفر بلوازمها
من التوكل وغيره فافهم واما توحيد الصفات فلم يظفر به الا خاصة
الصوفية الذين وجدوا بوارق الوصول واستشرفوا علي حصول المامول
واما توحيد الذات فلم يظفر به الا المحقق واعني بذلك بتوحيد الذات
والصفات المختص بهو لا هو ما به يتحقق موات غير الله من حيث توحيد الصفات

وعدم ما سواه من حيث توحيد الذات وقد قيل توحيد المحقق هو غلبة
الوحدة الذاتية علي الكثرة الصفاتية مع بقاء التمييز والكثرة فافهم
واما توحيد الصفات بمعني لا نظير له في صفاته وتوحيد الذات بمعني
لا نظير له في ذاته فكل قايل به وهو معني توحيد الالوهية ولم ينكره
الا الثنوي والتوحيد باقسامه الاربع جا في القران والسنة والاثار
وعلمه اهله ببرهان الانفس والافاق وسياتي تمام الكلام عليها وبالجملة
فالادلة علي ذلك متفاوتة في الوضوح واوضحها دلالة توضيح الالوهية
ولذلك وقع اجماع العقلا عليه وبالجملة العلم بحسب الفهم والفهم
بحسب العقل والعقل بحسب القبول والقبول بحسب دفع المانع والمانع
العادة المالوفة ولذلك قيل الوقوف مع العادة حرمان وبالجملة
فهذه الكلمة اجمع العلما علي وجوبها مرة في العمر واختلفوا هل تتعين
للدخول في الاسلام او لا تتعين بل يكفي كلما يدل علي الاسلام من قول
او فعل علي قولين لقوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا
لا اله الا الله ولحديث خالد حيث قتل من قال صبانا ولم يحسنوا غير ذلك
فقال عليه السلام اللهم اني ابرا اليك مما فعل خالد وكذلك اختلفوا
هل يكون بمجردها مسلما حتي لو انكر بعد ذلك الرسالة عن ردة ام لا
حتي ينطق بالشهادتين نظرا الي اختلاف الرواية هذا ما يسره الله مما
يتعلق بهذه الجملة مما يقال من حيث الحقيقة وقوله الشيخ يؤمن
بان لا اله الا الله اي يؤمن بان الله هو الاله وحده وهذا الكلام يتضمن
بان الله موجود واله واحد وواحد وكل واحد منها مطلب براسه ياتي
الكلام عليه بعد حيث يخبر المصنف بها عنه وقوله وحده حال
والواحد من اتصف بالوحدة وقامت به والوحدة من الامور الاعتبارية
علي ما تقرر في محله وهي كون الشي بحيث لا ينقسم الي امور مشتركة في الماهية

والواحد علي قسمين حقيقي وهو الذي لا ينقسم بوجه واضافي وهو الذي
لا ينقسم بوجه دون وجه وقد يقال الواحد علي ما لا نظير له وعلي مبدا
العدد وعلي الواحد بالاتصال وعلي الواحد بانه كل وتمام وعلي الواحد
بالشخص او بالنوع او بالجنس او بالموضوع او بالمحمول الي غير ذلك والمقصود
من الواحد الجاري عليه جل وعلا فالمعنى الذي لا ينقسم والذي لا نظير له وهذا
المعنى هو المعنى بنفي الكم المتصل والمنفصل عنه لانه لو انقسم لدخل تحت
المقدار والمقدار كم متصل ولو كان له نظير لدخل تحت العدد والعدد كم
منفصل والمقصود نفيهما عن ذاته جل وعلي وهو المراد من اتصافه بالوحدانية
عند الجمهور وستاتي كمال المسالة وقوله لا شريك نفي من الشركة وهي
كون الشي بحيث يتحد مع غيره في شي موضوعا كان او محمولا صفة او موصوفا
متعلقا كان او اثرا وقوله في ملكه الملك يقال مصدرا وهو امضاء
التصرف علي حدود ما ينتجه المقتضي لمن شانه التصرف بدواعي نفسه
وما ابدى في ذاته واسما وهو كل مكون من حيث ظهوره بامضاء التصرف
ومعنى لا نظير له لا شريك له في الملك اي هو الملك وحده اذ هو المالك
والملك قل اللهم مالك الملك الاية وقوله ولا نظير له النظير المثل
يقال علي ما يسد مسد الشي وقد يقال هو الذي يشاركه في الصفات
النفسية وقد يقال هو الذي يشارك الشي فيما يجب ويجوز ويستحيل
ومعنى لا نظير له في صفاته اذ هو المنفرد بصفات الجلال وصفات
الاكرام فلا مثل له وقوله ولا قسيم له في فعله القسم المقابل علي سبيل
المعاندة والمعاندة هي كون الشي بحيث يستلزم كل منهما نقيض لازم الاخر
وقوله في فعله الفعل هو الامر المكنون عند الاشعري وقد يطلق علي التاثير
وقد اختلف في التاثير هل هو الاثر وهو قول الاشعري نظرا الي الخارج او هو
غيره وهو قول الحنفية نظرا الي الذهن وستاتي المسالة ومعنى لا قسيم له

في فعله

في فعله اي لا فاعل معه بل ما شا فعل وما لم يشا لم يفعل وكان الشيخ اراد
بهذه الكلمات مدلول الحديث الثابت في الصحاح ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو علي كل شي قدير في اليوم مائة مرة الحديث فقول المصنف فنؤمن
بان لا اله الا الله وحده وهو صريح لفظ الحديث وقوله لا شريك له في ملكه
هو معنى قوله عليه السلام لا شريك له له الملك وكانه فهم ان قوله
عليه السلام له الملك تفسير لقوله لا شريك له او نتيجة عنه وقوله
ولا نظير له في صفاته هو معنى قوله عليه السلام له الحمد اي لا لغيره
عملا بتقديم الخبر واذا لم يكن لغيره وكان له وحده كانت جميع الصفات
الكريمة له وحده ضرورة انها متعلقه واذا كان جميعها له وحده
لم يكن شي منها لغيره والا لم يكن مختصا وقد فرضنا مختصا هذا
خلف وقوله لا قسيم له في فعله هو معنى قوله عليه السلام وهو
علي كل شي قدير فانه لو كان له قسيم في فعله لم يكن علي كل شي قدير
ضرورة التمانع علي ذلك التقدير لكنه علي كل شي قدير فهو لا قسيم له
في فعله فانحصر قال رضي الله عنه وان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدى ودين الحق وان كل ما اخبر به وعنه صدق قوله
محمد اسم علم علي ذاته صلى الله عليه وسلم قال تعالى محمد رسول الله
وهو علي وزن مفعل مبالغة بمعنى محمود لتكرر الحمد له المرة بعد المرة
فهو اسم مطابق لذاته صلى الله عليه وسلم اذ ذاته محمودة علي السنة العوالم
من كل الوجوه حقيقة واوصافا وخلقا وخلقا واعمالا واحوالا وعلوما
واحكاما وجميع عوالمه المتنزل لها والظاهر بها فهو محمود في الارض
والسما ومع ذلك هو الحامد ما حمده احد الا بما علمه اياه اذ هو نبي الجميع
فهو الحامد وان شئت قلت هو الحامد لله تعالى علي الاطلاق وبالتحقيق

وحمده لله حمده الله على السنة عباده فهو الحامد المحمود الا انه خص من حين
محل تنزل الامر مبدا الفاعلية وهي الاحدية ومن حين بلوغ الامر ومنتهي
المفعولية بالمحمدية فكان اسمه في الارض محمد وفي السما احمد فهو صلى الله
عليه وسلم خير من حمد وافضل من حمد بل على التحقيق لم يحمد ولم يحمد الا هو
وكيف لا ولوا الحمد بيده وهو صاحب المقام المحمود الذي يحمده فيه الاولون
والاخرون ولهذا الاسم الكريم اشارة لطيفة من جهة حروفه المادية
ومن جهة هيئته الصورية اما الاول فلما اشتمل عليه باعتبار حروفه
من ميم الملكوت الاعلى وحا الحياة والحفظ الذي به وفيه كتب القلم الاسنا
وميم الملكوت الناطق في ميم ملك الظاهر وكذا الدوام والانفصال
للماحية لوهم الانقطاع والانفصال واما الثاني فان صورة هذا
الاسم على صورة الانسان فالميم الاولى راسه والحا جناحاه والميم
الثانية بطنه والدال رجلاه والانسان صغير وكبير كما هو في مصطلح القوم
فافهم والعبد مضايف لاسم الرب والسيد والمالك الاسم ولا شك
ان ما سوى واجب الوجود محتاج وكل محتاج ذليل وكل ذليل عبد
فكل ما سوى الحق عبد ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا
فاذا اسم العبد اسم الشي من حيث احتياجه والاحتياج ذاتي للممكن فاسم
العبد اسم للشي الممكن باعتبار ذاته فاذا الاسم الحقيقي لكل ما سوى
الله تعالى هو اسم العبد والعبد محتاج في ذاته ضرورة انها مجعولة
وما قيل من ان الحقايق غير مجعولة فباطل الا على وجه خاص ليس هذا محله
كما قرر في محله وفي وجوده ضرورة انه مخلوق وفي اوصافه واحواله
كذلك ضرورة انها حادثة مخلوقة ومن المعلوم قطعا ان احد المتضايفين
لا يعقل ولا يوجد الا مع مضايفه فاذا العبد من حيث انه عبد وبالتحقيق
ليس له حيثية اخرى لا يعقل ولا يوجد الا مع مضايفه ومضايفه الرب

فاذا يلزم

فاذا يلزم من معقول العبد معقول الرب ومن وجوده وجوده من عرف
نفسه عرف ربه فاذا شهود العبودية مستلزم لشهود الربوبية ولقد
سيل سهل رضي الله عنه عن المشاهدة ما هي فقال العبودية ثم ان
الانسان على قسمين غافل عن عبوديته ومستحضرها فمن غفل كان
عند نفسه غير عبد ومن كان عند نفسه غير عبد كان جاهلا بنفسه
ومن كان جاهلا بنفسه كان بربه اجهل فاذا من نسي نفسه نسي الله ومن
نسي الله انساه الله نفسه نسوا الله فانساهم انفسهم فاليوم ننساكم
كما نسيتم لقا يومكم هذا والمستحضر على قسمين من لم يغفل بالكلية وهم
الانبيا عليهم السلام ومنهم من قد يغفل ثم هم على ثلاثة اقسام لانه اما
ان يكون عدم الغفلة اكثر او بالعكس او يتساويا فالاول سابق الثاني
ظالم لنفسه والثالث مقتصد ثم من لا يغفل بالكلية هو العبد
علما وحالا ووجدا وتحققا ووجودا وبالجملة بعدم الغفلة عن العبودية
عدم الغفلة عن الربوبية وعدم الغفلة عن الربوبية كمال الانسان
بعدم الغفلة عن العبودية كمال الانسان وعدم الغفلة عن العبودية
موقوف على العبودية وما يتوقف عليه الكمال كمال فالعبودية كمال
واعلم ان عدم الغفلة عن العبودية هو العلم بها والعبودية ذاتية
للعبد بالتحقيق والعلم بذات العبد هو حضور ذات العبد لديه وجوده
ووجود ذات العبد ووجود عينه ضروري فاذا العلم بعبوديته
عين العلم به وبالجملة فالعبودية عين الكمال الانساني واكمل الكمل
على الاطلاق هو صلى الله عليه وسلم فعبوديته اكمل كل كمال وكيف وهو الذي
قال له الحق اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر فكان من اقباله الاخذ من
ربه ومن ادباره الاعطا لخلقه واعلم ان العبد له شيون ثلاثة فعل
وصفة وذات فقيامه في الفعل بحق امر مالكه عبادة وقيامه في صفته

ذات العبد لديه وحضور ذات العبد لديه وحضوره ... من حيث ... وجوده عينه

بحق امر سيده عبوديته وقيامه في ذاته بحق امر ربه عبودة قال
تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين فالعبودة لرب
العالمين والعبودية للرحمن الرحيم لملك يوم الدين وبالجملة لما كانت
العبودية مشتملة على هذه الكمالات اثنا الله على نبيه عليه السلام باسم العبد
فقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده وانه لما قام عبد الله يدعوه
فاضافه الى اسم ذاته فلذلك كان احب الاسما اليه صلى الله عليه وسلم ولذلك
ايضا لما خير عليه السلام بين ان يكون نبيا عبدا او نبيا ملكا اختار
ان يكون نبيا عبدا لان النبي والعبد تصح اضافته اذ يقال نبي الله وعبد
الله بخلاف الملك اذ لا يحسن ان يقال ملك الله لما يوهم من عكس النسبة
وبهذا يتضح له ان لا ملك ولا مالك الا الله تعالى ويكون اطلاق الملك
والمالك اذا اثبتهما لغيره مجازا ولا يكون ذلك حقيقة اذ اثبات ذلك
حقيقه يقطع ان العبد عن الاضافة الى الرب فلا ينبغي للعبد العاري
ان يرى لنفسه ملكا ولا ملكا بل ذلك كله لله ولهذا السر طهر الله بيت
رسوله من ذلك فلم يكن مراله حقيقة ملك ابدا انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اي مما يناقض العبودية فانهم
وعند هذا تطلع على سر قوله جل وعلى العظمة ازاري والكبريا ردائي
فمن نازعني منهما قصمته فان العظمة للملك والكبريا للمالك فافهم
وقوله رضي الله عنه ورسوله تقدم الكلام عليه وسياتي مستوفى في محله
وقوله وان محمدا عبده ورسوله معطوفا على قوله لا اله الا الله اي ونؤمن
ان محمدا وقوله جانا بالهدى ودين الحق اي جانا بالهداية ودين الحق والدين
لغة الجزا وفي الشرع اسم لما به الجزا وهو مجموع الاسلام والايمان والاحسان
كما قال عليه السلام في حديث جبريل جا ليعلمكم دينكم فجعل الدين مجموع ذلك
وقد يطلق الدين على الاسلام الكامل المفسر عنه بالاستسلام كما في قوله

جل وعلى

جل وعلى ان الدين عند الله الاسلام والحق يقال صفة للقول
بمعنى الصدق ويقال بمعنى الثابت في نفس الامر وقد يقال الحق
مطابقة الواقع للخبر والصدق مطابقة الخبر الواقع ووصف الدين بالحق
باعتبار اشتماله على الاقوال الصادقة والحقايق الثابتة وقوله
وان كلما اخبر به وعنه حق الاخبار القا الخبر نحو الغير ويعني بما اخبر به
ما تكلم به عليه السلام غير قران وقوله وعنه يعني ما اخبر به عن الله
ويعني له ما تكلم به عليه السلام قرانا والقران هذا هو الكلام المنزل
للاعجاز بسورة منه والصدق مطابقة الخبر للواقع والكذب عدمه
والمعنى ونؤمن بان ما جا به عليه السلام قرانا او سنة قولا او فعلا
او تركا علما او عملا او حالا صدق والادلة على ذلك تاتي حيث يتكلم
المصنف عليه بعد هذا قال وان الايمان هو حديث النفس
التابع للمعرفة بذلك على الاصح خلافا لمن قال هو المعرفة اقول
تقدم الكلام على الايمان لغة وما وقع لاهل السنة فيه من العبادات
شرعا والان تعرض المصنف للصحيح عنه في حقيقته فلا بد من بسط المسالة
قال سعد الدين في مقاصده حاصر الاقوال اهل الملة الايمان
اما ان يجعل الفعل في القلب فقط او اللسان فقط او لهما وحدهما او مع
ساير الجوارح فعلى الاول هو اسم التصديق عند الاكثرين بشرط الاقرار
اعني تصديق النبي عليه السلام فيما علم مجيئه به بالضرورة والمعرفة
عند الشيعة وجهم والصالح واليه يميل الشيخ الاشعري وعلى الثاني
فهو الاقرار بشرط المعرفة عند الرقاشي وبشرط التصديق عند القطان
وبلا شرط عند الكرامية وعلى الثالث فهو لمجموع التصديق والاقرار وعليه
اكثر المحققين الا انه كثيرا ما يقع في عباراتهم مكان التصديق المعرفة
او العلم او الاعتقاد وعلى الرابع الاقرار باللسان والتصديق بالجنان

والعمل بالاركان اما بان يجعل تارك العمل خارجا عن الايمان داخلا في
الكفر وعليه الخوارج او غير داخل وعليه المعتزلة مختلفين في ان الاعمال
فعل الواجبات وترك المحظورات او مطلق فعل الطاعات واما على ان لا يجعل
خارجا وعليه اكثر السلف وهو المحكي عن مالك والشافعي رحمة الله عليهما ذهابا
الا انه قد يطلق على ما هو الاساس في النجاة وعلى الكامل المنجي بلا خلاف والا
فانتفا الشيء عند انتفا جزئه ضروري انتهى والحاصل من تلخيصه ان الايمان
عند اهل السنة والجماعة اما امر قلبي مشروط بالاقرار اللساني او هما معا القلبي
واللساني او هو مشترك يقال على ما هو شرط في مطلق السعادة وعلى ما هو شرط
في كمالها ثم ان ذلك الامر القلبي هل يرجع الى العلم او يرجع الى كلام نفسي غير العلم
فمنهم من رده الى المعرفة وهو احد قولي الشيخ ومنهم من رده الى الكلام النفسي
وهل هو الكلام النفسي المفسر بحديث النفس او ربط القلب او نسبة الشيء الى الشيء
نسبة مطابقة للواقع وهو المسمى بالتصديق وهو ظاهر قول امام الحرمين
والمصنف او غيره وهو التسليم والادعان وهو قول جماعة من المحققين وحجة
الاسلام والحق انه امر قلبي وليس هو المعرفة ولا يوجد بدونها اما انه امر قلبي كونه صح
فلقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن
قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وفي الصحيح اللهم ثبت قلبي على دينك ومن كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان واما انه ليس هو المعرفة فلانه قد توجد كونه صح
بدونه كما في المعاند قال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم وقد نقل عن ابي جهل انه قال نعلم ان محمدا نبي ولكن لا نؤمن به ابدا وايضا
فلان مقابلة الايمان الكفر ومقابلة العلم الجهل والمعرفة النكرة واما انه لا يوجد كونه صح
بدونه فلان الايمان بالشيء فرع العلم به قطعا وايضا فان الايمان اما عن دليل
او عن تقليد والحاصل عن الدليل علم وعن التقليد اعتقاد وهو علم بالتفسير الاعم

فلا يمكن

فلا يمكن وجود الايمان بدون العلم وهو المطلوب فاذا لا بد في حصول الايمان
من امر زائد ولا شك في انه ليس من قبيل القدرة والارادة ولا غير ذلك مما
ليس من كلام النفس او كيفية لها الذي هو اما التصديق او ما يلازمه وهناك
يقف الفكر ويتحرك الحدس ويشرق نور الوجدان فمنهم من فكر وقال
الايمان مكلف به وكل مكلف اختياري وكل اختياري فعل للنفس
فالايمان فعل للنفس وهو كلام النفس المفسر بايقاع نسبة الصدق ومنهم
من حدس وقال لا شك ان الايمان مرجعه الى الامن فلا بد في معناه من
معناه والتسليم والادعان يجعل متعلقهما في امن فاذا حقيقته التسليم
والاذعان او ما يلازم ذلك وقول من قال ان كل اختياري هو فعل للنفس
ممنوع بدليل ساير الكيفيات المطلوبة كالظن والعلم ومنهم من رجع الى
ذوقه وما يجده عند وجدان اثره فقال الايمان سكينة القلب
لوجود اثر الرب الباعث لاستعمال النفس في الاعمال الصالحات والاخلاق
الراجحة قال تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم وهذا هو الايمان عند الصوفي كما قد تقدمت الاشارة
اليه ثم ان الايمان لا بد فيه من النطق باللسان لما ثبت في الصحيح قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
محمد رسول الله الحديث ثم اختلفوا هل هو شطر من الايمان شرعا حتى انه لو لم
ينطق اختيارا فهو كافر في نفس الامر او شرط فيه بمعنى انه لا تجري عليه الاحكام
الشرعية الاسلامية حتى ينطق بالشهادتين واما لو مات ولم ينطق وامن بقلبه
فهو مؤمن في نفس الامر وبالاول قال جماعة من المحققين وقد قال بعض العارفين
مشيرا الى ترجيح هذا القول بان الحق جل وعلى مسمى باسمائه الحسنى فلا بد في الايمان
من شيئين شيء يتعلق بالمسمى وهو الامر القلبي وشيء يتعلق بالاسم وهو اللسان
وبالثاني قال الاكثرون واكثر المحدثين على انه جزء بل وعلى ان الاعمال جزء من

الكامل لا من مطلقه كما تقدم فقول الشيخ رحمة الله عليه وان الايمان الي اخره
اي ويؤمن بان الايمان هو حديث النفس اي ايقاع نسبة الصدق التابع للمعرفة
بذلك اي بما تقدم من مدلول كلمتي التوحيد وقوله علي الاصح خلافا لمن قال
هو المعرفة فقط اشارة الي ما نسب للشيخ وغيره وان الاصح عنده ما صرح به
وقد اتضحت لك المسالة والصواب فيها مما قدمناه والحاصل ان الايمان شرعا
يقال بالاشتراك فتارة يطلق والمراد به العمل القلبي مع اللسان وتارة
دونه وتارة علي ساير الطاعات بدنية او قلبية وهذا هو المفهوم من كلام
السلف والاطلاقات السمعية قال ولا يكفي التقليد في ذلك علي الاصح اقول
التقليد مصدر قلدته هذا الامر اذا رددته اليه بقومه وفي الاصطلاح
العمل بقول الغير من غير حجة فالاخذ بقول الرسول والعامي بقول المجتهد
والقاضي بقول الشهود ونحو ذلك ليس بتقليد علي التحقيق وان اطلق عليه
ذلك عرفا كما اشير اليه في الاصول ولا شك ان الاحكام الشرعية اعتقادية
وغير اعتقادية اما غير الاعتقادية فاتفق اهل السنة والجماعة علي جواز
التقليد فيها من غير المجتهد ولهم في المجتهد تفصيل محله اصول الفقه
واما الاعتقادية فقد اختلفوا فيها فالذي عليه الايمة الاربعة وساير
الفقها والمحدثون واهل التصوف وبعض النظار كابي منصور الماتريدي
وكل ما ورد النص علي صحته والاكتفا به شرعا واليه مال كثير من حذاق المتاخرين
كالشيخ سعد الدين وذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري وجماعة اصحابه
وكثير من المتكلمين انه لا يجزي وهو الاصح عند المصنف قال الشيخ سعد
الدين رحمة الله عليه ثم المانعون اعني القايلين بان ايمان المقلد ليس بصحيح
او ليس بنافع منهم من قال لا يشترط ابتنا الاعتقاد علي الاستدلال العقلي
في كل مسالة بل يكفي ابتناؤه علي قول من عرفت رسالته بالمعجزة مشاهدة
او تواترا فيقبل قول النبي بحدوث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته ومنهم

من قال لابد من ابتنا الاعتقاد في كل مسالة من الاصول الدينية علي دليل
عقلي لكن لا يشترط الاقتدار علي التعبير عنه وعلي مجادلة الخصوم ودفع الشبه
وهذا هو المشهور عن ابي الحسن الاشعري حتي حكي عنه انه من لم يكن كذلك
لم يكن مؤمنا لكن ذكر عبد القاهر البغدادي ان هذا وان لم يكن عند الاشعري
مؤمنا علي الاطلاق فليس بكافر لوجود التصديق لكن هو عاص بتركه
النظر والاستدلال فيعفو الله عنه او يعذبه بقدر ذنبه وعاقبته الجنة
وهذا يشعر بان مراد الاشعري انه لا يكون مؤمنا علي الكمال كما في ترك
الاعمال والا فهو لا يقول بالمنزلة بين منزلتين ولا بدخول غير المؤمن
الجنة وعند هذا يظهر انه لا خلاف معه علي التحقيق انتهي كلامه ثم ان محل
النزاع كما نص عليه ابو منصور الماتريدي وسعد الدين ليس في الذين نشؤوا
في ديار الاسلام من الامصار والقري والصحاري وتواتر عندهم النبي
عليه السلام وما اتي به من المعجزات ولا في الذين يتفكرون في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار فانهم كلهم من اهل النظر والاستدلال
بل في من نشا في شاهق جبل مثلا ولم يتفكر في ملكوت السموات والارض
فاخبره انسان بما افترض عليه اعتقاده فصدقه فيما اخبره بمجرد اخباره
من غير تفكر ولا تدبير فظهر مما ذكر انه لا خلاف بين اهل السنة في ان
الايمان عن علم يقيني عن موجب اتم واكمل وانما الخلاف هل يجزي غيره
او لا يجزي واذا لا يجزي هل يكون صاحبه ليس بمؤمن او ليس بطايع علي انه
كما قال بعضهم لا خلاف في اجرا الاحكام الاسلامية عليه وههنا طريقة
اخري قال سعد الدين حكا ابن عباس وجماعة انهم يقولون من العقلاء
من يكلف النظر وهم ارباب النظر ومنهم من يكلف التقليد وهم العوام والعبيد
وكثير من النسوان لعجزهم عن النظر في الادلة وتمييزها عن الشبهة لكنهم كلفوا
تقليد الحق دون المبطل ثم ذكر بعض المتاخرين ان العاجزين عن النظر انما كلفوا

ان يسمعوا أوايل الدلايل التي تتسارع الي الافهام فان فهموا كفاهم ولا
يكلفون تلخيص العبارة وان لم يمكنهم الوقوف عليها ولا فيها فليسوا بمكلفين
اصلا وانما خلقوا لانتفاع المكلفين بهم في الدنيا وهم كثير من العوام والعبيد
والنسوان وهذا القول ينظر الي تكليف ما لا يطاق ومع ذلك فامكان الفهم
في الجملة كاف في التكليف ومن هاهنا استبعد هذا القول اذ ليس بجار علي
قواعد اهل السنة هذا تفصيل الاقوال اما الاستدلال عليها فالقايلون
بالصحة قالوا لو ان كان الايمان هو التصديق فالمقلد مؤمن والمقدم حق قطعا
لما مر بالتالي مثله اما الملازمة فلحصول التصديق منه وهو اذعانه واعترافه
فان قيل لا نسلم حصول الايمان منه لان العلم اما ذاتي للايمان واما شرط
فيه واياما كان فليس هو حاصلا للمقلد اذ المقلد ليس بعالم اذ العلم هو الاعتقاد
الجازم عن مستند من ضرورة او استدلال وكلاهما ليس بحاصل قيل المعتبر في
التصديق هو اليقين اعني الاعتقاد الجازم المطابق بل ربما يكتفي بالمطابقة
ويجعل الظن الغالب الذي لا يخطر معه النقيض ببال في حكم اليقين وبالجملة
فالمعتبر في الايمان شرطا او شطرا الادراك الجازم المطابق سوا كان عن موجب
ام لا فاذا المقلد مؤمن علي ذلك التقدير وكل مؤمن مثاب علي ايمانه وكل
مثاب عليه مجزي فايمان المقلد مجزي وايضا قد ثبت من سيرته صلي الله
عليه وسلم وسيرة الصحابة والخلفا من بعده الاكتفا به من الداخلين في الاسلام
حتي كان يحكم بدخول الجنة بمجرد الايمان لمن امن في الوقت الحالي ثم مات من
غير ان ينظر ولا يسعه الوقت لذلك بل لم يحصل منه الا الاذعان والانقياد
له عليه السلام واعتقاد صحة ما جا به بمجرد قوله عليه السلام ففي الصحيح عن معاذ
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من احد يشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله علي النار وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يضحك الله

عز وجل

عز وجل الي رجلين يقتل احدهما الاخر كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا في سبيل الله
فيستشهد ثم يتوب الله علي القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله فيستشهد وجا
رجل الي رسول الله صلي الله عليه وسلم في بعض غزواته فقال يا رسول الله اسلم
ام اقاتل فقال له اسلم ثم قاتل فاسلم ثم قال واستشهد وحديث الصبي
اليهودي الذي كان يخدم رسول الله صلي الله عليه وسلم فدخل عليه رسول الله
صلي الله عليه وسلم وهو في النزع فقال له صلي الله عليه وسلم اسلم فنظر الي ابيه فقال
له اطع ابا القاسم فاسلم فمات الحديث الي غير ذلك كما هو مسطور في
السير واما القايلون بعدم الاجزا فقالوا المطلوب هو المعرفة ولا شي
من التقليد بمعرفة فالتقليد ليس بمطلوب وكل ما ليس بمطلوب ليس
بمجزي واعترض بمنع ان المطلوب المعرفة بل الايمان ولو سلم فهي مطلوبة
كمالا لا صحة ولو سلم فليس ذلك علي العموم بل علي الخصوص من اهل النظر والاستدلال
وقالوا ثانيا ان الذي يعتمد في التقليد اما ان يفرض باطلا فتقليده باطل
واما ان يفرض حقا فحقيقته اما ان تعلم بالتقليد فدور او بالدليل
فيتناقض ورد بان الكلام فيما علمت حقيقته كالاحكام التي علم بالضرورة
كونها من الدين هل من اعتقدها تقليدا هو من يجري عليه احكام الدنيا
والاخرة وان كان عاصيا بترك الاستدلال ان كان من اهله ام لا قالوا
ثالثا ثبت ذم التقليد كتابا وسنة واثارا وكل مذموم غير مجزي فعله
بل الواجب تركه واجيب بان المذموم انما هو تقليد المبطل لا تقليد
الحق ولو سلم فهو لمن اقتصر عليه مع القدرة علي العلم والا فكيف يعقل شرعا
ذم من صح علي الشهادتين لسماعه منه ذلك عنه عليه السلام فتواتر ذلك
عنده واعلم ان الجميع اتفقوا علي رجوع العلم في الجملة وانما الخلاف فيما يخرج
اثر الكفر والتحقيق ان هاهنا حالتين حالة بلوغ الدعوي لشرط سمعها
وحالة ما بعدها اما الاولي فالواجب فيها تحصيل الايمان عن عقد جازم

فالتقليد ليس بمجزي م

سوا كان عن نظر ام لا فان حصله فهو سعيد شرعا كما تقدم من الادلة وان لم
تحصله فهو كافر اتفاقا واما الجملة الثانية فالواجب تحصيل الايمان عن عقد
جازم عن موجب قال تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض فاعلم انه
لا اله الا الله فاعتبروا يا اولي الابصار ثم الموجب للعلم عند اهل السنة والجماعة
بالاستقرا اربعة ثلاثة للعموم وواحد للخصوص اما الثلاثة فالاول
منها الضروري من حسي او عقلي والثاني النظر الفكري والثالث الدليل
السمعي والرابع الالهام وهو التاعلم في القلب علي جهة الفيض ثم اعلم ان
الضروري لا خلاف في الاعتماد عليه عند جميع العقلا وكذلك السمعي
فيما لا يتوقف دلالة السمع عليه والالهام مخصوص فلم يبق الا النظر
العقلي وهو معتمد الاشاعرة وجميع المتكلمين اذ العقايد الدينية
التي لا تتوقف دلالة السمع عليها لا تثبت الا بالنظر الفكري اذ ليس هي من الضروري
باتفاق واثباتها بالسمع دون الالهام خاص بالخصوص فيتعين النظر الفكري
والمحدث يقول قولكم يتعين النظر العقلي ما تعنون بالنظر العقلي البحث
عن الجوهر والعرض عن الصفات ومتعلقاتها ووحدتها وكثرتها او غير ذلك
فان عنيت الاول فباطل ومنه حذر السلف الصالح حتى قال الشافعي
رحمة الله عليه اذا سمعت من يقول الاسم هو المسمى او غيره فاشهد انه من اهل
من اهل الكلام ولا دين له وان عنيت غير ذلك من طرق الاعتبار بدلالة
الافاق والانفس والادلة السمعية علي وجود الحق جل وعلي واتصافه بصفات
الكمال فذلك امر جلي يحصل بادني نظر بل يكاد ان يكون امرا ضروريا
لساير الذوات واليه الاشارة بالفطرة الاسلامية كما قال عليه السلام
حسبما في الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقال تعالى افي الله شك
الي غير ذلك واما تفصيل تلك الصفات وتعيينها وتفصيل تلك الاسما
وتعدادها فلا يعلم الا من جهة السمع اذ لا مجال في ذلك للعقل اذ العقل قاصر

عن ادراك

عن ادراك ذلك ولذلك قد ضل كثير لخوضهم في ذلك وحيث كفرتم
من كفرتم من ساير الفرق وانما هو لمخالفة المسموع اجماعا فمن علم النبي
صلي الله عليه وسلم وشاهد المعجزة او تواترت عنده حتى حصل له العلم
به فانه تحصل له العلم بكل ما ثبت منه ونقل له عنه من غير نظر عقلي ولا قياس
منطقي والاشعري يقول كلام مع من حصل هذا القدر اذ قد حصل ما وجب
عليه وانما الكلام فيمن لم تحصله او شك في هذا الاصل كالمخالفين للملة
فبالضرورة لا يتكلم معهم الا بالعقل علي الطريق المعلومة والشروط المرسومة
والمخالف ان تمادي بعد الارشاد يقتل او يهجر والمحدث يقول اذ لا تتعلم
الطريق العقلي لتحصيل المطلوب وانما هو لرد المخالف ونحن نقول تجا عنه
عليه السلام انه رد المتردد والمرتاب بواسطة الشبهة الي التفهيم والعقد
والتمسك بالسمع ولم يرده الي النظر العقلي اذ لو كان هو المتعين لذلك
لرده اليه لامكانه ففي الصحيح لمسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من
خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته
وفي طريق اخري قال لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله من
خلق الله فمن وجد ذلك فليقل امنت بالله ورسوله فانظر لما ناردة ولم
يرده الي ابطال التسلسل وجا من طريق الترمذي والنساي عن ابي هريرة
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا قال ذلك فقولوا قل هو الله احد الي
اخر السورة ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان فهذا تعليمه
عليه السلام وهو والله النافع وقد اعترف بذلك بعض اهل النظر حيث قال
اللهم ايمانا كايمان العجايز والاشعري يقول لهم قد لا يمكن مع المخالف
شي من ذلك كما اذا كان ذا شوكة او له مشاركة في العلوم الفلسفية ولو
عولج بالنظر العقلي لاذعن فعند هذا التحقيق يرتفع النزاع ويكون تعلم علم

الكلام من فروض الكفاية وتحصيل المعتقدات عن علم ولو بدليل سمعي
واجمالي او تفصيلي من فروض الاعيان وتحصيلها في الزمن الثاني
من زمن الخطاب عن عقد جازم ولو عن غير دليل من فروض الاعيان
وبهذا تتفق اقاويل العلما فاعرف ذلك واما الصوفي في البداية ففقيه
او اشعري وفي النهاية صاحب الهام ولطايف افهام وقد مضى تقرير
مذهبه فاعلمه والله الهادي الى الصواب واليه المآب قال

فلا بد من حديث النفس التابع للمعرفة عن مستند جملي بثبوت الصانع
اقول عبر بالفا اشعارا بان ما بعدها نتيجة عما قبلها والمعنى
انه لا بد من الايمان الذي هو حديث النفس التابع للعلم كما تقدم
من حقيقة الايمان عن مستند اي سند يعني به الدليل وقوله جملي
اي اقل ما يخرج من التقليد ذلك ولا يشترط التفصيل ومتابعة المبادي
بالنظر العقلي كما هو طريق المتكلمين وبالجملة فقد تلخص مما تقدم انه مع
السعة لا بد في الايمان من ان يكون عن علم وقد علمت اسباب العلم والعلم
يقال والمراد به ما يشمل التصديق الجازم المطابق عن موجب والتصور
هو المفسر بقولهم صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض او بصفة يتجلى بها
المذكور لمن قامت به ويطلق على التصديق ويفسر بالحكم الجازم المطابق
لموجب وقد يطلق والمراد به مطلق الادراك ويفسر بحصول صورة الشي
في الذهن وهو على قسمين تصديق ان كان حكما بوقوع النسبة او لا وقوعها
وتصوري ان كان بخلافه والمعرفة تارة تراد بالعلم وتارة تختص بغير
ادراك النسبة منه ثم العلم على قسمين ضروري ونظري فالضروري
ما لا يتوقف على نظر وفكر والنظري بخلافه والنظر قيل هو الفكر الذي
يطلب به من قام به علما او غلبة ظن وقد يقال ترتيب امور معلومة
التادي الى مجهول وقد يقال حركة النفس من المطلوب الى مباديه ثم منها

اليه والموصل

بلغ مقابلة

اليه والموصل الى المطلوب التصديقي طريق النظر معروفا وقولا شارحا
وقد استوفي ذلك في صناعة الميزان بالجملة فالمستند هو الدليل والدليل
هو الذي يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري وقد يخص بما يفيد
العلم وقد يقال قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول اخر ثم
الدليل قد يكون عقليا وقد يكون سمعيا والدليل السمعي يفيد العلم ان كان
نصا متواترا والنص هنا ما دل على معنى قطعا ولا يحتمل غيره قطعا ولا يكون
كذلك الا اذا سلم من الاحتمال والنقل والنسخ والمجاز والاشتراك والاضمار
والتخصيص والمعارض العقلي هذا عند المتكلم واما المحدث فلا يشترط
الا وضوح الدلالة وعدالة النقلة وضبطهم وسلامتهم من معارض قطعي
ولو فاته السمع قطعيه وهو مفيد للعلم عند اكثرهم وان كان احادا اما
اذا استفاض وتعاضد البعض بالبعض او قامت القراين المفيدة لرفع
الاحتمال فهو مفيد للعلم عند الجميع وعند كثير من المتكلمين وقوله
بثبوت الصانع ووجوده ووجوب وجوده الباء متعلقة بحديث النفس
والثبوت ضد الزوال والسقوط وفي الاصطلاح قد يقال بترادف
مع الوجود والشي والتحقق والكون وتصور حقيقة ما وضعت له
بل هي عند اكثر العلما وقد يقال على جهة البيان هو ما تكون به الذات
ثابتة وموجودة ومتحققة وشيا ومكونة فان كان ذلك الثبوت في الخارج
عن الذهن فهو الوجود الذهني وان كان لا يفيد احدهما بل بما هو الشي
ثابت في حد نفسه اعني مع قطع النظر عن الذهني والخارجي فهو الوجود
بحسب نفس الامر وهو المسمى بحقيقة الحقايق وقد يقال الخارج ونفس
الامر بترادف ثم هذا هو مفهوم الثبوت عند من نفى الحال واما من اثبتها
فالثبوت عنده اعم من الوجود ضرورة ان الحال ثابتة وليست موجودة
وقد تقدم ذلك وتقدم ايضا تقسيم الوجود الى الواجب والممكن فاعرفه

فهو الوجود الخارجي وان كان في الذهن

والصانع يقال لمن اتصف بالصنعة والصنع يقال الايجاد صورة الشي
الذي به كمال ماهيته في مادته القابلة لذلك ثم اشتهر اسم الصانع في لسان
المتكلمين بان الذات الواجب جل وعلي من حيث ايجاده للمخلوقات ايجادا
اختياريا مصحوبا بالحكمة المصححة للصنعة وهذا الاسم لم يرد به اثر وانما
ثبت باجماع اهل العقلية ثلاثة وجوب واستحالة وجواز وهو المسمي بالامكان
الخاص ووجه الحصر ان الشي لا يخلوا اما ان يقتضي من نفسه الوجود اولا
فان كان الاول فذلك الاقتضا هو الوجوب وان كان الثاني فلا يخلوا اما
ان يقتضي من ذاته العدم فذلك الاقتضا هو الاستحالة وان لم يقتض
فهو الجواز والامكان وقد انقسمت المطالب الاعتقادية بالنظر الي هذه
القاعدة الي ثلاثة اقسام الاول ما يجب لله الثاني ما يستحيل عليه والثالث
ما يجوز في افعاله فمما يجب له جل وعلي الثبوت ووجوب الوجود وهو هذا
المعتقد الذي اشار اليه المصنف وهذا المطلب قد اختلف فيه العلما من اهل
السنة فمنهم من يري ان العلم بوجود الصانع وثبوته من قبيل الضروري فلا يحتاج
الي نظر وفكر وهو اختيار الشيخ ابن البنا في مراسمه وجماعة من الصوفية
واشار اليه سعد الدين في مقاصده ومما ينبه علي ذلك قوله جل وعلا افي الله
شك وهولا يرون ان كل ما يذكر من الادلة علي هذا المطلب انما هو تنبيه للذوات
الغافلة والمتغافلة الا انهم في مرية من لقا ربهم الا انه بكل شي محيط ولقد قيل
ما انكر احد وجود الصانع ولكن انما وقع الغلط في تعيينه قال سعد الدين
ومن نفاه من الملاحدة لم ينفه بمعني انه ليس صانعا بل بمعني ان لا يوصف
بشي حتي ابوا ان يصفوه بانه موجود وهذا غلو والحاد واكثر العقلا علي ان
هذا المطلب نظري وتركيب النظر ان يقال ثبت فيما تقدم في المقدمة حدوث
العالم فيقال اذا العالم حادث وكل حادث له محدث والا فحدوثه اما من غير
محدث او من ذاته اما كان عدمه او حال وجوده والجميع باطل بالضرورة

فالعالم

22

فالعالم له محدث ثم المحدث للعالم اما واجب الوجود او ممكن لا جايز ان يكون
ممكنا والا كان محدثا فيلزم التسلسل او الدور وهو محال لما مر فيتعين ان كان
واجب الوجود فاذا المحدث للعالم موجود واجب الوجود والصانع للعالم هو
المحدث للعالم فالصانع للعالم موجود واجب الوجود وهو المطلوب وقد يقال
لا شك في وجود موجود فاما ان يكون ذلك هو واجب الوجود اولا واياما كان
فواجب الوجود موجود فان كان الاول فهو المطلوب وان كان الثاني فلا بد من
الانتها الي واجب الوجود دفعا للتسلسل وهو المطلوب ثم يقال صانع العالم
واجب الوجود والا كان ممكنا او مستحيلا وقد فرضناه صانعا للممكن هذا خلف
فاذا صانع العالم موجود واجب الوجود وبالجملة فالعالم كله جواهر واعراضه
من جهة امكانه او حدوثه دليل علي وجود الصانع جل وعلى والي ذلك
الاشارة بالايات القرانية كقوله تعالي ان في خلق السموات والارض الاية
ومن اياته خلق السموات والارض الي غير ذلك واعلم ان عطف المصنف
الوجود علي الثبوت يشعر بالمغايرة بينهما وكانه مر علي القول بالحال او من عطف
المفسر لا يكون قايلا به وهذه الادلة المذكورة جارية علي من يقول بنفيها
واما من يقول بثبوتها فانه يحتاج بعد الدليل علي ثبوت الصانع الي دليل
علي وجوده فقد يقال علي تقدير ثبوت الصانع لو لم يكن موجودا لكان معدوما
ومحال صدور الفعل من المعدوم واذ من لا وجود له في نفسه لا يعطي الوجود
لغيره فهو موجود سرمدي وهو المطلوب واما المحدث فيقول الايمان
بوجود الصانع لو لم يجي به الشرع بوجوبه لم يجب اذ لا رجوع الا من جهة
الشرع ولما جا بوجوبه تم يجب اذ لا جا بايضاح دليله وتفصيله والا
فمطلق دليل تشعر به الفطرة السليمة عن اخباره بانه رسول لما يشهد
من وجود الرسول المستلزم لوجود موجده الموصوف بخلاف صفة خلقه
واما تفصيل ذلك فهو مما اشتمل عليه الكتاب والسنة من ذكر الايات وخلق

طبي

المكونات وهو اكثر من ان تحصي فلا نطول به هذا خلاصة ما نقله القر
علي مسلم فاعرفه واما الصوفي فيقول هذا المطلب لا ينبغي ان يتوقف
دونه ادراك مدرك لانه لو توقف فتوقفه اثر كاين له موثر فالموثر وكل اثر كاين صح
لازم لا ينفا فلو قدر دفعه للزم حصوله لان تقدير رفعه اثره فاذا لا يمكن
رفعه وكل ما لا يمكن رفعه فهو موجود واجب فاذا العلم بوجود الصانع
قضية رفعها هو وضعها وكل قضية رفعها هو وضعها فوضعها لازم
ضرورة وكل ما هو لازم ضرورة فهو واجب فالعلم بوجود الصانع قضية
واجبة ضرورية وقد قال الشيخ المحقق ولي الله سيدي ابو الحسن الحرالي
رضي الله عنه اعلم ان الخلق اجمعين لم يعزب عن وجدانهم وضرورات
ادراكهم القصور عن قوام امرهم وان مددهم فيهما من وراء غيب
ادراك حواسهم فتوفرت دواعيهم الي طلب القايم بامرهم فلم يخل
عن تقلده حتى ذلك احد من الخلق فهو من ضرورات الفطر وجبلات
البشر قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم
انه الحق اولم يكف بربك انه علي كل شيء شهيد الاية وقد بسطنا هذه
المسالة في غير هذا باشفي من هذا والله المعين تتميم اختلف
العقلا في ان وجود الشيء هل هو عين ذاته او زايد عليه او الفرق بين
الواجب والممكن ثالثها ان كان واجبا فهو عين ذاته ورابعها لاصحاب
الاحوال انه صفة نفسية في الواجب ليس هو عينه ولا غيره ومذهب
الشيخ الاشعري انه عينه مطلقا والمسالة كلامية وقد حققت في محلها
فاعلمها قال وثبوت قدمه اقول اعلم ان الاشاعرة اختلفوا في صفة
القدم فنقل عن الشيخ انها من صفات المعاني وهو قول ابي سعيد وقيل من
الصفات النفسية واليه رجع الشيخ والحق انها من الصفات السلبية فلا تكون
من الصفات النفسية ولا المعنوية اذ السلب داخل في مفهومها اذ القدم هو عدم

سبقية العدم على الوجود وقد تقدم ذلك واذا تقرر هذا فالدليل
على ثبوت هذا المطلوب هو ان يقال قد ثبت ان صانع العالم واجب الوجود
وكل واجب الوجود فوجوده من ذاته وكلما هو وجوده من ذاته فعدمه
محال وكلما عدمه محال لم يكن عدمه قط وكل ما لا يكون عدمه قط فهو
قديم فصانع العالم قديم وبالجملة فالقدم من اللوازم البينة لذات الواجب
وثبوت مستلزم الملزوم مستلزم لثبوت اللازم والحدث يقول
قال تعالى لم يلد ولم يولد وقال تعالى هو الاول وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء
وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء الحديث
كما في سند الترمذي وفي داود فلو لم يكن قديما لكان حادثا ولو كان
حادثا لكان قبله شيء والصوفي يقول كل قضية بديهية فلوازمها البينة
بديهية وهذا اللازم بين لثبوت الوجود الذاتي اذ كلما تصورنا القديم
وواجب الوجود لزم جزم العقل بلزومهما فافهم وكذلك يقول
في كل مطلب مثل هذا فاعلمه قال وعدم تركيبه التركيب مصدر ركبت الشيء
اذا الفت اجزاءه وضممت بعضها الي بعض والتركيب يقال على وجوه مثل
تركيب الجسم من الجواهر الفردة ويسمى التركيب الوجودي وكتركيب النوع
من الجنس والفصل ويسمى التركيب العقلي وكتركيب السرير من قطع الخشب
ويسمى التركيب الصناعي وكتركيب العشرة من الاحاد ويسمى التركيب الوضعي
وهذه اقسام التركيب منحصرة بالاستقرا وكلها منتفية والدليل عليه ان
يقال صانع العالم لو كان مركبا لكان مفتقرا ضرورة ان كل مركب متوقف
وكل متوقف مفتقر ولو كان مفتقرا لكان ممكنا وقد فرض واجب الوجود هذا
خلف وقد يقال لو كان صانع العالم مركبا فصفات الالوهية كالعلم مثلا لا تخلوا
اما ان تقدم بكل جزء فيلزم تعداد الاله وهو محال او وجود المعنى الواحد في متعدد

وهو محال او بالبعض دون البعض فيلزم الاختصاص بالغير او الترجيح من غير
مرجح او بالمجموع بما هو مجموع فيلزم التسلسل لان المجموع ان كانت له جهة
وحدة نقل الكلام اليها والا فليس الا الاجزا المتلاصقة بما تقدم لازم والمحدث
يقول ليس كمثله شي فلو كان مركبا لكان مثله اشيا والصوفي يقول كما تقدم
قال وعدم تجزيته اقول التجزية والتبعيض لمعنى واحد وهو تحليل الشي
الى ما منه تركب وهذا المطلوب لازم لما قبله فدليلهما واحد وذلك لان كل
مركب متجزي وعكسه بحسب المادة وكل ما ليس بمركب ليس بمتجزي وعكسه كذلك
ولذا قيل ما له اجزا باعتبار تالفه منها يسمى مركبا وباعتبار انحلاله اليها يسمى
متجزيا ومنقسما قال وعدم حلوله في المتحيز اقول الحلول يقال بمعنى القيام
بالغير كحلول الاعراض بمحالها اي بالاجسام وكحلول اللون في الجسم ويقال
بمعنى الاستقرار كحلول الجوهر والجسم في الحيز وهو الفراغ المتوهم الذي يشغله
شي ممتدا وغير ممتد وقد يقال على الاتصاف كحلول الصفة بالموصوف
وقد يقال الحلول على التقويم كحلول الصورة في المادة وبالجملة فصانع العالم
لا يحل في شي باحد انواع الحلول لانه لو حل في شي لكان اما عرضا او جسما
او جوهرا او صورة والجميع محال ضرورة افتقار الحال لما حل فيه ولا شي من
المفتقر بواجب الوجود وكل حال في شي مفتقر فلا شي من واجب الوجود
بحال في شي وهو المطلوب ومن ههنا يعلم يقينا انه جل وعلا ليس بجسم
ولا بجوهر ولا عرض ولا صورة ولا مادة ضرورة افتقار الجميع فهو جل
وعلا ليس من قبيل المعاني ولا من قبيل الجواهر واعلم ان الجوهر على اصطلاح
المتكلمين هو المتحيز القايم بنفسه وعلى اصطلاح غيرهم هو الموجود
لا في موضوع والموضوع هو الجسم فهو جل وعلا ليس بجوهر على الاصطلاح
الاول ضرورة افتقار الجوهر الى الحيز ولا على الثاني والا لكان وجوده
زايدا على ذاته فيكون ممكنا ضرورة ان المعنى من قولهم الموجود لا في موضوع

اي الذي اذا وجد كان لا في موضوع وذلك يقتضي الزيادة قطعا وكل
من وجوده زايد فهو ممكن كما علم في محله وايضا فان ذلك التفسير للجوهر
الذي هو احد اقسام الممكن ضرورة ان الممكن جوهر وغير جوهر واما من فسر الجوهر
فانه قايم بنفسه كالنصريين فلا نزاع الا في الاطلاق واذ الاطلاق موقوف
على التوقيف ولم يرد في ذلك توقيف وايضا فانه يوهم غير المراد لمبادرة
المعاني الاول وكذا الكلام مع من فسر الجسم بانه الموجود والتزم اطلاقه
على الصانع واما المحدث فيقول قوله جل وعلا ليس كمثله شي قطع المناسبة
بين الخالق والمخلوق ومن خالف في هذا فهو بجهله محقق والصوفي يقول
كما تقدم وايضا فكل ما سوى الحق جل وعلا بالنسبة اليه عدم وكل ما هو عدم
بصفته عدم واذا كان كذلك فكيف تلحقه صفتهم او يتعلق به حكمهم قال
وعدم اتحاده بغيره اقول الاتحاد عبارة عن تصيير ذاتين ذاتا واحدة ولا
شك ان هذا امر محال في غير واجب الوجود فضلا عن واجب الوجود وذلك
لو اتحدت ذاتان بهذا الاعتبار فاما ان يكونا موجودين او معدومين
او احدهما موجودا والاخر معدوما والتالي باطل بجميع اقسامه فالمقدم مثله
اما الملازمة فضرورة الحصر واما بطلان التالي فلانه ان كانا موجودين فاما
بوجود واحد وهوية واحدة او بوجودين وهويتين فان كان الثاني فلا
اتحاد ضرورة انفراد كل واحد منهما بتعينه وهويته وان كان الاول
لزم حصول الشي الواحد بالتشخص في موجودين ان كان الوجود زايدا او تعدد
الواحد من حيث هو واحد ان كان الوجود ليس بزايد وان كانا معدومين
فلا اتحاد ضرورة فنائهما على ذلك التقدير وحصول ثالث لا هما وكذلك
ان كان احدهما موجودا لانه اعدام لاحدهما وانتفا للاخر ويقال خصوصا
في واجب الوجود جل وعلا انه لو اتحد الواجب فاما مع واجب غيره واما غير
واجب والكل محال اما مع واجب فلما مر وايضا اتحاد الواجب مع واجب اخر

فرع تعداد الواجب وتعداد الواجب محال لما ياتي من وجوب احدية
الواجب واما مع غير واجب فمحال ايضا لما مر وايضا لما يلزم على ذلك التقدير
من اجتماع النقيضين ضرورة ان اجتماع الملزومين مستلزم لاجتماع
لوازمهما ولوازم الواجب والممكن متناقضان واما المحدث فيقول لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم واما الصوفي فيقول محال ان يتحد
بغيره والا خرج العبد عن طوره وذهب تعينه الذاتي وارتفع افتقاره
النفساني بل كيف يكون الاتحاد بالغير والغير معدوم من ذاته لولا تجلي
الحق عليه من حيث صفاته وبالجملة محال ان يتحد الوجود مع العدم
او الحادث مع من له وجوب القدم بل محال ان يتحد النور بالظلمة
وكيف لا والنور يذهب بالظلمة ووجود الواجب نور ووجود الكون
ظلمة قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه ومحال ان يتحد الحق بالباطل اذ الحق
ثابت والباطل ذاهب قال عليه السلام الا كل شيء ما خلا الله باطل
قال وعدم حلوله فيه اقول الضمير في قوله فيه يعود الى الغير السابق
والمعنى وعدم حلوله في غيره وهذا قد تقدم وانما كرره تنبيها على
اختلاف النصارى في معرض الرد عليهم اذ هم ترددوا في عيسى عليه السلام
بين الاتحاد والحلول فمنهم من اعتقد الاتحاد ومنهم من اعتقد الحلول
والجميع محال كما مر تتميم اعلم انه كما امتنع اتحاد ذاته او حلوله بغيره
فكذلك يمتنع اتحاد صفاته او حلولها بغيره لما مر ولما يلزم على ذلك
التقدير من خلو ذات الواجب عما يجب له وانتقال الصفات وتغيرها
والجميع باطل محال تنبيه اعلم ان المخالفين لهذا المعتقد بالتحقيق هم
النصارى لما ادعوه في عيسى عليه السلام وغلاة الشيعة لما ادعوه في
علي رضي الله عنه كما هو مسطور في كتب المقالات وقد خرج النسائي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي ان فيك مثلا

من عيسى بن مريم الذي قال فيه بنو اسرائيل من اجله ما قالوا ثم انه
قد تبع هولاء الغلاة طايفة تنتسب الى التصوف تسترا وهم الاباحية
قالوا اذا خاض السالك لجة الوصال فربما تحل له اتحد به وحينئذ يرتفع ٢
الامر والنهي وهذا كله كفر صراح واعلم ان من الناس من ينسب القول
بالاتحاد والحلول الى الصوفية بل الى الكمل منهم كما وقع ذلك للشيخ ابي حامد
في بعض كتبه اخذا من ظاهر كلام الاشياخ رضي الله عنهم كما وقع للجنيد لما
سئل عن التوحيد فانشد رق الزجاج ورقت الخمر ولون الماء لون
انايه وقول ابي يزيد البسطامي المشهور عنه والشبلي وابن منصور الحلاج لعل هنا وقول
وسهل وغيرهم وهذا انما يتوهمه فيهم من ليس له اطلاع ولا استشراف
على احوالهم وتحقيق اصطلاحهم وذلك ان لسانهم لسان صدق عن وجد
حقي فنطقهم تابع لوجدهم ووجدهم تابع لحالهم وحالهم العلم والمعرفة
ومعلومهم الله تعالى من حيث ذاته وصفاته وافعاله اذ قلوبهم لم تسع
علما الا ذلك قال عليه السلام لن يسعني ارضي ولا سمائي ولكن وسعني
قلب عبدي المومن وهذا الحال العلمي يختلف بحسب تجلي الحق عليهم وهم
اذ الحال ثمرة المتجلي وتجليات الحق تختلف بحسب شؤونه الذاتية والصفا
العقلية فلهم عند كل تجل حال وعند كل حال لسان ومنهم من يتحد عليه
الحال الوارد فلا يكون له متسع لغيره فيكون ذلك الحال غالبا عليه ومنهم
من لا بل تجتمع فيه الاحوال فيقوم بمقتضى كل منها فيعطي لكل ذي حق حقه
فمن جمع بين علمي الافعال والصفات فهو يقوم بمقتضى العبودية والقيام
بمقتضى العبودية يعطي شهود الربوبية فهو يقوم بمقتضى العبودية فرقا
وبمقتضى الربوبية جمعا ومن جمع له بين العلم الذاتي والصفاتي والعقلي
فهو يقوم بمقتضى العبودية فرقا وبمقتضى الربوبية جمعا وبمقتضى
الالوهية جمع الجمع من حيث البداية اعني بداية الوصول واحدية الجمع

من حيث النهاية وهولاء هم الذين يكون الفرق في ظواهرهم موجودا
والجمع في بواطنهم مشهودا واما من افردت له حالة من هذه فهو بحسب
ما ينطق ان كانت ذاتية وهي عين احدية الجمع فلسانها الاخبار عن الله
فقط اذ الاخبار عن غيره فرع العلم بغيره ولا علم بغيره وصاحب هذا
المقام صاحب مقام احدية الجمع والتوحيد الذاتي وان كانت تلك الحال
اسمائية فهي جمع الجمع وهي شهود الخلق بالحق ولسانها الاخبار عن اسما الله
وصفاته وتعلقاتها فقط اذ الاخبار ايضا عن غيرها فرع العلم بغيرها كذا
وصاحب هذا المقام صاحب مقام الواحدية والتوحيد الصفاتي وان
كانت حالة فعلية فهي الجمع وهي شهود الحق من حيث ايجاد الخلق وبريه
وتصويره فلسانها الاخبار عن افعال الله واحكامه فقط اذ الاخبار عن
غيره فرع الشعور بغيره وغلبة هذه الاحوال عند انفرادها على قلب
العبد تسمى اصطلاما وسكرا والدخول في تلك الغلبة تسمى فنا او محوا
فاذا سمعت وليا من اوليا الله يقول سبحاني او انا الحق او انا هو او غير
ذلك فلا تتوهم انه يشعر بانانيته حتى يتوهم انه يثبت محمول
قضيته لنفسه بل الانانية التي اخبر عنها انما هي انانية الحق جل وعلا
واما انانية العبدية فلا شعور له بها لعدم صورتها من ذهنه وحسه
فكيف يخبر عما لا شعور له به بل ذلك النطق الخبري صنع وفعل الذي
انطق كل شي مخبرا عن ذاته جل وعلا كما قال تعالى منبها لنا عن هذا السر
الالهي فلما جاها نودي من شاطي الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة
ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذه الاحوال المنفردة التي توجب
الاصطلام انما هي حال من تبعض له الكمال واما من تم له الكمال كالانبيا
والرسل عليهم السلام وورثتهم الذين تحققوا بالحقايق وسلكوا الطرايق
واستشرفوا على الخلايق فامتزجت السنة احوالهم وانسطعت الانوار

من افعالهم واقوالهم فهم الهداة الذين يهتدي بهم كل قاصد ويسكن اليهم
كل شارد ثم لكل منهم وارث يتبع قصده ويجد وجده وهم الايمة المرضيون
والعلما الخاشعون واولوا الالباب الذاكرون فهذا حال القوم فكيف يتوهم
فيهم او عنهم حلول او اتحاد وهم قد تبروا من ذلك كله بالدليل والحال
والمقال وما ذكره الشيخ ابو حامد رضي الله عنه انما ذلك كان زمنه وهم قبل ٢
ان يتحقق بعلومهم اذ هو انما تحقق بعلوم التصوف في اخر عمره يشهد لذلك
كتابه المنقذ من الضلال وهذا هو الظن به وان كان قد قال ذلك عنهم في بعض
كتب التصوف فليس يريد بذلك ما هو المتبادر من الكلمتين وكانه اراد ان
يخص عن اشارتهم بالعبارة عن ذلك والعباره تزيد رونق الاشارة ولهذا قيل
العبارة حقا على انه لم يرد في اصطلاح القوم شي من ذلك الاطلاق الا ما ورد
في اصطلاح المتاخرين كالشيخ بن الفارض ومن بعده من اطلاق لفظ الاتحاد
واما الحلول فلم يطلقه احد ومراد الشيخ ابن الفارض رحمه الله بالاتحاد ما ذكره
المتاخرون في الاصطلاح ونصه الاتحاد هو شهود الموجود الحق الواحد
المطلق الذي الكل به موجود فيتحد به الكل من حيث كون كل شي موجودا به معدوما
بنفسه لا من حيث ان له وجودا خاصا اتحد به فانه محال وبالجملة فمعنا شهود
اتحاد تعلق الموجودات كلها به جل وعلا اذ هي به موجودة لا بها وهذا هو
مراد الغزالي من حيث كلامه في التصوف وكل من له نسبة الى هذا الشان
هو المسمى عندهم بالفنا في التوحيد كما صرح به الشيخ ابو حامد الغزالي
في احيايه من كتاب الصبر وغيره ولقد سعد سعد الدين رحمة الله عليه
حيث قال في شرح مقاصده ان السالك اذا انتهى في سلوكه الى الله وفي الله
يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته وصفاته في
صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود الا الله وهذا الذي يسمونه
الفنا في التوحيد واليه يشير الحديث الالهي ان العبد لا يزال يتقرب الى

بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به وحينئذٍ بما تضيق عنه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصر العبارة
عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمقال ونحن على ساحل التمني نغترف
من بحر التوحيد بقدر الامكان ونعترف بان طريق الفنا فيه هو العيان دون البرهان
والله الموفق للصواب انتهى انما اطنبنا في هذا المقام حرصا على تحصيل حسن الظن باولياء
الله وتصميم الاعتقاد في اهل الله جعلنا الله منهم ومنّ علينا بما منّ عليهم قال
واستحالة كونه في جهة اقول الجهة منتهى الاشارة ومقصد المتحرك بحركته من حيث
حصوله فيه فهي من ذوات الاوضاع المادية ومرجعها الى نفس الامكنة او حدودها
واطرافها وهي تنقسم بحسب المشير الى ستة يمين وشمال وامام وخلف وفوق
وتحت وهي كلها اضافية ورب فوق لشي تحت الاخر وقد تنحصر في قسمين باعتبار
وسط كرة العالم ومحدبها فما كان الى النقطة مركز العالم ووسطه فهو جهة سفل وما
كان الى محيطه ومحدبه فهو جهة علو وهذا لا يكاد يختلف ومن ادعى فيهما انهما
جهتان على الحقيقة حقيقة وطبعا كما قرر في محله فاذا تقرر هذا فنقول صانع العالم
لا يكون في جهة لانه لو كان في جهة لكان في مكان ضرورة انها المكان او المستلزمة
له ولو كان في مكان لكان متحيزا ولو كان متحيزا لكان مفتقرا الى حيزه ومكانه فلا يكون
واجب الوجود وقد ثبت انه واجب الوجود هذا خلف وايضا فلو كان في جهة فاما في
كل الجهات وهو محال وشنيع واما في البعض فيلزم الاختصاص المستلزم للافتقار
الى المخصص المنافي للوجوب واعلم ان هذا المعتقد لا يخالف فيه بالتحقيق سني لا محدث
ولا فقيه ولا غيره ولم يجي قط في الشرع على لسان نبي التصريح بلفظ الجهة فالجهة
بحسب التفسير المتقدم منفية معنى ولفظا وكيف لا والحق يقول جل وعلا ليس كمثله
شي وهو السميع البصير ولو كان في جهة بذلك الاعتبار لكان له امثال فضلا عن
مثل واحد وما نقله القاضي عياض رحمه الله من ان دهما المحدثين والفقها على الجهة
ليس المعنى ما قام القاطع خلافه ولم ينقل قط عن واحد منهم انه تعالى في جهة هذا لكن لما

ثبت سمعا قرانا الرحمن على العرش استوى وهو القاهر فوق عباده يخافون
ربهم من فوقهم وسنة حيث قال عليه السلام لسوداء اين الله فاشارت نحو السما
فقال اعتقها فانها مومنة الى غير ذلك من الظواهر وكان اصلهم ثبوت المعتقدات
من السمع فاعتقدوا ان هناك صفة تسمى بالاستوا على العرش لا يشبه استوا المخلوقين
وصفة اخرى تسمى بفوق اي فوق عباده اي العرش ومن دونه الله اعلم بذلك الاستوا
واعلم بتلك الفوقية بهذا صرح الامام احمد ابن حنبل على ما نقل عنه المقدسي في رسالة
الاعتقاد واعلم ان المنظور اليهم انما هم الايمة القدوة والعلما الاجلة ولا عبرة باتباع
المقلدة الواقفة مع ظاهر المنقول الذي لم يفرقوا بين المحكم منه والمتشابه وسنتكلم
على الصفات السمعية التي اختلف اهل السنة في اثباتها من السمع حين يتكلم المصنف على ذلك
ونفصل فيها بعض تفصيل يذهب ان شا الله بدا جهل الجاهلين واما الصوفي فيقول محال
ان يكون الباري في جهة اذ تلك الجهة اما ان تكون غيره اولا فان لم تكن غيره فلا جهة وان
كانت غيره فاما قديمة واما حادثة والجميع باطل قال عليه السلام كان الله ولا شي معه
قال واستحالة الحوادث به اقول المعنى من هذا المعتقد ان صانع العالم يستحيل ان تحل
الحوادث به والمراد هنا بالحوادث ماله وجود حقيقي مسبوق بالعدم لا المتجدد من الصفات
الاضافية التي لا وجود لها ككونه جل وعلا قبل العالم ومعه وبعده او السلبية ككونه
مثلا غير رازق لزيد الميت ولا ما يتبع تعلق صفاته كالخالق والرازق بان هذا كله ليس محل
النزاع وبالجملة ففرق بين الحادث والمتجدد فهو جل وعلا لا يتصف بحادث ويجوز اتصافه
بالمتجدد اذ الصفات المتجددة محض اعتبار واضافة فلم يلزم من ذلك محال وهذا التحقيق يعلم
محل النزاع وهو الذي حددناه وقد اجمع اهل السنة والجماعة على انه جل وعلا لا يكون محلا
للحوادث بذلك التفسير المذكور وبيانه انه لو جاز اتصافه بالحوادث لجاز النقصان عليه
والنقصان عليه باطل ومحال اجماعا بيان اللزوم ان ذلك الحادث ان كان من صفات الكمال
كان الخلو عنه مع جواز الاتصاف به نقصانا وقد خلا عنه قبل حدوثه وان لم يكن من صفات
الكمال امتنع اتصاف الواجب به لان كل ما يتصف به الواجب يكون كمالا وايضا لو اتصف

بالحادث لكان قابلا له ولو كان قابلا له لما خلا عنه او عن ضده والا لزم الترجيح من غير مرجح
وضد الحادث حادث وما لا يخلو عن الحوادث حادث لما مر وايضا لو اتصف بالحادث
لكان محلا للانفعال وكل منفعل مفتقر الى من انفعل عنه وكل مفتقر ليس بواجب الوجود
وقد فرض واجبا هذا خلف واما المحدث فيقول ليس كمثله شيء ابطل قيام الحوادث لانه لو قام
به الحوادث لما كان ليس كمثله شيء واما الصوفي فيقول كيف تحل الحوادث بذاته والحادث
عدم من حد ذاته وما يكون عدما من حد ذاته كيف يقوم بمن هو واجب الوجود من ذاته
اذ يلزم اجتماع العدم الذاتي والوجود الذاتي تنبيه ما نقل عن بعض اهل السنة من اعتقاد
الاتصاف بالنزول الى سما الدنيا لما ثبت في الصحيح فليس نزول انتقال ولا حركة من حيز
الى اخر اذ ذلك محال اجماعا وانما هو من الصفات السمعية التي هي موقوفة على السمع
من النبي لا مجال للعقل في تصورها ولا تخيلها ولا تشبيهها بشيء من المخلوقات بهذا
صرح الايمة وسنذكر نص قولهم في محله ان شا الله **قال** واستحالة الالام واللذات عليه **اقول**
ذكره الامام في المحصل ان الامة اجتمعت على نفي اللذات عنه واما الالم فاتفق عليه جميع العقلا
فضلا عن الامة والعمدة دليلا في المسالة ما ثبت في المطلب الذي قبلها وذلك هو استحالة الانفعا
ل عليه واللذة والالم انفعال اذ هما من العوارض المنفعلة كما قرر في محله وكذلك محال على
الواجب جل وعلا وعند هذا المطلب انتهى ما يتعلق بالايمان بما يستحيل عليه وحصوله يرجع
الى صفات الجلال وهي الصفات السلبية كما مر فاعرفه **قال** وانه قادر على كل المقدورات
بقدرة قديمة قائمة بذاته **اقول** هذا شروع في اثبات الصفات الثبوتية التي تجب لله
جل وعلا **اعلم** ان الصفات المثبتة في هذا الباب منها ما هو جار على الذات بحيث يحمل عليها
كالحي والقادر والعالم والمريد والمتكلم والسميع والبصير وغير ذلك وبعضهم يسميها احكاما
ومنها ما هو ليس بجار ولا محمولا على الذات بل هو قايم به قيام الاختصاص كالحياة والعلم
والقدرة والارادة والكلام وغير ذلك وقد تقدم ان الاشاعرة اختلفوا في اثبات الحال
فمن نفاها منهم وهم الاكثر فمعنى القادر مثلا عندهم هو الذات من حيث قيام القدرة به
فهو اسم للذات باعتبار المعنى القايم بها فليس عند هولا الا الذات والقدرة القايمة به

فتارة يعبر عن الذات بما لا يشعر بالصفة كما يعبر باسما الذات كالله وتارة يعبر عن تلك
المعاني بما يشعر بها فقط لا بالذات كما يقال القدرة مثلا معبرا عن الصفة الخاصة وتارة
يعبر بما يشعر بهما معا في القادر وان المدلول من ذلك هو الذات باعتبار قيام المعنى به
وهذا هو المتبادر من التعبير ونقل عن الشيخ ان المدلول من قولنا القادر والعالم مثلا
هو نفس الصفة التي هي القدرة والصفة التي هي العلم من حيث قيامهما بالذات وعلى هذا جرا
في اسما الصفات حيث قال لا هي المسمى ولا هي غيره واما من اثبت الحال فيقول
ان هناك ثلاثة امور الذات والمعنى القايم به والحال وهو كون الذات قادرة والاولان
موجودان والحال ثابتة وليست بموجودة ولا معدومة وبالجملة فمن نفى الاحوال ينظر
في الصفات الجارية على الذات وفي الصفات القايمة وفي تعلقها ومن اثبت ينظر في ذلك
ويزيد بالنظر في اثبات الحال وسينبه عليه المصنف ولتعلم ان الصفات على قسمين قسم لا
يتعلق بشي كالحياة وقسم يتعلق كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام
والمتعلق على قسمين ما يتعلق تعلق تاثير كالعلم والكلام والتعلق هو كون الصفة بحيث يكون
لها منسوبا لما يرتبط بها ارتباط المقتضا بعين وهو على قسمين صلاحي اذ لم يكن المنسوب
لها موجودا في الخارج والا فتنجيزي ان كان موجودا وهل التعلق صفة اعتبارية لا وجود لها
في الخارج اذ هو يرجع الى معقول الاضافة وهذا هو مذهب المتاخرين او وجودية
اذ التعلق مرجعه الى الصفات النفسية للمعاني وهو عمدة الشيخ وهذه الاصول انما يعتمدها
وينظر اليها الاشعري واهل النظر واما المحدث فليس ينظر الا فيما اثبته السمع من الصفات
من غير بحث عن الحال او غيرها ولا على التعلق وحقيقته ويرون ان البحث عن الصفات
وعن تعلقها بطريق العقل لا يجري نفعا اذ الصفات قد عجز العقل عن ادراكها وما يعجز
عن ادراكه كيف يحكم عليه فكان الاولى عنده الاقتصار على ما جا منها في السمع والايمان بها
على نحو ما سمع مع اعتقاد نفي المماثلة عنها لصفة من صفات المخلوقين واما الصوفي
فهو من حيث البداية اما اشعري او محدث فكلامه في ذلك ككلامهما واما من حيث
مرتبته فيستوي الى بعض مقاصده من حيث وجده في محله اذا تقرر هذا فنقول لا بد في هذا

المعتقد من امور **الاول** هو ان صانع العالم قادر **الثاني** في انه قادر بقدرة قايمة
بذاته **الثالث** انها قديمة **الرابع** في تعلقها اما الاول هو ان صانع العالم قادر
فاعلم ان القادر عند اهل السنة هو المتمكن من الفعل والترك بحسب الداعي الذي هو
الارادة وان شيت تقول هو الذي ان شا فعل وان شا لم يفعل او تقول هو الفاعل
علي مقتضي العلم والارادة وقد تقدم ان اهل النظر العقلي من اهل السنة يقولون
ان كل ما يتوقف دلالة السمع عليه لا يكفي فيه السمع باقوي دليل لهم علي انه جل وعلا
قادر بذلك التفسير ان يقال قد ثبت حدث العالم كما مر فلو لم يكن قادرا
للزم تخلف المعلول عن علته وهو محال اما الملازمة فلان صانع العالم قديم فلو لم
يكن علي ذلك التقدير فاذا لكان موجبا بالذات ولو كان موجبا بالذات لزم التخلف
المذكور وايضا لو كان صانع العالم موجبا لزم من ارتفاع العالم ارتفاعه لان ارتفاع
الملزوم من لوازم ارتفاع اللازم لكن ارتفاع الواجب محال والمحدث يقول
قال تعالي قل هو القادر وهو علي كل شيء قدير واما الصوفي فيقول كيف لا يكون
قادرا وهو قد اقدر العباد علي طاعته وجعل ذلك صفة كمال فيهم وهو اولي
بالكمال بل هو منفرد به فلا قادر علي التحقيق الا هو اذ لا فاعل الا هو كما سمع وكما
وجد اذ عجز العبد وتوقفه علي الفعل موجود مشاهد وكل مرة يعجز عن الفعل فليس
هو فاعلا علي الحقيقة اذ الفاعل علي الحقيقة هو الذي لا يعجز عن فعل ليس الا صانع
العالم الذي جميع الافعال والاثار المحسوسة والمعقولة والموهومة والمتخيلة
منسوبة اليه ومنتهية بذواتها اليه وايضا فانا اذا نظرنا في انفسنا واستقرينا
من احوالنا وجدنا ما يبدو وافي ذ وانا من الافعال علي قسمين منها ما يكون مصحوبا
باختيارنا كزيادة مقدار اجسامنا طولا وعرضا وما كان من هذا القبيل فهو يقف
عند امر خاص ولا يمر الي غير نهاية فنسبة وتوقفه عند ذلك الحد كنسبة وقوفنا
في المتحرك فيه ووقوفنا فيما نتحرك فيه فعل اختياري ووقوف اجسامنا عند
حدها فعل اختياري وكل اختياري لا يكون عن موجب ولا عن طبع وما لا يكون عن موجب

ولا عن طبع فهو عن قادر فالفاعل لذواتنا قادر ولا يكون ذلك الفاعل الا الله
اذ ما سواه مثلنا والكلام فيه كالكلام فينا واعلم ان الافعال الواقعة فينا علي قسمين
منها ما هو اختياري ومنها ما هو غير اختياري فما كان منها اختياريا جعله الله
اختيارا وابتلاء لعبده يعرضه به لسعادته او لشقاوته بحسب الابتلا التكليفي
المحمول علي الامانة التي قبلها الانسان انا عرضنا الامانة علي السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها وبلوناهم بالحسنات والسيات فالسعيد هو الذي
لا تحجبه ذلك الاختيار الذي يراه من نفسه فلا يري نفسه قادرا علي شيء من ذلك
بل القادر هو الله ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالي عما يشركون والشقي تحجبه
اختياره فيوهمه انه قادر فيعتقد قادرا غير الله وقادر علي الحقيقة غير الله
باطل ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو
الواحد القهار فافهم **واما** الامر الثاني وهو ان صانع العالم قادر بقدرة
قايمة بذاته اما انه قادر بقدرة فالدليل عليه هو ان صانع العالم قادر
والقادر من ثبتت له القدرة فصانع العالم ثبتت له القدرة اما الصغري فلما مر
واما الكبري فلما علم من اثبات المشتق للشيء دليل ثبوت مبدا الاشتقاق لذلك
الشيء وايضا فالقدرة صفة كمال وواجب الوجود اولي بالكمال وما كان اولي
له فهو واجب له اذ لا يتصف بالجايز **واما** المحدث فيقول قال تعالي ان القوة
لله جميعا وقد ثبت في الصحيح حديث الاستخارة عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القران يقول اذا هم
احدكم بالامر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك
بعلمك واستقدرك بقدرتك واسيلك من فضلك العظيم فانك تقدر
ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب الحديث بكماله **واما** الصوفي فيقول
اعيان الممكنات مظاهر اسمايه ومجالي صفاته وقد كون جل وعلا الذات الانسانية
علي كمال نظام وخلقها علي احسن قوام وجعلها مشتملة علي ضروب من الصفات

منها ما هو من الصفات العلى التي لا يتصف بها الا السيد الذي لا تتوقف سيادته
على غيره ولا يستفيد شيئا ممن سواه ومنها صفات مقابلة لتلك لا يتصف بها الا عبد
ذليل وقد وقع التنبيه بايقاع سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الى ان تلك
الصفات العلى انما هي حقيقة للسيد المولى والذي كان منها باديا آثاره على العبد
انما هو استعارة واشتقاق وحقيقتها انما هي لموجده اذ الذي منها للعبد
لم يكمل قط بحقيقته فيه لنقصانه بمقارنة ضده كالعجز اذ العبد لا يخلو عن
العجز فيما يتوهم من القدرة فليس بقادر على الحقيقة فاذا حققت الصفات
العلى انما هي لله فالله ذو القوة المتين والقدرة الكاملة لانه جل وعلا لم يتصف
بضد ذلك فليس ذلك الا له فتنبه لهذا الاعتبار من نفسك واجره في سائر الصفات
التي جاء بها الخبر فتعلم انها ثابتة لربك منزهة عن النقائص وسمات الحوادث
واما انها قائمة به فلانها لو لم تقم به لقامت بغيره ضرورة ان المعاني لا تقوم
بانفسها ولو قامت بغيره لاوجبت حكمها لذلك الغير لما تقرر في اصول الفقه
فلم يكن صانع العالم قادرا وقد فرضناه قادرا هذا خلف **واما** المحدث فيقول
ثبوت الاضافة كما في الحديث والنسبة كما في الآية دليل على القيام بذاته والصوفي
يقول صفة الكمال الحقيقي لا يقبلها غير الكامل الحقيقي فكيف تقوم مقدسة
بغير الله **الامر الثالث** في قدمها وذلك امر قطعي لما تقدم من تقديسه عن الاتصاف
بالحادث **الرابع** في تعلقها اتفق اهل السنة والجماعة على انه جل وعلا قادر
على المقدورات بمعنى ان كل ممكن فانما وجوده بقدرته تعالى وانه هو الذي
يعطيه الوجود ثم انه لا نهاية لتعلقها بمعنى ما من امر يعرض تعلقها به
الا ويجوز تعلقها بما وراءه من الممكن اذ لو وقف التعلق عند حد لزم العجز اما عموم
التعلق فلان المقتضي للتعلق هو الامكان والقدرة شاملة للجميع والا لزم التخصيص
من غير مخصص او مع المخصص فيلزم الاحتياج وايضا دليل السمع قال تعالى
والله على كل شيء قدير وخلق كل شيء فقدره تقديرا **واما** المحدث فهذا دليله
من السمع واما الصوفي فيقول قد صح تماما ان القدرة على الحقيقة ليست الا لله

فليس لغيره من ذاته قدرة بالحقيقة فضلا عن ان تتعلق بالشيء دون قدرة
الصانع واذا كان كذلك وقدرته جل وعلا شاملة للكل والا فلو وجد شيء
لا عن قدرته فاما ان لا تتعلق به قدرة اصلا فيلزم ان يكون واجب الوجود ضرورة
ان وجوده على ذلك التقدير من ذاته اذ المفروض لا علة ولا طبعا وان تعلق فاما
ان يكون تعلقه مانعا من تعلق قدرة الصانع جل وعلا والا فان كان مانعا
يلزم العجز وهو محال وان لم يكن فيجوز تعلق القدرة به على ذلك التقدير
فيفرضه واقعا فيلزم حصول مقدور بقادرين وهو محال وهذا المحال
انما لزم من عدم شمول القدرة فشمول القدرة واجب وهو المطلوب
تنبيه قد اختلفوا في الممكن الذي علم الله انه لا يقع كدخول الكافر
مثلا الجنة هل هو من متعلقات القدرة ام لا فمنهم من قال انه مقدور ومنهم
من قال انه ليس بمقدور والخلاف خلاف في حال فمن نظر الى الامكان المقتضي
للتعلق قال فانه مقدور اذ المصحح للمقدورية هو الامكان ومن نظر اليه
من حيث تعلق العلم بنقيضه كان وقوعه على ذلك التقدير محالا ضرورة وجوب
عدم وقوعه على ذلك التقدير والمحال ليس بمقدور وذلك ليس بمقدور
ومعنى ان المحال غير مقدور هو انه لا قابلية له فعدم تعلق القدرة به ليس
عجزا اذ العجز انما هو عدم التمكن من الفعل مع قابليته ان يفعل وبهذا يظهر تحقيق
الجواب عن مسالة ان المحال هل هو مقدور ام ليس بمقدور وقد اختلف فيها
جماعة وما قاله ابن حزم من انه جل وعلا قادر على المحال بما ضربه من المثل
في غاية الخطا **قال** عالم بكل المعلومات بعلم قائم بذاته **اقول** الكلام ايضا
على هذا المعتقد من وجوه الاول هو ان الصانع عالم **الثاني** انه عالم بعلم قائم
بذاته **الثالث** في ان ذلك العلم قديم **الرابع** في تعلقه اما الاول فاما اجراء
اسم العالم عليه فبالاجماع عند المليين واما باعتبار تحصيل مفهوم عالم وهو
كون صانع العالم متصفا بالصفة الكاشفة للاشياء حقيقة وحكما فالدليل عليه

ان يقال صانع العالم قادر مختار وكل قادر مختار عالم فصانع العالم عالم
اما الصغرى فلما مر واما الكبرى فلان اختيار الشيء فرع العلم به ضرورة
وايضا فان المصنوعات الارضية والسماوية في غاية الاتقان والاحكام
وكل مصنوع متقن محكم صانعه عالم به فصانع السموات والارض عالم وهو
المطلوب واما المحدث فيقول قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة الى غير ذلك وكما في حديث الاستخارة المتقدم واما الصوفي
فيقول العالم حقيقة من كانت الاشيا حاضرة لديه وليس من تكون
الاشيا حاضرة لديه الامر افادها الشيئية ولا مفيد للاشيا شيئية
الا الله تعالى فلا عالم الا الله اذ هو المفيد لكل حقيقة عين تلك الحقيقة حتى
المحال اذ كانت له حقيقة عقلية او وهمية فهو المفيد لها وهو المجلي لها
في الاذهان بالضرورة من اجلى الحقايق لعبده فكيف لا تكون منجلية له
بل لم تنجل على التحقيق الا له اذ ليس لغيره على التحقيق احاطة بشيء وقد
اعترفت الحكما بذلك مع زعمهم بالعلم بالاشيا نص على ذلك الشيخ في الشفا
واما الثاني وهو انه عالم بعلم قايم بذاته فاما انه عالم بعلم فلما مر من
حصول القطع من ان اجرا المشتق على الشيء دليل على ثبوت ماخذ الاشتقاق
وايضا فلان حقيقة هذا المفهوم العالم من قام به العلم اعني حقيقة
هذا المفهوم وايضا فلان العلم صفة كمال واما المحدث فيقول قال
تعالى انزله بعلمه وحديث الاستخارة اللهم اني استخيرك بعلمك واما
الصوفي فيقول كما تقدم في القدرة وهو ان العلم من الصفات العلى وليس
للعبد منها الا استعارة وحقيقتها لله اذ الصفات الحقيقية الكمالية لا تكون
كمالها وحقايقها الا بحيث لم تنتف بنقايضها وليس ذلك الا لله ولذا يقول
المعلم الاعظم صلى الله عليه وسلم فانك تعلم ولا اعلم وتقدر ولا اقدر واما ان العلم
قايم بذاته فلما تقدم في القدرة واما الثالث وهو ان العلم قديم فضروري ايضا بذاته
لما مر من انه جل وعلا لا يتصف بحادث واما الرابع وهو التعلق فقد اتفق اهل السنة على ان علمه متعلق

وبكل ممكن

وبكل ممكن موجود او معدوم وبكل مستحيل كيف ما كان ذلك كليا
او جزئيا ظاهرا او باطنا جليا او خفيا متناهيا او غير متناه واما الصوفي
فيزيد على ذلك بانه تعالى علمه بالاشيا قبل وجودها هو علمه بها معه وبعده
ولا تفاوت في تعلق علمه وانما التفاوت في المعلوم من حيث ظهوره في نفسه
لنفسه وتطوره بذلك وكذلك يقول في تعلق القدرة والارادة وساير صفات
التعلق وهذا يختص اذ العلم موافقة عليه غيره وكون الصفات المتعلقة هكذا
من المسايل التي تدرك بالكشف والوجدان لا بالنظر العقلي وترتيب البرهان
وقد نص على ذلك الشيخ ابو طالب المكي والشيخ عبد الجليل النصري واشار اليه
بن عطا الله في اول التنوير ووصفها بالمسالة الغويصة والدليل على عموم التعلق
كما قررناه اولا ان المقتضي للعالمية هو الذات مع صفة العلم والمعلومية
قابلية كل مذكور لذلك فلو اختص التعلق بالبعض فاما من غير مخصص وهو
محال واما مع مخصص فيلزم الافتقار وايضا دليل السمع ربنا وسعت كل شيء
رحمة وعلما والله بكل شيء عليم عالم الغيب والشهادة يعلم السر واخفى الى غير
ذلك وهذه متمسكات المحدث واما الصوفي فيقول مع ما تقدم علمه جل وعلا
محيط بكل مذكور اذ هو المجلي لصورته وتعينه وحقيقته فان كان ذلك المذكور
موجودا في الخارج فهو الذي اعطاه الوجود الخارجي واجلاه في الخارج وان كان
موجودا في الذهن فهو الذي اجلاه في الذهن واعطاه الوجود الذهني فاذا هو
المعطي لكل مذكور صورته ذهنا او خارجا اعطى كل شيء خلقه والمعطي للشيء
خلقه عالم به الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وهو المفيد لكل ذي
حقيقة عين تلك الحقيقة حتى المحال ان كانت له حقيقة وهي صورته الوهمية
والمجلي لها واذا كان كذلك فهو العالم بكل شيء حتى المحال ومن هاهنا يتنبه لنكتة
وهي ان المحال متعذر من حيث تحصيل صورته الوهمية واستجلائها في ضمير الذاكر
لها اذ ذلك من اثر القدرة قطعا فالمحال متعذر من حيث الذهن لا من حيث
الخارج فاذا الذهن اوسع من الخارج لانه قد تجلى فيه ما ليس له انجلا في الخارج فاذا
كل ما له انجلا في الخارج فله تجلي في الذهن من غير عكس فاذا كانت هذه الاحاطة للذهن

المخلوق فكيف لا تكون الاحاطة بكل شي لخالقه جل وعلا ومن هنا يعلم ان المحال له
صورة وهمية لا صورة حقيقية والصور الحقيقية مدركة العقل والصور الوهمية
مدركة الخيال فاعلم ذلك قوله مريد لجميع الكاينات بارادة قايمة بذاته اقول
قال الشيخ سيدي ابو الحسن الحرالي رضي الله عنه في شرح الارشاد وشرحه
للاسما المريد سمع باسم مريد اي على هذه الصيغة وانما ورد بصيغة الفعل
ولكن اطلاق مريد مما ثبت بالاجماع وبالجملة فالمريد او الذي اراد او يريد هو
الذي يخصص فعله بحالة دون حالة لصفة قامت به اقتضت ذلك وتلك الصفة
هي الارادة فاذا الكلام في هذا المعتقد في امور اربعة كما تقدم الاول اثبات الاحكام
الاشتقاقية الثاني انه مريد بارادة قايمة بذاته الثالث في ان تلك الارادة
قديمة الرابع في تعلقها اما الامر الاول فاما من حيث اجراها عليه لفظا فمتفق عليه
بين المسلمين وقد ورد السمع بذلك كما تقدم واما من حيث اثبات المعنى وتحقيقه
فعند الاشاعرة ان يقال قد ثبت ان صانع العالم فاعل بالاختيار وكل فاعل بالاختيار
مريد فصانع العالم مريد اما الصغرى فلما مر من حدث العالم الدال على انه قادر مختار
وهو الذي اذا شا فعل واذا شا لم يفعل واما الكبرى فلان معنى المريد هو ذلك وايضا
فلان تخصيص الحوادث بحالة دون حالة هو الارادة او تعلقها والتخصيص حاصل
فالارادة ثابتة وهو المطلوب واما المحدث فيقول قد ثبت سمعا انه تعالى اراد الاشيا
ويريدها وقد خاطبنا بذلك من حيث معهود اللسان العربي والمعهود في اللسان العربي
ان الذي يريد الشي هو الذي يخصصه على الحقيقة ومن يخصص الشي على الحقيقة فهو
مريد فصانع العالم مريد على الحقيقة واما الصوفي فيقول لا بد من مخصص على الحقيقة
والمخصص على الحقيقة هو الذي لا يدافع تخصيصه وليس الذي لا يدافع تخصيصه الا
العالم على الحقيقة ولا عالم على الحقيقة الا الله تعالى قربنا وسحقا للمعتزلة الذين عكسوا
الحقايق واعطوا الاوصاف الكاملة للذوات الناقصة وقد قيل لبعض العارفين
بما ذا عرفت الله قال بنقض العزايم واما الامر الثاني وهو ان صانع العالم مريد
بارادة قايمة بذاته اما انه مريد بارادة فلما مر من ان اثبات المشتق للشي دليل على ثبوت
ماخذ الاشتقاق لذلك الشي وايضا فالارادة صفة كمال وهو اولى به وما هو اولى به

[illegible]

فهو واجب له وايضا فالقطع بان تخصيص احد طرفي المقدور بالوقوع ثابتا فلا بد من صفة
تتعلق به ولا جايز ان تكون العلم ولا القدرة ولا الكلام اما العلم فلانه تابع للمعلوم
اعني في المطابقة فلا يكون هو المقتضي للتخصيص واما القدرة فلان نسبتها الى طرفي
المقدور على السوا واما الكلام فكالعلم واما المحدث فيقول قال تعالى ورحمتي وسعت
كل شي والرحمة هي الارادة او ملزومها وكذا ثبت في الصحيح ان رحمتي تغلب غضبي ومعنى
ذلك هو الارادة او متعلقها واما الصوفي فيقول الارادة صفة كمال نجد من انفسنا
اثارها ومستعاراتها ولم نجد حقيقتها ولا يكون ذلك الا لمن لم يتصف بالنقيض ولا
يقبله وليس ذلك الا الله فليس الموصوف بالارادة على الحقيقة الا الله واما ما نجده
من انفسنا فليس ارادة على الحقيقة بل هو شهوة وكراهة وهم وعزم ونية وغير ذلك
وبالجملة فكما ثبت ان ليس العلم الحقيقي الا لله فليس من له الارادة الحقيقية الا الله
تعالى واما ان تلك الارادة قايمة بذاته فكما مر في القدرة واما الامر الثالث وهو ان
تلك الارادة قديمة فلما مر من انه تعالى لا يتصف بحادث ولا يقوم به واما الامر
الرابع وهو تعلقها فاتفق اهل السنة قاطبة انه جل وعلا مريد لجميع الكاينات بمعنى
ان كل كاين في الوجود من خير وشر وطاعة ومعصية بارادته وان كل ما تتعلق به ارادته
يكون لا محالة وهو معنى ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن اما الاشعري فيقول
ثبت انه خالق لجميع الافعال والخالق للشي مريد له وسياتي تمام الكلام على ذلك
مستوفى في مسيلة خلق الاعمال واما المحدث فيقول ثبت عنه عليه السلام انه قال
ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وقد انعقد الاجماع على ذلك واما الصوفي فيقول
لو خرج شي عن ارادته لكان مستقلا بنفسه دونه ولو كان مستقلا بنفسه دونه لما
كان عبدا له على ذلك التقدير ولو كان غير عبد له لكان خارجا عن ملكه ولو كان خارجا
عن ملكه لكان غير قادر عليه ولو كان غير قادر عليه فاما ان يكون ذلك له من صفة
ذاته جل وعلا فيلزم العجز الذاتي او يكون لغيره فيلزم العجز الخارجي والكل محال لا يكون
ابدا كيف وقد ثبت وجدا ورجعت النفوس اليه ان مراد الفاعل لجميع الكاينات والمدبر
لها هو الله جل وعلا فكيف يخرج شي عن ارادته او تكون ارادة لغيره والا لزم التمانع
المقتضي للفساد لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قال سميع بصير بصفتين زايدتين

[illegible]

علي العلم الرابع كون السمع والبصر قايمان بذاته الخامس في قدمهما السادس في متعلقهما
اما كونه سميعًا بصيرًا فقد اتفق علي ذلك اهل السنة اما الاشعري فيقول قد ثبت
ان الباري جل وعلا عالم قادر مريد حي وكل حي سميع او قابل لذلك والواجب لا يتصف
بالقبول بل كل ما يجوز له فهو واجب له وايضا فلانهما صفتا كمال والخلو عنهما نقص وقصور
في الكمال وايضا قد اجتمعت عليه الكتب السماوية وخصوصًا القران الكريم وهذا دليل المحدث
واما الصوفي فيقول حديث التقرب بالنوافل بين لكل من هو الي عبوديته واصل ان
السميع البصير هو الله فقط واما الامر الثاني وهو انه سميع بسمع بصير ببصر فلما مر
من ان اثبات المشتق لشيء دليل علي ان ماخذ الاشتقاق قايم بذلك الشيء وايضا فانهما
صفتا كمال كما مر واما المحدث فيقول قد ثبت ان عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه
الاصوات فانزل الله تعالي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الي الله
والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير واما الصوفي فيقول السمع صفة تتجلي بها المسموعات
والبصر صفة تتجلي به المبصرات فهما اذا صفتا كمال وكمالهما ليس الا لله تنبيه اعلم
ان هذا اصل ينبني عليه اثبات الصفات السمعية واثبات حقايقها ولا بد من تحريره
فاعلم ان المعاني والصفات الكمالية تارة توخذ من حيث اضافتها الي الحق وتارة توخذ
من حيث اضافتها الي الخلق ومن المعلوم ان الشيء يتغاير بتغاير المضاف اليه لكن تغاير الاضافة
ليس بتغاير حقيقي الا انه لما ثبت ان لا مشاركة علي الحقيقة بين القديم والواجب فلا بد
ان تكون المغايرة علي الحقيقة فيكون ما ثبت للواجب من ذلك غير ما ثبت للممكن علي
الحقيقة وليس بالتحقيق المشاركة الا في الاسما وليس ثم اتحاد لا بالنوع ولا بالجنس والا
لزم تركيب الواجب واتحاد الملزومات مع تنافي اللوازم وذلك محال فاذا علم الله وقدرته
وارادته وسمعه وبصره وحياته وكلامه وكذلك جميع صفاته لا تشترك مع صفات
الخلق الا في الاسما فقط ولا مشاركة في الحقيقة لا من حيث الشخص ولا من حيث النوع
ولا من الجنس ثم ان هذه الاسما المشتركة التي اطلقت تارة علي ما للحق من الصفات وتارة
علي ما للحادث من ذلك قد تردد النظر هل ذلك الاطلاق بالاشتراك المعنوي او اللفظي
او بالتشابه اعني الحقيقة والمجاز ثم اشتهر ذلك حتي تنوسيت العلاقة وعلي التاكيد   ٢
فهل الاصل الحقيقي فيها المعني القديم او المعني الحادث اما المتكلمون خصوصًا القايلون

بالاحوال

33

بالاحوال فقد ذهب وهلهم الي الاشتراك المعنوي ولذلك تراهم يعترضون
علي من حد العلم مثلا بحد لا يجمع القديم والحادث كما في الارشاد ومسيلة وقوع
الاشتراك في اصول بن الحاجب توضح لك ذلك ولكن ذلك عندهم انما هو
في غير مثل الرحمة والغضب وغير ذلك من المعاني التي اثبتها السمع وسياتي الكلام
علي ذلك منضمًا الي هذا الاصل وانما الكلام الان في معني الوجود علي القول
بزيادته والحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام وما اشبه ذلك
فهذه الالفاظ اذا اطلقت علي القديم والحادث فهي عندهم مشتركة بالاشتراك المعنوي
وليس احد المعنيين اصلا للاخر بل كل منهما اصلي واستعمال اللفظ فيهما حقيقة علي
طريقة استعمال المتواطي في احاد مصروفاته ولكن دعوي الاشتراك المعنوي قد
بان بما ذكرناه بطلانه فلم يبق الا الاشتراك اللفظي وهو احتمال مرجوح او الحقيقة
والمجاز وهو احتمال راجح كما قرر في الاصول فالصوفي يري ان هذه الالفاظ اذا استعملت
في المعاني القديمة فقد استعملت في حقايقها واستعمالها في المعاني الحادثة مجاز ويستدل
علي ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام تنبيهًا علي ذلك ان الله جل وعلا يقول انا الرحمن
خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي فمن وصلها وصلته الحديث فيري ان هذا
الاشتقاق جار في جميع الالفاظ التي اطلقت علي غير القديم مع اطلاقها علي القديم فيقول
علي هذا ان ذلك اطلاق لفظ العلم علي المعني القديم حقيقة وكذلك لفظ القدرة والارادة
والحياة والكلام والسمع والبصر وغير ذلك وحيث اطلقت علي المعاني الحادثة انما
هو بالتشبيه لكي يحصل الاعتبار ثم انه قد اشتهر بعد ذلك الاطلاق تلك الالفاظ في المعاني
الحادثة حتي لم يتفطن لمجازيتها فهذا اصل عظيم يشرف بها علي كيفية استعمال الالفاظ
في المعاني القديمة والمعاني الحادثة حتي لا يقف به الوهم مع المعاني الحادثة عند
ما تسمع استعمال اللفظ في معني قديم وقد اشتهر عندك استعماله في الحادث حتي تعتقد
في الواجب ما لا يليق بجلاله كما ذهب اليه وهم قوم او يثبت له لازم ذهني لذلك المعني
الحادث وتجعل المعني الحادث اصلا لذلك المعني اللازم الثابت في القديم فرعا فيكون
اطلاق اللفظ في الحادث حقيقة وفي ذلك الفرع اللازم مجازا وهذا وان كان صحيحا
في الجملة لكن فيه عكس الحقايق بل اذا سمعته وقد ثبت تنزيه الواجب عن النقايص والحوادث

ولا بد ان يثبت عندك اذ هو اصل دينك وعرفت ان ذلك اللفظ حيث اطلق
على المعنى الالهي واستعمل فيه فقد استعمل في معناه الاصلي فجرد ذلك المعنى مجردا عن
جميع اللواحق المادية والاحوال الخلقية بحيث يكون ذلك المعنى المجرد الالهي الهيا
فان ظفرت بعبارة محصلة يمكنك الافصاح بها عن ذلك المعنى المجرد الالهي كما تقول
مثلا علم الله صفة قايمة بذاته متعلقة بجميع المعلومات وكذلك سمعه صفة ازلية
قايمة بذاته متعلقة بجميع المسموعات فذلك والا فسلم الامر للعالم به واعتقد ان ذلك
المعنى الذي لا يمكنك التعبير عنه هو الاصل الموضوع له ذلك اللفظ وبهذا القدر
زاد السلف من الصحابة والتابعين السالمين من دخول عجمة القلب على الخلف ولذلك
تراهم ابسط نفسا عند سماع هذه الالفاظ التي اشتهرت في المعاني الحادثة عند
نسبتها الى القديم عند ما يعبر بها عن معنى الالهي كما قال ذلك الاعرابي لا نعدم الخير
من رب يضحك ولكن قد من الله على المحققين من خلف الامة فانهم شاركوهم في هذا
الاصل ففتحوا ما اغلق عن غيرهم لتصميمهم على عزيمة التوجه والتخلي عن كل معلوم
سوى المعلوم الالهي الذي هو قبالة وجوههم وسياتي ما اذا ضممته الى هذا الاصل
فقط فاعرف ذلك والامر الثالث وهو ان السمع والبصر قايمان بذاته فكما مر فيما
تقدم من العلم والقدرة واما الامر الرابع وهو انهما زايدتان على صفة العلم فالمصنف
قد ذكر في هذا قولين اصحهما عنده انهما غير العلم وهذا الخلاف بالتحقيق انما هو بين
الاشاعرة واما المحدثون فلم يختلفوا في ان السمع والبصر زايدتان على العلم وكذلك
الصوفي الامر كان في بدايته برا ما يرى الاشعري ثم ان القول بالزيادة من الناس من ينسبه
للشيخ ابي الحسن الاشعري ويرى ان الشيخ اختلف قوله ومن الناس من ينسبه الى الاشاعرة
وهو ظاهر نقل الفخر عن الجمهور منا وسعد الدين المشهور عن الاشاعرة اما نسبة القول الى
الشيخ فبالنظر الى اصله ان السمع مثلا والبصر هل هو من جنس مباين للعلم او هو جنس واحد
اي حقيقة واحدة وانما تختلف اسماؤه باختلاف محاله بالادراك الكاين في القلب
بحيث يكون القلب محله يسمى علما وان كان في العين يسمى بصرا وكذلك السمع والمشهور عن الشيخ
انها جنس واحد كما اشار اليه المصنف في اصوله في حد العلم وبالجملة فعلى قول الشيخ
السمع والبصر من جنس العلم وانما تختلف وتتعدد باختلاف المحل بكون السمع والبصر ليسا بزايد ين

قطعا وهو ظاهر كلام المقترح ولكن قد قال ابن التلمساني على القول باتحاد الجنس
ما نصه كلاهما مع ذلك صفة زايدة على علمه تعالى وفيه بحث وذلك ان الزيادة
انما تصح على تقدير جواز تنوع العلم بحيث يكون السمع نوعا زايدا على نوع العلم او من
حيث تعدد المحل حتى يتميز به وهذا وان صح في الشاهد فلا يلزم في الغايب الا ان يكون
التنويع انما هو في المتعلقات فيجوز ان يكون للباري صفة واحدة من العلم لها تعلقات
مختلفة هي تلك الصفات بان يكون له تعلق بشيء مثلا يماثل تعلق علمنا بالشيء عند تعلقنا
اياه ويتعلق به ايضا بحيث يكون ذلك التعلق يناسب ويشابه تعلق ابصارنا به وادراكنا
اياه وبعد احاطتك بماخذ الشيخ في المسئلة وان حقايق هذه المعاني قديما وحادثا ليست
واحدة وبما قدمناه لك من ذلك الاصل وهو ان لا مشاركة بين القديم والحادث
يظهر لك الحق وهو ان السمع والبصر زايد على العلم ولكن لا يقال انه هو ولا هو غيره
كما ياتي تقريره في خاتمة هذا الفصل واما الامر الخامس وهو قدمهما فلما مر من انه
تعالى لا يتصف بحادث واما الامر السادس وهو تعلقهما فاتفق اهل السنة على
ان السمع يتعلق بجميع المسموعات وهو الكلام وما يتركب منه نفسانيا ولسانيا والهوا
والخواطر التي تتحدث بها الضمير واما البصر فيتعلق بجميع المبصرات وهي الالوان
والاضواء والظلم والجواهر والاشكال والمقادير والاكوان الاربعة وهي الاجتماع
والافتراق والحركة والسكون تتميم اعلم ان تعلق الصفات بمتعلقاتها واجب اذ ذلك
من صفاتها النفسية او لوازمها العقلية واذا كان كذلك وقد ثبت بالبرهان
دليل السمع كونه جل وعلا له سمع وبصر فلا بد ان يحصل تعلقها بمتعلقهما ولا يقال
ما تعلق به السمع والبصر تعلق به العلم واذا تعلق به العلم فاي شيء حصل السمع والبصر
مع انه لا تفاوت في علمه بمعنى ان القدر الحاصل من الادراك والكشف العلمي هو القدر
الحاصل من الادراك والكشف البصري لانا نقول اذا كان واجب الوجود له الكمال
الحقيقي وثبت ان الادراك والكشف العلمي كمال والادراك والكشف البصري كمال فيجب
حصول ذلك لمن له الكمال المطلق حتى يحصل جميع الكمال وان كان ما قد حصل من الكشف
بالبصر فهو حاصل بالعلم فان الكمال على ذلك التقدير انما هو حصول الكشفين وان لم يكن
تفاوت بينهما فاعلم ذلك قال متكلم بكلام نفسي قديم قايم بذاته واخر متعلق بالامر

والنهي والخبر والاستخبار والوعد والوعيد والندا على الاصح اقول يعني ان
صانع العالم متكلم والكلام على هذا المعتقد يرجع الى امور الاول انه متكلم
الثاني انه متكلم بكلام نفسي قايم بذاته الثالث ان ذلك الكلام قديم الرابع في وحدته
وتعلقه واعلم ان هذا المعتقد من اعظم المطالب الدينية حتى قيل انما سمي علم الاصول
بعلم الكلام لاجل هذه المسيلة وهي ترجع الى تحقيق اصل وهو الكلام النفسي فلنتكلم
اولا على تحقيقه ثم على تحقيق ما هيته ثم نرجع الى المقصود فنقول الكلام عند اهل الحق
يقال على معنيين يقال على النظم المركب من الاصوات والحروف وهو الكلام اللساني
وعلى المعنى القايم بالنفس وهو المسمى بالكلام النفساني وهل بالاطلاق وبالاشتراك
اللفظي او الحقيقة والمجاز المختار الاول وقيل حقيقة في النفساني وقيل في اللساني
قال الاخطل ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا وقال
عمر رضي الله عنه يوم السقيفة زورت في نفسي قولا والقول يقال على ما يقال عليه
الكلام اما بترادف او تباين العام والخاص ثم ان اهل الحق استدلوا على ثبوت الكلام
النفساني بان قالوا لا شك في وجود معنى قايم بنا نجده من انفسنا عند التعبير
او الاشارة او الكتابة كما نجده الطالب من الاستدعا لحصول المطلوب وتطلبه
اياه وليس ذلك هو الارادة لوجوده بدونها فيمن امر عبده معتذرا للسلطان
من عدم امتثاله عند توعده وقال السيد يا مره ولا يريد وليس هو العلم لانه قد يخبر
عن غير معلومه ولا غير ذلك من المعاني النفسانية لنفي لوازمها عنه فثبت
ان هنا امرا قايما بانفسنا هو المسمى بالكلام والاقرب في تعريفه قول الشيخ في اصوله
نسبة بين مفردين قايمة بالمتكلم يعني المجموع من ذلك كما نبه عليه الابهري
وبذلك يسقط اعتراض الشيخ ابن عرفة عنه وقد يقال هو حديث النفس عن معلومها
حصولا او استدعا اذا تقرر هذا فنقول اما المطلب الاول وهو ان صانع العالم
متكلم فهو مما اجمع عليه اهل الملة فضلا عن اهل السنة فقط منهم بل قد اجمع عليه
اهل الملل كلها اما الاشعري فيقول لو لم يكن صانع العالم متكلما للزم النقص وهو
محال اما الملازمة فلان صانع العالم حي وكل حي فهو اما متكلم او موف لكن
الموفية نقص فيتعين ان يكون متكلما وهو المطلوب وايضا دليل السمع وهو قوله

جل وعلا

جل وعلا وكلم الله موسى تكليما وهذا دليل المحدث واما الصوفي فيقول الكلام
صفة كمالية اذ مرجع ذلك الى الانبا عن الاشيا وكل الاشيا قابلة للانبا فلابد
من حصول تلك الصفة على كمالها وحصولها على الكمال لا تكون الا بحيث لا ترتفع
لنقيضها وذلك لا يكون الا في واجب الوجود فواجب الوجود له تلك الصفة
الكمالية اذ هو الذي له الكمال المطلق وهو المطلوب واما المطلب الثاني
وهو انه متكلم بكلام قايم به فلما مر من ان ثبوت المشتق للشي يدل على ثبوت ماخذ
الاشتقاق لذلك الشي وايضا فالكلام صفة كمال وضده نقص فيتعين ثبوته
للواجب لا يقال لا نسلم ان الكلام صفة كمال سلمناه ولكن في الشاهد سلمناه ولكن
لا نسلم ثبوته للصانع والا لزم اتصافه بالحادث اذ الكلام مركب من الحروف المتقطعة
المسبوق بعضها بعضا وما كان كذلك فهو حادث فلو ثبت الكلام له لزم محلا للحوادث
وذلك محال لانا نقول الكلام في نفسه صفة كمال ضرورة وكيف وقد قال تعالى
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الايه وايضا كمال العلم انما كان به
اذ الكلام ظاهر العلم وترجمانه والعلم باطن واما ان الكلام مركب من الحروف فليس
ذلك هو الكلام الذي يدوم انباته الان بل الذي يدوم الكلام النفسي الذي
ليس بجزي والكلام الجزي دليل عليه وما نقل عن الحنابلة من انه هو المركب
من الحروف الملفوظة وانها قديمة فجهالة محضة ولنعلم ان الامام احمد بريا
من هذا المعتقد وان كان المنتسبون اليه ينسبون اليه هذا القول فذلك كذب
محض وعدم فهم عنه واما المحدث فيقول قال تعالى فاجره حتى يسمع كلام
الله وكلم الله موسى تكليما ولقوله عليه السلام وهذا كلام الله كرطب لم ييبس
ولقوله عليه السلام كلام الله الى غير ذلك وبالجملة فهذه المسيلة من اوضح المسايل
لاستقلال السمع فيها واما الصوفي فالكلام عنده اصل عظيم اذ به ظهرت المكونات
وعنه حصلت الانفعالات فهو مبدا لكل موجود عينا او علما قال جل وعلا انما
قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وفي النسايي عنه عليه السلام انه قال
خزاين الله كلامه فاذا اراد شيا قال له كن فيكون وبالجملة فهو لسان التجليات
الالهية وترجمان الحضرات القدسية واصل الوحي والالهام وساير علوم الانام

وهذه امور كلها وجدية ومعارف ذوقية وهي كلها ترجع الى الصانع من حيث
صفة الكلام فالكلام ثابت له جل وعلا وهو المطلوب ثم نقول هذا الكلام الذي
هو ليس من جنس الاصوات والحروف بل هو صفة ازلية قايمة بذاته منافية للسكوت
والافة هو امر ونهي وخبر قد يدل عليها بالكلام الحرفي فان كان ذلك من جنس الكلام
العربي فقران او من السرياني فانجيل او بالعبرانية فتوراة والاختلاف في العبارة
دون المعبر عنه ثم هذا الكلام ايضا كلام الله تعالى باتفاق اهل السنة وهو الذي ينظر
فيه الباحث عن الاحكام الشرعية ويريده بقوله الدليل على كذا الكتاب وهو الذي
حده الاصولي بقوله الكلام المنزل للاعجاز بسورة منه فصار كلام الله عند اهل السنة
يقال بالاشتراك على المدلول القديم وعلى الدال الحادث والاول غير مركب من شيء
والثاني مركب من الحروف المرتبة ولذلك كان حادثا واما ما قاله بعض الفضلاء من ان
الكلام قد يكون حرفيا ومع ذلك قديم بناء على ان تلك الحروف لا ترتيب فيها
وهي كلها موجودة دفعة واحدة من غير تقديم ولا تاخير ولا سابق ولا لاحق شبه
الحروف الكاينة في قوة الخيال فقد ضعف ذلك سعد الدين كما بسطه في شرح
المقاصد وشرح العقيدة بان قال نحن لا نعقل من الكلام الحرفي الا المترتب النظم
والترتيب يقتضي السابقية والمسبوقية وذلك هو الحدوث هذا ولكن لما قصده
ذلك الفاضل له تحقيق ليس هذا المقام مقام بسطه واما الثالث وهو انه قديم فلما مر من
ان صانع العالم لا يتصف بحادث واما انه واحد فذكر المصنف فيه قولين اصحهما
عنده انه واحد كذلك ذكر في تعلقه اعني قولين واما انه واحد فعليه جمهور اهل
السنة وخالف فيه بعضهم واثبت خمس صفات كلامية هي الخبر والامر والنهي والاستخبار
والندا واما تعلقه فهو متعلق ازلا بالمامور والمنهي والمخبر عنه والمستخبر عنه وخالف
فيه ابو سعيد حيث جعل انما يتعلق بها فيما لا يزال ثم القايلون ان الكلام واحد فاكثرهم
على انه هو في نفسه امر ونهي وخبر واستخبار ونداء ووعد ووعيد كل ذلك بحسب
التعلق والحاصل ان تعلق بتحصيل الفعل فامر او بالكف عنه فنهي او بوقوع النسبة او لا
وقوعها فخبر واما الاستخبار فعلى الحقيقة لا يكون في حقه جل وعلا واما الندا والوعد
والوعيد فالكل راجع اما الى الخبر او الى الطلب ثم ذلك التعلق الازلي تعلق صلاحي

لايتوقف

لا يتوقف على وجود هذه التعلقات بالفعل بل على قابلية الوجود والحصول وهذا
كما قال امام الحرمين ان ثبوت الكلام بالتحقيق انما هو بدليل السمع دون العقل ولم يرد
في السمع تعدد بل انعقد الاجماع على نفي كلام ثان قديم ولم يمتنع التكلم بالامر والنهي والخبر
وغيرها بكلام واحد فلذلك حكمنا بانه واحد يتعلق بجميع المتعلقات كما في العلم فهو يتعلق
بكل ما يتعلق به العلم من الواجب والممكن والمحال وما نقل عن الاسفرايني من ان الكلام
واحد هو خبر والبواقي ترجع اليه فهو في غاية الضعف اذ تباينها في اللوازم يؤذن بتباينها في الملزومات
والخبر يحتمل الصدق والبواقي لا تحتمله فافهم تتميم اتفق اهل السنة والجماعة على ان
القران كلام الله تعالى غير مخلوق بل هو قديم ازلي وانه مسموع بالاذان متلو بالالسنة
محفوظ في الصدور مكتوب في المصاحف وهذا كله حق متفق عليه واجب الايمان به
لان القران يقال على ما يقال عليه الكلام فيقال على المعنى القايم بذاته جل وعلا المعبر
عنه باللسان العربي المبين ومعنى الاضافة في قولنا كلام الله اضافة الصفة الى الموصوف
كعلم الله والقران بهذا المعنى قديم قطعا كما تقدم ويقال على الكلام العربي المبين
الدال على هذا المعنى القديم ومعنى الاضافة على هذا التقدير هي معنى اضافة الفعل
الى الفاعل كخلق الله ورزقه وكلا الاطلاقين حقيقة على المختار خلافا لمن زعم انه حقيقة
في احدهما مجاز في الاخر ومعنى ان القران مسموع بما يدل عليه وهو العبارة متلو
بالالسنة كذلك محفوظ بالرقوم والخطوط المتخيلة مكتوب بالرقوم والخطوط الحسية
والحاصل انه مسموع بما يدل عليه من الحروف المرسومة في قوة السمع مكتوب
بما يدل عليه رقما متلو بما يدل عليه نطقا محفوظ بما يدل عليه تخيلا وهذا كما يقال
الله مذكور بالالسنة معناه مذكور بما يدل عليه من حيث النطق اللساني وهذا لان
للشيء اربع وجودات وجود في العيان ووجود في الاذهان ووجود في اللسان ووجود
في البنان فالوجود الاول هو الوجود الحقيقي وهو ما به الشيء موجود في حد نفسه
والثاني وجوده باعتبار ارتسام صورته المثالية في الذهن والثالث وجوده باعتبار
اسمه الموضوع بازاء صورته والرابع وجوده باعتبار الرقوم الموضوعة بازاء اسمه
فالرقم بازاء ما في اللسان واللسان بازاء ما في الذهن والذهن بازاء ما في الخارج فنقول
زيد مثلا موجود وهذا بالمعنى الاول ثم نقول زيد محفوظ في الذهن يعني صورة زيد

المثال به في الذهن ثم نقول زيد ملفوظ بمعنى اسمه وزيد مكتوب بمعنى رقم اسمه
ثم اعلم ان اهل السنة قد اختلفوا في الكلام القديم هل يسمع لا بواسطة ما يدل عليه او لا يسمع
الا بواسطة فالي الاول ذهب جمهور اهل السنة والي الثاني ذهب ابو منصور الماتريدي وابو اسحق
الاسفرايني واورد عليهما اختصاص موسي عليه السلام بسماع الكلام ولو كان كما قالاه
لم يكن اختصاص اذ الكلام علي ذلك التقدير لا يسمع الا بواسطة الدال عليه وكل الانبيا
كذلك اجيب بان موسي عليه السلام انما اختص بما اسمعه بما دل علي الكلام من كل الجهات
او من جهة لكن بصوت غير مكتسب لاحد من العباد الذين يكتسبون الاصوات وقد
نقل عن الاستاذ انه قال اتفقوا علي انه لا يمكن سماع غير الصوت الا ان منهم من اطلق
القول بذلك ومنهم من قال لما كان المعني القايم بالنفس معلوما بواسطة سماع الصوت
كان مسموعا فالاختلاف علي هذا لفظي ثم اعلم انه اذا اطلق علي الدال العربي علي المعني القديم
مثلا انه كلام الله فليس لانه دال علي المعني القديم الذي هو كلام الله صفة نفسية كما هو ظاهر
كلام غير واحد بل لاختصاصه به جل وعلا من حيث اختراعه اياه بان اوجده اشكالا
في اللوح المحفوظ لقوله بل هو قران مجيد في لوح محفوظ ثم حروفا واقوالا في لسان الملك
لقوله انه لقول رسول كريم ونزل به الروح الامين ثم علي لسانه عليه السلام لقوله فانما
يسرناه بلسانك فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان الاشياخ اختلفوا في ان كلام الله
لا بمعنى الصفة بل بمعنى الفعل المختص به كما قررناه هل هو اسم مختص باول كلام اخترعه
الله علي لسان اول متكلم به حتي ان ما يقراه كل احد بلسانه يكون مثله لا عينه فيكون
واحدا بالشخص اول كلام الله لا من حيث تعيين المحل فيكون واحدا بالنوع حتي يكون
ما يقراه كل قاري هو نفس كلام الله لا مثله قال سعد الدين وهذا هو الاصح قال
تعالي ولقد يسرنا القران للذكر ثم اختلفوا ايضا هل هو اسم لمجموعه حتي لا يعرف علي بعضه
او هو اسم للكلي المنتشر حتي يصدق علي مجموعه وبعضه وهذا هو الصحيح قال سعد الدين
فما يقال ان المكتوب في كل مصحف والمقرو بكل لسان كلام الله فباعتبار الوحدة النوعية
وما يقال انه حكاية عن كلام الله ومماثل له وانما الكلام هو المخترع في لسان الملك فباعتبار
الوحدة الشخصية وما يقال ان كلام الله ليس قايما بلسان ولا حالا في مصحف او لوح فيراد
به الكلام الذي هو الصفة الازلية وان كان اريد به الكلام الذي هو الفعل الدال فيكون

ذلك رعاية للادب واحترازا من ذهاب الوهم الي الاولي ولتعلم ان القران بالمعني
الازلي لا يدخل تحت الزمان ولا يوصف بماض ولا مستقبل ولا حال ضرورة ان
الازلي مناف للزمان لان الزمان من لواحق الحادث ولا شي من الحادث بازلي
واما القران بمعني الفعل الدال علي ذلك او بعض ما هو متعلق ذلك فنعم نحو قوله
تعالي وقال موسي وعصا فرعون فالداخل تحت الزمان من ذلك هو الدال لا المدلول
القديم والمتعلق به اسم مفعول والتعلق التنجيزي لا المتعلق اسم فاعل الذي
هو صفة واحدة لا تعدد فيها ولا التعلق الصلاحي ونحو قوله تعالي وهو العلي
العظيم فالدال وحده حادث واما المدلول الذي هو الصفة والمتعلق الذي هو
الذات المسند اليه والصفة التي هي المسند والنسبة التي هي الوقوع والتعلق فجميع
ذلك قديم ونحو قوله تعالي انا ارسلنا نوحا الله الذي يرسل الرياح فالدال حادث
والمدلول الذي هو الصفة قديم والمتعلق بعضه قديم وهو الذات المسند اليه
والحاصل ان المتعلق قد يكون كله قديم وقد يكون كله حادث وقد يكون بعضه وبعضه
فاعلم ذلك ثم اعلم ان الكلام الدال الذي هو العبارة له دلالة علي النسبة النفسية
المسماة بالكلام النفسي وله دلالة علي النسبة الخارجية التي هي متعلقة فيما له نسبة
خارجية وهو الخبر وتلك النسبة الخارجية هو الوقوع او لا وقوع الذي هو متعلق
النسبة النفسية وباعتبار مطابقة الخبر لها ولا مطابقة يتحقق الصدق والكذب
وقد اختلفوا في ان الالفاظ موضوعة بازا ما في الذهن او بازا ما في الخارج والصواب
ان الالفاظ مستعملة بازا كل منهما الا ان احدهما بالقصد الاول والاخر بالقصد
الثاني واختلفت النظار فقيل المقصود اولا ما في الذهن وقيل ما في الخارج
وهذا فيما له نسبة نفسية ونسبة خارجية وهو الخبر واما الانشا فمدلوله
ليس الا النسبة النفسية التي يتبعها متعلقها عند الامتثال ثم هذا كله انما هو
بالنظر الينا واما بالنسبة الي الحق جل وعلا فكلامه مطابق لما في نفس الامر الشامل
للخارج ما له وجود خارجي ولما في الذهن اي ما له وجود في الذهن كالمعاني الكلية في
وغير ذلك مما لا علم لاحد من الخلق به ضرورة مطابقة حده لعلمه ونفس الامر هو ما
علمه تعالي ومن ثم كان كلام الله كله صدق بالضرورة ضرورة ان الصدق مطابقة

الواقع والواقع تابع لعلم الله تعالى والكلام موافق للعلم بمعنى ان العلم اذا تعلق
بحصول شي او لاحصوله كذلك يتعلق الكلام به وبالجملة فكلام الله كله صدق وحق
محال عليه ضد ذلك اما الاشاعرة فللاجماع ولدلالة المعجزة الدالة على صدق
الرسول المخبرة عن صدقه ولان الكذب نقص باتفاق والنقص محال ولانه لو اتصف
بضد الصدق في شي لكان اتصافه بالصدق محالا لان اتصافه بضده وعلى ذلك التقدير
اما ان يكون قديما واما ان يكون حادثا لا جايز ان يكون حادثا ولو كان قديما لامتنع
عدمه فيستحيل ضده الذي هو الصدق واستحالة الصدق عليه باطل بالضرورة
للقطع بان كل عالم بالشي يمكن ان يخبر عنه على ما هو عليه في علمه واما المحدث
فدليله السمع وهو الاجماع كما تقدم وقوله جل وعلا لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه الى غير ذلك واما الصوفي فيقول بما تقدم ويزيد بان الوجود كله عينا
وعلما ناشي عن كلامه والوجود حق واصل الحق حق ليحق الحق بكلماته تنزيل من حكيم
حميد احكم الموجودات على كلمة كن حميد بمعنى محمود من كل الجهات فلا يعرض له ضد
الحمد قطعا وبالجملة فبالتحقيق ان كلام الله علمه او لازم علمه وحقيقة الملزوم مستلزمة
لحقيقة اللازم فافهم قال باق ببقا يقوم به عند الاشعري وبذاته عند القاضي
وهو الاصح اقول يعني ويومن بان صانع العالم باق باتفاق ثم اختلفوا اهل هو
باق ببقا يقوم به كسائر صفات المعاني وهذا قول الاشعري او هو باق بذاته لا ببقا
قايم به وهو قول القاضي والاكثر من الاشاعرة المتاخرين قال المصنف وهو الصحيح
وهذا المطلب يرجع الى امرين الاول في بيان مفهوم الباقي والثاني في بيان انه باق
ببقا او لذاته اما الاول فالباقي مشتق من البقا ومعناه ذات لها البقا والبقا
هو استمرار وجود الشي واستمرار الوجود يرجع الى عدم طريان العدم وهل الاستمرار
هو عدم طريان العدم او امر يستلزمه فالاشعري يقول هو امر وجودي يستلزم عدم
طريان العدم والغير يخالفه ويقول هو هو وربما يتمسك هذا بان الصفات
باقية باتفاق ولو كان البقا صفة وجودية زايدة على ذات الباقي لزم قيام المعنى
بالمعنى والشيخ لا يقول به واما الامر الثاني وهو ان صانع العالم باق فباجماع
العقلا فضلا عن اهل السنة ضرورة انه جل وعلا واجب الوجود لذاته وما هو واجب

الوجود

الوجود لذاته باق لذاته والا لزم تخلف ما بالذات وهو محال قال تعالى كل
شي هالك الا وجهه وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
واما الامر الثالث فالاشعري واتباعه من المتقدمين قالوا الواجب باق فيكون
ببقاء كما في كونه عالما او قادرا وهذا فيه نظر لان هذا قياس تمثيلي وهو لا يفيد
الا الظن كما قرر في محله ولين سلمنا صحته فالفرق قايم وهو ان العالم انما كان
يعلم لانه حكم ثبوتي يقتضي ثبوت معنى بخلاف كونه باقيا اذ معناه كونه لم يلحقه
العدم قالوا ثانيا البقى ليس من السلوب والاضافات وهو ظاهر وليس عبارة عن
الوجود اذ الوجود حاصل للجوهر في اول ازمنته ولا يوصف بانه باق والاعراض
السيالة كذلك موجودة وليست باقية باتفاق فيتعين ان يكون امرا وجوديا
زايدا وهو المطلوب وهذا فيه مصادرة كما ترى فان قوله انه ليس من الامور السلبية
والاضافية هو عين دعوى الخصم كما بيناه واما القاضي واتباعه فقالوا لو
كان الواجب باقيا بالبقا الذي هو ليس نفس ذاته لما كان واجب الوجود لذاته
لكنه واجب الوجود لذاته فهو باق لذاته ضرورة ان ما للذات لا يزال ابدا
وما بالذات لا يكون بالواسطة قالوا ثانيا لو كان ذات الواجب باقيا ببقاء
لا بنفسه فاحد الامور لازم وهو اما ان تفتقر صفة البقا للذات فيلزم الدور
لتوقف كل منهما على الاخر واما ان تفتقر الذات الى البقا مع استغنايه عن الذات فيلزم
ان يكون واجب الوجود هو البقا لا الذات هذا خلف او لا يفتقر احدهما الى الاخر فيلزم
تعداد الواجب ان كلا من الذات والبقا يكون مستغنيا عما سواه اذ لو افتقر البقا
الى شي لافتقر الى الذات ضرورة افتقار الكل اليه والمستغني عن جميع ما سواه واجب
قطعا والبقا لا يستغني ضرورة انه صفة والصفة مفتقرة الى موصوفها ثم اختلف
قول الاشعري في الصفات الازلية هل هي باقية بانفسها او ببقا الذات واما غيره فنقول
بقا كل شي راجع الى وجود عينه المستمر واما المحدث فيستدل بالاية المتقدمة
ولا ينظر في البقا اذ لم يرد فيه صريح سمع واما الصوفي فيقول البقا هو الوجود
الدايم والصانع واجب الوجود لذاته وكل من هو واجب الوجود لذاته فوجوده
هو الوجود الدايم لذاته ثم الوجود الدايم لذاته هو الوجود الواجب ثم الوجود الواجب

عين ذاته فالوجود الدايم عين ذاته فالبقا عين ذاته ثم بالتحقيق لا موجود
على الحقيقة الا هو وما سواه من الممكنات قد كتب عليه الفنا واثبت لها وصف
الهلاك كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه بل هم في لبس من خلق جديد
وايضا لا شك في وجود دايم فاما ان يكون هو وجود الواجب او وجود غيره والثاني
باطل اذ ما سوى واجب الوجود باطل فان كان الاول فالواجب باق ووجوده
الدايم عين وجوده والا لزم التركيب ووجوده عين ذاته فالبقا عين ذاته واذا كان
هو الباقي لذاته كان كل شيء سواه فانيا لذاته ولا يبقى الا بابقا الباقي لذاته وكيفية
ذلك الابقا يرجع الى كيفية الفعل والانفعال وكيفية الفعل والانفعال لا يعلمها حقيقة
الا من اطلع على صريف الاقلام وعلم المبدا والتمام تتميم اعلم ان هذه الصفات التي
هي الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام التي اتفق عليها اهل السنة
والجماعة والبقا على قول الشيخ كلها قديمة كما بيناه وكل واحد منها واجب الوجود لنفسه
او انه واجب الوجود لا لغيره اعني انها واجبة لذات الواجب جل وعلا لا لنفسها
بل لمن هي صفة له والاول هو ظاهر كلام المتقدمين وبه استمرت نصوص
المغاربة من المتاخرين والثاني هو نص المشارقة كالفخر والبيضاوي وسعد الدين
وقد تاولوا كلام المتقدمين وردوه الى ما يوافق قولهم كما هو في كلام سعد الدين
وهذه المسالة تنظر الى اصل وهو ان واجب الوجود هل يتعدد ام لا والمسالة في
غاية الصعوبة والكلام عليها في المباحث العامة فتعرف هناك والمحدث
يعترض ويقول هذا لم يجي فيه سمع والكلام فيه يجي الى قواعد حكمية ومذاهب فلسفية
والصوفي يقول علم ذلك ليس من المعتقدات اذ لم يرد فيه طلب ولا سمع فيه عن
السلف الصالح اي فالكلام عليه فضول وهو لا يعلم الا من ورا النظر الفكري فمن طمع
ان ينال ذلك من غير ان لا يفتح له الوحي باب الكلام فقد طمع فيما لا ينال ولولا ان
الشرع فتح الباب للعقل في المعتقدات الدينية لكان فيها في عمى كما هو حاله فيما لم
يفتح له فيه او فتح له الا انه لم يتبع السلف الصالح كحال المعتزلي ومن ضاهاه
ثم ان هذه الصفات وما يلحق بها على ما ياتي قد اتفق اهل السنة والجماعة من السلف
الصالح على انها متعددة زايدة على الذات والعمدة في ذلك عند القاضي وامام

الحرمين هو الاجماع لا العقل كما نبه عليه صاحب الارشاد وهو الصواب خلافا
للمقترح واتفقوا ايضا على انه يقال لا هي هو ولا هي غيره او لا يقال هي هو ولا
يقال هي غيره وكذلك الصفات في نفسها لا يقال مثلا العلم هو القدرة ولا
هو غيرها واختلف في معنى ذلك اذ ظاهر ذلك متناقض ولا بد فيه من معنى
صحيح وقيل لان الغيرين هما اللذان يمكن وجود احدهما بدون الاخر ولا شك
ان الذات والصفات متلازمان في الوجود فلا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر
وكذلك الصفات في انفسها فعلى هذا لا يقال هي غيرها ومن المعلوم ان ليس مفهوم
الذات مفهوم الصفات فلا يقال هي هو وهذا التوجيه يرجع الى الاصطلاح
في اطلاق الغيرين فمن قال ان الغيرين هما اللذان يمكن وجود احدهما
بدون الاخر صح ذلك عنه واما من قال ان الغيرين هما المعقولان اي اللذان يمكن
تعقل كل منهما بدون الاخر فلا يتم هذا التوجيه اذ ذلك اعم ولهذا كثير من المتاخرين
الذين مروا على هذا التفسير لم يمتنعوا من اطلاق المغايرة الا ان يكون من جهة السمع
او يكون لدفع الوهم خوف ان يتبادر التغاير بالتفسير الاول وقيل انما يقال
ذلك لاجل عجز العقل عن ادراك هو هو والغيرية اذ الحكم بذلك فرع الادراك والعقل
عاجز عن ذلك وبالجملة فنحن انما ادركنا ما فتح لنا السمع بابه ولم يفتح لنا الا انه موجب
لتلك الصفة وما ورا ذلك فلم يفتح واما هل هي هو او هي غيره فالله اعلم فلا يقال هي
هو اذ ذلك لم يدرك ولا هي غيره كذلك وعلى هذا الوجه عمر ابن البنا في مراسمه والقاضي
عياض رضي الله عنه في تنبيهاته وهذا هو عمدة المحدث وكذلك الصوفي من حيث
البداية الايمانية في جميع ما ذكروا اما من حيث النهاية الاحسانية والمشاهدة
العيانية التي تحصل عندها معرفة النفس الانسانية فذلك امر لا يسعه صريح العبارة
وانما يسعه لطيف الاشارة المتوقف على حصول التوحيد والتحقق بالعلم المزيد
وقال ولا نعرف حقيقة ذاته على الاصح خلافا للجمهور اقول يعني ان مما يجب الايمان به
ان حقيقة ذات الصانع جل وعلا لا تعرف اي لا تعرف بالكنه وهذه المسيلة كانت ترسم
في القديم بمسيلة الماهية حيث يقال الصانع ماهيته هل تعلم فعدل المتاخرون
الى الحقيقة خوفا من التشبيه كما ياتي واعلم ان حقيقة الشي ما هو به هو وقد يقال حقيقة

وماهية وماأية فابدال الهاء همزه وهوية وانية وهي متحدة بالذات مختلفة
بالاعتبار فذات الشيء التي هو بها تسمي حقيقة باعتبار ان جميع ما يتحقق به
الشيء في نفسه لا بالنظر الي لاحق خارج عن ذاته وتسمي ماهية باعتبار حصولها
في الذهن اي من حيث حصولها من جواب ما هو الذهن وقد تختص الماهية
بالمركب اذ هو الذي يحصل من جواب ما هو علي التحقيق وتسمي هوية باعتبار
الحصول الخارجي وتسمي انية من حيث حضورها واستحضارها عند الاشارة بانا فا
لماهية مما هو والهوية من هو والانية من انا وقد اتفق العقلا علي ان الصانع جل وعلا
حقيقة وان حقيقته مخالفة لساير الحقايق وما وقع لبعض قدما المتكلمين من المماثلة
لساير الحقايق فوهم باطل هل نطلق الماهية علي ذاته اختلف في ذلك فاكثر الحنفية
علي المنع قالوا لان ذلك يعطي المجانسة وذلك يلزم ان يكون ذا جنس وكل ذي
جنس مماثل فيلزم التشبيه والمماثلة وذلك محال وانما لزم ذلك لان المفهوم
من قولنا ما هو اي جنس هو من الاجناس والله منزه عن ذلك وفيه نظر وقد عدل بعض الاشاعرة
عن لفظ الماهية الي لفظ الخاصية كما قال القاضي مترجما عن هذه المسيلة خاصية
الباري غير معلومة لنا الان وهل نعلم بعد رؤيته في الجنة فيه تردد واكثر المالكية
علي جواز الاطلاق وكذلك الشافعية وقد قال ابن ابي زيد ولا يتفكرون في ماية ذاته
وقد اخذ ذلك من اطلاق الاشاعرة ثم عدل المتاخرون عن كل ذلك الي لفظ الحقيقة
طلبا للايضاح والسلامة وبعد احاطتنا بهذا فاعلم ان اهل السنة من الاشاعرة
اختلفوا في هذه المسيلة علي اقوال ثلاثة القول الاول قول اكثر الاقدمين ان حقيقة
ذاته معلومة لنا الان القول الثاني مقابله وهو ان حقيقته غير معلومة لنا الان يعني
في الدنيا وهو قول القاضي وجماعة ويمكن ذلك في المستقبل وهو صريح قول القاضي
كما نقلناه الثالث انه لا يمكن ذلك بالكلية وهو ما نقله الامري عن الامام وحجة الاسلام
بخلاف نقل غيره عنهما فانه نقل عنهما كقول القاضي وقول المصنف علي الاصح يرجع الي
القول الثالث وهو انه لا يمكن ذلك بالكلية احتج المتقدمون بانا نحكم علي ذات الصانع
بما له من الصفات والتنزيهات والافعال والحكم علي الشيء يستدعي تصوره ومعرفته
فان كان الحكم علي حقيقته لزم العلم بها ضرورة لكن الحكم علي حقيقته قطعا وايضا وجوده

معلوم لنا ضرورة ووجوده عين حقيقته فحقيقته معلومة لنا وهو المطلوب والجواب
اما عن الاول فان الحكم علي الشيء يستدعي تصوره بوجه ما لا تصوره بكنهه الذي
هو محل النزاع واما الثاني فوجوده علي تقدير انه عين ذاته معلوم لنا لكن بوجه
ما لا بالكلية وذلك هو محل النزاع لا يقال قد تقرر في المبادي ان الوجود بديهي
والوجود عين حقيقته لانا نقول البديهي وجهه لا كنهه ولو سلم فذلك هو الوجود المطلق
العارض لوجوده الخاص لا وجوده الخاص الذي هو عين حقيقته واحتج القاضي
بان ما يعلمه البشر هو ان له الوجود والصفات بمعني انه حي عالم والسلوب
مثل انه واحد والاضافات مثل انه خالق رازق ولا شيء من العلم بشيء من ذلك علم
بحقيقته فالحقيقة لا علم لنا بها لكن من الممكن ان يخلق الله علما بحقيقته في المستقبل
كما يكون عند رؤيته في القيامة والجواب انا لا نسلم ان معلوم كل احد من الشيء ما
ذكرتم ومن اين الاحاطة بافراد البشر ومعلوماتهم بالله واحتج الثالث بانه لا يمكننا
ان نتصور الا ما ندركه بحواسنا او نجده من انفسنا او نتصوره بعقولنا بطريق
التعريف الحدي والرسمي او ما يتركب من الجميع ومن المعلوم ان الحقيقة الالاهية
لا تتعلق بها الحواس ولا نجدها من انفسنا ولا يمكن فيها الحد والا لزم التركيب
ولا الرسم اذ لا يفيد الكنه واجيب بمنع انحصار التصور فيما ذكر اذ قد يحصل بالالهام
ولو سلم فالرسم قد يفضي الي الكنه وفي هذا نظر واما المحدث فيقول قال الله تعالي
ولا يحيطون به علما وفي الحديث عنه عليه السلام لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم
العلم الذي ليس بعده جهل ولا يعلمه احد الحديث واما الصوفي فيقول اما الاحاطة
بحيث لا تمكن الزيادة فلا وهو غير واقع ولا يقع من حيث قضية الوجود وان كان
جايزا من حيث قضية الامكان وقد قال تعالي وقل رب زدني علما وقال عليه الصلاة
والسلام لا احصي ثنا عليك وتي محله لا نعلمها الان ويشير الي زيادة العلم بالله واما غير ذلك
بحيث يكون ما حصل من العلم بالله لاهل النظر والاستدلال فوقه ما حصل من العلم بالله
لاهل الكشف والعيان حتي يكون ذلك نسبة من العلم الاول الحاصل لاهل النظر كنسبة
العلم بكنه الشيء وحقيقته علي التمام الي العلم بوجهه ورسمه فذلك جايز وواقع وبذلك
تفاوتت مراتب الرجال وقد تكلمنا علي تفاوت المعارف الانسانية في رسالة المعرفة

الموضوعة في قوله عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه وبالجملة فالعلم بالله يرجع
الي العلم باسمايه اعني العلم الحقيقي كما هو عند اهل الله ثم الاسما الالاهية مهيمنة
اي يحيط بعضها ببعض واتمها احاطة اسم الله والمتحقق به علما يعلم جميع الاسما
الذي هو مهيمن عليها ثم العلم بهذا الاسم تحققا لا انتناهي وجوهه تفصيلا وفي كل
وجه تحقيقا وتحصيلا وهذه الوجوه هي المعلومة للعباد عند رفع الحجاب وذلك
من حيث اسم الرب المتجلي بعمته علي عبده حيث تجلي عليه بوجهه وبهذا يفهم
ما ينقل عن الاشياخ من اطلاق العلم بالله والله يلهمنا الي السداد وهو الولي
الهاد وهنا انتهي الكلام علي ما يجب لله قال وان رؤيته صحيحة واقعة اقول
يعني ما يجب الايمان به ان صانع العالم جل وعلا تصح رؤيته عقلا وتقع سمعا
والرؤية عند اهل السنة والجماعة ادراك يخلقه الله في الحاسة المخصوصة لا يتوقف
علي خروج الشعاع ولا انطباع ولا علي قرب مخصوص ولا علي بنية مخصوصة وان استمرت
العادة بذلك بل يجوز ان يخلقه الله في القلب او غيره من الاعضا وبالجملة فالمعني
من الرؤية هو ما نجده من التفرقة بين ادراك البدر حالة تقليب الحدقة وصرف البصر
اليه وبين ادراكنا له حالة انصراف البصر او تغميضه عنه فالادراك الاول
هو المسمي بالرؤية الثاني هو المسمي بالعلم واذا انقرر هذا فنقول قد اتفق اهل السنة
والجماعة علي جواز تعلق ذلك الادراك المسمي بالرؤية بالباري جل وعلا علي وجه لا ينافي
تقديسه مما جرت به العادة في رؤية الاجرام بل تتعلق به الرؤية علي نحو ما تعلق
به العلم منه وكيفية تعلق ذلك الادراك به جل وعلا ليس من قبيل المعتاد وقد
جا في بعض الاحاديث ايما الي وجه ذلك التعلق وهو مما خرجه القشيري في رسالته
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في الجنة في
مجلس لهم اذ سطع لهم نور علي باب الجنة فرفعوا روسهم فاذا الرب جل وعلا قد اشرف
فقال يا اهل الجنة سلوني فقالوا نسيلك الرضا عنا قال فيقول رضاي عنكم احللكم داري وانالكم
كرامتي هذا اوانها فسلوني قالوا نسيلك الزيادة قال فيوتون بنجايب من ياقوت احمر
ازمتها زمرد اخضر وياقوت احمر بجاوا عليها تضع حوافرها عند منتهي طرفها فيامر الله باشجار
عليها الثمار وتجي خدام من الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات فلا نباس ونحن الخالدات فلا نموت

ازواج قوم مومنين كرام ويامر الله تعالي بكثبان من مسك ابيض فتنثر عليهم ريحا يقال
لها المثيرة حتي تنتهي بهم الي جنة عدن وهي قصبة الجنة فتقول الملايكة يا ربنا قد جا القوم
فيقول تعالي مرحبا بالصادقين مرحبا بالطايعين قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون
الي الله تعالي فيتمتعون بنور الرحمن سبحانه حتي لا يبصر بعضهم بعضا ثم يقول جل وعلا
ارجعوهم الي القصور بالتحف قال فيرجعون وقد ابصر بعضهم بعضا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذلك قوله سبحانه نزلا من غفور رحيم ثم بعد الجواز اتفقوا علي الوقوع
في الجملة واختلفوا اهل الوقوع مخصوص بالاخرة وهو قول جماعة واحد قولي الاشعري
وظاهر قول مالك او غيره مخصوص بل تقع في الدنيا وهو قول الكثير من السلف
والخلف من اهل الحديث والتصوف والنظر واذا قلنا بانه غير مخصوص بالاخرة فهل
هو مخصوص بالانبيا او غير مخصوص بل يجوز للولي قولان للاشعري وعلي انه مخصوص
بالانبيا فهل هو خاص بنبينا صلى الله عليه وسلم او غير خاص بنا كما علي ان موسي
عليه السلام راي ربه ام لا وبالجملة فقد اتفق الكل علي وقوعها في الاخرة لجميع المومنين
واما في الدنيا فاختلف فيه عليه السلام علي آرا ثلاثة الاول انه راي ربه
وهو قول اكثر السلف وجماعة الصوفية قال النووي وهو الصحيح الثاني انه لم
يره وهو قول اكثر الاشاعرة وبعض السلف الثالث الوقف وهو اختيار القاضي عياض والحق
انه عليه السلام راه وان ذلك مخصوص به دون ساير الانبيا ثم هل يجوز ذلك لاوليا
امته علي سبيل الكرامة وطريق التبعية في ذلك قولان للاشعري واكثر اهل التصوف
خصوصا المتاخرين علي ان ذلك يجوز كرامة وكرامات اوليا امته معجزة له صلى الله
عليه وسلم والي لطيفة هذه الكرامة اشار الاشياخ رضي الله عنهم بالرونقة والخوخة
والباب وقاب قوسين واو ادني الي غير ذلك كما هو في اشاراتهم هذا حال اليقظة
واما النوم فاتفق الاكثر علي جوازه ووقوعه وحكي عن كثير من السلف فلا وجه لمن
منع وهذا المعتقد اما جوازه فيصح التمسك فيه بالسمع والعقل واما الوقوع
فليس الا بالسمع اذ العقل لا يهتدي الا وقوع جايز اما الدليل العقلي فتقريره
ان يقال الباري موجود وكل موجود يصح ان يرا فالباري يصح ان يرا اما الصغري
فضرورية واما الكبري فلانا نري الجواهر والاعراض قطعا والرؤية مشتركة بينهما

وكل مشترك يجب تعليله بما هو مشترك بين الجواهر والاعراض عملا بالاستقرا الآحاد
الامور الثلاثة وهي الوجود والحدوث والامكان لا جايز ان يكون الحدوث او الامكان
اذ هما عدميان والعلة يجب ان تكون وجودية فيتعين ان يكون الوجود والوجود
مشترك بالاشتراك المعنوي بين الموجودات كما برهن عليه في محله فكل موجود يصح
ان يرى عملا بالوجود المشترك وهو المطلوب وفيه نظر في جميع مقدماته وان كان
اجيب عنها بما اومانا اليه في التقدير لكن هناك اعتراض قوي وهو ان وجود الصانع
هو الوجود المجرد الذي هو عين ذاته وذلك لم يقع به اشتراك وانما وقع الاشتراك
في الوجود العارض المقول على وجوده ووجود الممكنات بالتشكيك والشي المقول
بالتشكيك لا يلزم اتحاد معروضاته في جميع احكامه وما يقال من ان علة صحة
الرؤية هو متعلقها ومتعلقها هو الوجود المطلق اي كون الشي ذا هوية ما لا
خصوصية الوجودات والهويات فضعيف اذ الهوية المطلقة المقولة بازا الهويات
ليس الامن الاعتبارات وان معقوليتها عليها بالعرض لا بالذات وما يقال بالعرض لا يلزم
اتحاد معروضاته في احكامه ثم لا يخفى على ذي فطنة ان المدرك انما هو خصوصية
الوجودات لا الهوية المشتركة ثم الدليل منقوض بالملموسات فانا نلمس الجواهر والاعراض
واللمس محال ان يتعلق به قال الشيخ سعد الدين وهو قوي وقال الامدي اختلف
الاصحاب فمنهم من عمم وقال الباري يدرك بالادراكات الخمس للدليل المذكور
لكن لا نحو المعتاد منها بل كما يرى قال وهو قول الشيخ ومنهم من قال ان ساير الادراكات
لا تعم كل موجود فان ادراك السمع خاص بالمسموعات وادراك اللمس خاص بالملموسات
والباري ليس بصوت ولا الصوت صفة له ولا كيفية ملموسة ولا صفة لها وكذلك
يقال في ساير المدركات الخمس ما عدا البصر وعلى القول بان هذه الادراكات تتعلق به
على قول الشيخ فليس المراد خصوصيتها وانما هو ان مطلق الادراك من غير كيفية
وعلى مقتضى هذا الدليل ايضا جوز الشيخ تعلق الرؤية بصفاته جل وعلا وهذا الا
يقتضي الوقوع اذ العقل لا مجال له فيه ولا يقتضي وقوع وغاية الدليل ان سلم
الجواز ولاجل ضعف هذا الدليل اختار المتاخرون دليل السمع وتقريره ان يقال
قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك ووجه الاستدلال

من وجهين

من وجهين احدهما انه لو لم يجز الرؤية لما طلبها موسى عليه السلام واللازم باطل
بالاجماع وتواتر الاخبار وبيان اللزوم ان موسى عليه السلام عالم بما يجوز على
الله وما يستحيل عليه والا يلزم الجهل وهو محال على الانبيا واذا كان عالما بما لا يجوز
والرؤية مما لا يجوز على ذلك التقدير يكون طلبه للرؤية عبثا وذلك على الانبيا
محال الثاني ان الحق جل وعلا علق الرؤية على استقرار الجبل الممكن استقراره والمعلق
على الممكن ممكن والرؤية ممكنة وهو المطلوب وما تعترض به الخصوم لجهالة
لا تسمع واكثرها لا يصدر من مسلم معترفا بحق الانبيا واما الوقوع فثابت بنص
الكتاب والسنة واجماع الامة اما الاجماع فقد اتفقت الامة قبل حدوث المخالفين
على وقوع الرؤية وان الايات والاحاديث الواردة في ذلك على ظواهرها ولقد روي
حديث الرؤية احد وعشرون رجلا من اكابر الصحابة واما الكتاب فقوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتقريره عند الايمة ان النظر الموصل
بالى اما بمعنى الرؤية او هو ملزوم للرؤية بشهادة النقل عن ايمة اللغة فهو اما
حقيقته واما مجازا عن الرؤية لكونه عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته
وقد تعذرت هاهنا الحقيقة لامتناع المقابلة والجهة فتعينت الرؤية
لكونها اقرب المجازات الى الحقيقة ثم اشتهر هذا المجاز بحيث التحق بالاستعمال
الحقيقي كما يشهد به العرف وتقديم المتعلق للاهتمام ورعاية الفاصلة او
للحصر بمعنى ان المؤمنين من حيث شدة تعلقهم بمشاهدة جماله فكانهم لا ينظرون
الا الى ربهم او لا نظر لهم لغير ربهم حقيقة وهذا يختلف بحسب المعرفة بالله
تعالى ومنه قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون خص الكفار بالحجاب
تحقيرا لهم واهانة فلو لم يكن المؤمنون خلافهم لعم التحقير وبطل التخصيص
ومنه قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسرت ايمة التفسير الحسنى
بالجنة والزيادة بالنظر الى وجه الله الكريم عملا بما روي عنه صلى الله عليه وسلم في
ثبوت وقوعها بسؤال ودون سؤال كقوله عليه السلام انكم سترون ربكم
كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فقد قيل انه روى حديث الرؤية احد
وعشرون رجلا من الصحابة رضي الله عنهم واما المحدث فحاله في هذه المسيلة لا يزيد

واما السنة فقد ثبت في ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم

علي حال الاشعري الا بتصحيح الاحاديث الدالة علي هذا المعتقد علي ما يليق بجلاله
جل وعلا ولا عبرة بالمشبهة اذ دخولهم في اهل السنة والجماعة محل نظر بل ليسوا
منهم واما الصوفي فيقول بجميع ما تقدم ويزيد باشارته الوجدية فيقول
العبودية نسبة العبد الي ربه والربوبية نسبة الرب الي العبد ومن المعلوم عقلا
ان معقول كل واحد من النسبتين متوقفة علي الاخري تعقلا ووجودا فادراك
العبودية يكون معه ادراك الربوبية لا محالة وادراك العبودية علي مراتب
خيالي وهمي وعلم يقيني وذوقي كشفي وشهود حسي وهذا كله خاص بالمتوجهين
فالاولي لاهل الفرق من المريدين والثانية لاهل الجمع من السالكين والثالثة
لاهل جمع الجمع من الواصلين والرابعة لاهل وحدة الجمع والوجود من المقربين
وقد سئل سهل رضي الله عنه عن المشاهدة فقال العبودية وقال ايضا الي اربعون
سنة اخاطب الحق والناس يظنون اني اخاطبهم وقد نبه المعلم الاعظم صلي الله
عليه وسلم بقوله انكم سترون ربكم وقال تعالي سبحان الذي اسري بعبده فخص
مواطن المشاهدة والرؤية بذكر اسم العبد واسم الرب تنبيها علي ما اشرنا اليه وقد
تقدم الكلام علي العبودية فاعرف ذلك وتحقق بعبوديتك فان الخير فيها ومنها
فافهم قال وانه موصوف بالوجه واليدين والاستوا علي راي اقول يريد
ان مما يؤمن به علي راي بعض اهل السنة ان الصانع جل وعلا موصوف بصفة
هي الوجه وبصفة هي اليدان وبصفة هي الاستوا وكذلك جميع ما ورد به السمع مما
ظاهره محال ان يتصف به كالعين والجنب والفوقية الي غير ذلك وبالجملة فقد
اتفق اهل السنة والجماعة علي اتصافه جل وعلا بالحياة والعلم والقدرة والارادة
والسمع والبصر والكلام واختلفوا في صفات اخر وتفصيل المسيلة ان نقول بعد اتفاقهم
علي ما ذكر اختلفوا اولا هل يجوز اتصاف الصانع بصفات اخر ام لا فقال بعض اهل
النظر لا متمسكا بانه لا دليل علي صفة اخري ولا دليل عليه وجب نفيه وانت تعلم
انه لا يلزم من نفي الدليل نفي المدلول مع انا لا نسلم نفي الدليل وكيف والسمع طريق
مستقل فيما لا تتوقف دلالة السمع عليه من الصفات والاسما وتمسكوا ايضا بانه
لو كانت لعرفت لوقوع التكليف بكمال المعرفة وانت تعلم انه لا يلزم من وقوع الشي

معرفته ولا من وقوع التكليف بكمال المعرفة الممكنة من المكلف حصول المعرفة
بجميع اوصاف المكلف بمعرفتها لجواز ان تكون بعض الاوصاف مما لم يمكن
للمكلف معرفته وشرط المطلوب الامكان ولو سلم فقوله لم تعرف ممنوع وكيف
والشرع جا باوصاف اخر ثم من ذلك ما ورد به ظاهر الشرع وامتنع حمله علي حقيقته
كاليد والعين والوجه والاستوا والفوق والقدم والصورة والاصبع فهذه
وما اشبهها مما اختلف اهل السنة والجماعة بعد صرف المحمل المحال فيهما علي اقوال
ثلاثة القول الاول قول جماعة من السلف الصالح من اهل الفقه والحديث كمالك
والشافعي وهو احد قولي الاشعري انها صفات زايدة علي الصفات السبع الله اعلم
بحقايقها وقد نص مالك علي ما هو في السماع ان من صفاته الوجه واليدين
والعينين وجعلهما ابن رشد خمسة صرح بذلك في البيان والحاصل انه يعتقد
احالة ظواهرها المنافية للدليل العقلي والنص السمعي من قوله جل وعلا ليس كمثله
شيء ويعتقد انها صفات له جل وعلا ازلا وابدا ويكل العلم بحقايقها الي الله
من غير تعرض لي تاويل يردها الي الصفات التي ثبتت بالعقل كالحياة والوجود
والعلم والقدرة والي هذا يشير ابن حنبل رضي الله عنه بقوله الايات المتشابهات
خزاين مقفلة حلها تلاوتها وما ينسب الي الحنابلة من غير هذا مما يقتضي التشبيه
والجسمية والجهة الحسية والبينونة الحسية فاما ذلك اعتقاد من جهلتهم وليسوا
من اهل السنة في شيء فاذ لم ينقل ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم اذ محال ذلك
ولا عن التابعين لان اهل السنة والجماعة متفقون علي التنزيه المطلق المحكم
سمعا وعقلا الثاني ان هذه الالفاظ لما تعذرت ارادة الحقيقة منها في كلها
تدل بالمجاز علي تلك الصفات الثابتة عقلا وسمعا وهذا قول الحذاق من الاشاعرة
وغيرهم الثالث الوقف وهو اختيار صاحب المواقف والمقترح اذ بقي بعد صرف
المحال اكثر من محمل واحد ثم اعلم ان اهل التاويل اختلفوا في كيفيته علي طريقين
الاولي طريق الاقدمين كابن فورك حملها علي مجازاتها الراجعة الي الصفات
الثابتة فقالوا اليد تطلق حقيقة علي الجارحة ومجازا علي لازمها اما القدرة بعلاقة
ان اليد في الشاهد محل لظهور سلطان القدرة واما النعمة والعطا بعلاقة ان اليد

وقال اكثر اهل السنة بجواز ان يكون الباري جل وعلا متصفا بصفات صح

في الشاهد سبب لها ظاهر وكا نها عنها تنشا ولما كان الامر هكذا احسن اطلاق
اليد واريد به القدرة قصد المبالغة اذ المجاز ابلغ كما قرر في صناعة البيان والعين
تطلق ايضا على الجارحة حقيقة وتطلق مجازا على لازمها اما الادراك البصري بعلاقة
ان العين في الشاهد محل له او الحفظ بعلاقة انه في الشاهد انما يكون تمامه بالعين
تحسن كما ذكر اطلاق العين في حقه جل وعلا على بصره الكريم او على الحفظ بحسب
المقام والوجه يطلق ايضا على الجرم المخصوص الذي به يمتاز شخص عن شخص وقد
يطلق على ذات الشيء لعلاقة الملاحظة التابعة للتعين والتمييز كما يقال اعطيته
لوجه فلان يعني ذاته تحسن كما ذكر اطلاق الوجه على ذاته جل وعلا اشعارا بما منه
تعين به وكذا الاستوا يطلق ويراد به الاستقرار والتمكن ولازمه علو المتمكن على
المتمكن عليه ضرورة ان من استقر على شيء علا عليه تحسن كما ذكر من المبالغة اطلاق
الاستوا والمراد به الاستعلا كما في قوله الرحمن على العرش استوا وخص العرش لانه
اعلا الموجودات حسا والمراد من ذلك علو المكانة الذي تقتضي العظمة والكبريا
والقهر لجميع العباد وكذلك يقال في جميع ما جا في هذا الباب على هذا السبيل ثم عرفه
الطريق الثاني طريق المتاخرين الذين اكتحلت اعين بصا برهم بعلمي المعاني والبيان
وهي التي كانت متقررة في قلوب الصحابة والتابعين قبل دخول العجمة على القلوب
وذلك برد هذه المتشابهات الى التمثيل الذي يقصد به تصوير المعاني العقلية
بابرازها في الصور الحسية قصدا الى كمال البيان كما يقال في اية اليد مثلا في قوله
تعالى لما خلقت بيدي تمثيل وبيان لكيفية خلق الله لادم وانه مخلوق له
جل وعلا لا محالة مع ما يصحب ذلك الخلق من كمال العناية كقولهم اخذ فلان
الامر بكلتي يديه اي هو فاعله ومعتن به على كل وجه من غير ان ينظر الى تحقق مفردات
هذا التركيب في جانب ما اريد به فلا يتكلف للفظ اليد مثلا معنى مناسبة
وانما ينظر الى الخلاصة والمقصود وقد يقال في سر تثنية اليد على هذا الوجه
كما اشار اليه الشيخ سيدي ابو الحسن الحرالي ان اليدين اشارة الى ما اجتمع فيه
من اثار القدرة الالهية وذلك هو ما اعطي من النور الذي هو خلق اصل الملايكة
كما قال عليه السلام خلق الله الملايكة من نور كما هو في مسلم ومن النار على ما يشير اليه

قوله

قوله تعالى من صلصال كالفخار الذي هو خلق اصل الجن الذين منهم ابليس فكان
ابليس ناقص النظر في اعتقاده خلق ادم من الطين وحده ولم يبن له ان ادم مجموع
خلقه اخذ من النار والطين واشرفها فكان يحق له بذلك ان يستحر له ويلتزم عهد ذلك
بالسجود له كما التزمته الملايكة لمقتضى ما هو عليه من النور الذي من اجله سجدت
له الملايكة ولم يزل مستمدا منها خيرا هو وذريته فكذلك كان يجب بمقتضى الحكمة
ان يسجد ابليس لما في خلق ادم من لطيف النار حتى كان يجد هو وذريته منه مددا
يناسب امر النار وهذان المعنيان اللذان هما النور والنار المجتمعان في خلق
ادم مفهوما البيان من لفظ اليدين من غير التفات ولا نظر الى ما يرجع لمدلول
اليدين في حق الباري وبهذا تمت الحجة على ابليس في الزامه السجود حيث
سجدت الملايكة لمقتضى ما فيه ولم يسجد هو مع وجود المقتضي المناسب واية
العين تمثيل للحفظ والكلاة على هذا الوجه المذكور ورد على هذا القياس قال
وبصفة توجب الاستغنا عن المكان على راي قول يريد ان مما يجب
الايمان به على راي ان صانع العالم موصوف بصفة توجب الاستغنا عن
المكان لمعنى قايم به زايد على ذاته لا لذاته وهذا هو راي ابي اسحق الاسفرايني
والجمهور على خلافه وان الاستغنا عن المكان لذاته لا لصفة زايدة على ذاته
اما اولا فلان الاستغنا عن المكان امر سلبي والامور السلبية لا تعلل بصفة
المعنى وثانيا لانه لو كان مستغن عن المكان لا لذاته بل لصفة زايدة على ذاته
لكان قابلا له من حيث ذاته لولا تلك الصفة وهذا محال اذ واجب الوجود من حيث
معقول ذاته مستغن عن المكان قال وبصفة الشم والذوق واللمس على راي قول
يريد ان مما يجب ايضا الايمان به اتصاف الصانع بهذه الاشيا اعني بادراك
المشمومات والمذوقات والملموسات من غير اتصال ولا حاسة وهذا هو راي
القاضي ابا بكر في علا بانها صفات كمال واضدادها نقص فتتعين كما قيل في السمع
والبصر على احد الطريقين والجمهور على خلاف ذلك اذ لم يرد به سمع والسمع هو المعتمد
في ذلك وايضا لابهام لما فيهما من الاختصاص بالاتصال والملاقاة قال
وبالقدم غير البقا على راي قول يريد ان مما يجب الايمان به ان صانع العالم موصوف

حنبليون الاستغنا عن المكان م

بصفة للقدم زايدة على ذاته اوجبت له انه قديم وهذه الصفة غير
صفة البقا التي اثبتها الشيخ كما تقدم وهذا راي عبد الله بن سعيد والحاصل
انه يرى انه قديم بقدم باق ببقا وان القدم غير البقا والحق ما ذهب اليه الجمهور
من ان القدم يرجع الى صفة سلبية كما تقدم في المقدمة وانه قدم لذاته والا
كان قابلا لضد ذلك من ذاته وهو محال قال وبالعالمية والقادرية والمريدية
والحيية عند مثبتي الاحوال اقول يريد ان مما يجب الايمان به ايضا على راي
من اثبت الاحوال وهو القاضي الباقلاني ومن تبعه كامام الحرمين في احد قوليه
صفة العالمية والقادرية وبالجملة جميع الصفات المعنوية التي هي الاحوال
المعللة بالصفات المعاني التي تقدم بيانها من الحياة والعلم والقدرة والارادة
والسمع والبصر والكلام وهذا الراي بالتحقيق فرع اثبات الحال والحق نفيه كما حرر
في علم الكلام والكتب المطولة قال وبعلوم متعددة على راي اقول يريد ان مما يجب
الايمان به على راي وهو راي ابي سعيد الصعلوكي ان صانع العالم موصوف بعلوم
متعددة بتعدد المعلومات عملا باعتبار الغايب بالشاهد والصواب انه جمود مع
الشاهد والحق ما ذهب اليه الجمهور من ان العلم واحد والتعداد في التعلق لا في العلم
والا لزم تعدد القديم من غير موجب ضرورة بقا العلم مع كل متعلق فيتعلق به وهو
المراد قال وبالرحمة والرضا والكرم غير الارادة على راي اقول يريد ايضا ان مما يجب
الايمان به على راي وهو راي ابي عبد الله بن سعيد ان صانع العالم موصوف بالرحمة
والكرم والرضا كذلك زايد على الارادة عملا بظاهر السمع وعلى هذا علما الحديث والحق
ما عليه الجمهور من ان ذلك كله يرجع الى الارادة باعتبار تعلقها او نفس التعلق وقد
تقدم تحقيقه فانظره قال والصحيح انه لا دليل على هذه الصفات لا اثباتا ولا نفيا
اقول يريد ان هذه الصفات المختلف فيها المذكورة في هذا الفصل لا دليل في العقل
ولا في السمع على اثباتها ولا نفيها وقد ورنا ذلك بل ربما قام الدليل على نفيه والله اعلم
تتميم من الصفات التي اختلف فيها صفة التكوين والتاثير الذي يكون عنه حصول
الاثر وحاصله اخراج الشي من العدم الى الوجود اثبتها ابو منصور الماتريدي وسائر
الحنفية ونفى ذلك الاشعري والحاصل ان الحنفية اثبتت معنى زايدا على القدرة يسمونه

بالتكوين

بالتكوين والتاثير والتخليق والترزيق باعتبار متعلقاته من الخلق والرزق وغير
ذلك والعمدة في اثباته ان الباري تعالى مكون للاشيا اجماعا وهو بدون صفة
التكوين محال كالعالم بلا علم ثم قالوا لا بد ان تكون ازلية لامتناع قيام الحوادث
بذاته والجواب ان هذا انما يكون في الصفات الحقيقية كالعلم والقدرة ولا نسلم ان التكوين
كذلك بل هو معنى اضافي يعقل من اضافة المؤثر الى الاثر باعتبار تعلق قدرته بمعقول
المقدور لوقت حصوله وهذا التعلق هو بالتحقيق مسمى التكوين والتخليق وغيره فلا
يكون معقوله الا فيما لا يزال عند اعتبار الاضافة والمكون لا يتوقف في حصول
الكون الا على صفة القدرة والارادة التابعة للعلم فقط والحاصل ان المعقول
هناك اربعة ذات المؤثر وما به التاثير وهو القدرة والاثر وهو المكون والتاثير
وهو النسبة الاضافية اما الذات المؤثرة وما به التاثير والاثر فلا شك انها حقايق
موجودة خارجية واما التاثير فلما كان يتوقف تعلقه على غيره الذي هو تعقل
الاثر والاثر حادث وما يتوقف على الحادث حادث وايضا ما يتوقف على غيره نسبي
والنسبي اضافي والاضافي لا وجود له في الخارج فعند ذلك قال الشيخ ليس ثمه
الا القدرة واما تعلقها بالاثر وهو المسمى بالتاثير فلا وجود له في غير الذهن
وليس في الخارج الا الاثر ومن ثم قال الخلق هو المخلوق يعني في الخارج لا في التعقل
فالحق ما ذهب اليه الشيخ من ان التاثير صفة اعتبارية ولا دليل على تحققه
في الخارج كما نبهنا عليه والله اعلم بالصواب قال وانه واحد بصفاته اقول
ان مما يجب الايمان به ان صانع العالم واحد وقوله بصفاته اي هو واحد مصحوبا
اي هو واحد وان تعددت صفاته فان تعدد الصفات لا يلزم منه تعدد الموصوف
وقد تقدم الكلام على الوحدة وعلى الواحد وعلى ما يقال عليه الواحد واقسام التوحيد
وبقي هاهنا التعرض للدليل على هذا المطلب بحسب الطرق الثلاث فنقول بعد ان تعلم
ان الاله هو الذي يكون موصوفا بصفات الكمال الشي من اجلها يرجع اليه كل ممكن
ويتوقف في ماهيته ووجوده عليه ومرجع ذلك الكلام الى انه موصوف بصفة هي
ان شا فعل وان شا لم يفعل اما الاشاعرة فعمدتهم في ذلك من جهة العقل الدليل
الموسوم بدلالة التمانع وحاصله ان يقال صانع العالم واحد بمعنى انه ليس مولها

من اجزا حتى ينقسم اليها فيلزم نفي الكم المتصل اعني المقدار عنه وانه واحد بمعني لا ثاني له
فيلزم نفي الكم المنفصل عنه اما الواحد بالمعني الاول فقد تقدم واما الثاني فانه
لو كان صانع العالم اكثر من واحد لزم ان لا يوجد شيء من العالم والثاني باطل بالضرورة
فالمقدم مثله اما الملازمة فلانه على ذلك التقدير لو اراد احد الالهة وجود شيء من العالم
فاما ان يريد الاخر وجوده ام لا وعلي ذلك فاما ان يريد العدم ام لا يريد لا عدما ولا
وجودا والتالي باطل باقسامه فالمقدم مثله اما الملازمة فلضرورة الحصر واما بطلان
التالي فاما القسم الاول وهو ان يريد الاخر الوجود فهو محال لما يؤدي اليه من اجتماع
موثرين على اثر واحد ومنقدر واحد بين قادرين ان نفذت ارادتهما والعجز والترجيح
من غير مرجح ان نفذت ارادة احدهما او العجز ومخالفة الواقع او وقوع الممكن بنفسه
ان لم تنفذ ارادة واحد منهما واما القسم الثاني وهو ان يريد الاخر عدمه فهو محال
ايضا لما يؤدي اليه من اجتماع النقيضين ان نفذتا معا او ارتفاعهما ان لم تنفذا معا
او ارتفاعهما ان لم تنفذا مع العجز والترجيح من غير مرجح ان نفذت ارادة احدهما واما
القسم الثالث وهو ان لا يريد الاخر وجودا ولا عدما فعدم ارادته لا تخلو اما ان يكون
لاجل ارادة الاخر وهو محال لما يلزم من العجز وترجيح احد المثلين او لا لاجلها فارادته
للوجود وللعدم ممكنة الوقوع على ذلك التقدير وكل ممكن لا يلزم من فرض وقوعه محال
فنفرض وقوع ارادته لاحدهما لكن ارادته لاحدهما محال على ذلك التقدير كما تقدم
فيكون محالا وما استلزم المحال فهو محال فالاله الزايد على الاله الواحد محال وهو المطلوب
والى هذه الدلالة اشار بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم هذا المطلب
مما يصح التمسك فيه بالسمع لعدم توقف السمع عليه وادلته من السمع كثيرة وهي متمسك
المحدثين قال تعالى والهكم اله واحد وقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله
واحد الله لا اله الا هو قل هو الله احد **وبالجملة** فعدد اية كثيره ولا اعتنا الحق به اكره
خبرا وشهادة وقسما عليه خبرا بقوله والهكم اله واحد وشهادة بقوله شهد الله انه لا اله
الا هو الاية وقسما بقوله والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد وتكررت اي التهليل
في القران في ست وثلاثين موضعا منه **وبالجملة** فالانبيا والرسل عليهم السلام انما
بعثوا من اجل التوحيد كما تقدم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وسورة هود

والاعراف

46

والاعراف تبين ان ذلك من حيث اخبر الله به عن انبيايه مع اممهم **واما**
الصوفي فيقول انما تقدم ويزيد اشارة بان الكمال المطلق واحد اذ لو كان متعددا لما
كان مطلقا بل مقيدا ولو بنفي ما يدخل تحت العدد معه عنه والاله لا يكون الا كاملا
بالكمال المطلق والكمال المطلق لا يتعدد فالاله لا يتعدد ونقول ايضا الاله لو كان
متعددا لكان العدد ذاتيا له اذ لو لم يكن ذاتيا كان لغيره ولو كان لغيره لاحتاج
في تعدده الى الغير ولا شيء من المحتاج باله وباطل ان يكون التعدد ذاتيا له والا
كان موقوفا على ما يتعدد معه من ذاته وما يتعدد معه غيره فيكون موقوفا على غيره
من ذاته وكل ما هو موقوف على غيره من ذاته فهو ناقص لذاته وايضا كمال كل موجود
في العالم بحصول حقيقة نوعه على التمام كالانسان مثلا وحقيقة كل نوع على التمام
واحدة وانما التعدد في الاشخاص ثم كل شخص وجوده بحصول تشخصه وتشخصه واحد
فاذا لكل شيء وحدة تخصه دايما او وقتا ما هو بها هو اما نوعا او شخصا وكل ما زاد
على وحدته التي هو بها واحد فهو وحدة لغيره فاذا جميع الموجودات كلها وحدات
وهي كلها اثار له فالاله واحد ومن هنا قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد فقد
ثبت ان صانع العالم واحد واذا كان واحدا فهو لا مثل له يماثله في حقيقة ذاته ولا في
حقايق صفاته لا من غير الممكنات والا لما كان واحدا ولا واجب الوجود لما يلزم
من التركيب على ذلك التقدير ولا من الممكنات والا لكان ممكنا ضرورة ان ما يماثل
الممكن ممكن لان المثلين هما المشتركان في صفات النفس وذلك كله محال وهذا نص
قوله تعالى ليس كمثله شيء سوا قلنا ان الكاف صلة وهو على التقدير نص في المعنى او ليست بصلة
ويكون صريحها نفي مثل المثل ويلزم منه نفي المثل قطعا والا يلزم ثبوت مثل المثل والاية نص
في نفي مثل المثل تبين من هذا ان صانع العالم مخالف لساير الحوادث وانه جل وعلا لا نظير له
ولا مثال وهو احد المطالب الاعتقادية وهو متحصل ما تقدم من كلام المصنف في الصفات
التنزيهية فاعرف ذلك والله اعلم **تنبيه** ثبت مما تقدم ان الاله هو الذي لا يماثله
شيء وان نسبة الاشيا اليه على التسوية وبهذا يبطل قول المجوس وكل من اثبت الها غير الله
بل كل من اثبت موثرا غير الله تعالى من علة او طبع او ملك او انس او جن اذ دلالة التمانع
تجري في الجميع ولذلك لم يتوقف علماما وراء النهر في تكفير المعتزلة حيث جعلوا التاثير للانسان

ولم يتوقف جميع الفقها في تكفير من اعتقد تاثير النجم او طبيعة او ملك او غير ذلك والله اعلم قال وانه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره على الاصح اقول يريد بيان مما يجب الايمان به انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره والكلام على هذا المعتقد يرجع الى اطراف الاول التاثير وهو اخراج الشي من العدم الى الوجود كما تقدم والثاني القدرة والقدرة تطلق على صفة يتاتى بها الفعل على وفق الارادة والثالث مقدور العبد وهو الاثر الواقع في محل قدرته من حركته او سكونه الرابع العبد والمقصود منه هاهنا كل حادث وقع في محل قدرته فعل اختياري من انس او جن او ملك الخامس منشا الخلاف الكاين بين اهل السنة في هذه المسالة اتفق اهل السنة على عدم استقلال العبد بفعله وان له فعلا في الجملة فيما كسبا ينسب اليه بحيث يقال فعل ولم يفعل وانه يقع مغايرا لما يقع فيه اضطرارا ومن غير اختيار كالرعشة والمسحوب على وجهه وان ذلك الفعل الذي يسمى كسبا عليه يثاب وعليه يعاقب ثم اختلفوا فقال الشيخ وبعض اصحابه وجماعة الصوفية واهل الحديث ان للعبد قدرة تتعلق في الفعل يخلقها الله عند خلق الفعل من غير تاثير لها فيه وانما التاثير للباري جل وعلا وتلك القدرة المقارنة للفعل هي كسبه الذي جاء به السمع كما في قوله جل وعلا لتجزى كل نفس بما كسبت وهذا القول هو الذي جعله المصنف الاصح وقال الاستاذ فعل العبد بقدرة الله وقدرة العبد معا والكسب فعل فاعل معين وقال القاضي فعل العبد له ذات وحال فذاته بقدرة الحق وحاله وهو كونه طاعة او معصية بقدرة العبد والكسب تاثير قدرة العبد في حال الفعل من طاعة او معصية وقال امام الحرمين في غير الارشاد وهو اخر قوليه فعل العبد بقدرته التي يخلقها الله جل وعلا فيه حالة الفعل مخصوصا بارادة الله ومعلوم بعلمه لا بارادة العبد ولا بعلمه والكسب عنده تعلق قدرة العبد بفعله وتاثيره فيه على اقدار قدرها جل وعلا خصصها بارادته وكشفها بعلمه وهذا القول اخذه من اطلاق الاستاذ حيث قال الكسب فعل فاعل معين الا ان الاستاذ يرى الاعانة تعلق قدرة الله جل وعلا بما تعلقت به قدرة العبد والامام جعل الاعانة تعلق الارادة على وفق العلم بفعل العبد وكانه اراد ان يجمع بين ما نحسه من انفسنا حالة الافعال الاختيارية وبين عدم

الأثر

القدرة

مقدور العبد

الأقوال الواردة في ذلك من أئمة أهل السنة

احاطتنا بافعالنا وعدم ارادتنا اياها كما هو ظاهر في حالة الذهول والغفلة فيتعين ان يكون العلم هو التخصيص بارادته وهذا هو الاعانة وقال فخر الدين بن الخطيب الفعل الاختياري لا بد له من داع يحمل عليه وقدرة تتعلق به وليس الداعي من فعل العبد والا لزم التسلسل فهو من فعل الله والقدرة من فعله فالكل من فعله بلا واسطة او بواسطة وهذا يرجع الى قول الامام قال الاصبهاني ان الله خلق في العبد قدرة لكن تلك القدرة لا تاثير لها في الفعل الا ان يجعل الله فيها التاثير والكسب على هذا قدرة العبد المقارنة للفعل الذي تؤثر فيه عندما يجعل الله التاثير فيها للفعل قال سعد الدين الحق في الكسب انه ظاهر جلي لما نجده من انفسنا والخفا في التفسير والاوضح انه امر اضافي يجب من العبد ولا يوجب وجوب المقدور بل اتصاف الفاعل بالمقدور وذلك كتعيين احد الطرفين وترجيحه وصرف القدرة اليه وهذا القول اخذه مما اشار اليه الشيخ بمثال ضربه على ما نقله الشهرستاني في مسالك العقول قال سيل الشيخ عن الكسب فقال مثل خلق الله بفعل عبده وكسب العبد لفعله كسيد اجلس عبدا على شاقة سطح ووضع بين يديه حجرا وقال له ان رميته عاقبتك ووقف السيد على راسه بحيث يكون منه بمراى ومسمع ثم ان العبد بدا له ان يرمي الحجر فعقد ما عقد على ذلك وجزم عليه وانصرف بداعيته اليه رماه سيده من بين يديه فالفعل للسيد والجزم والقصد للعبد فكذلك الله يخلق للعبد العزم والقصد والقدرة المنصرفة للفعل وعند تمام ذلك يخلق الفعل فالكل منه واليه لا يسال عما يفعل وهم يسالون اذا تقرر هذا فالقول الاصح من هذه الاقوال عند المصنف هو قول الشيخ الاشعري رضي الله عنه وهو قول السلف الصالح كما قال في الارشاد اتفق ايمة السلف قبل ظهور البدع والاهوا على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها بقدرته من غير فرق بين ما تتعلق به قدرة العبد وبين ما لا تتعلق والدليل على ذلك العقل والسمع اذ هو المطلب فما يصح التمسك فيه بهما اما العقل فانه لو كان فعل العبد واقعا بقدرته لكان عالما به ضرورة انه محتاج له والاختيار فرع العلم والثاني باطل لما نجده كل عاقل من عدم علمه حالة قطعه لمسافة معينة بالاجزا والاحيان والحركات التي بين المبدا والمنتهى وكذا الانات التي بيا لغمها

زمان ذلك وكذا حالة نطقه بالحروف يجد كل عاقل من نفسه عدم العلم بالاعضا
التي هي الة النطق والمحال التي فيها مواقعهما وعدم العلم بهيئاتها واوضاعها وكل ذلك
ظاهر وايضا فلو كان فعل العبد بقدرته لزم اجتماع موثرين على اثر واحد وهو محال
لما يلزم عليه من اجتماع النقيضين وهو الاستغنا وعدم الاستغنا **واما** الملازمة
فلان فعل العبد ممكن وكل ممكن واقع بقدرة الله تعالى ضرورة ان الامكان هو المحوج
للسبب المعين لان غير المعين لا تحقق له والامكان معقول واحد في جميع الممكنات
فيلزم افتقار جميع الممكنات الى ذلك السبب المعين والا لزم الترجيح من غير مرجح
ولا جايز ان يكون ذلك السبب ممكنا والا لزم التسلسل فيكون واجب الوجود وهو
صانع العالم فتكون جميع الممكنات واقعة بقدرته فلو كان فعل العبد واقعا بقدرته
لزم المحال المذكور وهو المطلوب وايضا لو جاز ان يكون فعل العبد واقعا بقدرته
لجاز ان تكون الجواهر وساير الاعراض بقدرته والتالي باطل بالاتفاق فالمقدم
مثله **واما** الملازمة فلان المحوج لفعل العبد الى سببه هو الامكان او الحدوث
وكل منهما حقيقة واحدة في جميع الممكنات وهذه الادلة ظاهرة في مذهب الشيخ
مبطلة لما سواه فانظر **واما** السمع وهو متمسك المحدث فبالاجماع كما نقلناه وبالكتاب
والسنة ولا تحصى كثرة قال تعالى والله خلقكم وما تعملون ووجه الدلالة فيها
اما على ان ما مصدرية فظاهر وكذا على ان تكون ما موصولة فان نزاع الخصم انما هو
في الاثار التي هي الحركات والسكنات المعمولات لا في التاثير المتعلق بها اذ هو
نسبة اعتبارية كما تقدم وقال تعالى ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء ووجه
الدلالة ان الاية خرجت مخرج المدح فلا يصح ان يكون المخلوق بعض الاشيا اذ لو
كان المخلوق بعض الاشيا كما يزعم الخصم لما كانت مدحا اذ عنده كثير من الحيوانات
تخلق البعض فلا يكون ثم اختصاص به مدح فيتعين الجميع واذا تعين الجميع بطل ان يكون
خلقا لغير الله وذلك هو المطلوب وقال تعالى ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ووجه الدلالة كما قبلها مع ما فيها
من زيادة الانكار مرتبا لعنها على عين دعوى المخالف اذ هو يقول يخلق كخلقه على تقدير
ان العبد يخلق افعاله وفي الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام من حديث الايمان الطويل ان تؤمن

بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره
وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم المومن القوي خير من المومن الضعيف وفي كل خير
احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ولا تقل في شيء اصابك لو كان كذا لكان كذا
فان لو تفتح باب الشيطان ولكن قل قدر الله وما شا فعل وعن جابر كان النبي صلى الله عليه
وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قيل يا رسول الله اتخاف علينا
وقد امنا بك وبما جيتنا به فقال ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف
شا واشار الى السبابة والوسطى يحركهما **واما** الصوفي فيقول بما تقدم ويقول اذا
قيل له بم عرفت الله فيقول بنقض العزايم ويقول كيف يكون لغير الله فعل وهو معه
بعموم التكوين وما يبدو فيه من التحريك والتسكين وهو معكم اينما كنتم اي بكون
كونكم الشامل لكم ولذواتكم واعراضكم وافعالكم من حركاتكم وسكناتكم
قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت
وانا اول المسلمين **تتميم** اتفق اهل السنة والجماعة على ان صانع العالم جل وعلا
مريد لجميع الكاينات من خير وشر وايمان وكفر ضرورة انه جل وعلا فاعل للكل
فيكون مريدا للكل ضرورة انه فاعل بالاختيار وايضا فهو عالم بما لا يقع فلا يريده
لان الارادة صفة توجب تخصيص الحادث بحالة حال حدوثه عند تعلق القدرة به
فما علم انه لا يقع محال ان يقع وان كانت استحالته بالغير وكل ما هو محال ان يقع ولو بالغير
لا تتعلق به ارادته اذ لو تعلقت ارادته به على ذلك التقدير لكان متمنيا تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا **وقد** اتفق السلف الصالح على هذه الكلمة وهو حديث ما شا الله
كان وما لم يشا لم يكن وهي تلزمها ثلاث قضايا باعتبار العكس نقيضا وتساويا
وقال جل وعلا وربك يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم الخيرة وهذا المطلب ادلته
من الكتاب والسنة لا تحصى وهي متمسك المحدث **واما** الصوفي فيقول الارادة
لغيره لان الارادة صفة تتوسط بين صفتين احداهما تتعلق بايجاد الفعل وهي
القدرة والاخرى تتعلق بكشفه على ما هو عليه في نفسه وهي العلم وقد تقدم انهما لله
فقط فالارادة لله فقط وبالجملة فالتاثير لله والتخصيص الارادي لله والكشف العلمي لله
والعبد قابل لما يبدو عليه فيما يبدو فيه فمتى شا عبادة فهو كسبه وما لا فليس بكسبه

والكل فعل الله **تنبيه** اعلم انه لا خلاف بين اهل السنة والجماعة في اطلاق ان الكاينات
كلها بارادة الله على جهة العموم والاجمال واما على التفصيل فنقل عن عبد الله بن سعد
انه قال لا يجوز ان يقال المعصية مرادة لله تعالى لما يوهم ان تكون مامورا بها
على ما يسبق لبعض اوهام العوام كما توهمته فرق الاعتزال والشيخ رضي الله عنه
يرى جواز ذلك بتقييد يزيل هذا الابهام فيقال الباري مريد للمعصية وفرع من
مكتسبها ناه عنها معاقب على فعلها والحق ان ههنا مقامين **الاول** تحقيق ما في
نفس الامر **الثاني** التعبير بما يدل عليه **اما** الاول فقد اعطت الادلة العقلية
والسمعية والوجدانية انه جل وعلا مريد لجميع الكاينات على التفصيل وتفصيل التفصيل
من غير استثنا ولا تقييد بارادة واحدة من غير تقديم ولا تاخير ولا كثرة وانما
الاختلاف والكثرة في التعلقات فقط **واما** الثاني فالعمدة فيه انما هو الواردات
السمعية اذ ذلك عمل لساني والاعمال قد انقسمت من جهة الاحكام الشرعية
الى ما يجوز وما لا يجوز والعمل اللساني من ذلك بما كان منه على مقتضى الادب بحسن
الاطلاق وما لا فلا والاداب انما تعرف ممن **قال** ادبني ربي فاحسن تاديبي واذا تقرر
ذلك فقد ثبت في الشرع ما يدل على ان الادب عدم التصريح بما تعلق به النهي او كان
غير ملايم الطباع البشرية بنسبته اليه جل وعلا وان كان كل ذلك في نفس الامر ليس
الا منه **قال** تعالى حاكيا عن خليله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين والذي هو
يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين **وقال** جل وعلا حاكيا عن الخضر عليه
السلام اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها ثم **قال** واما
الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد
ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك **وقال** تعالى ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك بعد قوله قل كل من عند الله **وفي**
صحيح مسلم عنه عليه السلام في حديث التوجه الطويل الخير في يديك والشر ليس اليك
انا بك واليك الى غير ذلك والله تعالى اعلم **قال** وان العقل لا يستقل بادراك
كون الفعل او الترك متعلق المواخذة الشرعية فلا تحسين ولا تقبيح عقلا **اقول**
يريد ان مما يجب الايمان به ان العقل لا يستقل بادراك المواخذة الشرعية المتعلقة

بالعقل

بالفعل والترك فلا تحسين ولا تقبيح بالعقل وهذا المطلب الملقب عليه في الاصطلاح
بالتحسين والتقبيح العقليين وانما ذكره المصنف ليرتب عليه ما بعده من المطالب
اذ هي مرتبة على ذلك كما تقف عليه والحاصل ان اهل السنة والجماعة اتفقوا
على ان الافعال توصف بالحسن والقبح لكن لا لذواتها ولا لاوصافها ولا لا
لحقتها وانما توصف من حيث تعلق خطاب الشرع بها فان تعلق بها نهيا فهي قبيحة (في الهامش: اعتبارات)
فالقبح ما نهى الشارع عنه وان لم يتعلق بها فهي حسنة فالحسن ما لم ينه الله
عنه فالحسن راجع الى كون الفعل لم يتعلق به نهي والقبح راجع الى كون الفعل تعلق به
نهي فنفس التعلق اوجب له هذا الحكم من الحسن والقبح الذي هو محل النزاع بين اهل
السنة ومن خالفهم وهو كون الفعل بحيث يثاب على فعله ويمدح او يعاقب ويذم
هذا ولكن قد يطلق الحسن والقبح على معان اخر ليس شي منها محل النزاع كما يقال
الحسن ما وافق الغرض والقبيح ما خالفه او الحسن ما لا حرج فيه والقبيح مقابله او الحسن
ما كان صفة كمال في نفسه والقبيح مقابله **اذا تقرر** هذا فاعلم ان هذا المطلب مما يصح التمسك
فيه بالعقل والسمع اما العقل فهو انه لو حسن الفعل او قبح لذاته لما اختلف الا ان ما بالذات
لا يختلف لكنه قد اختلف كالقتل ظلما وحدا والضرب تعذيبا وتاديبا وايضا لو حسن
الفعل او قبح لغير الطلب لم يكن تعلق الطلب لنفسه لتوقفه على امر زائد على ذلك
التقدير وهو الحسن والقبح والثاني باطل لما يلزم عليه من تخلف الصفات النفسية
فالمقدم مثله واما السمع فلقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فدل على عدم
المواخذة قبل الشرع فيلزم ان تكون الاحكام بالشرع لا بالعقل وهو المراد وهذا الدليل
متمسك المحدث **واما** الصوفي فيقول الافعال كلها لها نسبتان نسبة التكوين ونسبة
التكليف اما نسبة التكوين فعامة لما تقدم من ان الافعال كلها فعل الله وقد **قال** تعالى
انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فالافعال بهذه النسبة لا توصف بحسن
ولا قبح لاستوا الايجاد بل هي حسنة من حيث علم الفاعل واراده **واما** نسبة التكليف
وهي الطلب فهي مختصة بافعال المكلف وهو الملك والجن والعاقل البالغ من الانس ومن
المعلوم ان الطلب للشي فرع العلم به ولا علم للحقيقة الا الله فلا تكليف ولا طلب الا الله وقد
انقسمت التكاليف الى طلب فعل والى طلب ترك فما تعلق الطلب بفعله جعله الشارع حسنا

يطلبه وما تعلق بتركه جعله الشارع قبيحا بطلب تركه وما لم يتعلق بتركه ولا بفعله
جعله حسنا لسلامته من طلب الترك ولانه يرجع الى مطلوب الفعل بالنية ولا شك
ان العقل لا يهتدي لوقوع ممكن والافعال كلها ممكنة ان تكون حسنة او قبيحة باعتبار
ما يعرض لها من تعلق الطلب وتعلق الطلب غيب فلا يعلم الا بالتوقيف السمعي النبوي
او بما يؤل اليه فاذا التحسن والقبح لا يدرك بمجرد العقل فلا حسن ولا قبح عقلا وهو
المطلوب والله اعلم قال وانه لا يجب عليه شي اقول يريد بيان مما يجب الايمان به
ان صانع العالم جل وعلا لا يجب عليه شي وهذا المطلب مما اتفق عليه اهل السنة والجماعة
وحاصله ان جميع الكاينات كيفما كانت على العموم كوجود العالم او على الخصوص
كوجود الانسان ووجود ما به يكون كماله من العقل وتفسير المطالب والصحة وسلامة
القوي وبعث الرسل والثواب على فعل الطاعات والعقاب على ضدها كل ذلك
لا يجب عليه منه شي جل وعلا لا بالوجوب العقلي ولا الشرعي ولا العادي ولا غير
ذلك لتجيع الكاينات بالنسبة اليه على السوية وانما المخصص لوقوع احد الجايزين مشيئته
وارادته المتعلقة بالشي تعلق التخصيص على وفق ما تعلق به العلم فجميع ما فعل مما فيه
لطف بعبده فمحض فضل وكرم واحسان منه اليه وفيه من تعذيب او ابتلا
او تضييق فمحض عدل منه اليه ولو شا لعكس وهذا المعتقد في غاية الوضوح بعد
بيان ما قبله ضرورة انه لو وجب شي فاما بالايجاب الشرعي وهو محال والا لزم
ان يكون مكلفا او بالايجاب العقلي والا كان عدمه يلزم منه محال ونحن نجزم ان
عدم ذلك لا يلزم منه محال لذاته ولا لغيره ولا عادي لما يلزم من تحتم فعله عليه
فلا يكون مختارا والعادة فعلة فلم تبق شبهة الا انه واجب باعتبار الحسن والقبح
العقليين لما يلزم على ذلك التقدير من عدم الحكم بوجوبه العبث الذي هو قبيح عقلا
فيقال قد بينا بطلان الحسن والقبح العقليين فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا والله اعلم قال ولا يفعل شيا لغرض اقول يريد بيان مما يجب الايمان به
ان صانع العالم جل وعلا لا يفعل شيا لغرض اذ الغرض هو الحامل للفاعل على فعله من
تحصيل كمال عنده او به او دفع نقص كذلك وهو المعتقد مما اتفق عليه اهل السنة والجماعة
الا ما نقله الامام فخر الدين عن اكثر الفقهاء من ظاهر قولهم حيث يتشبثون في العلة

الشرعية

الشرعية ان تكون بمعنى الباعث للشارع على شرع الحكم من جهة مصلحة او دفع مفسدة
والصواب انما يقع من الفقهاء من الغرض والتعليل ليس كما يقع من المعتزلة فان الذي
يقع من الفقهاء في الاحكام الشرعية العملية كما يقولون مثلا الحكم بالقصاص انما ورد
من الشارع للزجر عن القتل فهذا هو الغرض منه بحيث يطلقون ذلك فليس قصدهم
بذلك انه مما يجب ان يكون كذلك عقلا وانما يقصدون ان ذلك كذلك بجعل الشارع
وان الشارع جعل على سبيل التكرم والاحسان الاحكام مرتبطة اما لجلب مصالح العباد
او دفع مفاسدهم لا على جهة الوجوب العقلي واستقرا جملة الشرع ذلك من تتبع احكام
الشرع حتى اعطتهم تلك القواعد الكلية ثم الدليل على هذا المطلب واضح بعد ابطال التحسين
والتقبيح وحاصله ان يقال انه جل وعلا لو فعل لغرض لكان ناقصا لذاته مستكملا بغيره
وهو محال لا يقال الغرض تحصيل مصلحة العبد لانا نقول تحصيل مصلحة العبد وعدم تحصيلها
ان استويا بالنسبة اليه لم يصلح ان يكون غرضا داعيا للفعل لامتناع الترجيح بلا مرجح
وان لم يستويا بان يكون تحصيل المصلحة بالنسبة اليه اولى لزم الاستكمال بما هو اولى
بالنسبة اليه وايضا قد ثبت انه جل وعلا قادر على ان يفعل ذلك الغرض من غير
واسطة فعل اخر والعبث عليه محال اجماعا والمحدث يقول اتفق السلف الصالح على انه
منزه عن ذلك واما الصوفي فيقول ترتيب المسببات عن اسبابها حكمة الاسماء الالهية
والمسببات واسبابها مستوية بالنسبة الى العلم والارادة والقدرة ضرورة امكانها
المقتضي لتعلقها بذلك مما يصلح ان يكون مسببا عن شي فمن حيث الحكمة الاسمائية حق
وبهذا جا الشرع ومن حيث الصفات المقتضيات للتكوين فلا سبب ولا مسبب لوجوب
ظهور الكل عن سبب الكل فلم يبق السبب الا من حيث ارتباط ظهوره وهذا عند ظهوره هناك
من حيث تعلق الاسما بها على ما سبق به العلم وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون مع قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون يوضح لك المقصود فاعرفه
قال وان الاعمال ليست علة لاستحقاق الثواب والعقاب اقول وهذا المعتقد
مما اتفق عليه اهل السنة والجماعة والحاصل ان الله جل وعلا خلقنا بمقتضى رحمته وكلفنا
بمقتضى حكمته وجعل من اطاع له الجنة بمقتضى فضله ومن ابا له النار بمقتضى عدله من غير ان
تكون طاعة المطيع علة الاستحقاق ما له جعل وابا نه من اي علة لما له ايضا جعل علة

الجميع وتخصيص ارادته وحكمة مشيئته فلم تكن الاعمال الا علامة لان بابها الذين
خلقت فيهم علي مايؤل اليه امرهم من سعادة اوضدها وهذا المطلب تجد بطلان التحسين
والتقبيح العقليين واضح وقد قال عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له
وقال عليه الصلاة والسلام لن يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته والاحاديث في ذلك كثيرة وبالجملة
فقد اتفقت كلمة الشرع علي ان الاعتماد علي العمل شرط خفي ولو كانت الاعمال
موجبة للثواب لكان الاعتماد عليها واجبا وما كان واجبا لا يكون مطلوب الترك
والشرط مطلوب الترك والصوفي يقول من تحقق بعبودية نفسه علم انه لا شيء له
يوجب الحظوة له عند سيده الا فضله والا لو كان ثم شيء يوجب الحظوة
غير الفضل لكان منازعا للسيد في سيادته فافهم قال وان محمدا صلى الله عليه
وسلم رسول الله اقول اريد ان مما يجب الايمان به ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله
وهذا المعتقد العظيم هو الذي تتم به دائرة الاسلام والايمان وهي قولك لا اله الا الله
محمد رسول الله والنبوة والرسالة من افعال الله جل وعلا الجايزة بهذا المعتقد يرجع الي
ما يجوز في افعال الباري جل وعلا والكلام علي هذا المعتقد يتوقف علي مباحث
وذلك لان هذه القضية لها موضوع وهو الشخص المعين ولها محمول وهو الرسول
المضاف الي ذات الحق وشبه ذلك للموضوع واثبات تلك النسبة بالبرهان ولما
كان معقول الرسول يرجع الي معقول النبي او هو ملزوم له فلا بد من الكلام علي النبي والرسول
وما يتوقف عليه ذلك البحث الاول النبي فعيل من النبوة وهي ما ارتفع من الارض
فيكون معني النبي صلى الله عليه وسلم الذي شرف وارتفع علي غيره فيكون فعيل بمعني مفعول
واصله غير مهموز فيكون اخره واوا مسبوقة بيا ساكنة فيجب قلبها والادغام فيها كما
هو معلوم وجمعه علي انبيا واما من النبا الذي هو الخبر فيكون معني النبي من انباه عن الله
سبحانه فعيل بمعني فاعل او منبا اي مخبر اي اخبره الله جل وعلا لغيبه علي طريق الوحي
فيكون فعيل بمعني مفعول واصله مهموز قيل ليس احد من العرب الا ويقول تنبا مسيلمة
بالهمزة الا انهم تركوا الهمزة في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخبية الا اهل
مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون غير هذه الاحرف يخالفون العرب

في ذلك فاذا لامه همزة متطرفة قلبت يا وادغمت اليا فيها وجمعه نبآء
قال الشاعر يا خاتم النبآء انك مرسل بالحق كل هدى السبيل هداكا
ويصح جمعه ايضا علي انبيا لان الهمز لما ابدل ولم يرد الايا الا لزم ما جمع جمع ما
اصل لامه حرف علة هذا هو الاشتقاق المشهور فيه وقد يقال انه ماخوذ من قولك
نبأت بمعني خرجت يقال نبات من ارض الي ارض بمعني خرجت من ارض الي اخرا
فمعناه الذي يخرج من الضلالة الي الهدي وقد يقال انه ماخوذ من النبي بمعني
الطريق فمعناه الوسيلة والطريق الي معرفة الله ومنه يقال لرسل الله تعالي انبيا
لكونهم طرق الهداية الي الله واذا عرفت هذا فالنبوة بالمعني اللغوي راجعة الي
ما ذكرناه وقد تقدم بعض الكلام علي الرسالة والرسول بحسب ما يليق باللغة
واما في الاصطلاح فهناك طرق الاولي قال سعد الدين النبوة هي كون الانسان
مبعوثا من الحق الي الخلق والنبي انسان بعثه الله لتبليغ ما اوحي به اليه قال وكذا
الرسول ثم قال وقد يخص الرسول بمن له شريعة وكتاب فيكون اخص من النبي
واعترض بما ورد في الحديث بزيادة عدد الرسل علي عدد الكتب فقيل هو من له
كتاب او نسخ لبعض احكام الشريعة السابقة والنبي قد يخلو عن الكتاب والنسخ كيوشع
عليه السلام وحاصل هذه الطريقة وهي طريقة المتاخرين من المشارقة اعني الاعاجم
ان النبي والرسول كلاهما مبعوث لتبليغ الوحي والرسول قد يخص بما ذكر لا بالامر
بتبليغ الوحي اذ ذاك مشترك بينه وبين النبي وهذه الطريقة يقويها قوله جل
وعلا كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ثم قال وانزل
معهم الكتاب ولم يقل عليهم اشارة الي التفصيل المذكور وان غيره ذوي الكتب
والنسخ بعث لتبليغ البشارة والانذار والامر بالثبات علي الشريعة الكاينة
قبله وتقريرها الطريقة الثانية وهي طريق اكثر المتقدمين كالامام والقاضي
والمقترح وهي التي لخص الشيخ بن عرفة رحمه الله بقوله والنبوة اختصاص بشيء
بسماع وحي والرسول بشيء خصه الله بسماع وحي وامره بتبليغه وهذه طريق
المغاربة الثالثة قال القاضي عياض اختلف العلما هل الرسول والنبي بمعني واحد
او بمعنيين فقيل هما سوا واستدلوا بقوله وما ارسلنا من رسول ولا نبي فقد ثبت لهما

معنى الارسال قالوا ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما معنيان
متباينان من جهة مجتمعان من جهة اذ بذا اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب وافترقا
في زيادة الرسالة للرسول وهي الامر بالاعلام والانذار وحجتهم من الاية نفسها التفريق
بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ هذا كلامه وبعد تحرير
ما سطره سعد الدين لا يخفى الجواب عن هذا وهو ان يقال بعد تسليم اعطا العطف
المغايرة فليست المغايرة بينهما بما ذكرتم من الامر بالتبليغ بل هما متحدان فيه وانما
المغايرة بما خص به بعض الرسل من الكتب او النسخ كما تقدم فيكون المراد بالرسول خصوص
رسول لا مطلق رسول فان مطلق رسول هو النبي وبهذا يفهم ما جا المخصوصون في الحديث
ان عدد الانبيا تزيد على عدد الرسل فالمراد بالرسل هناك الرسل لا غيرهم والله اعلم
والمحدث لا يزيد على ما ذكر واما الصوفي فالنبوة عنده من فوق طور العقل اذ مرجعها
الى نسبة بين العبد وربه لا يدرك العقل حقيقتها وانما يدرك احكامها والاثار
التي تكون عنها في ذلك تشعر بذلك وكذلك الرسالة والولاية وقد يقول على سبيل
التنبيه النبوة احساس العبد بوارد غيبي يفوق الحظ العقلي ظاهر له خفي من غيره فان
اختص ذلك الوارد باقامة ذاته فقط فنبي وان ورد عليه عند تمام امره في ذاته
مراد اقامة غيره برسول ونبي ثم النبوة على قسمين انبا بوحي واعلان بعلم ينبه على ذلك
الاشتقاق من النبا او النبوة ثم قد يجتمعان وقد يفترقان وسياتي تمام ذلك البحث
الثاني في حكم النبوة اتفق اهل السنة والجماعة على ان بعثة الانبيا جايزة عقلا وواقعة
قطعا ثم في ذلك الوقوع حكمة بالغة ورحمة للعالمين شاملة وان حصول النبوة لمن حصلت له
بمجرد الاصطفا الالهي لا غير اما انها جايزة عقلا فلانه امر لا يلزم منه محال لذاته وكل
ما هو كذلك فهو جايز قطعا اما الكبرى فمعلومة بالضرورة والصغرى كذلك ومن ادعى
الاحالة للغير فالاصل عدمه وعليه بيانه وايضا الوقوع والعلم به ضروري تواترا
ومشاهدة حتى من انكر فهو مباهت كافر ليس معه كلام الا ضرب عنقه لما انتهت اليه
المسالة من الوضوح واما ان وقوع بعثة الانبيا لحكمة بالغة ورحمة شاملة فذلك واضح
اما من حيث النظر الفكري ومرتبة الاشعري فلا بد ان تعلم ان حصول المصالح ووقوع
الالطاف عقب شي فيقع في الوجود انما هو محض الفضل والكرم ولو شا لم يكن ولكن

52

سبقت الكلمة الالهية بذلك وجرت السنة الربانية على مقتضى ما هنالك
سوا ادرك ذلك العقل بنظره او فهمه من غيره فهو من وجوه كثيرة ولنقتصر على
اكثرها ذكرا واجمعها وهي ثلاث احدها ان الشيون الالهية من الاسما والصفات
في غاية الخفا عن العقل والصعوبة عن الفهم تصورا وتصديقا خصوصا الصفات
والاسما التي لا دلالة للاثار عليها ولما كان ذلك كذلك كان من حكمة الله وسعة
رحمته وخفي لطفه ان بعث الانبيا عليهم السلام فانبوا بانبا الله عن تلك الشيون
وفصلوا ذلك بعض تفصيل يطيق العقل ادراكه حتى وقف على ذلك تصورا وتصديقا
وحصل له الكمال بعلم ذلك توفيقا وتحقيقا ثانيهما ان العقل قاصر بنظره عن ادراك
وقوع جايز وان ادرك جوازه والكلام انما هو في العلم بالوجوب لا في الجواز اذ الجواز
على الاجمال من سبيل الضروري والكمال انما هو في تحصيل العلم النظري فاذا كان العقل
قاصرا عن ادراك الوقوع جات الانبيا عليهم السلام منبئين عن وقوع كثير من الجايزات
التي حصل الكمال للعقلا بعلمها كتفصيل احوال المعاد ووقوعه خصوصا ما وقع من ذلك
في نبوة نبينا عليه السلام ثالثها ان الاحوال العارضة للانسان لما كانت تنقسم
بحسب الموافقة والمنافرة الى خير وشر وبحسب ذلك تختلف السعادة والشقاوة
بحسب المواطن الثلاث دنيا وبرزخ واخرى وكان المقصود من الخير تحصيله ومن
الشر تفويته وتحصيل الشي او تفويته فرع العلم به وكان العلم بالخير والشر في غاية
الخفا بل لا مجال للعقل في ذلك عندنا اذ الخير هو الحسن والشر هو القبيح وقد تقدم
ان ذلك بحسب تعلق الخطاب الالهي لا غير ولما كان ذلك كذلك بعث الله الانبيا عليهم
السلام فانبيوا عن خير الاحوال في المواطن الثلاث فامروا به ورغبوا فيه وعن شر
الاحوال كذلك فنهوا عنه وحذروا منه والمحدث يقول قال تعالى رسلا
مبشرين ومنذرين الاية وقال تعالى حكاية عن الكفرة لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك وقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم والحاصل ان الله
جل وعلا اعذر الى الخلق ببعثة الرسل وقطع حجتهم عند ذلك وهي انه لولا بعثة
الرسل لتوجه لهم من حيث العادة المالوفة ان يقولوا عند نزول الشقاوة بهم
يا ربنا انك ركبتنا تركيبا نسها معه ونغفل جعلت فينا غضبا وشهوة ومكنته منا

عدوًا لنا حريصًا على غوايتنا واخذلنا فهلا امدتنا بشخص من انفسنا نانس به
ولا نستوحش منه ينبهنا اذا سهونا ويذكرنا اذا نسينا ويعلمنا اذا جهلنا ويمنعنا
اذا اشتهينا ولما كان ذلك كذلك بعث الله الانبيا لقطع هذه الحجة واضمحلالها
على انه لو لم يفعل ذلك لكان له ذلك اذ هو يفعل ما يشا لا يسال عما يفعل وهم
يسئلون واما الصوفي فيقول قد تحقق في نفس الامر ان العلم على قسمين قديم
وحادث وان شئت قل فعلي وانفعالي وان شئت فقل حصولي وانطباعي وان
شئت فقل ذاتي وعرضي فالعلم الحصولي الذاتي القديم هو علم الله والانفعالي والا
نطباعي العرضي الحادث هو علم العبد وحصول الكمال من حيث قضية الوجود الشامل
للوجوب والامكان انما هو بحصول العلمين اذ الامر في نفسه من حيث حقيقة
الحقايق المتقابلة لذلك اعطا ذلك فلا بد من ذلك وقد تحقق وتبين تخصيص
الواجب جل وعلا بالقديم من ذلك وتقدسه عن الحادث فلا بد للعلم الحادث
من حامل له وهو العبد قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا وقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
والعبادة انما هي علم وعمل فاذا لا بد من حصول العلم للعبد كما اعطته الحقيقة عينًا
والايات القرآنية علما ولما كان العلم الحادث حقيقته راجعة الى حصول صور انتقاشية
مثالية تحصل بواسطة محاذيات روحانية ومواجهات قدسية نحو الجناب الاقدس
جل وعلا فعند تمام المواجهة تحصل انوار شعشعانية شبه الضيا المفني للحاصل على
المقابل قال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره الاية ثم حصول تلك الصور النو
رانية انما هو بحصول المشية الالاهية قال تعالى ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا ثم ان
حصول تلك الصور تتفاوت بحسب تفاوت المرتبة والحقيقة فمتى كانت حقيقة
القابل في غاية البساطة والتمحص من الغواشي الغواسق الحجبية التي هي الاوهام وما
يؤدي اليها والسلامة من التركيب المقتضي لذلك كان اقرب ومتى كانت الحقيقة
على الضد من ذلك كانت ابعد وبينهما وسايط فاذا كل حقيقة انما تمتد بما يناسبها
وذلك الامتداد هو التنزل الوحيي والتعليم الالاهي ثم ذلك التعليم منه ما نص قال
تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وعلم ادم الاسما كلها علمني ربي اربعة علوم علم لا يسعه غيري

وقوله صلى الله عليه وسلم

وعلم

وعلم امرني بكتمه وعلم خيرني فيه وعلم امرني بافشايه ومنه ما يفهم قال تعالى الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فكل
صورة نورانية علمية حصلت في محل انبعث منها بحسب الامداد الالهي شعاع يقع
ذلك الشعاع صورة علمية عن المحل المواجه لتسطر في محل تلك الصورة ثم من ذلك
الى اخره وهلم جرا ثم ذلك الانبعاث قد يكون بواسطة لفظا او رقما او اشارة وقد
يكون بغير واسطة بل الهام بمجرد تصفية القابل ودفع المزاحم وبالجملة فمبدا انبعاث
الصور العلمية المتخصصة بالارادة الازلية هو حضرة الوجوب من حيث الوجود
والوحدة الذاتية ومنتهى ذلك الانبعاث هو حضرة الوجود من حيث الامكان والتحقق
بوحدة الجمع ومقام الاحدية ولما كان الوجود الامكاني العبدي على ثلاث مراتب علوي
نوراني كالملايكة وسفلي جسماني كالجن ومتوسط بين الاول والثاني كالانسان قال
عليه السلام خلق الله الملايكة من نور وخلق الجان من نار وخلق بني ادم مما تعلمون وكان
الانسان على ثلاث مراتب منهم من غلبت عليهم حكم المرتبة العلوية وهم الكمل الباقون
على حسن تقويمهم ومنهم من غلب عليهم المرتبة السفلية وهم الاشقيا المردودون الى
اسفل سافلين ومنهم متوسط بين المرتبتين وهم الذين امنوا وعملوا الصالحات قال
تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين اي لم يبق على
تقويمه الاول الا الذين امنوا الاية اي فارتفعوا عن السفل بميلهم علما وعملا الى التقدم
الاول ثم الكمل على قسمين منهم من هو في مرتبة الملايكة من كل الوجوه وهم الانبيا عليهم
السلام وانما كانوا بصورة البشر لتقرب المناسبة المتوقف عليها القبول من جنس السنة
الالهية قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال
جل وعلا لقد جاكم رسول من انفسكم ومنهم من هو دون ذلك وهم الاوليا ولما كان التلقي
انما هو بحسب المواجهة والمناسبة كما اشرنا اليه كان اول متلق من الحضرة الالهية
هم الملايكة والانبيا عليهم السلام اما بغير توسط البعض منهم للبعض واما بتوسط
اذ هم متفاوتون في مراتبهم قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وقال جاعل
الملايكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشا وقال ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض ثم الاوليا من الانبيا بحصول المناسبة الخليقية تعليما

ومن الملايكة الهاما وتحدثا قال عليه الصلاة والسلام ان الملك يتكلم علي لسان عمر وانه
كان فيمن كان قبلكم محدثون فان يكن في امتي منهم فعمر بن الخطاب منهم ثم المتوسلون
من الاوليا نعلما بحسب حصول المناسبة العملية واما الجن فتلقيهم تلقي استراق
من الملايكة واستماع من الانبيا اولا والاوليا ثانيا واما ما يظهر علي بعض الذوات
الانسانية من غير متابعة للانبيا عليهم السلام فليس الا من القرين الجني كما ابا عنه
عليه السلام في حق الكهنة واذا تقرر ذلك بان لك انه لولا بعثة الانبيا لم يكن لغيرهم
من الانس والجن كمال علمي وقد اتضحت الحكمة وتمت النعمة واذ قد انتهي بنا الامر الي تحقيق
هذه الحقايق فلنختم ذلك بالاشارة الي خصوصيته عليه السلام التي من اجلها بعثه
الله الي جميع العالم ملايكة وانس وجن قال تعالي تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون
للعالمين نذيرا وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فاعلم ان الله جل وعلا قد خصص نبينا عليه
السلام بانواع من الفضايل الخصوصية نقلية يقابل ذاته بها ارتفع كالا فوق المراتب
الكمالية انسانية كانت او ملكية قال تعالي تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض منهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات ذلك البعض هو الحقيقة المحمدية اذ قد تحققنا كشفا وثبت لدينا
سمعا انه عليه السلام اول نور خلقه الله ومن نوره خلق كل شي واذا كان هو عليه السلام اول
نور بل كان عليه السلام اول نور تلقي من حضرة الوجوب بل لا ينطلق علي الحقيقة الا هو
اذ تلك الاولية لا تقف عند من عقل فكان له عليه السلام حيثيتان حيثية ابتداية
وبها حصل له الكمال المنكنز الذي في انقسم علي الحقايق النبوية وله عليه السلام منه الحظ
الاوفر الجامع بين كمالات كلهم وقد قال تعالي اوليك الذين هدي الله فبهداهم اقتده
من حيث الكمال الاختصاصي كان رسولا لجميع العالم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كنت
نبيا وادم بين الروح والجسد ومن حيث كماله الجمعي الاشتراكي كان رسولا للانس والجن
وما ارسلناك الا كافة للناس بعثت للاحمر والاسود فاعلم من ذلك رسالته عليه السلام
العامة منه والخاصة وكماله الخصوصي المتحد وكماله العلمي المشترك واوليته واخريته وبذلك
نطلع علي بحر من العلم لا ساحل له ونهر من التحقيق لا نهاية له واما ان ذلك محض اصطفا وتخصيص
الهي فلما تقرر من نفي العلة والغرضية والايجاب وربك يخلق ما يشا ويختار وقد قال تعالي
الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس البحث الثالث فيما يعلم به النبي وذلك بحسب الاستقرا

اربعة اشيا

اربعة اشيا الاول خلق علم ضروري في القلب يلهمه العبد كابي بكر رضي الله عنه واليه
الاشارة بالسر الذي وقر في صدره وهذه عمدة الصوفي من حيث النهاية كما نبه عليه
السلمي وحاصله تصفية قلب الولي وصقالة مرآة بصيرته بحيث ينطبع فيه الحق المنزل
في الذوات الشريفة الثاني اخبار من علم صدقه بنبوة غيره كاخبار التورية والانجيل
بنبوة نبينا صلي الله عليه وسلم الثالث وجود اوصاف لا يوجد مجموعها قطعا الا لنبي
حصل علم ذلك استقرا كما ياتي تقريره وهو العمدة عند حجة الاسلام الرابع المعجزة
وهي الطريق العامة وقول امام الحرمين انه لا يمكن نصب دليل علي النبوة سوي
المعجزة محمول علي ما يصلح دليلا للنبوة علي الاطلاق والعموم حتي للنبي الاول بالنسبة
الي من بعث له ويصلح ان يكون حجة علي المنكرين البحث الرابع في المعجزة وان كان المصنف
يتكلم عليها بعد ولكن حسن الكلام عليها هاهنا لتوقف هذا المطلب عليها كما نبينه
ثم الكلام عليها يرجع الي امرين الاول في حقيقتها وشرايطها الثاني في وجه دلالتها
علي الصدق الامر الاول المعجزة عند المحققين ماخوذة من العجز المقابل للقدرة وحقيقة
الاعجاز اثبات العجز فاستعير لاظهاره ثم اسند مجازا الي ما هو سبب للعجز ثم جعل اسما له
فقيل معجزة التا فيه للنقل من الوصفية الي الاسمية كما في الحقيقة وقيل للمبالغة
كما في العلامة وحقيقة المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي موافق للدعوي
سالم من المعارض علي يد مدعي النبوة فقولنا امر يتناول الفعل كانفجار الما من بين
الاصابع وعدمه كعدم احراق النار ومن اقتصر علي الفعل وقال فعل خارق للعادة فهو اما
لان العدم المضاف عنده فعل واثر للقدرة واما لانه جعل المعجز كون النار بردا وسلاما
علي ابراهيم او بقا جسمه عليه السلام علي ما كان عليه لكن هذه الاجوبة كلها بحسب المادة
وقولنا خارق للعادة يخرج المعتاد اذ لا دلالة فيه لاتحاد نسبته فلا يدل وقولنا مقرون
بالتحدي التحدي يشعر لغة بالمجاراة والمغالبة قال صاحب الصحاح تحديت فلانا اذا
باريته في فعل ونازعته الغلبة فيه ومعناه طلب من جعل المعجزة دليلا علي دعواه
المعارضة من الغير علي جهة التعجيز له كما يقول مثلا ان لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا
قال تعالي وان كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فاتوا بسورة من مثله والحاصل كما قال
امام الحرمين هو ربط الدعوي بالمعجز عند دعوي النبوة وبهذا القيد يخرج كرامات الاوليا

والعلامات الارهاصية التي تتقدم بعثة الانبيا اما خروج الكرامة بهذا القيد فلانه لا يتحدي ه الولي بالكلية علي قول او لا يتحدي علي دعوي النبوة والرسالة وان جاز له ان يتحدي علي ولايته وهو الصحيح وسنتكلم علي ذلك اذ مسالة الكرامات من العقايد كما هو مسطور في كتب القوم واما خروج الارهاص به فلانه يكون قبل البعثة فلم يكن مقرونا بالتحدي اذ الارهاص احداث خارق في العادة يدل علي بعثة نبي قبل بعثته وكانه تاسيس لقاعدة نبوته والرهص بالكسر العرق الاسفل من الحايط يقال رهصت بقيمه الحايط بما يقيمه والحاصل انما يصدر عن النبي من الخوارق قبل الدعوي كشق الصدر واظلال الغمامة له عليه السلام وتسليم الحجر عليه الي غير ذلك ارهاص قال سعد الدين والقوم يعدون امثال هذه معجزات علي سبيل التشبيه والتغليب والمحققون علي ان الخوارق المتعلقة ببعثة نبي قبل بعثته ودعواه ان ظهرت منه وكان هو مظنة البعثة كما في نبينا عليه السلام حيث اخبرت الكتب السماوية ببعثته فارهاص وتاسيس لقاعدة البعثة والا فكرامة محضة وان ظهرت من غيره فان كان من الاخيار فارهاص بالنسبة الي النبي وكرامة بالنسبة الي من ظهرت علي يديه كخوارق مريم والا فارهاص محض كظهور النور في جبين عبد الله ثم التحدي لا يشترط التصريح به عند المحققين بل يحصل التحدي نصا وغير تصريح اذا كان بحيث يفهم من المقام كبياض يد موسي عليه السلام والكثير من معجزاته عليه السلام غير القران وقولنا مع الموافقة للدعوي يكون ما ياتي به من الخارق موافقا له في دعوي النبوة بحيث لا يقتضي تكذيبه وبه تخرج ما اذا قال معجزتي نطق هذا الجماد فنطق فانه مفتر كذاب فان ذلك ليس معجزة باتفاق واما اذا قال معجزتي ان ينطق هذا الميت فنطق وقال مفتر كذاب فالصحيح ان ذلك معجزة وهو نطق الميت واما قوله انه كذاب فيجوز ان يكون كافرا والاعجاز في نطقه لا في صدق خبره وقوله والسلامة من المعارض المعني مع السلامة من المعارضة في دعواه بان يدعي احد نقيض دعواه ويأتي بخارق علي نقيض دعواه كما اذا ادعي احد انه نبي وقارن دعواه خارق ثم ادعي شخص اخر انه نبي وان ذلك المدعي الاول ليس بنبي وقارن دعواه خارق وقولنا علي يد مدعي النبوة معناه ان يكون الخارق قايما بالنبي كبياض يد موسي عليه السلام او وجوده عند توجه لو قوعه عازما عليه وطالبا اياه كانقلاب العصي حية وتمرد لك تخرج ما اذا اتخذ الكاذب معجزة من يعاصره من الانبيا حجة لنفسه وكذا يخرج ما اذا تقدم

الخارق من الدعوي ثم يدعي ويقول معجزتي ما ظهر مني في الزمن الماضي فانه وان كان خارقا الا انه لم يكن علي يد مدعي النبوة في ذلك الزمن اذ الفرض انه لم يدع نبوة فيه الامر الثاني في وجه دلالة المعجزة علي الصدق ولما كان وجه الدلالات من حيث الجملة يرجع الي امور ثلاثة عقلية وهي كون ما عنه يحصل العلم علي حالة في معقول ذاته من اجلها يقتضي العلم عقلا وعادية وتسمي تجريبية وهي كون ما عنه يحصل العلم علي حالة في معقول ذاته من اجلها يقتضي العلم عادة ومرجع ذلك الي ارتباط شي بشي من حيث الوجود كالعلم بمودة شخص وصداقته لما يظهر عليه من مخايل ذلك او بغضه وعداوته لما يظهر عليه كذلك ووضعية وهي كون ما عنه العلم علي حالة مجعولة فيه من اجلها يقتضي العلم وتلك الحالة المجعولة من علمها علم ذلك الشي كدلالة رفع الدابة علي ركوب الملك ثم ان العلما اختلفوا في وجه دلالة المعجزة فمنهم من زعم انها وضعية وهو ظاهر ما في الارشاد لامام الحرمين وان كان اخر الامر انتحا الي انها عادية تجريبية كما وقع له ذلك في البرهان وحاصل دعوي انها وضعية ان المعجزة ترجع الي القول والقول دلالته وضعية ومنهم من زعم انها عقلية وهو قول الاستاذ وحاصله ان الله تعالي خلق الخارق علي وفق دعوي الرسالة والتحدي مع العجز عن معارضته وتخصيصه بذلك يدل علي ارادة الله انه صدق كما يدل اختصاص الفعل المعين علي ارادته لذلك قطعا والصحيح وهو قول المحققين انها تجريبية فان تصديق الله اياه بالمعجزة يحصل عادة منها كما نجده من العلم من انفسنا عادة من صدق الرجل اذا قام في مجلس ملك بحضور جماعة وادعا انه رسول ذلك الملك اليهم وقال حجتي ان يخالف هذا الملك عادته ويقوم عن سريره ثلاثا ويقعد ففعل فانه يكون تصديقا له ويحصل العلم بذلك للحاضرين لا محالة وذلك ظاهر وكذلك الامر في المعجزة فان الرسول يدعي الرسالة للمكلفين ويقول معجزتي تصدقني ان يفعل الله كذا والله يشاهد فعله ويسمع قوله والعلم بذلك لا بد منه ثم يفعل الله جل وعلا ما ادعاه ذلك الرسول فيحصل قطعا صدقه بموافقة الله اياه حيث فعل ما ادعاه البحث الخامس قد تقرر ان العلم بثبوت امر الي شي فرع تصور ذلك الشي وتصور ذلك الشي ان كان بحسب اسمه فلا يتوقف علي وجوده وان كان بحسب حقيقته وماهيته فيتوقف علي وجوده والتصديق المفروض هو ان محمدا صلي الله عليه وسلم هو رسول الله صلي الله عليه وسلم لا شك

ان هذا المطلب يرجع الي مطالب هل المركبة فلا بد لحصول هذا المطلب من العلم بوجود
هذا الموضوع وتعيينه اذ هو شخصي وتصور الشخص انما هو بتعيينا ته الشخصية فلا بد
من الكلام علي ما به يتعين شخصا وذلك بالاستقرا من جهة نسبته ومولده ووفاته
وزمانه واسمايه الموجبة لشهرته واوصافه التي امتاز بها فاذا كان كذلك فلا بد من
ذكر ذلك علي الايجاز والاختصار ليكمل المعتقد من كل الوجوه وقد ذكر القرافي في ذخيرته
واشار اليه في شرح الاربعين ان جميع الاحوال المتعلقة بالرسول كلها فضلا عما به يتعين
ترجع الي العقايد لا الي العمل فيجب البحث عن ذلك التحصيل كال المعتقد بذلك اما وجوده
صلي الله عليه وسلم فمعلوم بالضرورة تواترا عند اهل البرهان وكشفا عند اولي العيان
فان الصوفي يقول العلم وجوده صلي الله عليه وسلم من قبيل المحسوسات المرئية بالابصار
يقظة عند المقربين ونوما عند غيرهم وقد قال صلي الله عليه وسلم من راني فقد راني حقا
فان الشيطان لا يتمثل علي صورتي اذ معني الحديث عند الاكثر ان من راه نوما فتلك
الرويه مساوية للروية الحسية يقظة بل هي هي كما نبه عليه علما الحديث فانظره واما
تعيينه فاما من حيث نسبه فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة
بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال العلما الي هنا انتهي النسب الصحيح
وما فوق عدنان مختلف فيه ولا خلاف بينهم ان عدنان من ولد اسمعيل الذبيح ابن ابراهيم
الخليل صلي الله عليه وسلم وكنيته صلي الله عليه وسلم ابو القاسم وامه امنة بنت وهب
بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب وهنا يجتمع مع ابيه في النسب واما مولده صلي الله
عليه وسلم اما من حيث المكان فهو مكة باجماع في الدار التي كانت تدعا لمحمد بن يوسف
اخي الحجاج واما من حيث الزمان فيوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول
وقيل لثمان منه ووافق من الشهور الاعجمية شهر ابريل وذلك قبل قدوم الفيل بشهر
وقيل باربعين يوما وقيل بخمسين يوما ومات ابوه عنه صلي الله عليه وسلم وهو حمل وقيل
بن سبعة اشهر والاول الصحيح وماتت امه بالابوا بين مكة والمدينة ولم يستكمل له سبع
سنين وكفله جده عبد المطلب الي ان مات عبد المطلب ولرسول الله صلي الله عليه وسلم
ثمان سنين وبعث نبينا صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمان مضين لشهر ربيع الاول

سنة احد واربعين من عام الفيل فاقام بمكة ثلاثة عشر سنة وقيل خمس عشرة سنة
وقيل عشر سنين وثلاث عشرة اكثر واشهر وقدم المدينة يوم الاثنين ثاني عشر
من شهر ربيع الاول سنة اربع وخمسين من عام الفيل علي قول الخوارزمي ومكث بها
عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين وهذا هو الاشهر كان ابتدا مرضه
عند عايشة واشتد مرضه في بيت ميمونة ومرض في بيت عايشة باذن اهله
وعندها مات يوم الاثنين اول يوم من شهر ربيع الاول ووافق موته اليوم الذي كان
يدور عليها فيه ودفن يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا وكانت علته اثني عشر يوما
واما صفته صلي الله عليه وسلم فليس بالطويل البائن ولا القصير المتطامن ولا بالابيض
الامهق ولا الادم ولا بالجعد القطط ولا بالسبط رجل الشعر ازهر اللون مشوبا بحمرة
في بياض كان وجهه القمر حسن العنق ضخم الكراديس اوطف الاشعار ادعج العينين
في بياضهما عروق رقاق حمر حسن الثغر واسع الفم حسن الانف اذا مشي كانه يتكفا واذا
التفت التفت بجميعه كثير النظر الي الارض ضخم اليدين لينهما قليل لحم العقبين كث
اللحية واسعها اسود الشعر اذا طول شعره فالي شحمة اذنيه ومع كتفيه واذا قصره فالي
انصاف اذنيه لم يبلغ شيب راسه ولحيته عشرين شيبة وكان عليه الصلاة والسلام
ربعة فاذا مشي مع الطوال طالهم واما اسماوه صلي الله عليه وسلم اما المشتق منها
فلا يحصي عدة واما المنقول عنه صلي الله عليه وسلم توقيفا فقد روي مالك في موطاه
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس علي قدمي وانا العاقب وروي عنه عليه الصلاة
والسلام انه قال لي في القران سبعة اسما محمد واحمد وطه ويس والمدثر والمزمل وعبد الله
وروي عنه المقفي ونبي التوبة ونبي الملحمة والمتوكل وسماه الله رءوفا رحيما واذ قد تقررت
هذه الاصول فلنرجع الي المعتقد المطلوب وهو ان محمدا صلي الله عليه وسلم رسول الله فيقول
يثبت هذا المعتقد بما قد تقدم من الطرق الاربعة التي تثبت بها النبوة والرسالة لمن
خصه الله بها اما الطريق الاولي لعامة وهي طريق المعجزة فهي تتقرر من وجوه ثلاثة
الاول انه عليه السلام ادعا الرسالة مقرونة بالمعجزة وكل من ادعا الرسالة مقرونة
بالمعجزة فهو رسول الله صلي الله عليه وسلم ~~قطعا~~ فهو رسول الله قطعا اما الصغري وهو انه

صلي الله عليه وسلم

ادعا الرسالة فبالضرورة حسا للمعاصر وبتواتر لغيره واما ان تلك الدعوى
كانت مقرونة بالمعجزة فبالمشاهدة للمعاصر ولغيره بالتواتر لفظا كقوله تعالى
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الاية ومعنى كغيره مما نقلته
احاد كنبع الما وتسبيح الحجر وتكثير اليسير ونطق الحيوانات العجم وغير ذلك وان كانت
احادا فالقدر المشترك بينهما متواتر فيفيد العلم قطعا كجود حاتم وبالجملة فمعجزاته
عليه السلام على قسمين باقية دايمة يشاهدها من كان وسيكون وذلك هو القران
العظيم وغير دايمة وهو ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من الخوارق الفعلية والغيوب
القولية مما تتعلق بماض او حال او مستقبل وهي لا تحصى عدة بالتحقيق وقد ذكرت العلما
منها عدة كالف ودون ذلك واكثر من ذلك وقد يقال ان عدد اياته على عدد
الانبيا اقتباسا من حيث الدلالة الاشارية من قوله عليه السلام ان عدد الانبيا مائة
الف واربعة وعشرون الفا ومن قوله عليه السلام ما من نبي الا وقد اوتي مثل ما امن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا وبما قد اتفق عليه علما الامة وتحققوها انه عليه السلام
اوتي خاصية كل نبي وافضل منها فاذا لكل نبي خاصية وتلك الخاصية وافضل منها قد
اوتيها نبينا صلى الله عليه وسلم وعدد الخواص على عدد الانبيا وتلك الخواص معجزات
وقد ثبت اعدادها له فمعجزاته عددها وعددها مائة الف واربعة وعشرون الفا
واكثر على الطريق الاخرى فيخرج من ذلك ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ذلك
العدد بل قد يقال ان اياته لا يمكن عدها لما قد علم وان كل كرامة لولي هي معجزة
له وجميع الاوليا كلهم منتسبون اليه بل جميع الانبيا فالكل منه ومنسوب اليه
فليس بالتحقيق كرامة ولا اية ولا خرق عادة الا وهي له عليه السلام وهذا قد تحققه
الصوفي من حيث كشفه من سره الممتد في الذوات الكاملة كلها الماضية منها والاتية
فاعلم ذلك وبالجملة فمعجزته عليه السلام ترجع الى الاقسام الثلاثة كما قلناه القسم
الاول هي المعجزة الدايمة العامة الدلالة المختص بها اية كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم
بقوله وانما كان الذي اوتيته وحيا هو انه قد ثبت تحديه به صلى الله عليه وسلم كما في تعالى
وان كنتم في ريب الاية وكقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية فعجزوا عن الاتيان ولو باقصر
سورة من مثله وعجزهم متواتر ولما قد ثبت من اضطرارهم الى المقارعة دون المعارضة مع توفر

مقتضيات

مقتضيات المعارضة فيهم من حيث قوة الفصاحة والبلاغة بحيث بلغوا في ذلك الى الغاية
التي تمكن في الانسان مع توفر دواعيهم على رد دعوته وتهالكهم على ذلك فلم يجدوا لذلك سبيلا
وفزعوا الى بذل مهجهم واتلاف اموالهم وقتل نفوسهم وسبي ذراريهم ولو قدروا على المعارضة
لعارضوا ولما اختاروا ذلك عليها لما فيها من حصول مقصدهم وسلامة مهجهم ولو عارضوا
لنقل تواترا لما فيه من توفير الدواعي ونفي الموانع ولم يكن ذلك قطعا ثم ان اهل السنة والجماعة
اختلفوا في وجه الاعجاز منه فالجمهور على ان الاعجاز فيه لكونه في المرتبة العليا من الفصاحة
والبلاغة التي هي خارجة عن طوق البشر وانما هي من مقدور خالق القوى والقدر كما تجده
النفوس الانسانية الكاملة من نفوسها اما نفس العرب فبحسب سليقتهم وما فطروا عليه
واما غيرهم فبحسب معرفتهم بالبلاغة واحاطتهم باساليب الكلام والفصاحة هذا وقد اشتمل
القران العظيم على نبا من مضى وخبر من سياتي وعلم ما هو كاين وعلم الكمال الانساني علما
وخلقا وبالجملة ما به تحصل القوتان النظرية والعملية اللذان بهما كمال الفرد وحصول
سعادته اذ بذلك تحصل الكمالات الدنياوي والاخراوي وقيل اعجازه بنظمه الغريب المخالف
لكلام العرب نظما ونثرا وقيل سلامته من الاختلاف والتناقض وقيل اشتماله على دقايق
العلوم وحقايق الحكم والمصالح وقيل باخباره عن المغيبات والحق ان كلا مما ذكر لا يستقل
بالاعجاز الدايم وان كان له مدخل ودلالة في الجملة فالحق هو الاول مع ما انضم اليه كما نبهنا
عليه واما القسم الثاني وهو الاخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة وكلاهما قران وسنة
اما الماضي فكقصة موسى وفرعون وقصة يوسف وامثالها من قصص الانبيا على تفاصيلها
من غير سماع من احد ولا تلقين من بشر كما نبه عليه القران الكريم بقوله جل وعلا ذلك من انبا
الغيب نوحيه اليك واما المستقبل فقوله وعدكم الله مغانم كثيرة الاية وكقوله الم غلبت
الروم الاية الى غير ذلك واما السنة فكقوله لعلي رضي الله عنه تقاتل بعدي الناكثين
والقاسطين والمارقين ولعمار تقتلك الفئة الباغية وقوله عليه السلام زويت لي الارض
فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله الخلافة بعدي ثلاثون
سنة وكاخباره بهلاك كسرى وقيصر وزوال ملكهما وانفاق كنوزهما في سبيل الله وغير
ذلك مما هو وارد في صحاح الاحاديث وقد اقترنت هذه الخوارق بدعوى النبوة فتميز
عن الكرامة اذ ذلك هو المميز لها عنها كما سياتي واقترنت ايضا بطهارة النفس والاعمال

الصالحة وترك النظر في احوال الكواكب وحركاتها والنطق في آلاتها وبذلك تميزت عن الكهانة
والسحر والتنجيم اذ ذلك هو المميز ايضا كما سيأتي فكانت كلها معجزات حقيقة واما القسم
الثالث وهي الاعمال الخارقة للعادة فذلك لا يحصي كثرة كما نبهنا عليه وقد فصلت في دلايل
النبوة من كتب السير وغيرها لكن بعضها انها صيا ظهر قبل دعوي النبوة وبعضها انعقد يقينا
ظهر بعدها وهي تنقسم الي امور ثابتة في ذاته وامور متعلقة بصفاته وامور خارجية عنها
راجعة الي افعاله والاول كالنور الذي كان ينتقل في آبائه الي ان ولد وكولادته مختونا مسرورا
واضعا احدي يديه علي عينيه والاخري علي سوأته وكذلك ما كان من خاتم النبوة بين كتفيه وطوله
قامته عند الطويل وساطته عند الوسط ودرؤيته من خلف كما كان يري من قدام ورؤيته في
الظلمة كما يري في الضوء ورؤيته البعيد كما يري القريب وككون جسمه شفافا فلم يقع له ظل
علي الارض ولم يمنع رايي الشمس مع جلولته والثاني هو ما يرجع الي صفاته وذلك ما استجمعه
مما هو في الغاية القصوي وغاية الكمال في ذلك من الصدق والامانة والعفاف والشجاعة والعدل
والحكمة والفصاحة والسماحة والزهد والتواضع لاهل المسكنة والشفقة علي الامة والمصابرة
علي متاعب الرسالة والمواظبة علي مكارم الاخلاق وبلوغه النهاية في العلوم الالهية وتمهيد
قواعد المصالح الدينية والدنياوية وما كان عليه من استجابة الدعوة دعا لابن عباس
رضي الله عنهما بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان بحرا واماما للمفسرين ودعا
علي عتبة بقوله اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه الاسد وعلي من لحقه من الكفار حين خرج
من الغار فساخت قوايم فرسه والثالث وهو ما هو خارج عن ذاته وصفاته كخرور الاوثان سجدا ليلة
ولادته وسقوط شرف قصور كسري واظلال الغمامة عليه وانشقاق القمر وانقلاع الشجر ماشية اليه
وتسليم الحجر ونبوع الماء من بين اصابعه الي ان روي الجنود ودعا بهم وشبع الخلق الكثير من طعامه
اليسير وحنين الجذع وشكاية النوق وشهادة الشاة والجمادات وخطاب الذيب بقوله اتعجب
من اخذي الشاة وهذا محمد يدعو الي الحق فلا تجيبونه الي غير ذلك مما لا يحصي كثرة الطريق الثانية
مما نعلم به نبوته وهو ما اشتمل عليه من الاخلاق الحميدة والاوصاف الشريفة والسير المرضية
والكمالات العلمية والعملية والمحاسن الراجعة الي النفس والبدن والنسب والوطن مما يجزم
العقل بانه لا يجتمع الا لنبي وكذا من نظر فيما اشتملت عليه شريعته مما يتعلق بالاعتقادات
والعبادات والمعاملات والسياسات والاداب وعلم ما فيها من دقايق الحكم علم قطعا انها

ليست الا وضعا الهيا ووحيا سماويا وكذا انه عليه السلام ظهر احوج ما كان الناس الي من
يهديهم الي طريق مستقيم ويدعوا الي دين قويم وينظم الامور ويضبط حال الجمهور ويكون ذلك
الزمان زمان فترة من الرسل وتفريق للسبل واستعمال الضلال والاشتغال بالمحال فالعرب علي
عبادة الاوثان ووأد البنات والفرس علي تعظيم النيران ووطء الامهات والترك علي تخريب البلاد
وتعذيب العباد والهند علي عبادة البقر والسجود للشجر والحجر واليهود علي الجحود والنصاري
حيارى فيمن لم يلد ولم يولد وكذا سائر الفرق بين اودية الضلال وراجمة الخيال
والخيال فيليق بحكمة الحق الملك المبين الا يرسل رحمة للعالمين ولا يبعث من يجدد امر الدين هذا
لا يكون ثم انه هل ظهر احد يصلح لهذا الشأن ويؤسس هذا البنيان غير محمد بن عبد الله عليه
افضل الصلاة والسلام واكمل التحية والسلام الطريق الثالثة وهي النصوص السابقة الواردة
في كتب الانبياء المنقولة الي العرب المشهورة فيما بين اممهم واشهر الكتب المتقدمة عليه
صلي الله عليه وسلم ثلاثة التورية وقد جاء في مواضع منها الاشارة اليه صلي الله عليه وسلم
منها ما جاء في السفر الخامس جاء الله من طور سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال
فاران يريد بذلك الاخبار عن انزال التورية علي موسي بطور سينا والانجيل علي عيسي بساعير
فانه كان يسكن من ساعير بقرية تسمي ناصره وانزل القران علي محمد صلي الله عليه وسلم بمكة
فاران بطريق مكة قبل المعدن بميلين ونصف وهو كان المنزل ومنها ما جاء في السفر الخامس
ايضا انه تعالي قال لموسي عليه السلام اني مقيم لهم نبيا من بني اخوتهم مثلك واجري قولي في
فيه ويقول لهم ما امرهم به والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم منه
والمراد ببني اخوتهم اي ببني اسرائيل بنو اسماعيل علي ما هو المتعارف فلا يصرف الي من بعد
موسي من الانبياء من بني اسرائيل ولا الي عيسي لانهم لم يكونوا من بني اخوتهم ولا الي موسي لكونه
صاحب شريعة مستانفة فيها مصالح الدارين فتعين محمد صلي الله عليه وسلم ومنها ما جاء في السفر
الاول انه تعالي قال لابراهيم عليه السلام ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع
ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع واما في الانجيل فمنها ما ورد في السفر الرابع عشر انا اطلب لكم
الي ابي حتي يمنحكم ويعطيكم بارقليط ليكون معكم الي الابد والبارقليط هو روح القدس
اليقين وفي الخامس عشر فاما البارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي هو يعلمكم ويمنحكم
جميع الاشيا وهو يذكركم ما قلته لكم ثم قال واني قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتي اذا كان تذكروا

يؤمنون به وقوله باسمي يعني بالنبوة ومعنى البارقليط كاشف الخفيات وفي السادس عشر
اقول لكم الان حقا يقينا ان انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ابي لم يأتكم البارقليط
وان انطلقت ارسله اليكم فاذا ما جاء هو يفيد العالم ويدينهم ويمنحهم ويوقفهم على
الخطيئة قال اذا جاء روح الحق واليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبركم فانه ليس يتكلم بدعة
من تلقا نفسه واما في الزبور فقوله تقلد ايها الجبار السيف فان ناموسك وشرايعك مقرونة
بهيبة يمينك وسهامك مسنونة والامم يخرون تحتك ولقوله قال داود عليه السلام اللهم
ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس انه بشر قال في تلخيص المحصل عن الطوسي وامثال هذا كثيرة
مذكورة في كتب الانبيا المتقدمين لا يقدر المخالف على دفعها او صرفها الى ملك او نبي اخر ولا على
ان يكتمها فتمت الدلالة والله هو المرشد الى طريق الهداية واما الطريق الرابعة فذلك مخصوص
بمن سبق قدره عليه السلام الى غير بصيرة قلبه قبل ان يصل ممنوع قوله اليه فعند ذلك تحصل العلم به
صلى الله عليه وسلم ويصدقه كما وقع لابي بكر رضي الله عنه في بدايته وهو الواقع لكل محقق
من اوليا الله في نهايته وقد قال الشيخ سيدي ابو العباس المرسي والله لو خفي علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحظة واحدة لما عددت نفسي من المسلمين وهي عند الاشياخ محمولة على رؤية
المعاينة كشفا ومشاهدة وقد قال الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني والله ما رفع جدي قدما
الا وضعت قدمي موضع قدمه يشير الى كمال المتابعة المبني على المشاهدة وكذا ذكر الشيخ سيدي
ابو الحسن الحرالي رضي الله عنه قال كنت ذات يوم في موضع صلاتي بالغداة اذ كر نفوم على
فاذا به صلى الله عليه وسلم داخل الي في صورة لا يطيق احد وصفها فقال لي كذا كان نبيك
يستغفر الى الاشراق بالوا المفخمة وبالجملة فقد اتفقت كلمة اوليا الله على ان المدد العلمي
والعملي هو كله منه صلى الله عليه وسلم فهو الرسول المطلق وكل من تقدم من الانبيا والرسل فهم
من حيث النيابة عنه وقد كانت النيابة عنه قبل بعثته ووجود شخصه نبوة وبعده ولاية
علما امتي كانبيا بني اسرايل وقد ذكر الحديث باسقاط الكاف فافهم وحديث الامثال مشهور قال
عليه السلام اني لو شئت اخبرتكم بامثال الانبيا من امتي الى اخرهم ثم قال ابو بكر مثل ابرهيم
وعمر مثل نوح الى غير ذلك قال وخاتم النبيين اقول يريد انه مما يجب الايمان به انه صلى الله
عليه وسلم خاتم النبيين وهذا مما اجمع عليه اهل السنة وهو انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
يقال خاتم بفتح التا وكسرها وقد قرئ بهما في قوله تعالى وخاتم النبيين فالفتح بمعنى الختام والانتها

والمعنى

والمعنى انه انتها النبيين فهو كالخاتم والطابع الذي يكون عنده الانتها واذا كان انتها النبيين
كان انتها المرسلين لما تقدم من ان كل رسول نبي ورفع الاعم يستلزم رفع الاخص والكسر
بمعنى انه ختمهم اي جا اخرهم فلم يبق بعده شي وبالجملة فيه انتهت النبوة والرسالة ثم هذا
المعتقد ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما الكتاب فلقوله جل وعلا ما كان محمد ابا احد
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان مثلي ومثل الانبيا
قبلي كمثل رجل بنا دارا فكملها واحسنها وترك فيها موضع لبنة فصار يقال ما احسنها لو تمت فانا
اللبنة التي تم بها بنا الانبيا وكمل بها جمالهم وانا سيد ولد ادم وانا اول الانبيا فضلا واخرهم بعثا
قد ختم بي حديثهم فلا نبي بعدي وبالجملة فقد جا حديث الختم من طرق كثيرة واما الاجماع فقد
اتفقت الامة على ذلك واجمعوا على تكفير من ادعا النبوة بعده صلى الله عليه وسلم وهذه ادلة المحدث
واما الصوفي فيقول بذلك ويزيد بما يعطيه ذوقه ويشير اليه وجده كما اشار اليه الشيخ المحقق
سيدي ابو الحسن الحرالي فلنذكر متحصل قوله وحاصله انه تقرر ان النبوة انبا بوحي واعلام
بعلم قريب شي دمنا بوحي اقتصر به عليه ورب شي اعلى بعلم خاص وبعلم محيط ورا اعلامه
فذلك العلم انبا الله بوحي خلاف علمه الخاص او فوق احاطة علمه مثال ذلك ان ادم عليه السلام
علم احاطة علم الاسما فكان بذلك نبي علوم وما وراه علم الاسما يرد عليه وحي نبيه فيكون بذلك
نبي نبا ثم علم ادريس عليه السلام علم ما احاطت به الافلاك فما دونها من حكمة الله وخفايا توافقها
وجمل تفاصيلها من علم النجوم والاثار الافقية وطبايع المواليد وتشريح الحيوان والانسان
وتناسب اعضايها وتوازن مقاديرها وتفاصيلها لاحوالها واخلاقها وتناسب المقادير في كل
مقدار من الكرات والسطوح والاشكال والخطوط ومن الاصوات والالحان ونسب الزمان
ونحو ذلك مما انضم علمه الى علم الاسما فكان ادريس عليه السلام بذلك نبي علوم وما ورا ذلك نبي
نبا فاستمرت تلك العلوم باسرها في الخلق فان النبي عند غيبته عن شهود امته ينقطع نباه
ويورث علمه ثم اوتي ابرهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض فكان بذلك نبي علوم في كلية
العالم المشهود الذي هو عالم الدنيا الذي يتغير ويتبدل بتقضي ظهورها ثم لما انتهى امر الدنيا
بظهور علمها لابراهيم عليه السلام واطلاعه على ملكوت السموات والارض ترقى الامر الى انزال
روح من امر من فوق السموات والارض فكان افتتاح كلمة عليا فظهر عيسى عليه السلام من امر الروح
على ما لم يظهر عليه من قبله وكان له فيه من المكنة ما ينفخ فيه في الطين فيصير من نفخه باذن الله حيا

وعاين اهل الدنيا معاينة حاضر ما فوق السما من امر نفخ الارواح في الاجساد وصار علم الملكوت
دينا امر الروح فيما ظهر عليه عيسى عليه السلام فلطف الامر في الظاهر وعلت مقاصد الملة الطاهرة
التي امكنتها التوراتية ثم لما انتهى الامر الى ظهور امر الروح لعيسى عليه السلام وهو غاية مطلوب
شعور الخلق ونهاية تفطنهم بعث محمد صلى الله عليه وسلم بعثة جامعة لمعاني العلو بالظهور
على ما هو فوق ذلك باحاطته بكلية الكون اعلاه وادناه واوله واخره وكان له حظ من نبوة كل نبي
فكان بنبوته الجامعة لخصوص احوال الانبيا بمنزلة الفطرة الانسانية الجامعة لخصوص احوال
الانبيا الحيوان فكانت احاطة نبوته بظهور كمال كلية الامر فلم يبق وراه اعلام فاجتمعت طرفي
سلسلة النبوة والرسالة فكان خاتمهما لان حقيقة الختم جمع طرفي الشي فكان خاتما لا نبي بعده
اذ لا امر وراء امره ثم لما كان الامر كذلك كان مسمى بمحمد لانه بظهوره على امر الله ظهر على سريان
المدح في كل امر الله فكان بذلك احمد ثم تحقق وجوده وتكرر في ذلك فكان محمد بذلك اسما وحقيقة
وكان عبد الله لانه لما لم يتعبد لما دون الله لم يبق عليه حق لذي حق من دون الله لانتهائه الى
غاية امر الله فكان بذلك عبد الله لا ما في له في ذلك ولما احاطت رسالته بكلية الخلق تعين
واختص فاضيف اضافة الوصل فكان بذلك عبد الله ولما كان صلى الله عليه وسلم جامع الرسالة
كان كتابه طبق الكون فكان قرانا ولو فاية بحفظ رتب كلية الكون كان كتابه فرقانا ولما كان
لسان احاطة لم يف بالقيام به خلق من خلق الله لانه بناكلية امر الله حتى ان السورة الواحدة
منه لما كان موقع الخطاب بها من مدد بدايه عن احاطة امر الله لا يستطيعها احد من الخلق واذا
كان الاقل من كلام العالم لا يستطيعه من دون رتبته فعجز الخلق عن كلام الله احق واولى ثم كل
ناظر فيه من اي وجه نظره ادرك بمقتضى علوه على رتبته وجه العجز فيه ان كان فصيحا بليغا
فمن جهة البلاغة ومعنا بلوغ الكلام في مطابقة اتيانه ونسبتي الفصاحة وحسن نظم حروف
كلماته وتسمى لجزالته واكمال انتظام كلماته واياته وبسمى حسن التطلع الى انها غاياته
وانتهى نهاياته وان كان عالما فاخبار الاولين فبصحة مقتضاها فيه وان كان حكيما فبالاعلام
الانتهى بوجه تقاضي مترتباته وبالجملة فما يكون لاحد اصل من عقل وحظ من علم اي علم كان
الا ويجده امر تعالى في القران بفي له بحظ بيان علوم رتبة اتيانه على نهاية مدركه منه بمقداره
لا يرتاب في وقوعه فوق طور الخلق فكان اية باقية دايمة لم يتفاوت في تلقيه اول سامع
له من اخر سامع فكل نبي نفدت اياته بفقده او بفقد وقت ظهورها على يديه واية محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم باقية بابقاء الله انتهى قال وان جميع ما جا به حق وان المعجزة على صدقه وصدق
جميع الانبيا والرسل اقول يريد ان مما يجب الايمان به ان جميع ما جا به صلى الله عليه وسلم حق
وان المعجزة دلت على صدقه اما ان جميع ما جا به حق فلان ما جا به هو الرسالات والرسالة
حق قال جل وعلا يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
وقد تقدم ذكر البراهين على حقية رسالاته وهو متعلق الايمان برسالته واما ان المعجزة دلت
على صدقه فقد تقدم تقرير ذلك وبيان وجه دلالة المعجزة عليه وقوله وصدق جميع الانبيا
والرسل معطوف على صدقه والمعنى على صدق جميع الانبيا والرسل وذلك مما هو مجمع عليه وذلك
لان كل نبي دعوى نبوته مقرونة بالمعجزة وكل دعوى نبوة مقرونة بالمعجزة فهي صدق فكل نبي
صادق وانما قلنا ان كل نبي دعوى نبوته مقرونة بالمعجزة اذ النبوة انما تتقرر بذلك وقد اخبر
النبي عليه السلام بتقررها فهي كذلك وقال عليه السلام ما من نبي الا وقد اوتي مثل ما امن عليه
البشر الحديث تفريع واذا كان جميع ما جا به حقا فقد جا صلى الله عليه وسلم بحقية الملايكة
والكتب والرسل قال جل وعلا امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته
وكتبه ورسله وكذلك كل نبي جا بتصديق كل نبي فالتصديق بكل نبي واجب ضرورة من الدين
ولا ايمان لمن انكر واحدا من ذلك قال تعالى ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اوليك هم الكافرون حقا فمعنى الايمان بجميع ذلك اذ كل
ما هو في علم الله نبي وكتاب او ملك فيجب الايمان به من غير حصر في عدد اذ الحصر ربما لم
يطابق اذ لم يرد في العدد نص قطعي فيودي الحصر على ذلك التقدير الى زيادة او نقصان
فيعتقد نبوة من ليس بنبي او ينكر نبوة من هو نبي واما الحديث المذكور في ذلك فهو خبر
الاحاد ان سلم صحته فلا يفيد الا الظن والظن يحتمل النقيض وقد تقدم ذكر الحديث وبالله
التوفيق قال وهو امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة اقول ضمير هو يعود (بيان التحدي)
على المعجزة وما ذكره حدها وقد تقدم الكلام على هذا الحد وعلى بيان مفرداته وبيان احترازاته
وما يخرج عنه مما يوافق المعجزة في الجنس وهو الخارق للعادة تتميم لا شك ان الذي يشارك
المعجزة في كونه خارقا اشيا كثيرة كالكرامة والارهاص وغير ذلك من السحر وغيره وقد تقدم
الكلام على الارهاص وبقي اشيا ها هنا منها ما الايمان به واجب كالكرامة اذ انكارها بدعة
ومنها السحر وما اشبهه فلا بد من الكلام على ذلك وبالجملة فالخوارق العادية على اربعة

اقسام معجزة وكرامة واعانة واهانة ووجه الحصر ان يقال الخارق اما ان يكون مقرونا
بدعوى النبوة ام لا الاول المعجزة والثاني اما ان يكون مقرونا بتقوى بالله علما وعملا ام لا
الاول الكرامة والثاني اما ان يكون بالفسق ام لا الاول الاستدراج والثاني المعونة
وقد علم بذلك تحديد كل منهما وتمييزه عن غيره اما المعجزة فقد تم الكلام على حقيقتها واما
الكرامة فمذهب اهل السنة والجماعة الا ما نقل عن الاستاذ الاسفرايني انها حق
والكلام عليها يرجع الى امرين الاول فيما تتميز به الثاني في جوازها ووقوعها اما
ما تتميز به فقيل ان المعجزة مقرونة بالتحدي والولي لا يتحدى وقيل المعجزة تكون
مقصود اظهارها بخلاف الكرامة فالمقصود اخفاؤها وقيل الكرامة لا تكون من جنس
ما تحدى به النبي كاحيا الموتى وانقلاب الاعيان كانقلاب العصى حية بل تكون من غير
ذلك الجنس كاجابة الدعوة والصحيح عند امام الحرمين والقاضي وجماعة المتاخرين
ان الفرق هو المقارنة بدعوى النبوة كما افاده التقسيم وان الصحيح جواز تحدي
الولي على ولايته الا ان ما يتحدى به هل يدل على ولايته قطعا ام لا الصحيح انه
يدل ظنا لا قطعا بخلاف النبي لما تقدم من وجود دلالة المعجزة والصحيح ايضا
ان الكرامة يصح ان تكون مقصود اظهارها من الولي وكذلك الصحيح ان تكون من جنس
المعجز فان الولي انما صحت له تلك الكرامة من اجل متابعته لنبيه فتلك علامة على
صدق نبوته ورسالته ولذلك قيل ان كل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه فعلى هذا
كل ما صح ان يكون معجزة للنبي صح ان يكون كرامة للولي وعلى هذا جمهور اهل السنة الا
ما ثبت اختصاصه به كالكتاب المبين لنبينا صلى الله عليه وسلم واما الامر الثاني
وهو الجواز والوقوع فاما الجواز فمقطوع به اذ هو امر لا يلزم من فرض وقوعه
محال اذ هو فعل ممكن والفاعل قادر على كل شي ولا يكون ممتنعا لغيره اذ الاصل
عدم الغير وايضا ما يتوهم انه ممتنع له نحو ما قد قدمناه من الالتباس بالمعجزة
وقد تقدم تمييزها عنها واما الوقوع فمن وجهين الاول من جهة النص كقصة مريم
عليها السلام عند ولادة عيسى وانه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا
الاية وقصة اصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين بلا طعام ولا شراب وقصة
اصف بن برخيا من اتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف لا يقال الاول ارهاص

لنبوة عيسى ومعجزة لزكريا والثاني معجزة لمن كان نبيا في زمن اهل الكهف والثالث
لسليمان عليه السلام لانا نقول سياق تلك القصص يدل على ان ذلك لم يكن لقصد
تصديق في دعوى النبوة بل لم يكن لزكريا علم بذلك ولذلك استفهم على انا لم
ندع الاجواز ظهور الخوارق من بعض الصالحين غير مقرونة بدعوى النبوة ولا مسوقة
لقصد تصديق نبي وكونها ارهاصا لا يضرنا لان الارهاص قد تقدم التنبيه عليه لا
ينافي ان يكون كرامة له الوجه الثاني ما تواتر معنى وان كانت تفاصيله احادا من
كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين وهلم جرا الى قيام الساعة
اذ لم تزل طايفة من هذه الامة قايمة على الحق الى قيام الساعة اذ لم تزل طايفة من هذه
وذلك كاخبار ابي بكر رضي الله عنه بما في بطن زوجته وكرؤية عمر على المنبر جيشه بنهاوند
حتى قال يا سارية الجبل وسمع سارية ذلك ودوران الرحا في بيت علي من غير مديرلها
وشرب خالد السم من غير ان يضره وبالجملة تعدد الكرامة لا يخفى من ساير اوليا الله فانكار
ذلك بهت وشقاوة وفي الاصل كما وقع من اهل البدع والاهوا من المعتزلة وغيرهم قال
سعد الدين وانما انكرت اهل الاهوا والبدع ذلك ان لم يشاهدوا من انفسهم ذلك
ولم يسمعوا به عن روسايهم الذين يزعمون انهم على شي من اجتهادهم في امر العبادات
واجتناب السيات فوقعوا في اوليا الله اصحاب الكرامات يمزقون ادمتهم ويمضغون
لحومهم ولا يسمونهم الا باسم الجهلة المتصوفة ولا بعد ونهم في عدد احاد المبتدعة
قاعدين تحت المثل السابر اسمعتهم سبا وراحوا بالابل ولم يعرفوا ان مبنا هذا الامر
على صفا العقيدة ونقا السريرة واصطفا الحقيقة فلم يتعجب من انكارهم وانما العجب
من بعض اهل السنة حيث قيل له فيما دري عن ابراهيم بن ادهم انهم راوه بالبصرة
يوم التروية وفي ذلك اليوم بعينه راوه بمكة قال ان من اعتقد جواز ذلك يكفر والانصاف
ما ذكره الامام النسفي سيل عن ما يحكى ان الكعبة كانت تزور وليا من اوليا الله هل يجوز القول
به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جايز عند اهل السنة والجماعة تنبيه
لا شك ان الكرامة مخصوصة بالولي كما قلناه والولي من قامت به الولاية والولاية مرجعها
عند اهل السنة والجماعة الى المعرفة بالله بحسب الطاقة الانسانية والمواظبة على طاعته
مع الاجتناب عن المعاصي والتعرض للانهماك في اللذات والشهوات هذا حاله عندهم

من عدا الصوفي واما الصوفي فيقول الولاية على قسمين ولاية عامة واليها الاشارة بقوله
تعالى الله ولي الذين امنوا وخاصة واليها الاشارة بقوله تعالى الا ان اوليا الله ومرجع
ما تقدم من التفسير الى ما هو ظاهرها ووجه العام واما هي في نفسها وحقيقتها فهي اقامة
الحق عبده في امره لما اولاه من احاطة علمية ذاتية او صفاتية وقد تكلمنا على حقيقة الولي
واقسامه في رسالة الشانيين لمن اراد معرفة ذلك فليطالعها ثم اعلم ان اهل السنة والجماعة
من الصوفي وغيره اتفقوا على ان الولي لا يبلغ درجة النبي لما اشتمل عليه النبي من وصف
الولاية والزيادة بخاصية النبوة وان الولي وان بلغ في معرفة الله ما بلغ يكون الانسان
فلا يسقط بذلك التكليف عنه وان من اعتقد اسقاط التكليف فهو كافر نعم الذي قد تغلب
عليه حالة تسمى عند القوم بالانجذال وعلى من قامت به وغلبت عليه يعبر عنه بعقلا المجانين
فامثال هولا حيث يفعلون ما هو خارج عن القانون الشرعي ليس لان التكليف سقط عنهم
لكمال معرفتهم بل لانهم من قبيل المجانين الذين لا تكليف عليهم شرعا لفقدهم العقل الذي
هو شرط في التكليف وهو العقل الذي يدرك به وجوب الواجبات واستحالات المستحيلات
وجواز الجايزات وحسن المستحسنات وقبح المستقبحات بالحسن والقبح الشرعيين او غيره
ولا يلزم من فقدهما به ادراك ذلك الذي مرجعه الى ظاهر الدنيا وما دون الفلك فقدهما به
ادراك ذلك مما يرجع الى تنزال امر الله وادراك حقايق اسمايه وتاثرات متعلقات صفاته
فاعلم ذلك وهي بعد مسالة وهي ان النبي اجتمعت فيه الولاية والنبوة فايهما افضل نبوته او ولايته
اختلف في ذلك فمنهم من رجح النبوة لانها واسطة بين الحق والخلق في قيام مصالحهم في الدارين
مع ما في ذلك من شرف مشاهدة الملك وسماع خطاب الرب ومنهم من رجح الثاني لما في الولاية
من معنى القرب والاختصاص الذي يكون في النبي في غاية الكمال بخلاف ولاية غير النبي فاعلم
ذلك ولا ينبغي اطلاق النبوة ام الولاية لما في ذلك من الابهام بل لا بد من التقييد بالاضافة
كما قلناه وقد نبه على ذلك محققوا اهل التصوف فاعلمه واما الاستدراج وهو المسمى بالاهانة
فهو على قسمين فمنه ما يكون على طريق السحر ومنه ما لا يكون على طريق كما نقل من بعض احوال
مسيلمة الكذاب وكما يقع على يد الدجال واما السحر فالكلام على حده ووقوعه اما حده فالسحر
كما قال سعد الدين هو اظهار امر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة اعمال مخصوصة
يجري فيها التعليم والتقليد فقوله اظهار امر خارق للعادة ظاهره انه خارق للعادة في نفس

الامر وهذه المسالة قد اختلف فيها والصحيح انه خارق باعتبار القوة الخيالية وما يبدو في
النظر لا باعتبار نفس الامر قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقوله من نفس شريرة
خبيثة يخرج ما كان من نفس غير شريرة وبهذا تميز السحر عن الكرامة والمعونة وقوله بمباشرة
اعمال مخصوصة يجري فيها التعليم والتقليد يخرج ما كان اسنده واجاو ليس بسحر كما نبهنا
عليه ثم تلك الاعمال المخصوصة على ما حصل الاستقرا كما نبه عليه الامام فخر الدين بن الخطيب
في ملخصه وشرح الاشارات بل وفي التفسير وفي كتابه المسمى بالسر المصون وذلك ان تلك
الاعمال راجعة متعلقها الى انواع ثلاثة النوع الاول مرجعه الى مزج القوى الفلكية بالقوى
العنصرية وهو المسمى بالطلسمات الثاني راجع الى افعال الاجسام العنصرية الثالث راجع
الى الاعمال الفلكية فقط وهو المسمى بتنزيل الروحانيات واكثرهم يجعل العمل المتعلق بالعناصر
سحرا فقط واما ما عدا ذلك فليس عندهم من قبيل السحر واهل العلم يرون ان ذلك كله من قبيل
السحر واما الوقوع اما جوازه فلما تقدم من ان ذلك امر ممكن وانه لا يمتنع عقلا ان الله
جل وعلا يفعل اشيا عند نفث شخص وعقده وتصويره اذ هو جل وعلا فاعل لما يشا قادر
على كل شي واما الوقوع فقد ثبت نصا قرانا قال تعالى يعلمون الناس السحر الى قوله
ويتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
وفي الاية اشعار بالوقوع وبان المؤثر هو الله جل وعلا وقد ثبت سنة وهو ما روي انه عليه
السلام سحر حتى مرض ثلاث ليال فنزلت سورة الفلق رقية من ذلك وكذا ما روي ان جارية
سحرت عايشة وكذا عبد الله بن عمر سحر فتكوعت يده اي اعوجت لا يقال لو صح السحر لاضرت
السحرة بجميع الانبيا والصالحين وحصلوا لانفسهم الملك العظيم وكيف يصح ان يسحر النبي
وقد قال تعالى والله يعصمك من الناس ولا يفلح الساحر حيث اتى وكانت الكفرة يعيبون النبي
بانه مسحور مع القطع بانهم كاذبون لانا نقول ليس الساحر يوجد في كل عصر وفي كل مكان
ولا ينفذ حكمه في كل اوان وليس له يد في كل شان والنبي معصوم من ان يهلكه الناس او يوقعوا
خللا في نبوته لا ان يتوصل ضررا ما الى بدنه والكفار حيث اطلقوا مسحورا ارادوا بذلك انه
مجنون ازيل عقله بالسحر حيث ترك دينهم تتميم مما يقع الانفعال عنه وخصوصا التغيير
بمرض او تلف العين وقد قال عليه السلام العين حق وهو ان يكون لبعض النفوس خاصية
بحيث اذا استحسنت شيا لحقته الافة اما ثبوت العين ووقوعها فلما ذكر يجري مجرى المشاهدات

لما وقعت به التجربة قد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر
وجملة ذلك مما يتعلق بصيت الما على المعين من ونز المعيان هل يجب ذلك ام لا مسطور في كتب
الفقه اذ هو من الفروع فلينظر ثمه واما المعونة فالكلام عليها ايضا جوازا ووقوعا يؤخذ مما
تقدم فلا نطول بذكره قال والهم معصومون من الكباير قبل النبوة وبعدها وفي تبليغ الوحي
والفتاوي ومن الصغاير بعد النبوة مطلقا خلافا لمن جوزها عليهم سهوا بخلاف ما قبلها في السهو
لا مطلقا على الاصح اقول يريد ان مما يجب الايمان به ان الانبيا معصومون والكلام على هذا المعتقد
يرجع الى امور الاول في مفهوم العصمة الثاني في اسبابها الثالث في متعلقها الرابع في وقتها
اما مفهومها بالعصمة لغة المنع لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع واصطلاحا قيل
العصمة ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة وقيل صفة توجب امتناع عصيان
موصوفها والى هذا الحد يرجع كلام الشيخ بن عرفة ومن ثم منع اتصاف غير النبي والملك
بهذا الحكم فالامتناع انما هو لهما لا لغيرهما والصواب ان اختصاص النبي والملك
انما هو بوجوب العصمة وعلى ذلك الاختصاص وجب الحكم بالامتناع وعلى هذا لا يمتنع
عروضها لغيرهما وقد نص الامام في الارشاد ان العصمة والتوفيق بمعنى واحد والتوفيق
يعرض لغيرهما فكذلك ما في معناه واما المحدث فيري في العصمة قريبا مما تقدم اذ نظره
فيما يسمعه ويعلمه من اللغة واما الصوفي فالعصمة عنده كون العبد بحيث يكون كل ما يظهر
عليه من الامر الالهي من الافعال والاقوال والتردد تكوينا هو عين ما يتعلق به الامر الالهي منه
تكليفا فعنده كل من وجبت له العصمة بجميع ما يصدر عنه موافق لامر الله وكل ما هو موافق
لامر الله فهو طاعة ويحال عنده ان يكون غيرها بالوجه الذي يقال فينا وان اطلق عليه الرد
جل وعلا خلاف ذلك فهو من حيث مرتبة تمام ومقام مما ابقى لوصف البشرية واظهار الجلال
الربوبية فتنبه لذلك الامر الثاني في اسبابها العادية واما الاسباب الحقيقية فمحض
فضل الله وكمال عنايته واما عادة فمجموع العلم بمناقب الطاعات ومثالب المعاصي ومساعدة
القوة العملية للقوة العلمية وتتابع الوحي والبيان والتنبيه عتبا عند ترك الاولى
الثالث في متعلقها وهي المخالفات والمخالفات اربعة ما يخالف المعارف الاعتقادية
وما يخالف الاقوال الخفية كالصدق والوفا بالعهد وما يخالف الافعال الحسنة وما
يخالف الاخلاق المرضية والجميع يرجع الى قسمين صغاير وكباير والصغاير على قسمين صغار

خشية وغيرها وكل من الجميع يكون سهوا وعمدا الرابع في وقتها وذلك ما قبل النبوة
وما بعدها تنبيه اعلم ان الشرايع على قسمين منها ما لا يقبل نسخا ولا تبديلا وهي
الضروريات المتقررة حكمها من رسالة ادم عليه السلام الى انقضا امد التكليف من عالم
الدنيا والى ذلك الاشارة بقوله جل وعلا شرع لكم من الدين الاية ومرجع ذلك الى الاقرار
بحق الربوبية والقيام بموجب العبودية مع الحفظ على ما يتوقف عليه ذلك من حفظ
الشخص ووجود النوع قال جل وعلا من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل انه من قتل نفسا بغير نفس
الاية فكل مخاطب بما تقرر قبله من الشرع الذي لا يقبل نسخا وان اختلفت الاحوال بحسب
الازمان والصور العلمية بحسب ذلك وبهذا التنبيه يندفع ما استشكله القاضي عياض
على ما قبل النبوة حيث قال تصور المسالة كالممتنع فان المعاصي انما تكون بعد تقرر الشرع
اذ لا يعلم كون الشي معصية الا من الشرع اذا تقررت هذه الاصول فاعلم ان اهل السنة
والجماعة اختلف طرق النقل عنهم في هذا المعتقد على ثلاثة الطريق الاولى طريق المصنف
في هذه العقيدة ومحصلها ان الانبيا عليهم السلام معصومون من الكباير مطلقا اي عمدا
وسهوا قبل النبوة وبعدها اجماعا ومعصومون في تبليغ الوحي والفتاوي كذلك ومن
الصغاير بعد النبوة مطلقا على الاصح وفي السهو قولان واما قبلها فعمدا متفق عليه وفي
السهو قولان الاصح الجواز الثانية طريق الامدي في الابكار حكى الاتفاق على السهو مطلقا
وعلى العمد فيما قبلها وهذه في غاية الضعف الثالثة طريق امام الحرمين وغيره وهي
طريق المصنف في مختصره اما الكباير عمدا وبعمد الكذب فمتفق عليه وفي غير عمده قولان
الجمهور وقول القاضي واما الصغاير فاما الخسة منها فمعصومون منها مطلقا واما غيرها
عمدا فقولان وسهوا بلا خلاف والصواب من هذه الطرق طريق المصنف في هذه العقيدة وهي
طريق صاحب الطوالع واختيار الشاهرستاني والقاضي عياض واهل التصوف ثم
الدليل على ذلك اما ما كان منها مجمع عليه في جميع الطرق وهو تبليغ الاحكام والفتاوي والكباير
بعد البعثة وصغاير الخسة والاصرار على غيرها فالاجماع كاف في ذلك حجة بعد دلالة
المعجزة على الصدق في التبليغ مطلقا وما نقل عن القاضي في غاية التعديل هو خطا ان
ثبت النقل عنه بذلك لكن القاضي عياض قد نقل الوفاق على ذلك قال وانما الخلاف
في الدليل فالجمهور بالعقل من حيث دلالة المعجزة والقاضي بالسمع واما الفتاوي

فالاكثر ينقل الاجماع على ذلك كما نقله المصنف هنا وان كان هو في مختصره وكذا الآمدي
يحكي الخلاف في السهو فيه الا انه لا بد ان ينبهوا على ذلك فلا يقرون عليه واما ما فيه الخلاف
من صغاير غير الخسة بعد النبوة والسهو في غيرها قبلها واما بعدها فالاجماع على العصمة من
الكباير عمدا او سهوا وما نقله الآمدي في غاية البعد والخطا لمعارضته طريق غيره المقطوع
بصحتها والحاصل من الدليل على عصمتهم من ذلك بل من الجميع مطلقا هو انه لو صدر منهم
الذنب لحرمت متابعتهم والتالي باطل فالمقدم مثله اما الملازمة فلان الذنب مطلوب الترك
اجماعا وكل ما هو مطلوب الترك اجماعا تحرم المتابعة فيه اجماعا فينتج الذنب تحرم المتابعة
فيه اجماعا واما بيان بطلان التالي فلانا مامورون باتباعهم وقد قال جل وعلا واتبعوه
لعلكم تهتدون فاتبعوني يحببكم الله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وبالجملة
لو صدر منهم ذنب لردت شهادتهم واستحقوا العذاب واللوم والذم وعدم نيل العهد
وكانوا غير مخلصين اما رد الشهادة فلقوله جل وعلا ان جاءكم فاسق الاية واما العذاب
فلقوله ومن يعص الله الاية واما استحقاق اللوم فلقوله لم تقولون ما لا تفعلون واما
الذم فلقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم واما عدم نيل العهد فلقوله لا ينال عهدي
الظالمين واما عدم الاخلاص فلان المذنب غاو ولا شيء من المخلص بغاو وكل نبي مخلص اجماعا
وهذه الادلة اكثرها في غاية الوضوح واما ما تمسك به المخالف لهذا المعتقد من هذه
الطريقة من الظواهر فليس ينهض دليلا اذ هي مأولة وتأويلها في غاية الوضوح وكل ذلك
مبسوط في الكتب المطولة وهذا الطريق الذي عليه المصنف يكاد ان تكون علما الامة من هذه
الاعصار لم يختلفوا في ذلك ولا نجد احدا منهم والحمد لله يقول بقول من تقدم حتى لو بدا
شيء من ذلك على احد ولو كان منصوصا لبعض اهل السنة لحكموا ابادبه ان لم يكفروه والله
ولي التوفيق تفريع ويتميم من شروط النبوة عند اهل السنة والجماعة من حيث كمال العصمة السرقيتم
الذكورية لقوله جل وعلا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم وعلى هذا فلا تكون
منهم نبية وهو قول اكثر اهل السنة وكمال العقل والذكا والفطنة وقوة الراي والسلامة
من كل ما ينفر مما يوجب ثلما في النسب او غيره كالفصاحة والسلامة من العيوب المنفرة
كالبرص والجذام ومن كل ما يخل بالمروة كالحجامة وعن كل ما يخل بحكمة البعثة واما المحدث
فيستدل بما تقدم وكذلك الصوفي ويزيد بان الانبيا عليهم السلام مظاهر الانبا الالهي لسائر

العباد

العباد وكل من القول والفعل والترك انبا عما في ضمايرهم وما في ضمايرهم انبا عن الشان
الالهي فلو صدر عنهم ما ليس موافقا لذلك الانبا لبطل المقصود اذ لم يعلم من غيره ما
يكون منبيا عن ذلك الانبا فاما ان يكون من نوع ما قبله فيلزم الدور والتسلسل
او لا فخلاف المعتاد من سنة الله والحاصل ان الانبيا عليهم السلام السنة للحق والة
خبره وخبره معصوم فالنبي معصوم وهو المطلوب قال عليه الصلاة والسلام ان الله
يقول على لسان عبده سمع الله لمن حمده هذا محل التفريع المتقدم قال وانهم افضل
من الملايكة على الاصح اقول يريد ان مما يجب الايمان به ان الانبيا عليهم السلام افضل
من الملايكة وهذا المعتقد يرجع الى مطالب الاول ما هو الملك الثاني وجوب الايمان
بثبوتهم ووجودهم الثالث في عصمتهم الرابع في افضليتهم ومفضوليتهم
اما المطلب الاول وهو ما هو الملك فاعلم انه قد اختلف العلما في اثبات المجرد ونعني
بالمجرد ممكن ليس بمتحيز ولا قايم بمتحيز فمن اهل السنة من نفى ذلك وهم اكثر الاشاعرة
والمحدث ومنهم من اثبته وهم بعض الاشاعرة كابي حامد والراغب والحليمي وجميع المحققين
من الصوفية ومنهم من توقف كالمقترح وفخر الدين في بعض كتبه فعلى القول الاول فالملايكة
اجسام لطيفة نورانية تظهر في صور مختلفة وتقدر على افعال شاقة لا يقدر عليها
البشر واما على القول الاخر فالملك عندهم مجرد مخصوص بظهور الخير ودوام الذكر
وبالجملة فهم عند الجميع عباد مكرمون مواظبون على الطاعات لا يعصون الله ما
امرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا انوثة اما الانوثة فمنتفية بالاجماع
وصريح القران لقوله جل وعلا وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم
ستكتب شهادتهم ويسالون واما الذكورة فلعدم السمع بذلك وايضا لو كانوا
ذكورا لكان لهم اناث عملا بالمعتاد والحكمة في حق غيرهم ولو كان لهم اناث فاما من
جنسهم وذلك باطل واما من غيرهم فابين ومن الناس من جوز وصفهم بالذكورة وتمسك
باجرا الاوصاف والاحكام وليس الكلام في اجرا الاحكام اللفظية وانما الكلام في
الاتصاف بالمعنى الذي كان به الذكر ذكرا لغة واما المطلب الثاني وهو ثبوتهم ووجوب
الايمان بذلك فذلك معلوم من الدين ضرورة وذلك اجلى من ان يستدل عليه وقد
قال جل وعلا امن الرسول الاية وعنه عليه السلام الايمان ان تؤمن بالله الحديث

واما المطلب الثالث وهو العصمة فقد اتفق اهل السنة والجماعة علي انهم معصومون
تعالى جل وعلا بل عباد مكرمون وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون واما
المطلب الرابع وهو الافضلية ففي ذلك طرق ثلاث الاولى طريق المصنف وجماعة قصر الخلاف علي الانبيا
والملايكة وان الانبيا افضل علي الاصح من الملايكة كيف ما كانت علوية او سفلية والاول
هو قول الجمهور من الاشاعرة واهل الحديث والتصوف وغير الاصح فهو قول الباقلاني
والفخر في بعض كتبه الطريق الثانية طريق الامدي وكذا البيضاوي قصر الخلاف علي الملايكة
العلوية واما الملايكة السفلية فلا خلاف ان الانبيا افضل وظاهر ذلك ان الخلاف حتى في نبينا
عليه السلام وهو ظاهر احتجاجهم كما في الابكار وغيرها بقوله جل وعلا انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون قالوا وصف النبي عليه السلام
بقوله وما صاحبكم بمجنون فقط فلو كان هو افضل من جبريل ومساوله في صفات الكمال
لكان الاقتصار في وصفه عليه السلام علي ذلك بعد وصف جبريل بما وصف به غضا من منصبه
وهو ممتنع فقد جعلوه عليه السلام كما ترى محلا لاحتجاج المخالف لكن نقل فخر الدين كذلك
لا في الاجماع انه عليه السلام افضل من غيره علي الاطلاق من غير خلاف وانما الخلاف في غيره
الثالثة طريق النسفي في عقيدته وهو ان رسل البشر افضل من رسل الملايكة ورسل الملايكة
افضل من عامة البشر من المؤمنين وعامة البشر من المؤمنين افضل من عامة الملايكة
اما الطريق الاولى فمتحصلها ان الانبيا افضل من الملايكة وقيل بالعكس في غير نبينا عليه
السلام اما دليل الاصح فمن وجوه الاول ان امر الله تعالى الملايكة بالسجود لادم عليه السلام
تعظيما له لما له من الافضلية عليهم بدليل اباية ابليس عن السجود وتعليله بقوله انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلولا فهمه ان السجود كان للمزية التي من اجلها امرت
الملايكة لما احتج بذلك وبدليل قوله جل وعلا ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فنبه علي
الخصوصية وقد تقدم تقريرها واذا ثبت ان ادم عليه السلام افضل من الملايكة كانت الانبيا
كلهم كذلك اذ لا قايل بالفرق الثاني ان ادم معلم الملايكة والمعلم افضل من المتعلم واما ان ادم
معلم لهم فلقوله تعالى انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم الاية واما ان المعلم افضل فظاهر
فان قيل وان كان ادم علمهم الاسما فلهم علوم اخر من علوم اللوح المحفوظ وغيره فلم تحصل الافضلية
في العلم فلا افضلية لجواز اختصاص كل بعلم قيل سياق الاية يدل علي ان المقصود اظهار ما خفي

عليهم من افضلية ادم التي بها كان خليفة ودفع ما توهموا فيه من النقصان بدليل قوله الم
اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض الاية الثالث قوله تعالى ان الله اصطفى ادم
ونوحا وال ابراهيم وال عمران علي العالمين والملايكة من العالمين لكن خرج غير الانبيا
بالاجماع فبقي معمولا به في الانبيا الرابع ان طاعة البشر اشق لمدافعة المانع وما كان اشق
كان ثوابه اعظم لقوله عليه السلام افضل الاعمال احمزها اي اشقها ولقوله اجرك
علي قدر نصبك ومن كان ثوابه اعظم كان افضل واعلم ان المقصود من المسالة الظهور
فهذه الادلة ظاهرة في ذلك وان كان المقصود القطع فهذه الادلة بالانصاف لا تفيده
لكن المسالة علمية اعتقادية وكل مسالة علمية اعتقادية فالمطلوب فيها القطع فعلى هذا
تستشكل هذه الادلة من حيث ذلك المطلوب الا ان يقال ان الظواهر اذا تظافرت علي شي
واحد افادت القطع به واما المحدث فهذه ادلته واما الصوفي فيقول ان هنا مقامين الاول
مقام الافضلية والثاني مقام الشرف وذلك ان من كان اجمع لكمالات مراتب الكون بحيث
تكون فيه خواص كمالات الكون كان افضل ومن كان ابعد من شوايب التركيب واقرب
للبساطة كان اشرف يفرقان بين الافضلية والشرف وعلي هذا فالانبيا عليهم السلام
افضل لاختصاصهم بمرتبة الافضلية التي هي جمعية الكمال والى ذلك الاشارة باليدين في
قوله لما خلقت بيدي وللملايكة الشرف من حيث البساطة ذوا تهم وايضا الفضل بحسب
العلم بالله والانبيا اعلم بالله من الملايكة وانما كان الفضل بحسب العلم بالله اذ الفضل اما
بحسب العلم نفسه واما بحسب الثواب واياما كان فالفضل بحسب العلم اذ من المعلوم قطعا
ان العبادة بحسب العلم بل زيادة العلم بالله هو نفس العبادة واما ان الانبيا افضل علما فلان
العلم بحسب التجليات الاسمائية فمن كانت تجليات الاسما عليه اكثر كان اعلم والانبيا اكثر
تجليات لان الانبيا تجلى عليهم وظهر بما يقتضي الاكوان الجسمانية من حيث عالم الخلق وبما
يقتضي الانوار الروحانية من حيث عالم الامر واما الملايكة فليس التجلي عليهم الا من حيث الانوار
الروحانية فقط وذلك معلوم وانما كان كثرة التجليات تعطي افضلية العلم لان كثرة التجليات
تعطي العلم من وجوه تلك التجليات والعلم من وجوه اقوى من العلم من اقل من تلك الوجوه
فافهم وكيف تكون الملايكة افضل من الانبيا والملايكة من اجل ابن ادم خلقوا فضلا عن الانبيا
منهم بقول جل وعلا كما ثبت في بعض الكتب السماوية ابن ادم خلقتك وخلقت كل شي من اجلك

اقتضت الاية فضل ادم ونوح وال ابراهيم وال عمران علي العالمين صح

نفس صح

وقال جل وعلا وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض فاعلم ذلك واما متمسك المخالف
فوجوه اقواها قوله جل وعلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
ووجهها عندهم ان معني الاية لا يرتفع عيسي عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كقولك
لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان بشهادة علم البيان واساليب الكلام والجواب
ان الكلام سيق لرد مقالة النصاري ودعواهما ادعوه في عيسي عليه السلام مما لازمه الترفع
عن العبودية وهو النبوة الي الالوهية لشبهة انه روح الله وولد بلا اب ولكونه يبرئ
الاكمه والابرص ويحيي الموتي ومعني الاية علي ذلك التقدير لا يرتفع عيسي عن العبودية
ولا من هو فوقه في هذا المعني وهو الولادة بلا اب والقدرة علي ما لا يقدر عليه نوع البشر
وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون علي ما هو غير مقدور لعيسي وقوله
جل وعلا قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ووجه
الدلالة ان هذا الكلام انما يحصل اذا كان الملك افضل والجواب انه انما قال ذلك حين
استعجل قريش العذاب الذي وعد وابه والمعني علي ذلك التقدير اني لست بملك حتي
تكون لي القدرة علي انزال العذاب باذن الله كما كان لجبريل عليه السلام ولا يقتضي ذلك
الافضلية هذا من جهة السمع واما من جهة العقل فاقواها هو ان اعمالهم الموجبة للثواب
اكثر لطول زمانهم وادوم لعدم تخلل الشواغل واقوم لسلامتها من مخالطة الفساد وعلومهم
اكمل واكثر لكونهم نورانيين يشاهدون اللوح المحفوظ والجواب ان هذا لا يمنع كون الانبيا
اكثر ثوابا بجهات اخر كقهر المضادد والمنافي وتحمل المشاعب والمشاق ونحو ذلك واما
ان كون علومهم اكثر لاجل ما ذكر فلا نسلم لجواز ان يكون لهم بل هو واقع من العلم بالله ما هو
افضل من ذلك العلم واما دليل الطريق الثالثة وهي طريق النسفي فاما ان رسل الملائكة افضل
من عامة البشر فبالاجماع بل ذلك ضروري واما تفضيل رسل البشر علي رسل الملائكة فلما
تقدم من الوجوه واما تقديم عامة البشر علي عامة الملائكة فلان الانسان المؤمن يحصل الفضايل
والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوايق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات
الضرورية والاعراض الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة واكتساب الكمال
مع هذه الشواغل اشق واجهد وادخل في الاخلاص فتكون بهذا افضل تتميم قد اتفق اهل السنة
والجماعة علي انه صلي الله عليه وسلم افضل الخلق اما الملائكة فلما تقدم من الاجماع علي النقل الصحيح

واما علي الانبيا والرسل فلوجوه الاول قوله جل وعلا كنتم خير امة اخرجت للناس دلت الاية
علي ان هذه الامة خير الامم وخيرية الامة انما هو بخيرية نبيها فيكون عليه السلام خير الانبيا
وهو المطلوب وايضا قوله عليه السلام انا سيد ولد ادم ولا فخر لا يقال تخرج من العموم ادم
اذ لم تكن سيادة له عليه بهذا الحديث لانا نقول ترك ذكر ادم مرادا به او المقصود التعميم
اذ المقصود من بني ادم هذا الجنس الانساني ونقول ثبتت بهذا سيادته علي ابراهيم
وموسي وعيسي وليس هو باقوي سيادة منهم فهو سيد الجميع وهو المطلوب وايضا الكامل
علي قسمين اما ان يكون كاملا في نفسه فقط غير مكمل لغيره او مكملا لغيره والثاني افضل ثم
ما فيه تكميل الغير هو العلم او العمل وافضل مراتب العلم بالله وافضل الاعمال الطاعة له فمن كان
لهذين اقوي تحصيلا وافادة كان افضل ولا شك انه صلي الله عليه وسلم اقوا في هذين الشانين
اذ هو ذو الكلمة الجامعة والرسالة المحيطة وبدليل ما ظهر في امته وانتشر فيهم من العلم
بالله والعبادات الجامعة لعبادة العالم كله علي ما تشير اليه الصلاة والحج وغير ذلك
ما لم يكن لغيرهم ولا في غيرهم والحاصل انه صلي الله عليه وسلم مختص بها علي الكمال والتكميل
وكل من هو مختص بها علي الكمال والتكميل فهو افضل فهو صلي الله عليه وسلم افضل وهذا برهان
لي اذ وسطه علة في العلم والوجود معا وتحقيق مقدماته ما بسطناه واما المحدث فادلته
ما تقدم من السمع واما الصوفي فيقول ما تقدم ويزيد بان يقول المفيد من كل الوجوه اعلي
من المستفيدين من كل الوجوه وهو صلي الله عليه وسلم المفيد من كل الوجوه اذ هو صلي الله عليه
وسلم من نوره امتدت الانوار وقد قال عليه السلام اول ما خلق الله نوري ومن نوري
خلق كل شيء والانوار علي قسمين طبيعية وروحانية والروحانية علي قسمين علوم واخلاق
ولا شك انه ذو العلم المبثوث منه الي الخلق وذو الخلق المبثوث منها اليهم كذلك
ولذلك قال جل وعلا وانك لعلي خلق عظيم والي هذا الامداد الاشارة بقوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين واليه الاشارة بقوله انا يعسوب الارواح اي اصلها وكنت نبيا
وادم بين الروح والجسد وبالجملة فهو صاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة والمقام
المحمود وكذلك لا ينبئ عن اختصاصه بسر المبدا به للجميع وقد نبه صلي الله عليه وسلم علي
خاصيته التي لم يعلمها علي الحقيقة الا الله بقوله عليه السلام يا ابا بكر والذي بعثني
بالحق لم يعلمني حقيقة غير ربي فاعرف ذلك من اجل هذه الفضيلة سال اولوا العزم

من الرسل كابراهيم وموسي الحق جل وعلا ان يجعلهم من امته قال وان المعاد البدني
حق بمعني جمع الاجزا بعد تفريقها او بمعني اعادتها بعد اعدامها اقول يريد ان
مما يجب الايمان به ان المعاد البدني حق ثم هو بمعني جمع الاجزا بعد تفريقها او بمعني
اعادتها بعد اعدامها وهذا المعتقد يرجع الي ما هو جايز في افعاله تعالي وهو اي المعاد مما علم
من دينه صلي الله عليه وسلم بالضرورة والكلام علي هذا المعتقد من طرفين الاول في
اثباته الثاني في كونه بعد اعدام او بعد تفريق اما الاول فالمعاد علي قسمين روحاني
وجسماني وقد اختلف اهل السنة في انه جسماني فقط او روحاني وجسماني فمن قايل
انه جسماني فقط بنا علي ان الروح هي الحياة القايمة بالبدن فليس ثمة الا الهيكل
المشهود المتصف بالحياة وما يتبع الحياة والروح والنفس راجع الي الحياة وهذا
قول القاضي والقابسي والجمهور علي انه جسماني وروحاني وذلك اما علي ان الروح
مجرد علي من يقول به كما تقدم واما علي القول بان الروح جسم نوراني لطيف سار
في البدن كسراية النار في الفحم وسياتي الكلام علي الروح بعد والحاصل ان المعاد
هو الجسم والروح وان اختلفوا في تلك الروح ما هي ثم الكلام في الجواز والوقوع
اما الجواز فهو ضروري عند جميع العقلا ان كانت الاعادة بعد التفريق واما ان كانت
بعد الاعدام فعليه اتفق اهل السنة والجماعة واكثر العقلا والحذاق من غيرهم والدليل
علي الامكان انه امر لا يلزم منه محال لذاته وذلك ظاهر قطعا ولا لغيره اذ الاصل
عدم الغير ومن ادعاه فعليه به وكلما كان كذلك فهو جايز ممكن وايضا فان المعاد مثل
المبدا بل هو عينه لان الكلام في اعادة المعدوم ويستحيل كون الشي ممكنا في وقت ممتنعا
في وقت القطع بانه لا اثر للاوقات فيما هو بالذات وايضا المعدوم الممكن قابل للوجود
ضرورة فالوجود الاول الحاصل في الابتدا ان افاده زيادة استعداد لقبول الوجود
علي ما هو شان ساير القوابل من تحصيل ملكة قبول الاتصاف لاجل حصول المناسب
بالفعل فقد صارت قابليته للوجود ثانيا اقرب واعادته علي الفاعل اهون ويمكن
ان تكون الي هذا الاشارة بقوله جل وعلا وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه وان لم يفده زيادة الاستعداد فمعلوم بالضرورة انه لا ينقص عما هو عليه
من قابلية الوجود بالذات في جميع الاوقات وذلك هو المطلوب واما الوقوع فهو

معلوم بالضرورة من هذا الدين وقد صرح بذلك في القران في مواضع لا تعد اما البدني
فكقوله جل وعلا قل يحييها الذي انشاها اول مرة او ليس الذي خلق السموات والارض
بقادر علي ان يخلق مثلهم وقوله جل وعلا فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
اول مرة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلي قادرين علي ان نسوي بنانه
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا
يسير افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور الي غير ذلك من الايات وفي الاحاديث ايضا
كثرة لا تحصي وبالجملة فكون الايات والاحاديث الدالة علي ذلك معلومة ضرورة
وخص رسول الله صلي الله عليه وسلم بالبيان لهذا وكثرة التفصيل له والتعريض
بالمنكر له لكونه صلي الله عليه وسلم اخر الانبيا وليس بينه وبين الساعة نبي فلذلك
ظهر اعتنا الشريعة المحمدية به واما الدليل علي اعادة الارواح فكقوله جل وعلا
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال للذين احسنوا الحسني وزيادة وقال
ورضوان من الله اكبر كل ذلك اشارة الي الروحاني وكذا ما ورد من الاحاديث في ارواح
الشهدا وارواح المومنين من كونها في حواصل طير خضر وفي طريق في صور طير
في قناديل من نور معلقة تحت العرش

واما الطريق الثاني وهو هل الاعادة بعد اعدام او بعد تفريق اختلف اهل السنة
في ذلك فمن قايل ان ذلك بعد اعدام ومن قايل انه بعد تفريق والحق التوقف
وهو اختيار امام الحرمين حيث قال يجوز عقلا ان تعدم الجواهر ثم تعاد وان تفني
وتزول اعراضها المعهودة ثم تعاد هيئتها ولم يدل قاطع سمعي علي تعيين احدهما
ولا يبعد ان تصير اجسام العباد علي صفة اجزا التراب ثم يعاد تركيبها الي ما عهد
ولا يستحيل ان يعدم منها شي ثم يعاد والله اعلم وهذا الذي مر عليه المصنف في هذه
العقيدة حيث اشار الي القولين بالترديد او من غير ترجيح احتج الاولون بوجوه
الاول الاجماع علي ذلك قبل ظهور المخالفين ورد بالمنع الثاني قوله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن ولا يتصور ذلك الا بانعدام ما سواه والا لم يكن هو

الاخر ولا يكون ذلك بعد يوم القيامة وفاقا فيكون قبلها واجيب بانه يجوز ان يكون المعني هو مبدا كل موجود وغاية كل مقصود فلا يتعين ما ذكرتموه في الاية محملا وبالجملة فليس المراد انه اخر كل شيء بحسب الزمان للاتفاق علي ابدية الجنة وما فيها الثالث قوله جل وعلا كل شيء هالك الا وجهه فان المراد به الانعدام لا الخروج عن كونه منتفعا به لان الشيء بعد التفرق يبقي دليلا علي الصانع والجواب ان اسم الفاعل حقيقة في الحال فمعني هالك الحالي ان جميع الممكنات في حد ذاتها هالكة بمعني لا وجود لها الا بالنظر الي الموجد لها واما بالنظر الي ذاتها فهي عدم الرابع قال جل وعلا وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده كما بدانا اول خلق نعيده كما بداكم تعودون والبدا من العدم فكذا العود والجواب انا لا نسلم ان بدا الانسان كان اخراجا من العدم صرفا بل كان جمعا وتركيبا علي ما يشعر به قوله جل وعلا وبدا خلق الانسان من طين وبهذا يوصف ان كون البدء مرئيا مشاهدا كما قال جل وعلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده الخامس قوله جل وعلا كل من عليها فان والفنا هو العدم والجواب المنع بل الفنا خروج الشيء عن صفته التركيبية التي بها الانتفاع ولو سلم كون الفنا بمعني العدم فيحمل علي العدم الذاتي الحالي الذي هو للممكن من ذاته عملا بترجيح الحقيقة علي المجاز الذي هو العدم المستقبل وان كان الاول بالقوة والثاني بالفعل لما في ذلك من ابقا اللفظ علي حقيقته في الجملة واحتج القايلون بان حشر الاجساد انما هو جمع بعد تفريق لا ايجاد بعد اعدام بوجوه الاول ما اخبر الله به عن ابراهيم في قوله جل وعلا رب ارني كيف تحيي الموتي الاية وكذلك قوله جل وعلا او كالذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها الي قوله وانظر الي العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما وكقوله جل وعلا كذلك النشور وكذلك تخرجون وكقوله كما بداكم تعودون بعد ما ذكر بدا الخلق من الطين علي وجه يري ويشاهد كما قال اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ولما ثبت في الصحيحين من الرجل الذي لم يعمل خيرا قط الحديث والجواب انها لا تنفي الاعدام وان لم تدل عليه وانما سيقت لكيفية الاحيا بعد الموت والجمع بين التفريق لان السؤال وقع عن ذلك وذلك لا ينافي الاعدام ثم هي معارضة بما سبق من الايات المشعرة بالاعدام والفنا واما المحدث بحاله

لا تخرج عن احد القولين اذ الادلة السمعية متعارضة وهو لا تخرج عن ادلة الشرع خصوصا في هذه المسالة واما الصوفي فيقول لا شك ان صور الممكنات بالنسبة الي الانسان علي قسمين خير او وسيلة اليه ونيل ذلك لذة وكمال وشر او وسيلة اليه ونيل ذلك الم وكل منهما غير متناه اذ مرجع ذلك الي صور الممكنات وهي غير متناهية ثم ان الله جل وعلا خلق الانسان علي هيئة بحيث يكون قابلا لنيل تلك الكمالات التي تقتضيها قواه تحلقا له ليحصل كماله وتلك الكمالات التي تقتضيها قواه غير متناهية اذ هي راجعة الي صور الممكنات التي لا تتناهي وصور الممكنات التي لا تتناهي لا يمكن حصولها دفعة اذ حصولها دفعة يقتضي حصول ما لا يتناهي في الوجود دفعة ولا في زمان متناه والا لزم حصول ما يتناهي فيما يتناهي وكل ذلك محال ونيل تلك الكمالات لا بد ان يحصل لهذا النوع الانساني قطعا عملا باستعداده ولانه لو لم يحصل فاما ان يكون لان ذلك الحصول ممتنع وهذا باطل والا انقلب الممكن محالا ونحن نقطع بامكان ذلك واما لعدم تمكن الفاعل المختار من ذلك وهذا ايضا محال لما تقرر من انه جل وعلا علي كل شيء قدير وان مقدوراته لا تتناهي واما لعدم القبول التام الذي يكون به ذلك وذلك ايضا باطل لان القبول التام داخل تحت تلك المقدورات الكمالية لان ما يتوقف عليه الكمال كمال وهو موقوف علي مجرد القبول وذلك حاصل للانسان نجده من نفوسنا ثم من المعلوم قطعا ان هذا التركيب البدني الكاين في يوم الدنيا لا يمكن ان تحصل معه تلك الكمالات لا من جهة انقضا المدة ولا من جهة المزاحم المضادد فاقتضت الحكمة الالهية واعطت الشواهد الوجدانية وحققت القواطع السمعية الا يكون ذلك الا مع تركيب اخر بدني مناسب لتحصيل تلك الكمالات الابدية في زمان يسع تلك الممكنات وذلك هو عود الابدان علي الصور الادمية الاولية في الازمان المسماة بالدار الاخراوية ولقد احسن مالك رضي الله عنه باشارته حيث قال الفاني لا يري الباقي وانما يري الباقي بالباقي ونبه لقوله جل وعلا افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية ثم جعلت الدنيا مميزة لاحد الاستعدادين اما الاستعداد لنيل الخيرات وذلك بالمعرفة بالله والعمل بطاعته واما الاستعداد لنيل الضد وذلك بالجهل بالله وعدم العمل بطاعته وانما كان كل من المعرفة والجهل يعطي ذلك لان نور المعرفة اذا حصل افاد تنوير جملة الانسان وظلمة الجهل اذا حصلت افادت ظلمة

جملة الانسان والنور مناسب لنور الجنة والظلمة مناسبة لظلمة النار فاعلم ذلك
واما ان تلك الاعادة وحصول ذلك التركيب الذي تكون به هذه الكمالات هل هو
بعد اعدام او بعد تفريق فالكل ممكن ولا يبعد ان يكون الواقع مشتملا على كل من
ذلك وبيان ذلك يطول والله الهادي تنبيه اعلم ان المراد بالاعادة البدنية
انما هو الاجزا الاصلية التي هي حاصلة وباقية من اول العمر الى اخره لا الاجزا الزايدة
التي تحصل من الغذا فينمو بها البدن زيادة او تذهب من المرض فيذبل بها البدن
نقصانا والى تلك الاجزا الاصلية الاشارة بقوله عليه السلام كل ابن ادم يفنى الا عجب
الذنب منه خلق ومنه يركب وبهذا يندفع ما قيل لو اكل انسان انسانا فاما ان يعادا
معا او لا والكل باطل اما لاحالته او لمخالفته اجماعكم من ان جميع بني ادم يعادون فيقال
المعاد من الاكل والماكول هو اجزاؤه الاصلية واما ما زاد على ذلك هو اصل من غيره
فيعاد اليه فيعود له اذ كل محفوظ عليه اصله يخرجه ويرده اليه الذي يخرج الخبء في
السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون لا يقال الاجزا الاصلية لا تفي بمقدار ما
بمقدار ما يكون عليه الانسان من المقدار عند الموت مع ان المعلوم قطعا بالاجماع انه
لابد ان تكون الاعادة على الهيئة التي فارق عليها الانسان الدنيا لانا نقول الاجزا الا[صلية]
هي المعادة لكن القادر المختار كما انه بقدرته مد مقدار الانسان بزيادة تلك الاجزا الغذائية
فهو جل وعلا قادر على ان يمد مقداره يوم القيامة باجزا اخر اختراعية حتى تحصل الهيئة فان
قيل الشي مع شي غيره مع شي اخر على ما ذكرتم لا يكون البدن المعاد هو بعينه الكائن
يوم الفراق بل هو مثله لا عينه مع ان الاجماع على اعادة العين قلنا هو مثله من حيث
المقدار عينه باعتبار تلك الاجزا الاصلية وهو المراد بالعينية اذ لو لم يرد بالعينية ذلك
لم يكن المعذب والمنعم هو عين الانسان المفارق بل مثله لما ثبت ان الكافر يكون ضرسه في النار
كجبل احد وان المومن يدخل الجنة على طول ابيهم ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السما
وذلك كله متفق عليه بين اهل السنة وبهذا التحقيق صح ما يوجد من اطلاق بعض اهل السنة
كحجة الاسلام وعز الدين من ان المعاد مثل البدن مع اتفاق اهل السنة على ان المعاد هو
بدن الانسان بعينه فان المراد بذلك البدن عينا هو البدن المركب من الاجزا الاصلية
الباقية من اول تعلق الروح الى انفصالها في الدنيا والمراد بالمثل هو البدن المركب من تلك

الاجزا الاصلية مع الاجزا المزادة عليه الاختراعية فلا تعارض فقد تلخص من هذا التحقيق
امر المعاد وارتفع عنه الالتباس والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فائدة ان ارواح
اهل السعادة باقية منعمة الى يوم الدين وارواح اهل الشقاوة باقية معذبة الى
يوم الدين اقول يريد ان مما يجب الايمان به احوال الارواح في البرزخ والكلام على
هذا المعتقد يرجع الى طرفين الطرف الاول في الروح وحقيقته الثاني في حالها بعد
فراق البدن اما الطرف الاول فالروح لغة يطلق والمراد به الريح كما في قوله فلولا غير
ها الارواح والدبور ويطلق الروح والمراد النفس ويطلق الروح على النوراني الكائن
بالجسد ويقال روحاني وقد يطلق الروح على الانبساط ومنه رجل ارواح اذا كان صدر
قدمه منبسطا قيل ومن ثم سميت الريح روحا لانبساطها ومدار هذه الاطلاقات على ان
الروح بازا اللطيف المنبسط ولا شك ان الروح الانساني كذلك فلذلك سمته العرب
روحا وقد يقال روح الشي لخلاصته واعلى ما فيه ثم ان الروح يطلق في لسان الشرع
على معان فقد يطلق على القران كما في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وعلى جبريل
نزل به الروح الامين وعلى عيسى كما في قوله جل وعلا وروح منه وعلى باطن الانسان
الذي هو الانسان على الحقيقة واليه الاشارة بقوله تعالى ويسالونك عن الروح وبالجملة
فهناك عبارات على ما هو باطن الانسان وهي الروح والنفس والقلب والعقل واللب وقد
تردد نظر العلما في ذلك هل هي مترادفة ترجع الى معنى واحد او هي مختلفة والحاصل ان
حقيقة الروح قد اختلف العقلا فيه وكثرت اقوالهم في ذلك حتى قيل ان فيها ثلاثماية
قول والمتحصل من ذلك لاهل السنة والجماعة اقوال ثلاثة القول الاول ان الروح جسم
نوراني لطيف سار في البدن كسريان النار في الفحم والما في الورد اجرى الله العادة حياة
البدن باتصاله به وهذا قول المحققين منهم كامام الحرمين ونقل عن الشيخ الثاني انه جسم
كجسم الانسان وعلى هيكله ذو يدين وعينين وبالجملة هو على هيكل الانسان ينمو بنموه
وهذا نقل عن ابن حبيب وابن حزم الثالث انه مجرد ليس بجسم ولا جسماني وهذا قول حجة الاسلام
والراغب والحليمي وابو زيد الدبوسي وجماعة الصوفية خصوصا المتاخرين وبالجملة فالروح جوهر
زايد على الهيكل المشهود وهل هو سار فيه او هو باطن فيه او هو لا متصل به ولا منفصل عنه ولا
داخل ولا خارج واما ما نقل عن القاضي والقلانسي من ان الروح والنفس هما الحياة وانه ليس

بلغ

ثم الا الهيكل المشهود وان الروح ليس بامر زايد على البدن في غاية الاشكال وعدم الصواب
لما اعطته الشريعة المحمدية قرانا وسنة بل جميع الكتب السماوية من ان الارواح تنفصل
عن البدن عند الموت وان الملك يقبض ذلك وانها تبقى بعد فني البدن اما معذبة واما منعمة
والادلة على ذلك اوضح من ان تذكر اذ القران والسنة مملوة بذلك فهذه هي الاقوال
المنقولة عن اهل السنة اما الدليل على كل واحد منها وتعيين الاصح منها فليس هذا محله حكي انه
قد اختلف العلما في جواز الكلام على مسالة الروح اعني عن البحث عن حقيقته فمنهم
من راى الامساك عن ذلك وهو اختيار اكثر الفقها كابن رشد ح توقفا مع قوله جل وعلا
ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا بفهم ان الاية
فيها اضراب عن بيان حقيقته ورد الامر فيها الى امر الرب وهذا فيه بحث بل الصواب
عند المحققين ان الروح مفهوم حقيقته وليس في الاية ما ينفي عن ذلك بل فيها اشارة
الى حقيقته وانه من عالم الامر الذي هو اصل الخلق كما قال جل وعلا يتنزل الامر بينهن
بل في معرفة حقيقته الكمال الانساني اذ في معرفته معرفة النفس وفي معرفة النفس معرفة
الرب وفي معرفة الرب الكمال ولم يحصل بالتحقيق على معرفة النفس الا الصوفي المحقق
بما زاده الله من الالهام والذوق والكشف والشهود فانجلت له عند ذلك الحقايق ولم
تنجل له الحقايق حتى انجلت له نفسه وروحه والا فمن كان بنفسه جاهلا فهو بغيره
اجهل ثم النظر في ان الروح من قبيل المجرد او من قبيل المتحيز ان كان بحسب النظر
الفكري والطريق الصناعي فالحق ان الادلة في ذلك متعارضة متقادمة فالحق الوقف
وان كان بحسب الدليل السمعي فالمفهوم منه اشارة التجريد وصريحا التحيز فلم يكن باعتباره
ما يترجح عند العقل تعيينه وهذا هو اللايق بطريق النظر والسمع من حيث الاشعري
والمحدث واما الصوفي فيحمد نه في ذلك على ما وجده كشفا وذاقه وجدا وقد نبه الشيخ
ابو حامد الغزالي على ذلك ونبه على ان الكل كله في ادراك ذلك واما الطرف الثاني
وهو ما يتعلق بحال الروح بعد الفراق وهو البرزخ فاعلم ان الروح لها تعلق بالبدن
في عالم الدنيا وذلك هو زمان التكليف او ما هو مقدمة له كزمان الصبا ولها فراق له
وذلك من ساعة الموت الى زمان البعثة وهو رد الروح الى الجسم وهذا هو البرزخ ثم لها
تعلق به ايضا من ان البعثة الى ما لا يتناهى اما تعلقها الاول فذلك ظاهر وقد اختلف العلما

في مسالة

في مسالة وهي ان الروح هل هو حادث بحدوث البدن او هو قبله وسنشير الى الاحتجاج
بعد واما الحالة الثانية وهي حالة المفارقة وهي حالتها في البرزخ وهو المقصود من
المسالة فقد اتفق اهل السنة على انها باقية حية دراكة بحيث تدرك لذاتها والامها وان
اختلفوا في البدن هل له مدخل في ادراك تلك اللذات وتلك الالام ام لا قال سعد الدين
اتفق اهل الحق على ان الله تعالى يعيد الى الميت في قبره نوع حياة قدر ما يتلذذ ويتالم به
وان كان اختلفوا انه هل يعم جميع البدن ام لا وكذلك توقفوا في انه هل يعاد الروح اليه ام لا
وما يتوهم من امتناع الحياة بدون الروح فممتنع وانما ذلك في الحياة الكاملة التي
يكون معها القدرة والافعال الاختيارية وقد اتفقوا على ان الله لم يخلق في الميت القدرة
والافعال الاختيارية فلهذا لم تعرف حياته كمن اصابته سكتة لكن يشكل هذا بجوابه لمنكر
ونكير على ما ورد في الحديث هذا كلامه وقد يقال الاشكال في ذلك لجواز ان تكون الروح
ترد اليه في تلك الحالة وان لم يشهد اثرها ثم الدليل على ان الروح معذبة او منعمة لا
يحصى كثرة فاول ذلك سؤال منكر ونكير وافتتانهما بذلك وما يقع اثر ذلك من العذاب
واصل ذلك في الصحيحين معلوم فلا نطول بذكره وكذلك قوله جل وعلا في حق ال فرعون
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الاية وكذلك قوله جل وعلا في قوم نوح
مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا الاية وكقوله جل وعلا ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله امواتا الاية وكقوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النار وكما روي انه مر بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير والاثار في ذلك
كثيرة وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستعاذة من عذاب القبر واستفاض ذلك
والحاصل ان من كان منعما في قبره كان سعيدا اذ السعادة عبارة عن الفوز وهو الظفر بالبغية
التي من اجلها خلق الانسان والشقاوة وهي عبارة عن ضد ذلك ولا شك ان السعادة والشقاوة
بحسب المشيئة وما سبق به العلم والى ذلك الاشارة بقوله عليه السلام السعيد من سعد في بطن امه
الحديث **تتميم** اختلف العلما في ان السعيد هل يشقى والشقي هل يسعد فقال الاشعري لا
وقال ابو منصور الماتريدي نعم والخلاف بالتحقيق لفظي فالاشعري نظر الى الخاتمة وابو منصور
نظر الى الحالة الراهنة فرب شخص كان في الوقت كافرا وعند النهاية يؤمن فيكون سعيدا ولا شك
انه سعيد في نفس الامر اذ النهاية باعتبار البداية والبداية بحسب ما سبق به العلم وان كان

بحسب ما قبل ذلك شقيا لما ظهر عليه من الكفر والي هذا ينظر ابو منصور الماتريدي
وقد يكون سعيدا في الحالة الراهنة بحسب ما يظهر عليه ثم يكون شقيا عند النهاية
اذ يكفر فيموت شقيا وبهذا ايضا يقول الاشعري والحاصل ان الاشعري ينظر الي السعادة
حقيقة والاخر ينظر الي السعادة والشقاوة حكما فلا خلاف في التحقيق وقد قال
عليه السلام ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتي ما يبقي بينه وبينها الا شبرا فيسبق عليه
الحديث وفي طريق اخر يعمل بعمل اهل الجنة فيما يظهر للناس وهو من اهل النار فاعرف
ذلك واما المحدث فلا يزيد في هذا المعتقد علي الماخذ السمعية وهي راجعة الي ما ذكرناه
واما الصوفي فيقول ايام الدهر سبعة اليوم الاول هو يوم المقادير واليه الاشارة
بقوله عليه السلام ان الله تعالي قدر مقادير الخلق قبل ان يخلقهم بخمسين الف سنة وهو
يوم تكوين الارواح الثاني يوم اخذ الميثاق علي العقول وهو يوم تكوينها والي ذلك
الاشارة بقوله جل وعلا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الثالث يوم العهد
النفساني واليه الاشارة بقوله جل وعلا واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم
وهذه الايام لا مجال للعقل فيها لولا تنبيه السمع ووجدان الكشف لما اهتدي اليها اليوم
الرابع يوم الدنيا وهو يوم التكليف وهو اليوم الذي به تتحقق سعادة السعيد او شقاوته
بحسب ما يكتب في قلبه ويظهر علي اعضاء بدنه من معرفة وطاعة او نكر ومعصية اليوم
الخامس يوم البرزخ اليوم السادس يوم الحشر والنشر اليوم السابع يوم الدخول للجنة
او النار ثم ان الروح في زيادة ترق في الحياة وفي الادراك ولذا لا يجا السمع بتفصيل
ما يدركه الانسان بعد الموت وما يشاهده وبالجملة فالامر في ترق واعتبر ذلك فان
نسبة هذا اليوم اعني يوم الدنيا في الادراك وتمام الحياة الي يوم البرزخ كنسبة يوم
العهد الذي قبل يوم الدنيا الي يوم الدنيا بالحياة البرزخية عند الصوفي من متيقن وجله
فاعلم قال وانها حادثة لا تناسخ فيها اقول يريد ان مما يجب الايمان به ان الارواح حادثة
بالاجماع ضرورة ان الروح من العالم وقد تقدم ان العالم محدث وايضا ممكن وكل
ممكن حادث ضرورة ان السبب المقتضي لوجود الممكن ليس علة ولا طبيعة بل فاعلا مختارا
وكل ما هو اثر الفاعل المختار فهو حادث وهذه المقدمات قد تقدم بيانها وانما خص المصنف
الروح بالحدوث ليرتب عليه انها غير متناسخة نعم قد تقدم ان حدوثها هل هو مع البدن

اوقبله

اوقبله فمن قايل انها الاول تمسكا بقوله تعالي ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم قال
بعد تطور الخلقة ثم انشاناه خلقا اخر يعني به خلق الروح ومن قايل بالثاني احتج بما روي
عنه عليه السلام خلق الله الارواح قبل الاجسام بالفي عام وهذا هو الظاهر والصواب
واما انه لا تناسخ فيها فاعلم ان النسخ اصله لغة النقل وقد يطلق علي الازالة ومعني النسخ
عند من ادعاه في النفس هو ان النفس عند الموت تنتقل الي جسم اخر انساني وقد يقال نسخ
ومسخ وفسخ ورسخ فالنسخ هو انتقال النفس من جسم انساني الي جسم حيواني كخنزير او قرد
والفسخ هو انتقالها من جسم انساني الي جسم حيواني نباتي والرسخ هو انتقالها من جسم
انساني الي جسم جمادي والكل باطل وقد حصل اجماع اهل السنة والجماعة علي ذلك
وهو باطل بطريق العقل والنقل وقد برهن علي ذلك في محله ويكفي علي هذا المطلب
الاجماع قال وان ساير السمعيات من ثواب الله تعالي وعذابه والصراط والميزان
وعذاب القبر ووزن الاعمال ونطق الجوارح والحوض والشفاعة واحوال الجنة ودوام
نعيمها واحوال النار ودوام عذابها حق اقول يريد ان مما يجب الايمان به حقية ساير
السمعيات التي وردت عنه صلي الله عليه وسلم مما هو يستقبله الانسان بعد البعثة
والاعادة والدليل علي ذلك ان جميع الاحوال كلها ممكنة جا القاطع السمعي بوقوعها وكل ما جا
القاطع السمعي به فهو حق اما الكبري فقطعية مما تقدم من صدق الرسل عملا بالمعجزة واما كون
كل واحد منها ورد به السمع فذلك كله مفصل كتاب وسنة الاول منها في ذكر المصنف الثواب
والعقاب ولا شك ان القران والسنة مملوتان بذلك فلا حاجة الي التنبيه علي ذلك وذلك
مثل قوله جل وعلا للذين احسنوا الحسني وزيادة الاية الي غير ذلك واما الصراط فلا
شك انه ايضا منطوق به كتابا وسنة وقد اختلف العلما فيه هل هو متسع المساحة ام لا
فالجمهور علي انه كما جا احد من السيف وادق من الشعر تثبت عليه اقدام المؤمنين وتزل عنه
اقدام الكافرين يرده الاولون والاخرون وان المؤمنين يجوزون عليه بحسب اعمالهم ثم
الله يسهل الطريق علي من اراد كما جا في الحديث ان منهم كالبرق الخاطف ومنهم كالريح العاصف
ومنهم كالجواد ومنهم من يجر رجليه ومنهم من يجر علي وجهه الي غير ذلك مما جا في اوصافه
وذهب القرافي الي غير ذلك فقال لم يصح في الصراط انه ادق من الشعر واحد من السيف شي
والصحيح انه عريض وفيه طريقان يمني ويسرا فاهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين

الي جسم انساني والنسخ
هو انتقالها من جسم انساني
الي جسم حيواني

واهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ الي طبقة من طبقات
جهنم وجهنم بين الخلايق والجنة والجسر علي شفير جهنم منصوب فلا يدخل احد الجنة
حتي يعبر علي جهنم وهذا معني قوله تعالي وان منكم الا واردها هنا كلامه لكن اكثر الامة علي
خلافه كما بعضها عليه والذي تضمنه الصحيح من حديث ابي سعيد الخدري الطويل ما هو اعتمده وقصته
قال صلي الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر علي جهنم فتحل الشفاعة ونقول اللهم سلم سلم قيل
يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلقة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها
شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد
الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم وبالجملة فالذي صح
السمع به يجب الايمان به والذي تضمنته الاحاديث والقران وتواترت به معني وجود الصراط
واما كيفيته فاحاد فان ثبت في الكيفية اجماع فالوقوف عنده والا فالحق هو الوقف في الكيفية
والله اعلم واعلم ان هذه المطالب السمعية يتحد فيها الاشعري والمحدث والصوفي اذ مبادئها
هو النقل اذ النظر انما هو في وقوعها واما جوازها فضروري والعقل لا يهتدي الي وقوع
جايز فاضطروا جميعا الي دليل السمع وان كان الصوفي يزيد عليهما بالكشف الا ان الكشف
قاصر حكمه عليه ولا يتعدا العلم المستفاد منه الي غيره فلهذه النكتة ترانا نقتصر علي
الدليل السمعي في هذه المطالب السمعية للجميع فاعلم ذلك الثالث الميزان قال الله العظيم
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وقال فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
واما من خفت موازينه فامه هاوية وقد اختلف العلما هل هي موازين او ميزان واحد والجمع
باعتبار الموزون واختلاف الامم ثم ان السلف الصالح من اهل التفسير والحديث ذهبوا
الي ان له كفتين ولسانا وساقين عملا بالحقيقة لامكانها ولا ضرورة تدعو الي خلافها وقد
ورد في ذلك حديث وقد اختلف السلف في الموزون هل هو صحف الاعمال وعليه الاكثر وهو
الموافق للحديث المشهور وهو ان عبدا تخف حسناته فتقع بطاقة من العرش في كفة حسناته
فترجح فاذا فيها لا اله الا الله وروي عن ابن عباس ان الاعمال انفسها توزن فيوتي بعمل المومن
في احسن صورة وبعمل الكافر في اقبح صورة والذي يعطيه القواعد العقلية هو الاول اذ الاعمال
اعراض والاعراض لا تقوم بانفسها ولا تنقلب حقايقها لكن حديث الموت وهو ان يوتي بالموت
في صورة كبش فيوقف به ما بين الجنة والنار مما يقوي قول ابن عباس والله اعلم الرابع عذاب

القبر

القبر قد تقدم الكلام علي هذا المعتقد وما يتعلق بحال البرزخ والحاصل ان المتعلق بالانسان
امران الاول سؤاله والثاني نعيمه او عذابه اما السؤال فهو سؤال منكر ونكير وقد ثبت
ذلك في صحيح الاحاديث فوجب الايمان به وهل هذا السؤال عام لكل مؤمن وغيره او يختص
بمن يغلب عليه منكر من عمله او نكير من قلبه والاول عليه جمهور العلما والثاني قول بعض علما
المغرب وعليه يعتقد سيدي ابو الحسن الحرالي رضي الله عنه وعلي الاول هل يسال الصبيان
في ذلك قولان والحق الاحالة في جميع ذلك علي السمع فما جا به سمع اتبع والا فالوقف
وقد ذكر ابن ماجة عنه صلي الله عليه وسلم انه قال ان الميت يصير الي القبر فيجلس الرجل
الصالح في قبره غير فزع ولا مشغوب ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت في الاسلام فيقال له
ما هذا الرجل فيقول محمد رسول الله جانا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له هل
رايت الله فيقول ما ينبغي لاحد ان يري الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم
بعضها بعضا فيقال له انظر الي ما وقاك الله منه ثم يفرج له فرجة الي الجنة فينظر الي
زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك ويقال له علي اليقين كنت وعليه مت وعليه
تبعث ان شا الله ويجلس الرجل السوء في مجلسه فزعا مشغوبا فيقال له فيم كنت فيقول
لا ادري فيقال له ما هذا الرجل فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيفرج له قبل
الجنة فينظر الي زهرتها وما فيها فيقال له انظر الي ما صرف الله عنك ثم يفرج له فرجة الي
النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له هذا مقعدك علي الشك كنت وعليه مت وعليه
تبعث ان شا الله واما العذاب والنعيم فقد ثبت ذلك قرانا وسنة واجمع عليه قبل
ظهور البدع علما الامة قال تعالي في ال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وقال في قوم نوح مما خطاياهم
اغرقوا فادخلوا نارا والفا للتعقيب من غير مهلة وقال تعالي ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون وحديث القبرين في ذلك مشهور كما هو
ثابت في الصحيحين الي غير ذلك من الاحاديث الخامس نطق الجوارح وذلك عند ما يسال
ويحاسب قال تعالي يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وذلك
يتضمن الحساب فهو حق قال تعالي ان الله سريع الحساب قال بعض العلما والمحاسبة انواع
الاول هو الوقوف قيل الف وقيل خمسون الف سنة وقيل اقل وقيل اكثر قال تعالي وقفوهم

انهم مسؤلون يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا الثاني هول تطاير الكتب قال تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه الاية وقال وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه الثالث هول المسائلة وتدقيقها قال تعالى فوربك لنسئلنهم
اجمعين عما كانوا يعملون قال عليه السلام من نوقش الحساب عذب الرابع هول شهادة
الشهود وهي عشرة الالسنة والايد والارجل والسمع والبصر والجلود والارض والليل والنهار
والحفظة الكرام قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
وقال تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم وقال
عليه السلام ما من يوم وليلة يأتيان على ابن ادم الا قالا انا خلق جديد وعما تعمل فيّ عليك شهيد
وكذلك قال في اليوم وقال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد الخامس هول تغير الالوان
قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ثم الحكمة في هذه المحاسبة والاهوال مع ان
المحاسب خبير وناقد بصير ظهور مراتب ارباب الكمال وفضائح اصحاب النقصان على رؤس
الاشهاد ثم في ذلك ترغيب في الحسنات وزجر عن السيئات وهل هذه الاهوال للاولياء الاتقياء
قال في ذلك تردد والظاهر السلامة قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة
الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله السادس الحوض حوضه عليه السلام حق قال تعالى انا
اعطيناك الكوثر وفي الحديث حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب
من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ ابدا وروي ان الصحابة رضوان الله
عليهم قالوا له عليه السلام اين نطلبك يوم الحشر فقال على الصراط فان لم تجدوني فعلى الميزان
فان لم تجدوني فعلى الحوض وفي هذا الحديث تنبيه على ترتيب الصراط والميزان والحوض
وهي مسئلة توقف فيها اكثر اهل العلم السابع الجنة والنار واحوالها الجنة والنار حقان
والكلام عليهما يرجع الى اطراف الاول في امكانهما ووقوعهما الامكان فامر ضروري من جهة
العقل واما الوقوع فمن السمع وهو ضروري من الدين اذ الكتب والسنة واثار الامة مملوة بذكر
ذلك فلا يتوقف فيه الا كافر الثاني في انهما مخلوقتان الان اتفق على ذلك اهل السنة والجماعة
عملا بالقران وما ورد في ذلك من الاثار قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين وقال في النار اعدت للكافرين وكون الشيء مهيأ معدا لغيره

فرع

فرع وجوده وايضا قصة ادم وحوا عليهما السلام وسكناهما الجنة وهبوطهما منها الى غير
ذلك وكذلك ما ثبت في احاديث المعراج الثالث في دوامهما ودوام ما فيهما قال تعالى في
الجنة اكلها دائم وظلها وقال في النار كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وقال في اهل
الجنة خالدين فيها ابدا وفي اهل النار اعني الكفار خالدين فيها ابدا وقد اجمع اهل السنة على ذلك
وان كانوا قد اختلفوا في مسالة وهي هل يأتي عليهما الفناء ولو لحظة عملا بقوله تعالى كل شيء هالك
الا وجهه اولا لدخولهما في الاستثناء في قوله تعالى الا ما شاء الله والحق انه لا دليل في قوله تعالى
كل شيء هالك على الفناء بالمعنى المراد لان المعنى من الهلاك في كل شيء ممكن هلاكه في حد نفسه لعدم
اقتضائه الوجود من ذاته فهو هالك بهذا الاعتبار تتميم اختلف العلما في محلهما والاكثر على ان
الجنة فوق السموات عملا بقوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وقوله عليه السلام
في وصف جنة الفردوس سقفها عرش الرحمن وعلى ان النار تحت الارض وهذا لم يرد فيه نص
صريح وانما هي ظواهر والحق في ذلك تفويض العلم الى الله وقوله انهما مخلوقتان ممكنتان
ولا على من انكر خلقتهما الان من غير اهل السنة وعلى من انكر امكنتهما وهم غير الملتبسين فلا
عبرة بهم وقوله ووقوع ذلك يحتمل ان تعود الاشارة الى احوال الجنة والنار ويحتمل
ان تعود الى ما سبق من السمعيات وقد فصلنا الادلة السمعية على ذلك فاعرفه قوله
وان وعيد اهل الكبائر منقطع يريد ان مما يجب الايمان به ان وعيد اهل الكبائر ينقطع
اي عقوبتهم والوعيد حقيقة هو الاخبار بما يكون من العقوبة جزاء ارتكاب
منهي عنه وقد يطلق الوعيد على العقوبة به التي هي متعلقة مجازا وهو المراد هاهنا
لانه هو المنقطع لا الاخبار به والكبائر جمع كبيرة وهي مقابل الصغيرة وقد اختلف السلف
في ان المعاصي هل هي كبيرة او هي منقسمة الى الكبيرة والصغيرة والثاني هو الحق عملا بظواهر
الكتاب لقوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وكذا ما ورد
في السنة ثم اختلف العلما في ضابط الكبيرة فمنهم من ضبطها بالعدد كما جاء في رواية
ابن عمر انها الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنات والزنا والفرار من الزحف
والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم وزاد في رواية
ابي هريرة اكل الربا وفي رواية علي رضي الله عنه السرقة وشرب الخمر ومنهم من ضبطها
بضابط كلي فقائل قال كلما توعد الشارع عليه بخصوصيته فهو كبيرة ومنهم من قال

كل معصية كانت مفسدتها مثل مفسدة اقل ما نص عليها او اكثر فهي كبيرة
وذلك مثل من دل على قتل معصوم الدم فان مفسدته اعظم مفسدة من الفرار من الزحف
ومنهم من قال كل معصية اشعرت بتهاون مرتكبها بدينه فهي كبيرة والتحقيق
هناك ان المقصود من الانسان هو العلم بالله والعمل بطاعته ومرجع ذلك الى تكميل
القوة النظرية والقوة العملية الذين هما بالتحقيق خلاصة الانسان قال الله العظيم
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا فكل ما عاند ودافع هذين الكمالين فهو كبيرة والمدافعة
قد تكون بالذات وذلك كالشرك بالله اذ هو دافع للعلم به ثم العلم بالله مشروط بوجود
الحامل له اعني الانسان فكل ما عاند وجود الانسان فهو كبيرة ولما كان وجود الانسان لا
بد وام الا بان يخلف المثل المثل وذلك لا يكون الا بحفظ صورة النكاح الشرعي عملا بالاستقرا
الموافق للحكم الشرعي والمدافع لوجود الانسان هو القتل والمدافع لحفظ دوامه هو الزنا
ولواحقه فهذه الثلاث هي اكبر الكبائر على تدريج وترتيب كما جا في الحديث وهو كما في الصحيح
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم فقال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قيل ثم ماذا قال قتل النفس التي حرم الله الا بالحق قيل ثم ماذا قال ان تزني بحليلة جارك
فانزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله الا بالحق ولا يزنون وعلى هذا كل ما كان مفضيا الى الشرك فمرجعه اليه وما كان
مفضيا الى عدم الانسان ومن عدم الانسان عدم عقله فمرجعه اليه وما كان مفضيا الى
عدم دوام الانسان ومن عدم حفظه دوامه عدم حفظ ماله فمرجعه اليه ثم المفضيات
قد تكون قريبة وقد تكون بعيدة وقد تكون قطعية الافضا وقد تكون ظنية والاطلاع
على ذلك تفصيلا بحيث يعين لكل واحد حكمه لا يكون الا بتوقيف الهي وحكم نبوي فاعرف
هذا التحقيق فانه يطلعك على الاقوال المتقدمة وتلك الضوابط المختلفة فاذا عرفت ذلك
فاعلم ان الذي اتفق عليه اهل السنة والجماعة ان اعظم الكبائر الذي هو الشرك بالله لا
يغفره الله ولا ينقطع وعيده وعذابه كما سيذكره المصنف واما الكبائر التي ما عدا ذلك
فينقطع وعيده وينتهي باهله الى الجنة ويدل على ذلك وجوه منها الايات قال الله العظيم فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون

الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن الاحاديث ما ثبت في الصحيحين عنه عليه السلام مثل
حديث ابي ذر من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنا وان سرق الحديث وكذلك
قوله عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة ووجه الدلالة في الايا
ان الايات اعطتا ان المؤمن العاصي لا بد له من دخول الجنة جزا اعماله ولا جايز ان يكون قبل
دخول النار للاجماع القطعي على ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا فتعين ان يكون بعد
دخول النار ان قدر عليهم بدخولها والا فالعفو وعدم المواخذة جايز شرعا وكذا انقرر
وجه الدلالة في الحديث ومما يدل ايضا على ذلك قوله تعالى النار مثواكم خالدين فيها الا ما
شا الله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وفي الصحيح عنه عليه السلام يخرج قوم
من النار بعدما امتحشوا فيها وصاروا فحما وحمما فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل
الحديث تنبيه وتتميم اعلم ان مما اتفق عليه اهل السنة والجماعة عدم تحتم العقوبة
على العصاة بل عندهم كل عاص عاص يجوز ان يعفو الله عنه ابدا او لا يعاقبه بوجه وان كان
لا بد من نفوذ الوعيد في طايفة غير معينة من اهل كل معصية عما نطق اهل العمومات
الجبرية والحاصل ان المكلف من الانسان عند اهل السنة والجماعة على ثلاثة اقسام
اما مؤمن او كافر والمؤمن اما مطيع سالم من الكبائر واما فاسق صاحب كبيرة وصاحب
الكبيرة اما تايب واما غير تايب فالكافر في النار لا ينقطع وعيده والمؤمن السالم من الكبا
في الجنة لا ينقطع ثوابه والمؤمن التايب كذلك واما المؤمن الفاسق فهو مصروف الى مشيئة
الله ان شا عفا عنه وان شا عاقبه وعلى تقدير العقوبة لا بد من انقطاعها اما الانقطاع
بدخول الجنة فكما تقدم واما المعفو عنه فعلى قسمين اما بغير شفاعة شافع واما بالشفاعة
فهذه اقسام المكلف وقد فرغ من الكلام على قسم منها وهو وعيد صاحب الكبيرة بجهة
انقطاعه بعد توعده واما قسم المعفو عنه من غير شفاعة فقد اتفق اهل السنة والجماعة
على حقيته للادلة السمعية كتاب وسنة وهي لا تحصى كثرة قال الله العظيم ويعفوا عن
السيات وقال او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير وقال ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الى غير ذلك واما
الاحاديث فكثيرة ايضا فلا نطول بها ومعنى العفو والغفران في لسان الشرع ترك عقوبة
المجرم والستر عليه بعدم المواخذة واما القسم الثاني وهو المعفو عنهما عن شفاعة فهو مما

اتفق عليه اهل السنة والجماعة ايضا والحاصل ان الله يشفع اهل طاعته من الانبيا والملايكة
والعلما ومن شا الله في اهل الجرايم والكباير غير الشرك قبل دخول النار وبعده والدليل على ذلك
ما تواتر معنى عنه عليه السلام وان كان تفاصيله احادا كقوله ادخرت شفاعتي لاهل الكباير من
امتي حلت له شفاعتي الى غير ذلك وذلك قطعي وايضا قد قال تعالى واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات وامتثاله لازم الوقوع وقد قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى
وهو عليه السلام لا يرضى بان يكون احد من امته في النار والاحاديث في هذا كثيرة واما القسم
الثالث وهو التايب فالكلام عليه يقتضي بعض البسط لشدة مسيس الحاجة اليه وان كان
الكلام عليه مستوفى في التصوف والفقه ولذلك لم يتعرض له المصنف وقد ذكر في الكتب
الكلامية لما ادعاه المخالف لاهل السنة من الحكم العقلي فنقول التوبة لغة الرجوع
وقد تسند الى العبد ومعناها رجوع العبد من مخالفة الامر الى موافقته وقد تسند الى الحق
ومعناها رجوع توفيق الله والطافه وهدايته الى عبده وفي الشرع هل هي الندم على المعصية
لكونها معصية وعليه اعتمد محققو الاشاعرة عملا بقوله عليه السلام الندم توبة او هي
اجماع القلب على المعاد او مكانة القرب والطاعة والندم المذكور ملازم لهذه المعنى
وهو قول الصوفية عملا ببقا الحقيقة اللغوية واما الحديث فغاية ما فيه ان الندم توبة
وهو لا يستلزم ان التوبة هي الندم وهذا هو الدعوى المطلوب بل معنى الحديث التنبيه
على ما به تحقق التوبة وتكون عنده حتى ان حصوله هو حصولها وبالجملة فلا بد في التوبة
من الندم ومعنى الندم تحزن وتوجع على ان فعل وان يتمنى كونه لم يفعل ثم ان الندم على
المعصية لا بد ان يكون لكونها معصية كما ذكر في الحد حتى يخرج الندم على المعصية لا
لكونها معصية بل لان المعصية ضرت ببدنه او ماله او اخلت بعرض من اغراضه الدنيوية
فان الندم لذلك كله لا يكون توبة ولا ما يترتب عليه من الرجوع باتفاق اهل السنة اما
لو كان الندم لخوف النار وطمع الجنة فهل يكون ذلك توبة فيه تردد بين العلما بنا على
ان ذلك هل يكون ندما عليها لقبحها لكونها معصية ام لا والظاهر انه يكون لانه اذا كان
لخوف النار وكان يعتقد ان المعصية هي السبب فيها وما كان سببا في النار فهو قبيح شرعا
وعقلا فهو يعتقد قبحه على ذلك التقدير وان كان الاعتقاد عن سبب فلذلك لا يضر وكذلك
الترك دني الندم عليها لقبحها مع غرض اخر قال سعد الدين والحق ان جهة القبح ان كانت بحيث

دوا
لو انفردت لتحقق الندم فتوبة والا فلا كما اذا كان الغرض مجموع الامرين وكذا التردد
في التوبة عند مرض مخوف بنا على ان ذلك الندم هل يكون لقبح المعصية ام للخوف كما في الاخرة
عند معاينة النار والظاهر من السنة قبول توبة من لم تظهر عليه علاقة للموت اي من لم
يغرغر ثم ان الاصحاب اختلفوا هل التوبة تتم حقيقتها بما ذكر ام لا بد من العزم على عدم
العود في المستقبل فالاول يرى ان المستقبل غير لازم الحظور لتجويز ذهول او جنون
او موت او عدم القدرة لعارض من مرض او هل او جب وعلى هذا التقدير فلا يتصور العزم
على الترك لما فيه من الاشعار بالقدرة والاختيار وقد لا يكون ذلك والصواب
لزوم العزم على تقدير الحظور والاقتدار وذلك ظاهر والحاصل ان التوبة شرعا
انما تتم بالندم على المعصية لكونها معصية والرجوع عنها الى التلبس بضدها
والعزم على ان لا يعود اليها والاولان لا يحتملان السقوط والاخير محتمل والحق لزومه
واما حكمها فاتفق اهل السنة والجماعة على وجوبها على العبد من كل معصية
كبيرة او صغيرة لاتفاقهم على ان الاصرار على الصغيرة يردها كبيرة وان كان
اختلفوا فيمن اجتنب الكباير وفعل صغيرة هل هي ممحوة عنه عن غير اخذها فقط عملا
بقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وما ثبت
عنه عليه السلام من ان الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما اجتنبت الكباير وغير ذلك
وعليه الفقها والمحدثون او ذلك ظنا وانما تحقق عدم المواخذة قطعا بالتوبة
لما ثبت من الاجماع على ان الاصرار عليها يصيرها كبيرة والاصرار لا يرتفع الا بالتوبة
التي هي الندم والرجوع وعدم العود وعليه اهل النظر من الاشاعرة والحنفية
كما نص عليه سعد الدين وابن المنير وابن عطية في تفسيره والدليل على وجوب التوبة
اكثر من ان يحصى قال الله العظيم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك
ثم ان المعصية اما قلبية او بدنية والبدنية اما قاصرة او متعدية اما القلبية
كالكفر والريا مثلا فتحقيق التوبة فيه يكون بالندم عليه لكونه كفرا مثلا او معصية

والرجوع عنه الي مقابلة من الايمان او الاخلاص والعزم ان لا يعود الي ذلك
ابدا واما البدني القاصر فكشرب الخمر مثلا فتحقيق التوبة فيه يكون بالندم عليه
لكونه معصية والرجوع عنه اي تركه بالكف عنه والعزم علي ان لا يعود اليه وان كان
متعديا كاخذ مال تعديا او سفك دم كذلك او قذف مثلا فتحقيق التوبة فيه
يكون بالندم عنه لكونه معصية والرجوع عن الاخذ الي الرد في المال وعن عدم
التمكين من القصاص من نفسه او اخذ شي من ماله في ذلك في سفك الدم الي التمكين
منه والتحقيق في القاتل مثلا ان لم يمكن نفسه من الحكم الشرعي ففيه
معصيتين معصية القتل والتوبة منه هي الندم والرجوع القلبي والعزم علي عدم
العود كما في حديث الذي قتل تسعة وتسعين والمعصية عدم التمكين للحكم الشرعي
ان لم يكن ثم عفو وكان من ياخذ بالدم فالتوبة تكون بالندم والرجوع الي التمكين
والعزم علي عدم العود وفي القذف تتحقق التوبة بالندم والرجوع للكف
والاستغفار للمقذوف والعزم علي عدم العود وهل لا بد من المحاللة وطلبها
فيه تردد مبسوط في الاحيا وغيره وبالجملة فالتوبة اذا تمت بشروطها علي
التفصيل كما هو مبسوط في كتاب التصوف والفقه وقد اختلف اهل السنة في
القطع بقبولها فيما عدا التوبة من الكفر فانه قطعي بالاجماع وانما الخلاف في غيره
فذهب الجمهور من الاشاعرة واهل الحديث والتصوف الي ان القبول قطعي وخالف
القاضي وامام الحرمين وزعما انه ظني قال حجة الاسلام في الاحيا ما معناه
قبول التوبة عند تحققها امر قطعي كقطعية وقوع المسبب عند اسبابه العادية
ومن شك في ذلك لم يفهم اسرار الشريعة الي اخر كلامه وهذا هو الحق قال
تعالي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة
عن عباده فوح علي عدم العلم فدل ذلك علي ان العلم بذلك ممكن وكل ممكن لا بد له من
سبب وسبب العلم هو دليله فلا بد له من دليل سمعي تمكن من الاطلاع عليه والا لما
يمكن ذلك التوبيخ وقد اطلعنا علي الدليل فيحصل العلم وهو المطلوب قوله وان دعبد الكفرة

دايم وان كان غير معاند المراد بالكافر من جحد شيا من الاحكام التي علم انها
من دينه عليه السلام ضرورة فيخرج ما لم يعلم مجيئه به كذلك وان كان بعض
علما الامة يزعم ضرورته لما تقوي عنده من الدليل كمسايل تفصيل الصفات
التي يعدها المحقق من الصوفية بالنظر العقلي فضولا وكمسالة البسملة التي
تفرق الشبهة فيها من الجانبين كما نبه عليه المصنف في اصوله والذي علم من دينه
ضرورة ولا شك في ذلك ولا ريب لاحد من العقلا وجود الصانع وتوحيده واتصافه
بصفات الكمال وتنزهه عن النقايص ووجود ملايكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر وكذلك الاعمال التي بني عليها الاسلام وهي الخمس وما يتبعها من تحريم الابضاع
والاموال والاعراض وفساد العقول وكذلك تحسين عبادة الله بالاخلاص
والمراقبة وما يتبعهما وبالجملة فالاصول التي نبه عليها حديث الاسلام والايمان
والاحسان فمن انكر شيا من هذه الاصول فهو الكافر ثم الكافر علي قسمين
معاند وغير معاند وغير المعاند اما باحث ناظر واما معتقد لنقيض ما جاء
به الرسول ضرورة سوا كان عن جهل مركب او بسيط فالمعاند والجاهل بقسميه
لا خلاف في تخليده وتابيده في النار وذلك مجمع عليه واما الباحث الناظر فكذلك
عند الجميع واعني بذلك من كان مترددا بين النفي والاثبات طالبا المبادي احدهما
ولكنه لم تحصله علي التمام ولم تخالف فيه فيما اعلم من اهل السنة الا البيضاوي
كما اشار اليه بقوله وارجوا للمجتهد العفو ورد الجميع عليه ونسب لمخالفة الاجماع
لكن قرره شارحه الاصبهاني بما يرفع عليه كبير رد هم فانظره فهذا تلخيص احكام
المكلف عند اهل السنة من حيث الاعتقاد باعتبار الاخرة فاعرفه وقوله
وان الايمان عبارة عن تصديق الرسل في كل ما علم بالضرورة مجيهم به علي الاصح تقدم
الكلام علي الايمان واختار المصنف هنا انه باق في الشرع علي ما هو معناه لغة
وانما خصص الشارع متعلقه وهو ما علم مجي الرسل به ضرورة فعلي هذا النطق
باللسان شرطه في اجرا الاحكام والاعمال خارجة عنه والمسالة كما لها تقدمت

وقوله على الاصح مشير الى القول الاخر وهو من جعل النطق جزا منه وكذا من جعل
العمل قوله وانه لا يزيد ولا ينقص وهو قول اكثر اهل النظر من الاشاعرة الثاني
يزيد وينقص وهو قول السلف والفقها واهل التصوف الثالث
يزيد ولا ينقص وهو قول الملك على انه اختلف قوله كما هو في رواية
العتبية على الاحتمالات الثلاث فاما القول الاول وهو يقول لا يزيد ولا
ينقص فعمدتهم ان الايمان يرجع الى معنى بسيط قلبي فذلك امران حصل فهو الايمان
وان لم يحصل لم يحصل الايمان واما ان قلنا ان الايمان هو العلم او المعرفة فاحرا
اذ هو لا يقبل النقيض فلا يقبل التفاوت كما قرر في محله والحق ان الايمان يرجع الى
نور يلقيه الله في قلب العبد يعبر عنه بالاذعان والسكينة وان كان مشروطا بالعلم
وذلك النور يقبل الزيادة للقطع بان ايمان الانبيا ليس كايمان غيرهم
والمحدث يستدل بظواهر الايات والاحاديث قال تعالى فاما الذين امنوا
فزادتهم ايمانا واما القول الثالث فصاحبه متوقف مع ظاهر القران حيث
اخبر بالزيادة ولم يخبر بالنقصان وهذا كله ان لم يجعل الاعمال جزا من
الايمان واما ان جعلناه فزيادته ونقصه ظاهرة وقد ذكرت وجوه
اخر في الزيادة والنقصان وكلها فيه نظر فلذلك لم يتعرض لها قوله ويقال
انا مؤمن ان شا الله اقول هذه المسالة اختلف فيها ايضا فذهب الاشعري
واهل الحديث والصوفي الى القول بذلك وذهب الحنفي وما وراء النهر الى غيره
والخلاف بالتحقيق خلاف في حال فالحنفي ينظر الى ما هو متحقق في الحالة الراهنة
ولذلك قال ان لم يتحقق بالايمان منه فهو كافر وان تحقق فلا ينبغي ان يقيد
دفعا لتوهم الشك منه وان كان ذلك يذكر على سبيل التبرك فالاولى ترك ذلك
دفعا لذلك التوهم والاشعري يقول العاقبة مجهولة والايمان الذي به
النجاة والسعادة مجهول وعلم الله ومشيته محيطة بالكل فوجب رد الامر الى مشيته
اظهارا للفاقة وتركا للتزكية واتباعا للسلف الصالح وكذلك اختلف الاشعري

هذه المسالة وقد اختلف فيها على ثلاثة اقوال الاول لا يزيد ولا ينقص

والحنفية

والحنفية في ان السعيد هل يشقى والشقي هل يسعد ام لا بل الشقي لا يسعد ابدا
والسعيد لا يشقى ابدا وبالاول يقول الحنفي نظرا الى الحال وهي قد تتبدل كحال
شاهد من حال كافر اسلم او مسلم ارتد والاشعري ينظر الى السابقة
في العلم وما نفذ به القدر وذلك لا يتبدل قال تعالى ما يبدل القول لدي وقال
عليه السلام السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وان احدكم
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى لم يبق بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل النار فيدخل النار الحديث قوله وان الكفر عبارة عن انكار ما علم بالضرورة
مجي الرسل به على الاصح هذا قد علم ضمنا من الايمان ضرورة انه مقابله ولكن اختلف
في المقابلة بينهما هل هي مقابلة الضدين او مقابلة العدم والملكة فاختار
المصنف الاول ولذلك عبر بالانكار واختار غيره الثاني ولذلك فسره
بقوله عدم الايمان عن من شانه ان يكون مومنا وعلى كلا القولين يخرج ارتكاب
الذنوب اذ لا يكون مرتكبها بارتكابه اياها منكرا الشي من الدين معلوما ضرورة
انه منه وهذا ظاهر ولم يخالف فيه احد من اهل السنة والجماعة لا يقال قد خالف
ابن حبيب وجماعة من الفقها حيث قالوا يكفر من ترك فرضا من الفروض الخمس اعني الصلاة
واخواتها لانا نقول انما كفروه بذلك لان الشارع جعل ذلك علامة على كفره
لقوله ليس بين المومن والكافر الا ترك الصلاة كما جعل السجود للصنم والقا المصحف
في القاذورة فامثال هذه كفرا وليس ذلك من التكفير بمجرد الذنب يبقى النظر في الادلة
الشرعية التي جعلت هذا علامة الكفر فنر في كون هذا علامة لاحتمال ان يكون الترك
كسلا لا استهزا ولا استحلالا لتركها وهذا نظر اخر فاعرفه والمسالة اجتهادية والحق
عدم التكفير والله اعلم وقوله فلا يكفر احد بذنب من اهل القبلة اي من اظهر علامة
الاسلام وهذا تقدم بسطه الان قوله وان نصب الامام واجب على الخلق لا على الخالق
اقول الامام شخص والامامة والامام حدها سعد الدين وغيره بقوله رياسة عامة
في امور الدنيا والدين خلافة عن النبي فتخرج النبوة والقضا وغيرهما من الرياسات
الخاصة وهذا الحد يعطي ان الامامة والخلافة متلازمان والمحقق الصوفي يقول النبوة
لها ظاهر وباطن فظاهرها القيام بامر الدين اعمالا واخلاقا وباطنها القيام بامره علما

وتحققا فالقيام بظاهرها على التمام بحيث يكون له جبر غيره للقيام بظاهر الدين
خلافة والقيام من باطنها على التمام بحيث يهدي غيره الى القيام بباطن الدين علما
وتحققا امامة وللخليفة على هذا هو القايم في امة محمد صلى الله عليه وسلم بما كان
صلى الله عليه وسلم مقيما به فيهم مما به صلاح الدنيا والدين ظاهرا والامام هو القايم
فيهم بما كان عليه السلام مقيما به فيهم مما يحفظ به امور دينهم ودنياهم ثم الخلافة
والامامة قد يجتمعان في شخص وقد ينفرد احدهما دون الاخر والى القايمين بذلك
اجتماعا وانفرادا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طايفة من امتي قايمين على الحق
الى قيام الساعة وبقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون في امتي اثني عشر
خليفة ولكل خليفة اماما ما هو نفسه ان جمع له بين الامامة والخلافة والا
غيره ان لم يجمع له وبه يكون كماله وتنبه لقول عمر رضي الله عنه لولا علي لهلك عمر
ثم هذا الشان والقيام به لا ينقطع في هذه الامة بل هو اما ظاهر او باطن كما اشار اليه
علي رضي الله عنه عذا ولنرجع الى الخلافة والامامة من حيث حكمها الشرعي والنظر في
حكمها وشروطها وما تنعقد به الخلافة وما يقع العزل به اما الحكم بنصب
الامام الذي هو الخليفة واجب على الخلق لا على الخالق كما ذكره المصنف
بالدليل السمعي وعلى هذا اتفق اهل السنة والجماعة لوجوه الاول اجماع الصحابة
على ذلك حتى جعلوا ذلك اهم الواجبات واشتغلوا به عن دفن الرسول
عليه السلام وكذا عقب كل خليفة بعده روي انه لما توفي عيسى عليه السلام
خطب ابو بكر رضي الله عنه وقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت لا بد لهذا الامر ممن يقوم به وانظروا
وهاتوا اراءكم رحمكم الله فتبادروا من كل جانب وقالوا صدقت ولكنا ننظر
في هذا الامر ولم يقل احد انه لا حاجة بنا اليه وهذا ظاهر الثاني اقامة الحدود
وسد الثغور وتجهيز الجيوش وكثير من الامور المتعلقة لحفظ
النظام وحماية الاسلام واجب شرعا وهو لا يتم عادة الا بالامام وما لا يتم
الواجب المطلق الا به وكان مقدورا فهو واجب كما تقرر في الاصول الثالث
ان في نصب الامام استجلاب منافع لا تحصى واستدفاع مظالم لا تخفى وكل

ما هو كذلك فهو واجب شرعا اما الصغرى فظاهره تكاد تلحق بالضروريات
لما علم من استقرا احوال هذه الامة وغيرها من الامم عند اجتماعها على امام واحد
وعند افتراقها فان في الاجتماع صلاح عام وفي الافتراق ضده واما الكبرى
فبالاجماع ثم اعلم ان الوجوب مشروطة بوجود من يصلح للامامة والقدرة على
تقليده وحينئذ لا يرد السؤال بان يقال لو وجب نصب الامام لزم الامة اطباق
اكثر الاعصار على ترك الواجب لانتفا الامام المتصف بما يجب من الصفات
فان ذلك كله غير لازم وانما يلزم لو وجد شخص موصوف بشرط الامامة
مع القدرة عليه وذلك كله غير حاصل وها هنا بحث نبه عليه سعد الدين
وهو انه اذا لم يوجد امام على شرايطه وقدمت طايفة من اهل الحل والعقد
قرشيا فيه بعض الشرايط من غير نفاذ لاحكامه وطاعة من العوام لاوامره
ولا شرط له بها يتصرف في مصارف العباد ويقدر على النصب والعزل لمن اراد
هل يكون ذلك اتيانا بالواجب ام لا وهل يجب على ذوي الشوكة المتصفين
بحسن السياسة والعدل ان يفوضوا الامر اليه ويكونوا كالنايب له عنه
في ذلك نظر واما الشروط فالمتفق عليها عند اهل السنة والجماعة ان يكون
مكلفا لان غير العاقل من الصبي والمعتوه قاصر عن القيام بامور نفسه فكيف
يقوم بامر غيره ذكرا لان النسا ناقصات عقل ودين ممنوعات
عن الخروج الى محال الاحكام ومعارك الحروب حرا لان العبد مشغول
بشان سيده فكيف يتفرغ لشان غيره وايضا مستحقر في اعين الناس فلا
يهاب ولا يمتثل امره عدلا لان الفاسق لا يصلح لامر الدين ولا يوثق باوامره
ونواهيه والظالم يختل به امر الدين والدنيا فكيف لا يصلح للولاية قرشيا لقوله
عليه السلام الايمة من قريش وقوله عليه السلام الولاية في قريش ما اطاعوا واستقاموا
وقوله عليه السلام قدموا قريشا ولا تقدموهم وايضا اجماع الصحابة
على ذلك لانه لما قال الانصار في يوم السقيفة منا امير ومنكم امير منعهم ابو بكر رضي
الله عنه لعدم كونهم من قريش وذكر الحديث ولم ينكر عليه احد من الصحابة
فكان ذلك اجماعا سالم قوة الادراك والنطق اذ مع فقد شي منها لا يمكن القيام

الشروط الثلاثة التي زادها جمهور اهل السنة

بشان فهذه الشروط متفق عليها وزاد الجمهور من اهل السنة ثلاث شروط
اخر الاول ان يكون شجاعا لئلا يجبن عن اقامة الحدود ومقاومة الخصوم الثاني
ان يكون مجتهدا في الاصول والفروع ليتمكن من القيام بامر الدين الثالث
ان يكون ذا راي في تدبير الامور لئلا يخطي في سياسة الجمهور وخالف بعضهم في
اشتراطها لندرة اجتماعها في شخص واحد وجوزوا الاكتفا فيها بالاستعانة بالغير
فان يعوض امر الحرب للشجعان والاستفتا للمجتهدين ويستشير اصحاب الاراء
الصايبة في الاراء والامور فهذه هي الشروط التي تكلم عليها اهل السنة واعتبروها اتفاقا
واختلافا فاعرفها واما ما تنعقد به الامامة فطرق ثلاث احدها بيعة اهل العقد
والحل من العلما والرؤسا ووجوه الناس من غير اشتراط عدد مخصوص ولا اتفاق
من في ساير البلاد بل لو عقد واحد من اهل الحل والعقد كفا في ذلك وهل يشترط
حضور شاهدين على العقد لئلا يدعي شخص اخر انه عقد له سرا متقدما على هذا العقد
اشترطه الاشعري ولم يشترطه غيره والدليل على هذا ان ابا بكر رضي الله عنه
لم يتوقف على انتشار خبره في الاقطار ولم ينكر عليه احد وقال عمر لابي عبيدة
ابسط يدك ابايعك فقال اتقول هذا وابو بكر حاضر فبايع ابا بكر الثاني استخلاف
الامام اما شخصا معينا كما فعله ابو بكر رضي الله عنه مع عمر او بان يجعل الامر شورى
في معينين بحيث يستشيرون ويتفقون على واحد منهم كما وقع لعمر رضي الله عنه
حيث جعل الامر شورى بين علي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد وعلي
هذا اذا خلع الامام نفسه او مات انتقل الامر الى ولي غيره والدليل على هذا اجماع
الصحابة على فعل ابي بكر وعمر رضي الله عنهم الثالث القهر والاستيلا وذلك اذا مات
الامام وتصدى للامامة من يستجمع شرايطها من غير بيعة ولا استخلاف وقهر الناس
بشوكته انعقدت له الخلافة واما ان كان فاسقا او جاهلا وفعل ذلك القهر فهل تنعقد
له ام اختلف في ذلك على قولين والاظهر عند سعد الدين انه تنعقد دفعا لفساده الا انه
يعصي بما فعل ثم ان الامام تجب طاعته لقوله تعالى واولي الامر منكم ما لم يخالف حكم
الشرع لقوله عليه السلام السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا
طاعة ولا يجوز نصب امامين لا في وقت واحد ولا في وقتين لان ذلك مظنة للاختلاف

المنافي لحكمة نصب الامام وقد قال عليه الصلاة والسلام اذا بويع الخليفتين فاقتلوا
الاخير منهما تفريع واذا ثبتت الامامة بالقهر والغلبة ثم جا امر فقهره انعزل
وصار القاهر اماما تقليلا للمفسدة بحسب الامكان نص عليه سعد الدين الددعي
واما العزل فلا يجوز خلع الامام بلا سبب ولو خلعوا لامتنع نفوذه غيره والسبب
المتفق عليه الجنون المطبق والعمى والصمم والخرس والمرض الذي ينسيه العلوم
وكذا الردة وصيرورته اسيرا للامامة لا يرجا خلاصه وبالجملة كل ما يحصل فقدوا اما الامامة
الفسق فقد اختلف فيه على قولين فالذي عليه الجمهور انه لا ينعزل به لان ذلك قد
تنشا عنه فتنة هي اعظم من فسقه وذهب الشافعي في القديم الى انه ينعزل
وعليه اقتصر الماوردي في الاحكام السلطانية وقال امام الحرمين اما اذا جار
ذو وقت وظهر ظلمه وغشه ولم ينزجر عن سوء صنيعه بالقول فلاهل الحل والعقد
التواطي على دفعه وعزله ولو بشهر السلاح ونصب الحروب واما ان عزل نفسه
بنفسه فان كان لعجزه عن القيام بالامر انعزل والا فلا تتميم ثبت عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا ففرق عليه
السلام بين الخلافة والملك فمن كان مستوفيا للشروط المعتبرة فهو خليفة والا فهو
ملك وقد قيل ان من اخذ من الدنيا باكثر ما ياخذ المترفين منها فهو ملك ومن اخذ
منها ما ياخذ الفقرا فهو خليفة لقول علي رضي الله عنه ان الله اخذ العهد على الخلفا
الا يتميزوا الا بزي الفقرا وقوله ولا يجب القيام بدفع شبه اهل الضلال الا على من
تمكن في النظر وفي علوم الشريعة تمكنا يقوى به على دفعها وهو فرض كفاية
هذا قد تقدم تحقيقه والحاصل ان علم العقايد لا بد له من مستند وتحصيل ذلك فرض
عين كما تقدم ومن المعلوم ان حصول ذلك على التمام انما يكون بدفع الشبه وحلها
وهذا مما لا يمكن لكل احد حصوله لاستغراقه الاوقات والازمان فيتعطل كثير
من المصالح الدينية والدنيوية وايضا فان المصلحة فيه لا تتعدد بتعدد تحصيله اذ
المقصود دفع الشبه فاذا حصل من واحد كفا فتعين ان يكون تحصيل ما به دفع الشبه من
فروض الكفاية كما قال المصنف وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم ومنه الكون استمد التوفيق والعون

وهذا متن العقيدة المتقدم شرحها

قال الشيخ الامام العالم العلامة الاوحد المفتن

مفتي الفرق ابو عمرو عثمان بن الحاجب المالكي رحمه الله تعالى

يجب على المكلف شرعا ان يكون على عقد صحيح في التوحيد وفي صفات الله سبحانه وفي
تصديق رسله فيؤمن بان لا اله الا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا نظير له في صفة
من صفاته ولا قسيم له في فعله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق
وان كل ما اخبر به عنه صدق وان الايمان هو حديث النفس التابع للمعرفة بذلك
على الاصح خلافا لمن قال هو المعرفة فقط ولا يكفي التقليد في ذلك على الاصح فلا بد
من حديث النفس التابع للمعرفة عن مستند جملي بثبوت الصانع ووجوده ووجوب
وجوده وثبوت قدمه وعدم تركيبه وعدم تجزيه وعدم حلوله في المتحيز وعدم اتحاده
بغيره وعدم حلوله فيه واستحالة كونه في جهة واستحالة قيام الحوادث واستحالة الالام
واللذات عليه وانه قادر على كل المقدورات بقدرة قديمة قايمة بذاته عالم بكل المعلومات
بعلم قايم بذاته مريد بجميع الكاينات بارادة قديمة قايمة بذاته سميع بصير بصفتين
زايدتين على العلم على الاصح متكلم بكلام نفسي قديم قايم بذاته واحد متعلق بالامر
والنهي والخبر والاستخبار والوعد والوعيد والندا على الاصح باق ببقا يقوم به عند الاشعري
وبذاته عند القاضي وهو الاصح ولا تعرف حقيقة ذاته على الاصح خلافا للجمهور وان
رويته صحيحة واقعة وانه موصوف بالوجه واليدين وبالاستوا على راي وبصفة
توجب الاستغنا عن المكان على راي وبصفة الشم والذوق واللمس على راي وبالقدم
غير البقا على راي وبالعالمية والقادرية والمريدية والحية عند مثبتي الاحوال
وبعلوم متعددة على راي وبالرحمة والرضا والكرم غير الارادة على راي والصحيح
انه لا دليل على هذه الصفات اثباتا ولا نفيا وانه واحد بصفاته وانه لا تاثير لقدرة
العبد في مقدوره على الاصح وان العقل لا يستقل بادراك كون الفعل او الترك متعلق المواخذة
الشرعية فلا تحسين ولا تقبيح عقلا وانه لا يجب عليه شي ولا يفعل شيا لغرض وان الاعمال ليست
علة لاستحقاق الثواب والعقاب وان محمدا صلى الله عليه رسول الله وخاتم النبيين وان جميع

ما جا

ما جا به حق دلت المعجزة على صدقه وصدق جميع الانبيا والرسل وهي امر خارق للعادة
مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة وانهم معصومون من الكباير قبل النبوة وبعدها
وفي تبليغ الوحي والفتاوي ومن الصغاير بعد النبوة مطلقا خلافا لمن جوزها عليهم
سهوا بخلاف ما قبلها في السهو لا مطلقا على الاصح وانهم افضل من الملايكة على
الاصح وان المعاد البدني حق بمعنى جمع الاجزا بعد تفرقتها او بمعنى اعادتها بعد اعدامها
وان ارواح اهل السعادة باقية منعمة الى يوم الدين وان ارواح اهل الشقاوة
باقية معذبة الى يوم الدين وانها حادثة لا تناسخ فيها وان ساير السمعيات
من ثواب الله تعالى وعذابه والصراط والميزان وعذاب القبر ووزن الاعمال
ونطق الجوارح والحوض والشفاعة واحوال الجنة ودوام نعيمها واحوال
النار ودوام عذابها حق وانهما مخلوقتان ممكنتان ووقوع ذلك وان وعيد
اهل الكباير منقطع وان وعيد الكفرة دايم وان كان غير معاند وان الايمان
عبارة عن تصديق الرسل في كل ما علم بالضرورة مجيئهم به على الاصح وانه لا يزيد
ولا ينقص ويقال انا مومن ان شا الله وان الكفر عبارة عن انكار ما علم
بالضرورة مجي الرسل به على الاصح وان نصب الامام واجب على الخلق لا على
الخالق ولا يجب القيام بدفع شبه الضلال الا على من تمكن في النظر وفي علوم
الشريعة تمكنا يقوي على دفعها وهو فرض كفاية كملت العقيدة
المنسوبة للشيخ الامام العالم المحقق ابي عمرو عثمان بن الحاجب
الكردي تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته وصلى الله على
سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

وكان الفراغ من الكتاب المبارك ... بالجامع الازهر بالقاهرة المحروسة في اليوم المبارك وهو ثاني عشر
شهر صفر الخير المبارك سنة سبعة عشر وتسعماية

بلغ مقابلة على ... [illegible]

ان شا الله تعالى

... [illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

اما بعد قال الشيخ الامام العارف بالله تعالى سيدي الشيخ

ارسلان الدمشقي اعاد الله علينا وعلى كافة المسلمين من بركاته في الدنيا والاخرة

قال رحمة الله تعالى وعفي عنه كلك شرك خفي ومابين

كله كشرك صح نسخه

توحيدك الا اذا خرجت عنك فكلما اخلصت يكشف لك انه هو لا انت

فتستغفر منك وكلما وحدت بان لك الشرك فتجدد في كل ساعه ووقت

توحيدا وايمانا وكلما خرجت منهم زاد ايمانك وكلما خرجت منك زاد

يقينك يا اسير الشهوات والعادات يا اسير المقامات والمكاشفات

انت مغرور وانت مشتغل بك عنه اين اشتغالك به عنك هو عز وجل

حاظر ناظر وهو معكم اينما كنتم في الدنيا والاخرة اذا كنت معه حجبك عنك

واذا كنت معك استعبدك له الايمان خروجك منك واليقين خروجك

عنك اذا زاد ايمانك نقلت من حال الي حال واذا زاد يقينك نقلت من مقام

الي مقام الشريعة لك حتى تطلبه منه لك والحقيقة حق تطلبه له

به عز وجل حيث لا حيث ولا اين فالشريعة حدود وجهات والحقيقة

لا حد ولا جهه القايم مع الشريعة فقد نعطل عليه بالمجاهدة والقايم مع

الحقيقة نعطل عليه بالمنة وشتان مابين المجاهدة والمنه القايم مع المجاهدة

موجود والقايم مع المنة مفقود الاعمال متعلقه بالشرع والتوكل متعلق بالا

يمان والتوحيد متعلق بالكشف الناس تايهون عن الحق بالعقل وعن الاخرة بالهوى

فمتى طلبت الحق بالعقل ضللت ومتى طلبت الاخرة بالهوى ضللت المومن

ينظر بنور الله تعالى والعارف ينظر به اليه مادمت انت معك اكلناك

اليك فاذا غبت عنك تولیناك مانولاهم الامن بعد ثنايه مادمت انك انت

فانت مريد فاذا افناك عنك فانت مراد كم بين من يكون بامره وبين من يكون به

ان كنت يا من خضعت لك الاسباب وان كنت به تضعضعت لك الاكوان
اول المقامات الصبر على مراده واوسطها رضا بمراده واخرها ان تكون بمراده
العلم طريق العمل والعمل طريق العلم والعلم طريق المعرفة والمعرفة طريق الكشف والكشف
طريق الفنا ما صلحت مادام فيك بقية لسواه اذا حولت السوا فنيت عنك
فصرت لنا فاودعناك سرنا اذا لم يبق عليك حركة لنفسك كمل يقينك
واذا لم يبق لك وجود كمل توحيدك اهل الباطن مع اليقين واهل الظاهر
مع الايمان فمتى تحرك قلب صاحب اليقين نقص يقينه ومتى لم تخطر له خاطر
كمل يقينه ومتى تحرك قلب صاحب الايمان بغير الاجل نقص ايمانه معصية
اهل اليقين كفر ومعصية اهل الايمان نقص المتقي متشهد والمحب متوكل والعارف
ساكن والموجود مفقود لا سكون لتقي ولا حركة لمحب ولا عزم لعارف ولا وجود
لموجود ولا تحصل المحبة الا من بعد اليقين المحب الصادق خلا قلبه مما سواه
ومادام عليه بقية محبة لسواه فهو ناقص المحبة من تلذذ بالبلا فهو موجود ومن
تلذذ بالنعا فهو موجود فاذا افناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلا والنعا المحب انفاسه
حكمه والمحب نفاسه قدره العبادات للمعوضات والمحبة للقربات اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اذا افناك عنك
بالحكم وعن ارادتك بالعلم تصير عبدا صرفا لا هوي ولا ارادة فحينيذ يكشف لك فتضمحل
العبودية في الوحدانية بفنا العبد وبقا الرب عز وجل الشريعة كلها قبض والعلم
كله بسط والقدرة دلال طريقنا محبة لا عمل وفنا لا بقا اذا دخلت في العمل
كنت لك واذا دخلت في المحبة كنت له العابد راي العبادة والمحب راي المحبة اذا
عرفته كانت انفاسك به وحركاتك له واذا جهلته كانت انفاسك بك
وحركاتك لك العابد له سكون والزاهد ماله رغبة والصادق ماله ارتكان
والعارف لا حول ولا قوة ولا اختيار ولا اراده ولا حركة ولا سكون والموجود
ماله وجود اذا استانست به استوحشت منك ومن اشتغل بك الله عمنا

ومن اشتغل

ومن اشتغل بنا لنا ابرناه اذا زال هواك يكشف لك عن باب الحقيقة
فقفا ارادتك فيكشف لك عن الوحدانية فتتحقق انه هو بلا انت ان سلمت
اليه قربك وان نازعته ابعدك ان تقربت به قربك وان تقربت بك ابعدك
ان طلبته لك كلفك وان طلبته له دللك وقربك خروجك منك بعد
وقوفك معك ان جيت بلا انت قبلك وان جيت بك حجبك عاملك لا يكاد ان
يتخلص من علة فكن من قبيل المن لا من قبيل العمل ان عرفته سكنك وان جهلته
حركك فالمراد ان يكون ولا تكن الا عوام اعمالهم مبهمات والخواص اعمالهم قربات
وخاص الخاص اعمالهم درجات كلما اجتنبت هواك قوي ايمانك وكلما اجتنبت
ذاتك قوي توحيدك الحق حجاب وانت حجاب والحق محتجب عنك بك
وانت محتجب عنك بك ومحجوب عنه بهم فانفصل عنك تشهده والسلام
ليس العلم من كثرة التكرار ولا من دوران البلدان بل هو نور من الرحمن ينزل على قلب
من يشا من الانسان تمت رسالة سيدي الشيخ ارسلان بكرم الله
العزيز المنان والحمد لله اولا وثانيا وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة
للانس والجان وحسبنا الله لما مضى ولما بقي ولما كان ونعم الوكيل من سائر الحدثان
بسم الله الرحمن الرحيم وبه المستعان
الحمد لله الذي خلق ادم ابا البشر واصطفاه على العالمين واسجد
له الملايكة اجمعين الا من تولى وكفر وجعله مظهر اسمايه وصفاته
ومحل التنزلات القضا والقدر واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة من تحقق بالعيان لا بالخبر واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله
سيد ولد ربيعة ومضر صلى الله عليه وعلى اله وصحبه ما اتصلت عين بنظر
واذن بخبر وبعد فان الاستاد العارف المحقق الرباني سيدي ارسلان
الدمشقي قدس الله سره العزيز له رسالة لطيفة جمع فيها قواعد اهل
الطريق ومنها من حقايق اهل التحقيق لم يسمح الزمان بمثالها ولا نسج على

منوالها وقد التمس مني بعض الاحباب الكتابة عليها وحل معانيها فتيسر ذلك
بعناية السيد المالك غير اني بسطت القول ووسعت فلك العبارة
ثم بدا لي ان اختصر هذا الكتاب وجا لتحصيل الغرض من غير زيادة لمن نظره
ومددت يد الفقر والفاقة وقرعت باب الكرم نجاد بفضله والهم وعلم وسميته
مواقع الالهام من نفحات الفضل والانعام واسال ان يمن علينا بالتوفيق
وان يسلك بنا مسالك اهل التحقيق اعلم ان الله سبحانه لما ابرز الانسان
من حضرة الامتنان خلقه على صورة الرحمن قال عليه الصلوة والسلام
خلق الله ادم على صورة الرحمن وقال حجة الاسلام رضي الله عنه المراد بالنسبة
في هذه الصورة هنا الصورة المعنوية والاشارة به الى المضاهات ويرجع
ذلك الى الذات والصفات والصفات والافعال انتهى وبهذا الاعتبار من
يا انسان كلك شرك خفي ان وقفت مع نفسك ودائرة حسك وبعدت
عن حضرة القدس بشواهد الحس لان الشرك هو سبب البعد والحجاب
والخفي لا تاثير له في الظاهر لعدم تعلقه به فاذا امت امهات حجبك وافنيت
السوا عنك بان توحيدك ومايبين اي يظهر توحيدك من حضرة الاشراك
المتعلق بالاسلوب المنبه عليه انفا الا اذا خرجت عنك اي فنيت
عن روية فعلك وحولك وقوتك بقيام الله تعالى على ذلك لان التوحيد
لا يكون الا بعد الفناء والتخلق بمقام البقا فكلما اخلصت من احوالك وافعالك
يكشف لك بواسطة النور الذي سكنه الله تعالى عين قلبك وهو نور
الهداية والمعرفة انه هو الفاعل فيك منك لا انت فان انت فتستغفر
حينئذ منك اي تستتر عن احوالك وافعالك بما امدك به من العلم البيا
وهو المشار اليه انفا بنور الهداية والمعرفة بعد الكشف الحقيقي وكلما
وحدت اي تجردت عن عوالمك وهي امهات حجبك ومحوت السوى عن
قلبك بان لك الشرك وهو مقام الفرق المنسوب اليك فتجرد في كل ساعة

ووقت بل

بل في كل لحظة ونفس توحيدا وايمانا الى ان يكمل يقينك في موطن الكشف والعيان
لان الانسان مادام في هذه الدار لا نهاية له ولا غاية لتوحيده فهو ما بين صحو ومحو
ونفي واثبات وكلما خرجت منه اي من الاوصاف المنسوبة اليك والمسلوبة عنك
زاد ايمانك اي تصديقك بما انكشف لك من الغيوب في مقام الكشف
والمعاينة فتعلم من الغيوب على قدر خروجك منهم وكلما خرجت عنك اي
اجتنبت ذاتك وامت نفسك لان معنى الخروج هو فنا نفسك لقيام الحق عليك زاد
يقينك فتتحقق بعبوديتك وتقوم لمقام الربوبية بما يليق بحضرتها السنية وتكون
عبدا صرفا لا هوا ولا ارادة لان من عبده له قام بحق الربوبية ومن عبده لطلب
مقام او حال او كشف وحالة من الحالات طردته حقايق الصدق والاخلاص
ونادته يا اسير الشهوات والعبادات يا اسير المقامات والمكاشفات انت مغرور
لان كل من احب شيا عبده وكان في اسره ولهذا كنت مغرورا في طلبك هذه الحالة
لان المراد فوق ذلك وهو رب كل شي وانت مشتغل بك عنه اي مشتغل عنه
لطلبك لنفسك الرفعة الدنيوية والاخروية فاعبدته له فان ادعيت ذلك ابن
الاشتغال بك عنا لان المشتغل عنه به هو المؤثر عليه غيره هو عز وجل حاظر ناظر هو معكم
اينما كنتم في الدنيا والاخرة بعلمه وارادته وقدرته سبحانه لا يعزب عن علمه شي فاذا علمت انه معك
في سرك وجهرك اينما كنت فكن انت معه بالصدق والاخلاص لانك اذا كنت معه
على هذا المنوال حجبك عنك اي ابعدك عن روية نفسك فكنت في طهارة من نجاسة
الشرك الخفي وهو نظرك الى فعالك مطلقا واذا كنت معك اي ناظرا الى احوالك
وافعالك طالبا الجزا والثواب استعبدك لها لان من طلب منه الجزا طالبه بالعمل
فالايمان خروجك عنهم بان لا تشاركه في صفاته ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر
والفواد كل اوليك كان عنه مسولا فاذا خرجت عما له من صفات الكمال الكبريا والعظمة
والاقتدار بواسطة ما شهدته لك من صفات العجز والذل والاحتقار حصل
لك بذلك الامن والامان واليقين بعد خروجك عما تقدم خروجك عنك به لان الايمان

قرين اليقين للتصديق وهو حقيقة اليقين الذي مكانه الصدق بعد خروجك عنه
وعنك اذ خروجك عنه يثبت الايمان به وله وضد ذلك يثبت الشرك الخفي لانك
تثبت لك وجودا معه وخروجك عنه بواسطة فنا نفسك وانطماس رسمك يثبت
اليقين وهو العلم الثابت الذي لا يحتمل النقيض فكلما قوي ايمانك لمعرفتك بحقيقة ذاتك نقلت
من حال الى حال اي من جهل الى علم ومن ضعف الى قوة الى غير ذلك من الاحوال الى
ان يكمل ايمانك وهو اليقين وكلما قوي يقينك في مقام المعرفة والكشف نقلت من مقام الى مقام
الى ان تصل الى ان لا مقام فاهل الايمان مع الدليل والبرهان واهل اليقين مع الكشف والعيان
فالشريعة لك ايها الضعيف الواقف مع الدليل والبرهان العاجز عن درجة التحقيق حتى
تطلبه منه لان طريق العمل لك الهامد برا وليا والحقيقة له حتى تطلبه به عز وجل
لا من صفاتك ولا من افعالك اذ ليس له طريق اليه الا به فتطلبه بالنور الالهي الماحي
ظلمة الوجود الحسي الموهوب من حضرة السر القدسي حيث لا حيث ولا اين
لان الحيثية والاينية لا تليق بهذه الحضرة العليه وايضا الطلب لا يوصل
اليه والقصد لا يصدف عليه فهو كما كان في سابق الازل ولاحق الابد لا جهة
ولا حد فالشريعة التي شرعها الله تعالى على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم حدود
حدها الله تعالى كالشروط للعبادة وجهات اقتضاها الله تعالى لتاتي بالعبادة في
اوقاتها بتمام اركانها وشروطها وهياتها على وجه الكمال كما شرع والحقيقة وهي
باطن الشريعة وروح معناها لا جهة ولا نعت لا انحاسر معنوي تشاهده به
اذ الحقيقة لا يدل عليها غيرها فالقايم مع الشريعة فقط اي مع صورة العمل من غير كشف
ولا مشاهدة تفضل عليه بالمجاهدة اي وفقه للقيام بما امر به من العبادة الظاهرة
وحقوق العبودية الباطنة التي هي للقلب والقايم مع الحقيقة في موطن الكشف والعيان
تفضل عليه بالمنه لقيامه بحق الربوبية مع الادب بين يديه في حضرة جلاله تعالى
وشتان ما بين المجاهدة والمنه اي شتان بين من اقامه في موطن العمل مع المجاهدة من غير
كشف ولا شهود وبين من كشف له عن سر الالوهيه فشهد الاشيا من حيث الوحدانيه

الوحدانيه

الوحدانيه فلا يرى الا الواحد ثم القايم مع المجاهدة في موطن العمل موجود بنفسه
لا يبرح عن دايرة حسه والقايم مع المنة في موطن الكشف والمشاهدة والعيان
مفقود من نفسه موجود بربه وذلك لا ينافي العمل اذ الاعمال متعلقة بالفروع وحقيقة
بلا شريعة باطله غير ان صاحب هذه الخصوصية السنية الممتن عليه بهذه
الخصوصيه تمحى اوصافه بالكليه واما صاحب موطن العباده والاعمال
لا يبرح عن حدود الشريعة ولا جهاتها المنيعه لان الاعمال من مناط التكليف
ومعرفة الاحكام تتعلق بالعلم المشروع لمعرفة كيفيته اذ لا يصح العمل الا به
والتوكل على الله في كل موطن متعلق بالايمان لان التوكل ترك التدبير اعتمادا على المقادير
وذلك لا يتم الا بعد التصديق والايمان بالقادر المختار الفعال لما يريد والتوحيد
المختص بدايرة الموحد متعلق بالكشف وهو كشف السر الذي هو من صفة اهل
المشاهدات ولهذا قيل التوحيد الوجد بالله احاطة واطلاقا وهو صفة
اهل المشاهدات فاذا استولى على القلب نور سلطان التوحيد وعظمة
الجلال انكشف جميع الحجب وانعدم كلما انتهى اليه بالحدوث وزال حكم الوهم
والخيال فاذا انكشف فيما ظهر وظهر فيما به انكشف فذلك مقام التوحيد لا
للحق وراء العقل والناس تايهون عن الحق بالعقل الذي هو آلة التمييز لانه حصر ضيق
لا يعرف الا الممكن ويستدل به على الواجب ومن هنا حصل الضلال اذ من
شرط الدليل ان يكون اجلى من المدلول وهذا لا يصح في حق الباري تعالى
لانه فوق كل مظهر الظاهر وظهور كل شي به واذا كان كذلك فكيف يصح ان يستدل
عليه بما هو مفتقر في وجوده اليه وعن الاخرة الباقيه التي هي دار كرامة الحق بالهوى
لان الهوى هو ميل النفوس الى الشهوات والمخالفات وحفة الجنة بالمكاره
والنار بالشهوات وما ثم طريق تسلك غير طريق الله تعالى الموصلة الى حضرة جلال
الربوبية وهي لخواص الخواص وطريق الاخرة وهي للخواص ففي طلب الحق الحق
الذي هو مطلب العارفين الكمل بالعقل وهو القلب المشترك المحجوب بتفصيل

الالوهيه والربانيه

الخبر واحاطة النظر وادراك التكليف وارادة التعيين ظلت لان العقل من هذا
الوجه دال على معرفة الموجودات الكونيه واتقفى ظواهرها الصوريه ومتى
طلبت الاخرة التي هي مطلب المومنين بالهوى ظلت لان الاخرة ليس لها طريق غير
المجاهدة ومخالفة النفوس وترك الهوى اذ الهوى له ظلمة تتولد من عالم الطبع
تطفي نور الايمان الضعيف والمومن المتصف بحقيقة الايمان ينظر بنور الله
وهو نور الفراسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة
المومن فانه ينظر بنور الله تعالى فمن نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق وهي على
حسب قوة الايمان فكل من كان اقوى ايمانا كان احد فراسة والعارف الذي انتقل
من الايمان بالغيب الى مشاهدة العين بلا اين ينظر به اليه اي ينظر بنور الهدايه
واليقين الى الله تعالى لان العارف المحقق ليس الا الله والى هذا الاشارة بقولهم اي بقول بعضهم
وكنت بلا كون لانك كنت هو وما دمت انت معك اي مع نفسك واقفا مع عوايد طبعك
امرناك بالمجاهدة والخدمة والصبر على البلوى وما اشبه ذلك واذا افنيت عنك
اي عن نفسك والنفس ما كان معلوما من اوصاف العبد توليناك في كل امر فصرت
مسعوفا محفوظا معانا ما تولاهم في الحيوة الدنيا والاخرة الا بعد فنايهم لان الولاية تقتضي
مقام البقا بعد الفنا وحقيقة البقا انقطاع امتناع ما استحال تقدم وجوده
بعدم وما دمت انت انت ثابت الانيه ناظرا في مصالح نفسك لم يمت وهمك
الكاذب ولا خيالك الزايل فانت مريد طالب لنفسك الزياده لان المريد على موجب
الاشتقاق من له اراده والمريد في هذه الطريقه من لا اراده له فمن لم يتجرد عن
ارادته لا يكون مريدا فاذا افناك عنك بما امدك به من انوار العلوم القدسيه المحيه
لكل كاذب من الوهم والخيالات الحسيه وصرت بلا ارادة ولا اختيار فانت
اذ ذاك مراد لان المراد هو الذي اختطفه مولاه عن نفسه واحضره فيما لا خطر
له على بال فاذا ذهب الوهم والخيال صرت ابدا مع اليقين اذ اليقين الادوم الذي جمع بين
العلم والعيان غيبه عنك لانك اذا كنت مع نفسك حجبك الوهم والخيال فاذا

انزلها حضر قلبك بعد غيبته لان غيبتك عنك تستلزم الحضور له وحضورك
به يستلزم دوام الحضور بما شهدت من العلم بعد المطابقة وذلك افضل
اليقين فاذا علمت ما تقدم من العبارة وفهمت ما فيها من الاشارة فانظر الى
كم بين ما يكون بامره من انواع العبادات والمعاملات الى غير ذلك وبين
ما يكون به من المكاشفات والمشاهدات والخصوصيات التي يهبها لاهل
التحقيق فان كنت بامره مع نفسك قايما بوفا العهود وحفظ الحدود خشعت
لك الاسباب اي انقادت بتيسير الله تعالى وتوفيقه وان كنت به لا بنفسك تضعضعت
لك الاكوان اي تلاشت واضمحلت من عينك فلم تحجبك عن روية المكون لانه
لانه اذا ما ازال الستر لم تر غيره ولا ثم غير ولا معه موجود غير ان المقامات ثلاث
بحسب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فاول المقامات المختصة بعلم اليقين الصبر
على مراده لانه لما علم انه سبحانه وتعالى المبتلي له وجب عليه الصبر على مراده
سيده وهو تحمل المشقه بانتظار الفرج وثقة بصدق الوعد واوسطها الرضى بمراده
وهو غض بصر الامل عن ملاحظة المزيد على الحاصل في الوقت لانه اكتفى بما شهده
من مراده بواسطة عين اليقين واخرها ان تكون بمراده لان حق اليقين يستلزم المشاهده
والمشاهده في هذا المقام تستلزم استغراق المشاهد استغراقا يوجب
لصاحبه شهود مراده في كل شي فيحمله على الانقياد لطاعته حسب ما يشهد
واول ما يجب على سالكي طريق الله تعالى في موطن العمل والادب العلم لانه طريق العمل
اذ لا يصح العمل الا بمعرفة كيفيته ولانه من عبد الله بجهل كان ما يفسده
اكثر مما يصلحه فاذا علم وجب عليه العمل والعمل طريق العلم لانه نتيجة التقوى قال
الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وهو علم الهداية والمعرفة ولهذا قال
والعلم طريق المعرفة اذ حقيقتها وجود ينتفي معه وهم مرجوح وظن راجح والشك
والشك المتساوي لان علم الهداية الحاصل من طريق المنة والفضل طريقها كما
تقدم المعرفة والمعرفة طريق الكشف لان من عرف انكشف له عن حضرة جلال الربوبية

علي قدر معرفته وما خصه الله تعالي به من انوار التعرف والكشف طريق الفنا
لان الكشف ازالة الستر والحجاب عن عين قلبك وما بين قلبك وربك
غير نفسك فاذا افنيت عنك بقي الحق قايما بعد فنا الشواهد وعدم
المراتب ولهذا قيل الفنا اضمحلال ما دون الحق علما ثم عينا ثم حقا وما دمت
سالكا وعليك بقية لطلب شي من الحالات والمقامات ما صلحت ما دام فيك
بقية لسواه اي ما صلحت لتوحيد ذات الله تعالي الا بعد فنايك وخروجك عن السوي
لان جنة الخواص في هذه الدار التوحيد ولا سبيل الي هذه الجنة وانت
فيك من السوي ذرة فاذا حولت السوي وهو حكم الغير عن القلب والسر
افنيناك عنك اي عن اختيارك لنفسك وعن دايرة حسك فصلحت لنا لما
خلصت من رق الاغيار فاودعناك سرنا فكنت امينا علي ما اودعناك من المشاهدة
والاسرار لان قلوب العارفين خزاين اسرار الله تعالي ومهبط انواره واذا
سكنت الي الله تعالي وخمدت حركات حظوظ النفوس وزالت منازعات العقل
واجتمعت علي الله بالتوكل حتي اذا لم يبق عليك حركة لنفسك كمل يقينك لان اليقين
زوال المعارضات كما تقدم وكماله يقتضي دوام الحضور والمشاهدة وفي ذلك
شغل وغني عن النفس وحركاتها واذا لم يبق وجود لك لكمال الفنا كمل توحيدك لان من وجد
توحد فاهل الباطن الذين تخلصوا من وهم الرسوم والحدود مع اليقين لانهم
اهل كشف وعيان واهل الظاهر الواقفون مع الامر علي قدم العبادة في موطن
الستر مع الايمان المختص بالدليل والبرهان ومتي تحرك صاحب اليقين نقص يقينه لان
الحركة لا تكون الا عن شي خطر في النفس ومتي لم يخطر له خاطر خيف ان يكون في
جميع احيانه مع سيده كحالة اهل القبور لا حركة ولا اراده ولا خاطر ولا وجود فاذا
كان منقطع الارادة مستغرقا فيما عاينه وشهده بعد كشف الغطا كمل يقينه
المتعلق بمقام البقا اذ كل مقام له يقين والبقا صفة ما ثبت بعد نفي السوي
واما صاحب موطن الايمان فانه ابدا في حركة الطلب فمتي تحرك صاحب الايمان بغير الامر

الالهي الذي ثبت عنده وصدق به نقص ايمانه لان نور الايمان يطفيه ظلمة
الطبع وهوا النفس ومخالفة الامر ومتي تحرك بالامر الالهي المشروع علي لسان
الرسول كمل ايمانه اي تصديقه لان مخالفة الامر يلزم منه النقص
بل عدم التصديق ومعصية اهل اليقين الذين تحققوا بمعرفة الله مراده منهم بواسطة عين
اليقين وهي ما اعطته المشاهدة الكشف كفر لانه زيغ وضلال بعد الهداية
ولهذا قال من تحقق بهذا المقام ولو خطرت لي في سواك ارادة علي خاطري
سهوا قضيت بردتي ومعصية اهل الايمان نقص لان الايمان يزيد باكتساب الطاعة
وينقص باكتساب المعصية والتقوي عمل بطاعة الله علي نور من الله ومخالفة عقاب
الله تعالي فعلي هذا المتقي مجتهد لان قلبه لاحظه سطوات العز من حضرات تجلي الجلال
فهو ابدا في خوف واشفاق والمحب متكل علي محبوبه لا علي عمله لان النفس اذا طهرت
من نجاسة الشرك الخفي وتقدست بانوار الجلال من اوساخ الجبلة
الطبع البشري مع المحبة الحقيقية اذ حقيقة المحبة اصطفاييه في النفس
تولد لها ميلا الي مناسب لها فتخصه بمضاهات الموده وتخليص القرب من
علل الالتفات الي الجزا عليها فتلك الخصوصية هي التي اوجبت الاتكال
علي محبوبه والعارف بالله ساكن الي الله وليس له حركة من نفسه لانه بربه والموجود
بالله في مقام البقا مفقود مما سواه اذ لا سبيل الي الوجود به الا بعد الفنا
ولهذا قيل البقا صفة ما ثبت بعد نفي السوي فعلي ما تقدم ذكره وبيانه
لا سكون للتقي لانه مشتغل بنفسه ابدا في تحصيل اسباب النجاة ولا حركة
للمحب من نفسه لانه ابدا مع محبوبه ساكنا الي وعده ما جري من تحبب الا ان
تحب ولا عزم للعارف لانه حصل علي المقصود اذ العزم هو جزم الهمة علي الشروع في
التوصل الي ما اهتمت به والعارف وصل الي الله وليس بعد الله مامول يامل حتي يهتم
به ولا وجود للموجود بالله لانه فقير مما سواه والفقير من تجرد عن الصور الحسية والمعنوية
ولا عنه خبر واعلم انه لا تحصل المحبة الا بعد اليقين وهو المشاهدة وهي تتفاوت

بحسب حال المحب وعلي قدر كشفه **والمحب الصادق** الذي افنت انوار المحبة
بقاياه قد خلا قلبه مما سواه من جملة السوي روية المحبه والالتفات اليها وعلمه بها
ومادام عليه بقية محبة لسواه اي مادام عليه بقية محبة لمقام او حال او الي
المحبة **فهو ناقص المحبه** لان المحبة نار الله الكبري اذا ظهرت في قلب المحب احرقت
ماسواها **من تلذذ بالبلا** في مقام المحبه **فهو موجود** بنفسه لامع محبوبه **ومن**
تلذذ بالنعما فهو كذلك **موجود** لانه في كلا الحالتين مع الحس المشعر بوجود
التلذذ بخلاف المحب الفاني في الله الباقي بالله لم يشعر بوجود غير الله لانه فان
عن كل ماسواه **فاذا افناهم عنهم** بما امدهم به من انوار المحبة القدسيه والمعارف
الالهيه **ذهب التلذذ بالبلا وبالنعما** لان المحبة مايستوي بها عند المحب النقم
والنعم والبلا والعطا وقيل مع المشاهدة فكل بلا عطا وكل نقم نعم وهي لانعم **والمحب**
الذي خلا قلبه مما سوي الله **انفاسه حكمه** لفهمه عن الله لان الحكمة الفهم عن
الله وترك كل شاغل ولاه **والمحبوب** الذي امتلا بالله **انفاسه قدره** لتحققه بالله
والمحقق ليس الا الله اذ **العبادات للمعاوضات** المتعلقه باهل المجاهدات والمعاملات
قال الله تعالي من جا بالحسنة فله عشر امثالها وقال تعالي والله يضاعف
لمن يشا **والمحبه للقربات** المتعلقة باهل المودة والاصطفاييه والخصوصيه
لانها مخلصة من الشوايب الغيريه واهل هذا الموطن في الدنيا مشاهدون
وفي الاخرة ناظرون لان لهم جنة المواهب التي عدها الله تعالي لعباده الصالحين حين
قال جل من قايل **اعددت لعبادي الصالحين** وهم عبيد المنعم لاعبيد النعمه **مالاعين رات**
ولااذن سمعت ولاخطر علي قلب بشر لانها نعم خالقيات من دايرة الهبة والمنه
لامن دايرة الجزا واما النعم الخلقيات المتعلقه بدايرة الجزا وجنة المكاسب التي
اخبر بها الحق تعالي ورسوله فقد راتها بعض الاعين وسمعت بها الاذان وخطرت
علي قلوب البشر ولولا ذلك ما اخبر بها ولهذا اشتهتها الانفس وسعت لها
سعيها فجوزيت بما عملت قال الله تعالي وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون

وقال تعالي انما تجزون ماكنتم تعملون وهاولا الذين اتقوا الله حسب
الاستطاعة قال تعالي فاتقوا الله مااستطعتم واما اهل جنة المواهب
فهم الذين اتقوا الله حق تقاته فكان تقواهم من التوسل بالافعال لانهم ارادوه به
ولهذا اخبر عنهم بقوله تعالي **لما ارادوني بي** لانهم علموا ان مرادي منهم ذلك
فتركوا مرادهم لمرادي ولهذا **اعطيتهم مالاعين رات ولااذن سمعت** وهي
حضرات قدسيه وتنزلات رحمانيه ومشاهدات الهيه لفناهم عن
حظوظهم الدنيويه والاخرويه لانه تعالي **اذا افناك عنك** اي عن
اوصاف نفسك وحظوظها **بالحكم** اي بالامر المنزل من حضرة غيب
الربوبيه الي عالم حس العبوديه **وعن ارادتك** الناشيه عن
دايره معناك الباطنيه **بالعلم** اللدني الموهوب الذي غايته ماقاله
الاستاذ المحقق الكبير رضي الله عنا به كشف في احاطة يستحيل معه
تصور الغيب بالنسبة اليه ولا يتعلق بغير موصوفه ادا لم يكن زايدا عليه
حينيذ **تصير عبدا صرفا لاهوا** ينشا عن دايرة حسك الظاهرة
ولا اراده تنشا عن معناك الباطن لفنا نفسك وانطوا معناك في انوار
غيبه **فحينيذ يكشف لك** عن سر الربوبيه **فتصحل العبوديه** وهي
مقام الفرق المنسوب اليك **في** انوار **الوحدانيه** وهو مقام
الجمع اذ الجمع نفي المعيه وسقوط الفرق بالكليه **فيفني العبد** في هذا
الموطن فنا لاشعور له به **ويبقي الحق عز وجل** قايما بعد فنا الشواهد
وعدم المراتب اذ **الشريعه** المتعلقة بدايرة العبادة والعمل **كلها قبض**
لانها وعد ووعيد وحث علي العمل وترك الشهوات والصبر
علي المكاره وهذه الاوصاف كلها تقبض النفوس لان التكليف
ورد من حضرة الربوبيه عن انوار الجلال ومن لوازم هذه الحضرة
الشريفه القهر والقبض **والعلم** اللدني المتعلق بدايرة

الهدايه الناشي عن حضرة الجمال كله بسط لان فيه سعه واشارة الي
قبول ورحمه وانس وغاية البسط ما قال الاستاذ المحقق الاستاذ الكبير
رضي الله عنه امان لابكدر صفاه توهم خوف السلب والصدق كلها دلايل
علي القادر الفاعل المختار وعلمها ان تزلوا النظر عن العمل وشواعل الحركة والاختيار
اذ طريقها محبة لا عمل لانها طريق اخلاص وحقيقته تقديس المحبة من
نجاسة الشرك الخفي وهو نظرك الي عمالك ووقوفك مع نفسك ولهذا
قال وفنا لا بقا لان المحبة سميت محبة لانها تمحوا ما سوي المحبوب
ولابد للمحب من الفنا في الخدمه والعمل مع كثرة العمل حتي لا يري له علا ولا
محبة ولا اختصاصا واذا دخلت في العمل وانت مع نفسك كتب لك
انما هي اعمالكم ترد عليكم وانما لكل امرء ما نوي واذا دخلت في المحبة بطلت
له وليا محفوظا محبوبا اذ المرء مع من احب وايضا نور المحبة نار تحرق ما
سوي المحبوب لان العابد الناسك زاهد لعبادته لانه بنفسه طالبا
الاجر والجزا عليها والمحب الذي مع المحبة زاهد لمحبته وكل منهما له ارادة
ووجود فالعابد طالب في عبادته للجزا في الاخرة والمحب طالب في
جزايه للمحبوب لانك اذا عرفته جهلت نفسك في جنب معرفته
فاذا جهلت نفسك كانت انفاسك به لانك جهلتها بمعرفته فكان
ما عرفت عين ما جهلت واذا جهلته لعدم معرفتك لنفسك كانت
حركاتك لك لان العمل لا يتعدي مقصد العامل فحيث كان مطلب العامل
كان عمله والعابد ماله سكون الي الراحة لانه مجاهد طالب جزا عمله
والزاهد ماله رغبة في الدنيا لطلب العوض والزاهد الحقيقي ماله رغبة
فيما سوي المعارف الالهية والتجليات الرحمانيه والمشاهد القدسيه فكلفت
العمل وصار العمل تحية لك من غير تكليف ولا مشقة وفي الاخرة بالنظر الي وجهه الكريم
وهذا غاية النعمة والدلال في كلا الحالتين وقربك منه بقدر خروجك عنك

اي عن

88

اي عن عوايد نفسك ومالوفاتها وبعدك منه بقدر وقوفك معك
اي مع الحالات المذكورة انفا ولكن القرب والبعد صفة للعبد وبهذا يدرك
العبد بصفته من هو منزه متعالي في ذاته وان جيت اليه بلا انت اي
بغير وجود لك اذ حقيقة الانيه النفس قبلك اي نظرا اليك بعين
العناية والرحمه ووفقك الي طريق النعمه وان جيت بك اي بنفسك
حجبك لان ما ثم حجاب اعظم من النفس وهي الدا العضال الذي ليس له
دوا غير شهود المنة وعامل من غير تجريد ولا شهود منه لا بكا دعامل
من رويته عمله لشهود افعال نفسه فكن من جميل المنه لا من جميل العمل
اذ شهود المنة مع قليل من الاعمال خير من كثير من الاعمال مع شهود
التقصير من النفس ان عرفته بواسطه شهودك ما منه اليك
سكنت اليه لان من عرف الله تعالى ذهب عنه رعية الاشيا
وكان بلا فصل ولا وصل ولهذا قيل علامة العارف ان يكون
فارغا من الدنيا والاخرة وان جهلته لعدم معرفتك نفسك وشهودك
عملك تحركت اذ من لوازم الجهل الحجاب والمنع ومن كان
بهذه الصفة لم يزل في حركة الطلب ورؤية العمل فالمراد ان تكون
عندك كما كان قبل ان لم تكن ولا تكون بواسطه سر الالوهية
مدبرا فاعلا مختارا فتكون قد ادعيت واصفا الربوبية وخرجت
عن حقيقة الفقر اللازم لعبوديتك وذلك في الانسان هو الدا العضال
الذي ترااشت به وادعيت الكبريا والعظمة والاقتدار فلازم العبودية
واخرج عن وصف الربوبية تكون من الخواص واعلم ان العاملين علي ثلاثة
اقسام العوام والخواص ومهاب ومراده والله اعلم بالعوام علما الرسوم
الذين لم يخلصوا من اسر الشهوات وعلل الالتفات ولهذا كانت اعمالهم
متهمات لانها مشوبة بحظوظ انفسهم والخواص الذين تخلصوا من تلك

الدركات والحجب الكثيفة وهاولاء من العارفين لان العارف من اشتغل بربه
لا بنفسه ولما تركوا انفسهم كانت اعمالهم قربات لهم عند الله وخاص
الخاص وهم المحققون اعمالهم درجات لان المحقق ليس الا الله اذ لا صفة
له ولا نعت ولهذا قيل العالم بنفسه والعارف بربه والمحقق ليس الا الله وقيل
الصوفي من اشتغل بنفسه والعارف من اشتغل بربه والفقير من تجرد عن
الصور ولا عنه خبر فكلما اجتنبت هواك ايها الضعيف العاجز عن درجة
الكمال قوي ايمانك لان الهوي داعي للشهوات ومحرك النفوس الي موطن المخالفات
ولهذا اذا اجتنبته قوي ايمانك لان الايمان يزيد باكتساب الطاعات وكلما
اجتنبت ذاتك اي تجردت عن اوصافك الظاهرة والباطنة واسقط السوي
والكون عن قلبك وسرك كمل توحيد لان التوحيد مبناه علي التجريد
والفنا اذ غاية الفنا صادق بالعلم محوا كل كاذب من الوهم وهو الهلاك الحقيقي
واعلم ان ذاتك الظاهرة من عالم الخلق وللخلق حجاب مع وجود النظر اليهم
والوقوف معهم وللخلق ما وجد عند السبب وقيل هو كل امر قدر وحدد
وذاتك الباطنة المشار اليها هنا بقوله وانت حجاب من عالم الامر وعالم
الامر ما وجد من الحق بغير سبب وهو جزء من جملة القدرة الالهية فاذا
شهدت صفاتك الناشية عن سر الالوهية المبثوثة فيك بك حجبك
ذلك عن مطلوبك الاعلي وللخلق محتجب عنك بك قبل الكشف والعرفة
فاذا انكشف لك عن المعرفة الحقيقية عرفت كل شي بالله تعالى
ولم يحتجب عنك شي وانت تحتجب قبل كشف غطا الوهم
ولكيال عنهم لان الخلق من جملة الاكوان والاكوان كلها ظلمة
ما لم يشهد الحق فيها والظلمة الكثيفة لا تدرك الانوار اللطيفة
فانفصل عنك اي عن مجموع ذاتك الظاهرة والباطنة لان الانفصال
هو حسم مادة الاوهام المعترضة الكاينة بالتولدات الطبيعية فترى

الحق

الحق وحقيقته والسر وسريرته فاذا انفصلت عنهما علي هذا
المنوال تشهد وجوده المطلق بنور الايمان واليقين لان
النور لا يشهد الا بالنور والسلام ختم بالسلام اشارة
الي انك اذا انفصلت عنك وشهدت النور بالنور صرت في نزا
نزاهة وتقديس وطهارة وسلامة من الافات المعارضة
لمراتب الكون والسلام من السلامة والامن والله تعالى اعلم
وهذا اخر ما اراد الله جمعه علي يد العبد الفقير المعترف بالتقصير
ابي المدد علي بن محمد بن احمد الشهير بالحجازي وبالسقطي وجد ذلك
من اصله في يوم الاحد المبارك عشرين شهر ربيع الاول عام سنة
الف وسبع والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

وحسبنا الله ونعم الوكيل

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

تمت

والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال الشيخ الامام العلامه ابو العباس احمد بن عثمان الازدي المراكشي الشهير بابن البنا قدس الله سره العزيز مراسيم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليقه قال رحمه الله تعالي وعفي عنه

المرسم الاول

ان النفس اذا توجهت نحو المحسوسات وادركها ارتسمت منها في النفس صور خياليه وبعد ذلك تتصرف فيها بالقوة المفكرة تركيبا وتفصيلا وتخلص ماهية الشي المحسوس من مشخصاته وتدرك الامر الكلي الذي وقع به تشابه الجزئيات واذا توجهت نحو ما ليس بمحسوس لها سوا كان شانه ان يحس او ليس من شانه ان يحس فلا بد لها من وضع علامة في النفس تتنزل عندها منزلة الصور المتخيلة من المحسوسات ويسمي هذا الوضع توهما فان الوهم انما هو اتباع الخيال الذي يحصر المحسوسات ولا يرتسم في النفس شي من ذلك والعقل لا يضع لشي رسما اصلا انما له ابدا الشهادة للحق ومدركه وجدان اللزوم في الاشيا فلذلك اذا امر في الانسان فكره نحو ربه نصب الوهم في الذهن شيا لا ينفك الوهم عنه يجعله كالعلامة فهذا الذي حصل في الذهن بالوهم يساعد العقل الوهم علي نصبه اذ لا حيلة للوهم الا به ويتفقان علي انه علامة مشيرة الي الاسم حيث هو وليست هذه العلامة هي ماهية الرب ولا نفسه اذ لا ماهية للرب وله حقيقة جلت عن احاطتنا بها يشير اليها العقل والوهم ويتفقان ايضا في الشهود الصحيح علي اطراح تلك العلامة بمعني عدم اعتبارها فيبقي الذكر خالصا بقوة الروح وليس تلك العلامة ايضا ماخوذة من شي اصلا انما حدثت في النفس من ذكر الرب فهي مشيرة الي اسمه كما ذكر وعلامة ضابطة للوهم فاسم الرب فوق هذه العلامة في جهة منها تشير اليه ومنها يتوجه الاعتبار نحو الخلق واليه يتوجه الاعتبار من الخلق وظاهر بين ان هذه الفوقية او الجهة ليست مكانية بل هو القاهر فوق عباده فلفظ الجهة او الفوق مشترك في اللسان والقران مبينة فاذا قيل النزول والفوق والجهة علي ما ليس بجسم ولا حادث تعين احد مسميات الركن اللفظ المشترك والجهات لا وجود لها الا بالنسبة الي موجود

محدود

محدود بها فالجهات نحو ما توجهت ولا وجود لها عند عدم هذا الاعتبار فان العالم لا جهة له وما يضعه الوهم من العلامة التي ذكرنا قد يقع السهو في الاعتبار عن مدلولها علي حقيقته فيعرف الوهم بالعلامة الي جزم او يقيدها بغيرها او يعم ما ليس بعام او يخصص ما ليس بخاص ويطلق ويقيد فيلزم لاجل ذلك لوازم بحسب ذلك الوهم المايل فيضلك ولذلك قد يجزم بشي ثم ينتقل عن الجزم به لكونه علي غير تلك الجهة التي جزم منها لان العقل يشهد بصحة اللزوم لا بصحة ما كان عنه اللزوم في ذلك يقع السهو عما عنه وقع اللزوم في النفس فيقع الضلال لا سيما اذا كان النظر في المبادي فان باب العلم يختلط بباب الوجود ثم ويصير مثلهما كمثل خطين امتدا علي استقامتهما من جهة البصر الي طرف مبصر بعيد جدا فلا يدرك البصر للبعد وانطباق احد الخطين علي الاخر حسا لشدة ضيق الزاوية علي البصر فيحصل الاشتباه في ذلك المضيق وان كان العقل يشهد بانهما اثنان فكذلك باب العلم وباب الوجود هما شيان متغايران من جهتنا فاذا امتد نظر البصيرة معهما الي المبدا الاول ضاقت الطريقة وتحير الفكر في تلك المضايق ولظلم الادراك فلهذا كان الوحي نورا للمهتدين به في تلك المضايق المظلمة رحمة من الله بعباده المومنين يخرجهم من الظلمات الي النور وكان بالمومنين رحيما فمما يغلط اطلاق ان الموثر لا يوثر حتي يتاثر وقد يبني علي هذا قدم العالم في الوجود لاستحالة تاثر القديم بالحادث وما ذلك الا لاطلاق هذا القول وميل العلامة التي في النفس عما يقبل التاثير في تعالي العموم وليس ذلك بحق في كل شي بل نجد في موثرات لا تتاثر اصلا مع اثرها الحادث مثل خطين متوازيين ممتدين بلا نهاية هما في مدرك العقل لا يلتقيان اصلا ويلتقيان حسا فقد اثرا انهما تاثرا بالالتقا والنهاية وسبب ذلك الارتباط الذي بين الخطين والبصر وبامتداد البصر معهما تظهر صورة الاجتماع وبانقباضه تظهر صورة الافتراق ولم يتاثر من جهة ذاتيهما اصلا وانما الاثر من غيرهما وهما مع ذلك يوصفان بانهما ملتقيان وليست هذه الصفة موجوده في ذاتيهما بل هي حال لهما في البصر لا فيهما فيوصفان بالضدين الاجتماع والافتراق وتلك الاوصاف لها حقيقة لان شانهما ان يكون لهما تلك الاوصاف بسبب تلك الاحوال وليس ذلك بموجب كثرتهما ولا تغيرهما ولا يخفي الاثر عنهما بل حقيقتهما عند الاثر وقبله

بلغ

الابصي ... الا ... انما يلتقيان في ... [illegible] ... انما يلتقيان ... الحس ... [illegible] ... وتدرك ... [illegible] ... في صورة ... [illegible] ... ذكرت

وبعده من جهة ذاتيهما حقيقة واحدة لم تتغير فهذا موثر اثرا ظهر منه انه تاثر وهو
لم يتاثر لان ذلك الاثر عايد الي المتاثر ولا يقال انهما في طباعهما ان يكون كذلك في نفس
الامر بل يقال في طباعهما ان يدرك كذلك وكل معشوق فانه يحمل العاشق له بشوقه
اليه وهو خارج عن عاشقه وغير متحرك واعتبر ايضا النقطة الواحدة من نقط بسيط
الدايرة ومحيطها بينها وبين الدايرة ارتباط ضروري واذا اعتبرت الارتباط من جهة بسيط
الدايرة المحيط بتلك النقطة كان واحدا فقط لاتحاد البسيطة واتحاد النقطة واذا اعتبرت
الارتباط من جهة النقطة وجدته علي وصفين احدهما علي الجملة وهو واحد في القوة والثاني
ارتباط بكل فرد فرد علي التفصيل وذلك كثير بالفعل يدلك عليهما اعتبار توجه النقطة
للكل الواحد وتوجهها الي كل فرد وهذا مثل النظير فانه حرف من حروف الكتاب المحيط بكل
شي التي فاضت عن القلم العلي اذ خط علم الله تعالي في خلقه كما امر الله سبحانه والكتابة دليل
قاطع علي العلم بالمكتوب الا يعلم من خلق وقد النظير ان الموثر فينا موثر معنا وليس تاثره ذلك
في نفسه بل فينا والجزم حاصل لنا بتاثرنا الا انا نجده وغير حاصل لنا بتاثر الموثر لعدم ضرورة
اللزوم من العقل وكذلك جعل الله لنا الات جسمانية ندرك بها الجزيات ادراكا جزييا فكل
من ادركه بالة جسمانية فادراكه جزيي ولا يلزم منه ان من ادراكه ليس بالة جسمانية فلا يدرك
الجزييا **وقد** عكس الفلاسفة هذه القضية غلطا ووهما فقالوا كل من يدرك الجزييات
فله الة جسمانية ويلزم منه ان من ليس له الة جسمانية فلا يدرك الجزييات فتحفظ من
مثل هذا فان ادني زوال تقع عن الجهة يودي الي مواضع في غاية البعد عن الموضع المقصود
كذلك الاختلاف فيكون اول الامر يسيرا ويصير سببا للاختلاف العظيم اخر الامر **مرسم ثاني**
اول الاوايل كلها اما حق واما باطل فان كان الباطل فلا بد من حقيقة كونه باطلا فالحق معه
هو الذي حقق كونه باطلا فالحق ثابت في ذلك الاعتبار واذا ثبت الحق زهق الباطل فالحق
اول لكل اول **وجه** ذلك ان الباطل ان كان باطلا فابطال الباطل حق وان كان حقا
فالحق ثابت فيبطل الباطل فقد ظهر في هذا الاعتبار ان الحق ثابت في كل حال وكل تقدير
وانه مع الباطل المتصور فيه هو الذي يقابله الباطل فالحق في اعتبارنا حقان حق باطلاق

وحق

91

وحق الباطل فالحق هو الرب وحق الباطل هو العبد وهذا الحق مظهره التوحيد الكلمات
قال الله تعالي ويحق الله الحق بكلماته فالحق هو الاول ووجوده هو الاول وتجد
نفسك تعرفه ولا تجهله وهو ممد الوجود كله بقوته واليه تختصم العقول لانه علي كل شي
شهيد فهو مطلوبنا من حيث هو شهيد علي مشهود فاذا وجدناه فغايته حق المشهود سكنت
النفس واستراح الضمير والحق باطلاق به يطلب الحق الاشيا فلا تكون ذاته مطلوبة لنا الا
معنا بحق حقنا الذي يصورنا ولو كان مطلوبا بماذا نطلبه فماذا بعد الحق الا الضلال فتحذركم
الله نفسه والحق فوق طور العقل اليه يسجد العقل ويسلم ويشاهده الروح ايمانا يكاد يخفي
عن الفهم من شدة ظهور وجوده مع كل موجود بالقيومية وهو يدرك كل موجود وهو الذي
اعطي كل شي خلقه ثم هدي وكل حق بتقييد فبكلمته تقيد في نفس الامر والتشخص عارض لعينا
ولا زمان للحق ولا مكان له ليس كمثله شي ولا ينبغي توهم عدمه لانسداد باب الوجود وباب العلم
وكون ما يتوهم لا بد من حقيقة فالحق خارج عن التوهمات بذاته وصفاته ووضع التوهم علي غيره
لا عليه كما تجده ذلك في اعتبارك بلا شك وسع كل شي علما **مرسم ثالث** بعد حصول الفهم
نري حق كل شي مع ذلك الشي بصورة الشي ومفهوم الحق من جميعها مفهوم واحد فنفس الشي
وحقيقته من جهة نفس الامر كله تحق مفهوم الحق فتعلم الاسم **قال** الله تعالي ليحق الحق
ويبطل الباطل وهذا الحق الذي احقه الله تعالي هو الذي يناظر الباطل في الاعتبار وهو الذي يقذف
الله به علي الباطل فيدمغه وهو الذي يظهر مع الشي بصورة ذلك الشي وكل شي سوي الله باطل
فالحق يلزم عن الباطل كما يلزم عن الحق اذ كل باطل باطل حقا وكل حق هو حق حقا فالحق لازم
الوجود علي الاعتبارين معا بالضرورة فهما دليلان عليه والعلامة الحاصلة منه في النفس كما
تقدم لك هي مشيرة الي الاسم والاسم حجاب الذات فسبح ربك باسمه وسبح اسمه وظهر
لك انك انما ادركت اللزوم وكذلك كل امر روحاني انما ندركه بالملازمات لا بالاحاطة به
فندرك موجودات بلوازمها وذلك يقوم فيها مقام الحس في المحسوسات بل النفس باللزوم اوثق
لانه هو البرهان اليقين فوجود الرب هو بالبرهان واضح لكل فطرة افي الله شك **مرسم رابع**
لنا في الاعتبار حالان الحال التي نحن الان عليها والاخري متوهمة وهي حال زوال هذه الحال عنا

فنحن يصح علينا توهم العدم والحق لا يصح عليه توهم العدم فيلزم لنا انسنا نحن
فنحن باطل بلا شك فاذا كنا باطلا فلا يمكننا الانسلاخ عن الباطل ابدا لانه حقيقتنا
ويمكننا التعلق بالحق لانا به فالباطل تعلق بالحق فالخلق كلهم متعلقون بالحق

مرسم خامس الحق مقتض كل ما سواه فحصل الارتباط بين الخلق والحق وهو
حبل الله فمن كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فلا يفيده قطع هذا السبب
فانه لا يذهب عنه ما يغيظه بل هو زيادة في هلاكه كما جا المثل في كتاب الله تعالى ولا
شك ان الاقتضا المذكور هو بالحق من القوة على ذلك وقد صدر عنه الضدان
والنقيضان ونجد في الموجودات ما يوثر بضرورة وما يوثر باختيار والضرورة قوة في
ذلك الشي على الاثر خاصة دون ضده كما هو الاختيار قوة في ذلك الشي الذي يختار
على الاثر وضده فقوة الاختيار اكمل من قوة الاضطرار بلا شك وبذلك ظهر فضل
الحيوانات على ساير المخلوقات وفضل الانسان على ساير الحيوان لزيادة ادراكه
وكمال قوته على قوة ساير الحيوان وانما جزمنا بقوة الاختيار لحصول الضدين عنها
فحصول الضدين في الوجود دليل قوة الاختيار وقد وجد الضدان عن الحق فله صفة
الاختيار ضرورة وربك يخلق ما يشا ويختار وكل من يختار فهو حي الله لا اله الا هو الحي القيوم
وكون كل شي بالحق دل على انه لا ممكن له اذ لا ثبوت له في التوهم الابه والمقتضي لا يقتضي وجود
ما يضاده لاستحالة ذلك لانه ايل الي اجتماع النفي والاثبات وهو محال فالله مريد وذلك
لضرورة اللزوم واذا كانت الاشيا كلها معلومة لنا فهي في نفس امرها منكشفة لنا جملها الحق
كذلك فهي بالاضافة اليه اولى بالانكشاف له فهو بكل شي عليم وهو السميع البصير وتكثرت
اسما الله تعالى بالنسبة الي ادراكنا وتكثرنا لان وحدة الواحد منا مشتملة على الكثرة من
الصفات والوجوه فوحدتنا وحدة متكثرة في علم الحق فندرك بتكثرنا فيه الكثرة في اسما الحق
وهو من جهة ذاته لا كثرة فيه ولله في معلوماته بحسب ادراكنا شيان احدهما من حيث
معلوميته فقط وهو غيب وعلم وعدم والثاني من حيث الايجاد والاختراع وهو
شهادة اي بالنسبة وجود ولهذا الثاني في ادراكنا على قسمين ما ندركه ظاهرا ظاهرا

وهو الملك

وهو الملك وما ندركه باطنا وهو الملكوت وكلاهما وهو العالم يدل على حقايقه في العلم كما تدل
المصنوعات على هيات ما بها في نفس الصانع وعلى صانعها وصفاته وحقايق العالم كلها التي
في العلم هي بعض معلومات الله تعالى فانقسم في ادراكنا معلوم الله قسمين احدهما برز
للوجود والثاني باق في الغيب فالعلم اوسع من الوجود المسمى بالعالم ومظهر القسم الاول
فعل الله تعالى ومظهر القسم الثاني خطابه قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا وهو
طريق الوحي ولا مدخل للناس فيه الا الرسل خاصة وساير الناس طريقهم من باب
الفعل لا من باب الخطاب فكما اظهر الله الاشيا لنا واحطنا بها بجملة ذلك كذلك جاز ان
يخاطبنا خطابا يفهمه عنه من تلك المعلومات التي في علمه من جهته لا من جهتنا ولا من جهة
اكتسابنا وهو الكلام وهذا الجايز قد وقع بدليل السمع القاطع قال تعالى وكلم الله موسى
تكليما والعقل لا يستقل بوجود الممكن لانه غير لازم ضرورة ولا يعرف كيفية كلام المتكلم الا من
سمعه فوجب الجزم بذلك كله اذ تطابق عليه العقل والوحي ووجب اطراح ما يقوله الفلاسفة
ومن خالفهم فهو مرجوح ووهم ومتى كان الضمير يسلك في الاعتبار طريقين او طرفا والعقل
متردد فيهما واللوازم خفية اللزوم فالراجح بالحق هو الراجح حقا لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل والمرجوح وهم ومن تامل كلام الخلق في الوجود راى ضمايرهم تسلك طرايقا مختلفة
كلهم يقصدون نحو الحق فيضل الله من يشا ويهدي من يشا وتختلف الادراكات والفهوم كما
تختلف الالوان والروايح والطعوم والناس كلهم في افكارهم امة واحدة فمست الحاجة الي فرقان
بين الصواب والخطا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب يهدي الي الحق
والي طريق مستقيم ليقوم الناس بالقسط في جميع امورهم مرسم سادس المعاني كلها في
ادراكنا لها اعتباران احدهما من حيث هي معلومة لنا ويقال لذلك الوجود في الاذهان
والثاني من حيث هي خارج الذهن محسوسة او غير محسوسة ويقال لذلك الوجود في
الاعيان فهذان الاعتباران مضافان الي داخل الذهن وخارجه وهما وجودان مختلفان عندنا
لانا لم نتلق الخلاف ونرجوا الامر احدهما فقط وهو الوجود في الاعيان والاخر عدم لا يدرك

منه المآل لانه فالوجود مقول بالاشتراك علي الوجود في العلم المسمي بالعدم وعلي
الوجود في الاعيان المسمي بالوجود ونعتبر المعاني من حيث هي حقايق لذاتها ويسمي نفس
الامر ويكون في هذا الاعتبار وجود كل شي حقيقته وذاته وبذلك يكون الوجود متواطيا
علي المحدث والقديم والحادث وعلي الوجود الذهني والعيني وعلي الواجب والممكن والمحال
والاعتبارات من حيث المعلومية وهذا الوجود هو الذي يقال به ان العالم نسب في علم الله
والعالم به قديم لانه في علم الله تعالي غير مجعول بجعل جاعل وليس في اجزايه تقدم ولا تاخر ولا
غاب وحضر بحضرة الجمع ثابتة بالحق وليس نجد في الفهم فرقا بين هذا الوجود وبين حق
الاشيا الا من حيث الاسم فقط فلذلك قال المتكلمون وجود الحق حقيقة ذاته ووجود
غيره زايد علي حقيقته في العلم ولا شك ان وجود الحقايق في علم الله تعالي بهذا الاعتبار
متقدم علي وجودها في الاعيان لا من جهة العلم فالذي العالم به قديم لا نحس منه بالم ولا لذة
فالوجود الذي العالم به قديم المعدوم به وجود والمحال من حيث المعلومية بالاحالة وغيرها
فهذا الوجود لا يقبل العدم فهو واجب وهو وجود العلم الحق وهو متقدم علي الوجود الذي
يقابله العدم ولم تتحقق القبلية والبعدية الا عند حصول الوجود الثاني الذي يقابله
العدم فمع الوجود الثاني حصل التقدم والتاخر مضافا الي الوجود الثاني به وجد الزمان
لانه موجود بوجود العالم العيني لان الزمان انما هو التقدم والتاخر بالنسبة للحادث
فالوجود وجودان احدهما لا يتوهم عليه عدم ولا هو مجعول بجعل جاعل وفيه يجتمع الضدان
وهذا الوجود للعالم واجب من جهة المعلومية والاخر يتوهم عليه العدم فهو حادث قطعا
والموجودات به كلها مجعوله وليس العدم منها ولا المحال ولا الواجب وفيه يتعاقب الضدان ولا
يجتمعان وهذا الوجود للعالم ممكن اذ ليس كل معلوم يجب وجوده فلله الامر من قبل ومن بعد
وله الخلق والامر فقد تبين الوجه الذي منه الغلط في ان العالم قديم الوجود اذ ليس هو الوجود
في الاعيان خارج النفس الذي منه نجد الالم واللذة والخوف والرجا واذا لم يكن هو فهو في
علم الله وهو بالنسبة الينا عدم بلا شك وكذلك غلط المعتزلة حيث جعلوا للاشيا
حقايق خارج النفس يعرض لها الوجود والعدم اذ ليس لها حقيقة الا في علم الله تعالي وهي

ليست

ليست بشي اذ لا يدركها في علم الله الا الله ولا ندري نحن كيف يدركها الله لانا لسنا هو وهو
يعلمنا ويعلم علمنا وما نجد بالعالم كله اوله واخره وجميع ما كان وما يكون قد تبين استناده في
تحققه الي الحق فالحق موجوده من غير وسط لان كل شي فانما هو حق بالحق فقط لا بغيره
اصلا وبطل لاجل ذلك ان يكون فعل الحق بالاتفاق وان تكون الاشيا بالبخت لان ما لا
يلحقه الحق فهو باطل فكل شي بقضا وقدر من جهة الحق والاتفاق والبخت الذي من
جهتنا داخل في القضا والقدر وحقيقة الشي نفس ذاته فاذا اعتبر ارتباط العالم بالحق كان
العالم قديما في علم الحق دل عليه اللزوم ومن جهة المنسوب الذي هو العالم هو حادث علي
مراتبه التي له في العلم وهذا الاعتبار صحيح في النظر وشهد به كتب الوحي كلها فصار راي الفلاسفة
وهما مرجوحا فظهر من ذلك ان العالم مسبوق بعدمه في الاعيان التي منها بالم وبلذة وهو باب
الخلق والوجدان ومسبوق ايضا بوجوده في علم الله وهو باب [illegible] الذي لا وجدان فيها
لنا ولا نالم ولا نلتذ منه فهو فيه معدوم ومنزلة وجوده في الاعيان منزلة البرهان في الجزئي
فالعالم ثابت بالاسما منتقل بها في المراتب الزايلة فنحن انتقلنا من لا ادراك الي ادراك الظاهر
دون الارواح الباطنة وننتقل من هذا الادراك الي ادراك الارواح الباطنة ظاهرا كما ندرك
نحن الآن الظاهر وهي النشاة الثانية فنري بها من حيث ندرك الابصار فينكشف الغطا
بنوره وليس الابصار انفعالا انما هي تمييز وكما نحن الآن نفهم وندرك الحالة التي انتقلنا منها
ولم نكن في الاصل نفهم وندرك الحالة التي ننتقل اليها كذلك اذا كنا في الحالة الاخروية نفهم وندرك
حالتنا هذه والتي قبلها مع الحالة التي نكون فيها الاسما ونحن لا نجد في نفسنا انا نشعر بها في الحالة
الاولي بالحالة الثانية وفي هذه الثانية شعرنا بالثالثة فوجودها اقوي وادراكها
اصح فوجب الايمان بالبعث الاخير وجات به كتب الوحي كلها وجميع هذه المراسم انما هي لازمة
عن تلك الامور الالاهية في الوجود فهي حال كونها موجودة في نفوسنا ودالة عليها والعالم كله من جهة وجوده العيني
دال علي الاسما الحسني وهو كاين عنها فدلالته عليها ضرورية كدلالة الدخان علي النار ولزومه عنها محقق كلزوم
الدخان عن النار فاسما الحق تعالي علة الوجود في الاعيان والوجود في الاعيان علة التصديق بها مرسم سابع
حق الاشيا هو حق بالحق المبين نحن علي الحالة التي نحن عليها الآن ندرك حقا وباطلا في الاشيا ومحقها هو الله تعالي

فالحق الذي هو في الاشيا هو نظير الباطل قال الله تعالى فيه ليحق الحق ويبطل الباطل وهذا الحق والباطل
هما المضروب لهما المثل بالماء والزبد ولا يضرب لله مثل وقد نهى سبحانه عن ذلك فقال فلا تضربوا لله
الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون واذا اعتبرت المعلومات كلها وجدت الحق هو الذي اعطاها كونها كذلك
بين حق وباطل موجود ومعدوم وغير ذلك فبهذا الاعتبار كل ذي حق بالكمال قال الله تعالى ويحق الله الحق
بكلماته ولم يذكر الباطل الان بطل الحق ادرج في معنى الحق واذا توهم زوال هذه الحالة التي نحن عليها من وجود وادراك
كان كل ذلك غيبا عنا ولا احاطة لنا به اذ ليس شي الا الحق الذي نحن به فنحن انما نشهد له بالربوبية والقيام
علينا حالة الوجود وحالة العدم فهذا الاقرار له بالربوبية عقد ثابت له علينا من حيث ان لنا شاهدا وغايبا
والحال التي نحن الان عليها يتجرد عندنا على الفهم مفهوم الحق بانتقال العوارض المشخصة والحق في ذاته غير متجدد
ولا متجدد وذلك التجرد الذي في الفهم انما هو لاجل اثر الكائنات بالايجاد والاعدام وذلك نقذف بالحق على
الباطل قال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق فهذا من الحال التي نحن عليها واما من الحال التي هو عليها
فهو علام الغيوب وقد ثبت لنا الان وجود هذه الحالة لانه الماحي للحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا وكذلك تجد الباطل زهوقا في كل اعتبار برفع الحق اياه **خاتمة** خل عنك بالتفهم اعتبار
القيود والتصور والوجود الذهني والعيني وغير ذلك وعد الى ما تجد في نفسك من امر الحق في نفس
الامر تجدك بمعيته لا انت معه هو اقرب اليك من نفسك فخل عنك انك تبتغي هو معك اينما
كنت في نفس الامر فتمر على الفطرة على بصيرة وعلى الفطرة كنت قبل الاعتبار والتامل فطرة الله التي فطر
الناس عليها وقد عرفت من حيث ابتدات واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه واسلم اليه نفسك
على الرضى وعلى الاحسان في العمل لا كيف تفق وما ربك بغافل عما تعملون ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور وانهض في عملك بين الخوف والرجا فهما جناحا
طايرك والتمسك بالكتاب والسنة تمنع من الضلال وتزيد في الهدى لمن اتقى وابتغى الا لمن يستخف
حق الربوبية فان الاستخفاف مرض في القلب يمنع من الاصغا والتفهيم ويتولد عن ذلك النفاق نفسي لخاطب
بالمعروف واباي عني الاقربون اولى بالمعروف ولا اقرب الي من نفسي فانا في وضع هذه المخاطبات كما
قيل اياك اعني فاسمعي يا جاره نفسي احق بالجوار امنت بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد
من رسله سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير تمت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه



كتاب الانواع وشرحه
للشيخ الامام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة شيخ وقته وفريد
عصره مربي المريدين وسلطان المحققين وشيخ
الشيوخ العارفين عز الدنيا والدين ابن
سيدنا ومولانا عبد السلام رحمه الله
تعالى رحمته واسكنه فسيح جنته
بمنه ورحمته وغفر له
ولوالديه
ولجميع المسلمين
امين امين
امين

غفر الله لكاتب هذه الاحرف ولمن قرأها
ودعا لكاتبها بالتوبة والمغفرة ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال الشيخ الامام العلامة المحقق الشيخ عز الدين بن عبد السلام تغمده الله برحمته ورضوانه اعلم ان حقوق الله تعالى على القلوب منقسمة الى المقاصد والوسايل فاما المقاصد فمعرفة ذات الله تعالى وصفاته واما الوسايل فكمعرفة احكامه فانها ليست مقصودة لعينها وانما هي مقصودة للعمل بها وكذلك الاحوال قسمان احدهما مقصود في نفسه كالمهابة والاجلال والثاني وسيلة الى غيره كالخوف والرجا فان الخوف وازع عن المخالفات لما رتب عليها من العقوبات والرجا حاث على تكثير الطاعات لما رتب عليها من المثوبات والحقوق المتعلقة بالقلوب انواع النوع الاول معرفة ذات الله تعالى وما يجب لها من الازلية والابدية والاحدية وانتفا الجوهرية والجسمية والعرضية والاستغنا عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن ساير الذوات النوع الثاني معرفة حيوة الله تعالى بالازلية والابدية والاحدية والاستغنا عن الموجب انواع والموجد والتعلق بكل واجب وجايز ومستحيل والتوحد بذلك عن ساير العلوم والتوحد بذلك عن غيرها من الحيوة النوع الثالث معرفة علم الله تعالى بالازلية والابدية والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتعلق بكل انواع واجب وجايز ومستحيل والتوحد بذلك عن ساير العلوم النوع الرابع معرفة ارادة الله تعالى بالازلية والابدية والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتعلق بما تتعلق به القدرة والتوحد بذلك عن ساير الارادات النوع الخامس معرفة قدرة الله تعالى على الممكنات بالازلية والابدية والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن ساير القدر النوع السادس معرفة سمع الله تعالى بالازلية والابدية والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتعلق بكل مسموع قديم او حادث والتوحد بذلك من بين

ساير

ساير الاسماع النوع السابع معرفة بصر الله تعالى بالازلية والابدية والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتعلق بكل موجود قديم او حادث والتوحد بذلك عن ساير الابصار النوع الثامن معرفة كلام الله تعالى بالازلية والابدية والاحدية والتعلق بما يتعلق به العلم والتوحد بذلك عن ساير انواع الكلام

تنبيه الصفات كلها قايمة بذات الله تعالى وهي منقسمة الى ما يتعلق بغيره كالكشف كشفا كالعلم والسمع والبصر والى ما يتعلق تاثيرا كالقدرة والى ما يتعلق بغيره من غير كشف ولا تاثير كالكلام واعمها تعلقا العلم والكلام واخصها السمع ومتوسطها البصر النوع التاسع معرفة ما يجب سلبه عن ذات الله تعالى من كل عيب ونقص ومن كل صفة لا كمال فيها ولا نقصان النوع العاشر معرفة تفرد الله تعالى بالالهية والاختراع النوع الحادي عشر معرفة صفات الله تعالى الفعلية الصادرة عن قدرته الخارجة عن ذاته وهي منقسمة الى الجواهر والاعراض والاعراض انواع كالخفض والرفع والعطاء والمنع والاعزاز والاذلال والاغناء والافقار والاماتة والاحياء والاعادة والافناء النوع الثاني عشر معرفة ما لله تعالى ان يفعله وان لا يفعله كارسال الرسل وانزال الكتب والتكليف والجزاء بالثواب والعقاب النوع الثالث عشر معرفة حسن افعال الله تعالى كلها خيرها وشرها نفعها وضرها قليلها وكثيرها وانه لا حق لاحد عليه ولا ملجأ منه الا اليه له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل ولذلك لو عذب اهل السموات والارض وانصافهم لكان عادلا في ذلك كله ولو اثابهم وادنامهم لكان منعما متفضلا بذلك كله النوع الرابع عشر اعتقاد جميع ما ذكرناه في حق العامة الظاهر وهو قايم مقام العلم في حق الخاصة لما في تعريف ذلك من المشقة الظاهرة العامة فان الله تعالى كلف الخاصة ان يعرفوه بالازلية والابدية والاحدية والتفرد بالالهية وانه تعالى حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم وكلف العامة ان

يعتقد واذلك لعسر وقوفهم على ادلة معرفته فاجتزي منهم باعتقاد ذلك
سبحانه وله الحمد النوع الخامس عشر من الحقوق المتعلقة بالقلوب تصديق
القلب بجميع ماذكرناه من الاعتقادات والعرفان النوع السادس عشر
النظر في تعرف ذلك او اعتقاده وهو واجب وجوب الوسايل والله اعلم تمت
الانواع ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة والتدلوان شا الله تعالي شرحها
للمولف رحمه الله تعالي وهو سيدي الشيخ الامام العلامة المحقق عز الدين بن عبد السلام
المقدسي تغمده الله برحمته ورضوانه واسكنه بحبوحة جنانه بن امين امين امين
بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وسلم تسليما كثيرا
قال الشيخ الامام العلامة المحقق سيدي الشيخ عز الدين المذكور اعاد الله
علينا وعلي كافة المسلمين من بركاته قال رحمه الله وعفي عنه اعلم ان حقوق الله
تعالي علي القلوب منقسمة الى المقاصد والوسايل فاما المقاصد فكمعرفة ذات
الله تعالي وصفاته واما الوسايل فكمعرفة احكامه فانها ليست مقصودة لعينها
وانما هي مقصودة للعمل بها وكذلك الاحوال قسمان احدهما مقصود في نفسه كالمهابة والاجلال
والثاني وسيلة الي غيره كالخوف والرجا فان الخوف وازع عن المخالفة لما رتب عليها
من العقوبات والرجا حاث علي تكثير الطاعات لما رتب عليها من المثوبات ش
الحقوق هي الواجبات قوله منقسمة الي المقاصد والوسايل اشعار بانها قسمان
لا ثالث لهما فالمقصود المقصد ما يطلب لذاته من حيث انه منتهي السول والامل
والوسيلة هي الموصلة الي ذلك قوله ذات الله تعالي المراد بالذات الحقيقية العظمي والعين
القيومية المستلزمة لكل سبوحية وقدوسية في كل جلال وكمال استلزاما لا يقبل
الانفكاك البته قوله وصفاته يعني الذاتية كالحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والفعلية سلبية وثبوتية وسياتي بيانها في موضعها ان شا الله تعالي
قوله وكذلك الاحوال قسمان المراد بالحال ما ورد علي القلب بمحض الموهبة من غير

تعلق

تعمل ولا اجتلاب ومنشا المهابة شهود بامر الجمال والبها ومنشا الاجلال شهود
بامر العز والكبريا ومنشا الخوف تصديق الوعيد وذكر الجناية ومنشا الرجا تصديق
الوعد وذكر الجود والاحسان وباقي كلام المولف واضح قال المولف رحمه الله تعالي
والحقوق المتعلقة بالقلوب انواع النوع الاول معرفة ذات الله سبحانه وتعالي
وما يجب لها من الازلية والابدية والاحدية وانتفا الجوهرية والعرضية والجسمية
والاستغنا عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن سائر الذوات ش ليس مراده
بمعرفة الذات الادراك والاحاطة بكنه الحقيقة فانه ممتنع عقلا وشرعا قال
الله تعالي ولا يحيطون به علما وليس مراده ايضا المعرفة العيانية الوهبية فانها لا
تجب اجماعا مع انها اما انها مخصوصة بالدار الاخرة عند مانعي الروية في الدنيا واما مخصوصة
باولي المراتب العالية وقليل ما هم عند مجوزي الروية في الدنيا ايضا واما ممتنعة امتناع
استحالة عند مانعيها من الفلاسفة الضالين والقدرية الغالين والجهمية الزايغين وليس مراده
ايضا المعرفة الكشفية فانها منح الهية لا كسبية ولا يكلف بمثلها اجماعا ايضا وانما
مراده المعرفة الايمانية او البرهانية كما سياتي ان شا الله تعالي في كلامه وهي المعرفة التي
لا نزاع فيها بين العقلا قالت السادة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين افي الله
شك فالدهرية والطبايعية والصابية ونحوهم من اهل الزندقة والالحاد لا يعقلون
ابدا عن هذا فقوله معرفة ذات الله تعالي معناه معرفة وجود ذات الله تعالي وما
تجب لها من اثبات امور ونفي امور وقوله من الازلية هو انتفا البداية فكل مبتدا
الوجود حادث فقير الي الموثر الموجد والحق سبحانه هو الغني وعبر بالازلية دون
القدم لاستلزامها انتفا الاولية واما القدم فانما يفيد طول المدة الماضية ومنه
كالعرجون القديم قوله والابدية هو انتفا النهاية فينقطع الوجود ما لك في حد
ذاته وفان متصرف فيه والحق العزيز سبحانه هو الاول والاخر وما ثبت قدمه
استحال عدمه وعبر بالابدية دون السرمدية لسلامة الابدية عن ايهام زمان
يعقب بعضه بعضا واما السرمدية فانما تفيد المبالغة قوله والاحدية هو حق

القدم على قسمين احدهما القدم
القدم الذي لا يسبق بعدم
المطلق الذي لا يسبق
والثاني الذي للمتكلمين الاول
بالزمان ومراد المتكلمين وهو مستلزم
وهو القدم المطلق وهو في
العدم الزمان وهذا الاين صوري انفرد
غير الباري جل وعلا فانه سبحانه لو كان
بالقدم المطلق كما انه
فيهما الهة الا الله لفسدتا انتهى

الكثرة بكل اعتبار واما توهم الجهمية والقدرية ونحوهم ان اثبات الصفات مناف التوحيد
فهو الحاد قال الله تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في
اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون قوله وانتفا الجوهرية ليس مراده نفي القيام بالنفس
المعبر عنه بالجوهرية عند طايفة بل اراد نفي امرين احدهما الجوهرية المركبة من الاقانيم
النصرانية والثاني الجوهرية الكلامية والجوهر عند المتكلمين كل متحيز لا ينقسم
والجوهرية كون الشي جوهرا والذي تجب انتفاوه هو المسمى ممتنعا ومستحيلا والعلي
الكبير سبحانه اي يكون جوهرا قوله والعرضية العرض باصطلاحهم ما يفتقر الى
محل يقومه اذ لا قيام له بنفسه كالالوان والطعوم والروايح والحي القيوم سبحانه متعال
عن ذلك قوله والجسمية قد يراد بالجسم الموجود لا في الاذهان فقط ولم يرد الشيخ
نفي هذا وقد يراد به ما ينقسم والطويل العريض العميق او نحو ذلك والله تعالى احد صمد متعال
عن الاجسام وافتقارها وقبولها الانقسام ونحو ذلك قوله والاستغنا عن
الموجب والموجد يراد بالموجب المؤثر بالطبع لا بالاختيار كاحراق النار وتوليد
الاولاد عند الطبايعيين مثلا والله تعالى هو الصمد المطلق الغني بكل اعتبار عز
وجل متعال عن ان يكون متولدا عن موجب قوله والموجد هو المؤثر بالقدرة
والاختيار والله الغني يتعالى عن الانفعال والافتقار الى موجد قوله والتوحد
بذلك عن ساير الذوات تحتمل امورا منها نفي المثيل والشبيه له فهو سبحانه
متوحد ومتفرد بكماله وجلاله عن كل احد فلا من مشارك له فيما يجب وله فيما
يستحيل ولا في شي منه فلا قديم غيره سبحانه لا الارواح ولا العقول ولا الافلاك
ولا غيرها كان الله ولا شي معه ولا ابدي بنفسه غيره سبحانه وانما بقا الباقيات
الاخروية بابقايه تعالى لها وكل شي منها ومن غيرها في حد ذاته هالك الا وجهه ولا
احد غيره سبحانه فكل ممكن له كثرة حتى الارواح المجردة عند التحقيق ولا غني عن الموجب
والموجد غيره فلا موجود الا بايجاده بل لا موجود حقا سواه وما سواه فوجود لا موجود
مطلق وللكل رتبة التبعية لا رتبة المعية الله خالق كل شي ومنها نفي الاتحاد

فالعلي العظيم سبحانه لا متحد بشي ولا متحد به شي لا كما ادعته النصارى في المسيح
عليه السلام ولا كما ادعته الملاحدة ومنها نفي الحلول فالعلي الكبير لا يحل حادثا ولا
تحله حادث لا كما ادعته مشبهة اليهود وتبعهم فيه الكرامية الاغمار وبعض الظاهرية
المغرورين ولا كما توهمه بعض سالكي درب الفنا بلا دليل واما الصفات الثبوتية
فصدرها الشيخ بذكر الحيوة لانها ينبوع الكمالات وانما اخرها المتكلمون عن القدرة
والعلم ليجعلوا اثباتها مثبتا لها قال رحمه الله النوع الثاني معرفة حيوة
الله سبحانه بالازليه والابدية والاحديه والاستغنا عن الموجب والموجد والتوحد
بذلك عن غيرها من الحيوة ش ليس المراد بالحيوة ما يقوله الطبايعيون ولا الحكما
بل المراد ما اثبته المتكلمون وهو صفة حقيقية وجودية قايمة بذات الله تقتضي
صحة العلم ونحوه وقوله بالازليه والابدية قد تقدم معناهما ومن فر من كون
الحيوة صفة خشية تكثر القدما المكفر به النصارى او تركب القديم مما به مشاركة
قديم اخر وهو القدم وما به تميز هو يرجى ان الذات المستلزمة لكمالاتها ليس تقدما
وان الاشتراك في عدم المسبوقية لا يوجب تركبا فتنبه له وقس به القدرة
والعلم وغيرهما قوله والاحدية اي ان حيوته سبحانه وتعالى وجميع صفاته ليست
اعراضا يتجدد امثالها بعد كل زمن فان العرض لا يبقى زمانين واذا زال خلفه مثله
بل هي لوازم الذات الاقدس كالفردية للاعداد لا تقبل الانفكاك فالحيوة له سبحانه
وتعالى واحدة دايمة بدوامه سبحانه وله الحمد قوله والاستغنا عن الموجب اما
المفارق فواضح واما الملاقي فالذات لا اجل موجبة لكمالاتها ايجابا لا استلزاما ذاتيا
ولما كان المتبادر هو الموجب المفارق اطلقه الشيخ رحمه الله تعالى وباقيه قد سبق
ذكره قوله النوع الثالث معرفة علم الله سبحانه وتعالى بالازليه والابدية والاحدية
والاستغنا عن الموجب والموجد والتعلق بكل واجب وجايز ومستحيل والتوحد
بذلك عن ساير العلوم ش ليس المراد بالعلم الاعتقاد الجازم المطابق الثابت لموجب
قطعي ولا التعلق الخاص بين العلم والمعلوم فكل منهما يتعدد بتعدد المعلومات بل

المراد صفة وجودية قايمة بذات الله سبحانه وتعالي توجب العالمية والعالمية حال لها تعلق
بالمعلوم فلا تتعدد بتعدد المعلومات ونفي قوم العلم بالكلية او نفي وصفه تعالي كالجهمية
او نفي كونه صفة بل ليس الا الذات كالمعتزلة او ليس الا صور الاشيا الحادث بذاته كالمشايين
من الفلاسفة او قايمة بنفسها وهي المثل الافلاطونية وهذا لا يخفي بطلانه وتجويز الرافضة
البدا وقدما الرافضة القدرية تجدد العلم بتجدد المعلومات لا ريب في بطلانه وباقي النوع
قد تقدم ذكره الا قوله قديم والتعلق بكل واجب وجايز ومستحيل فمعناه ان الموجب
لعالميته ذاته الاعلي ونسبة ذاته الي كل معلوم علي السوا ومن نفي علمه تعالي بالجزييات
كقدما الفلاسفة او اثبته علي وجه كلي كمتاخريهم او نفي علمه تعالي بما لا يتناهي كبعض المتكلمين
فسفه في عقله وتسمية النصاري العلم ابنا وزعمهم انه اتحد بناسوت المسيح عليه الصلوة
والسلام بديهي البطلان **قوله النوع الرابع** معرفة ارادة الله سبحانه وتعالي بالازلية
والابديه والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتعلق بما تتعلق به القدرة والتوحد
بذلك عن سابر الارادات **ش** ليس المراد بالارادة ميل يعقب اعتقاد النفع كما فسرت
به في العلم الطبيعي ولا كونه تعالي غير مغلوب ولا مكره كما يقول النجار واتباعه ولا علمه المحيط
بالموجودات وبانه كيف ينبغي ان يكون نظام العالم حتي يكون علي الوجه الاكمل كما تقول الحكما وسموها
غاية ولا العلم بما في الفعل من المصلحة الداعية الي ايجاده كما يقول ابو الحسين ولا علمه بفعله
وامره بفعل غيره كما يقول الكعبي واصحابه بل المراد صفة حقيقية وجودية قايمة بذاته
تعالي مغايرة للعلم والقدرة توجب تخصيص المقدور ببعض وجوهه الممكنة من زمان ومكان
وكم وكيف وغير ذلك كما يقول الاشعري وجلة المعتزلة كابي علي وابي هاشم والقاضي عبد الجبار
وغيرهم **قوله** بالازلية والابدية هو المعتمد الحق وقول المعتزلة ارادته تعالي قايمة
بذاتها حادثة لا في محل غير معقول وقول الكرامية حادثة قايمة بذاته تعالي وانه محل
الحوادث عندهم تقدم بطلانه فانه سبحانه تعالي عن ان تحله الحوادث **قوله** والتعلق
بما تتعلق به القدرة ليس مراده ان كل ممكن فهو مراد بل انه يصح ان يراد والتحقيق ان
القدرة لا توجد الا ما اريد وان كل ممكن فيصح ان يكون مرادا وباقيه كما تقدم

قوله النوع الخامس معرفة قدرة الله تعالي علي الممكنات بالازلية والابدية
والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن سابر القدر **ش**
ليس المراد بالقدرة مبدا الافعال المختلفة بل المراد صفة حقيقية وجودية قايمة
بذات الله تعالي توثر علي وفق العلم والارادة والفرق بينهما وبين القوة شهير ومن
نفي قدرة الباري تعالي وجعله موجبا او فاعلا بالذات او نفي وصفه بها فهو مباهت
قوله علي الممكنات اي جميعها هو الحق اذ نسبة ذاته تعالي الي كل مقدور علي السوا
والامكان المصحح لتعلقها مشترك بين الكل وقول الفلاسفة انه واحد فلا يصدر
عنه الا واحد ابطل الباطل وقول المنجمين مدبر هذا العالم هو الافلاك والكواكب وقوم
منهم مع الوهم والخيال وقول الثنوية انه تعالي لا يقدر علي الشر قول باطل ومن
نسبته قول النظام انه تعالي لا يقدر علي القبيح وقول البلخي انه لا يقدر علي مثل
فعل العبد لانه اما طاعة او سفه او عبث فهو زيغ واما قول ابي علي وابنه انه لا يقدر
علي جنس مقدور العبد فهو هوس محض وسفاهة واضحة وباقيه قد تقدم ذكره
قوله النوع السادس معرفة سمع الله تعالي بالازلية والابدية
والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتعلق بكل مسموع قديم او حادث والتوحد
بذلك عن سابر الاسماع **ش** ليس المراد بالسمع القوة المودوعة في مقعر الصماخ ولا
ما يتوقف ادراكه للاصوات علي حصول الهوي الموصل لها الي الحاسة ولا تاثر الحاسة
بل المراد صفة حقيقية وجودية قايمة بالذات مغايرة للعلم من شانها ادراك كل مسموع
وان خفي وتابي ذلك من جهمي ومعتزلي وفلسفي وغيرهم انما فر مما اثبته المشبهة
ونحوهم والحق اقتصاد في الاعتقاد فلا افراط بتعطيل ولا تفريط بتمثيل بل اثبات في
تنزيه ليس كمثله شي **قوله** بكل مسموع تقدم برهانه وهو ان نسبة الذات الاعلي الي
كل مسموع علي السوا **قوله** قديم او حادث فيه ازاحة شبهة من قال من النفاة
لو كان له سمع قديم لزم قدم المسموع ولا يلزم ذلك وباقي النوع كما تقدم **قوله النوع السابع**

معرفة بصر الله تعالى بالازلية والابدية والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد
والتعلق بكل موجود قديم او حادث والتوحد بذلك عن ساير الابصار **ش** ليس
المراد بالبصر ما ينعكس اليه وينطبع فيه صور المرئيات ولا تثبت منه
اشعة تتصل بالمرئي ونحو ذلك بل صفة حقيقية وجودية قايمة بذات
الله تعالى مغايرة للعلم من شانها ادراك كل مبصر وان لطف **قوله** والتعلق
بكل موجود يعني جوهرا او عرضا وغيرهما لان نسبة الذات الاعلى الى كل مرئي
على السوا وفي **قوله** موجود اشعار بان مصحح الروية هو الوجود كما برهن عليه
الايمة في مسالة الروية **قوله** قديم او حادث يزيح شبهة الزام قدم المبصرات
وباقي ما ذكر بما تقدم **قوله النوع الثامن** معرفة كلام الله تعالى بالازلية
والابدية والاحدية والاستغنا عن الموجب والموجد والتعلق بجميع ما يتعلق به العلم
والتوحد بذلك عن ساير انواع الكلام **ش** ليس المراد بالكلام الاصوات المقطعة
والحروف المنظومة بل صفة حقيقية وجودية قايمة بذات الله تعالى تغاير القدرة
والعلم والارادة وباقي الصفات من شانها الامر والنهي والخبر والاستخبار والتنبيه
والايما ونحو ذلك **وقيل** لعيسى عليه الصلوة والسلام كلمة الله وكلمة منه
لانه وجد بكلمته تعالى وامره من غير واسطة اب ولا ادم ارض ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعبر عن الايجاد بقول كن
تنزيلا للكاينات منزلة المامور المطيع وتصويرا لغاية الاقتدار ونفوذ الارادة
واجراه كثير من الايمة على ظاهره من ورود امر التكوين على ما يراد تكوينه
ويويده قوله تعالى عطاي كلام فان يكن هذا والا فالاستعارة لا تبطل الحقايق وقد
تطابقت الفرق الزايغة عن الحق واتفقوا على ان لا كلام الا الحروف والاصوات
ثم افترقوا فمن غالب عليه التنزيه ومن غالب عليه التشبيه واهل التنزيه فمنهم
من لا يبالي بتكذيب كتب الله ورسله ومن يبالي فالمكذب لما جات به الرسل

بين ناف لاتصاف الحق تعالى به كاساطين قدما الفلاسفة وناف لوصفه تعالى
به كالجهمية والمتحاشون من التكذيب والمتجاهر بالمخالفة بين مثبت له في ذات
النبي صلى الله عليه وسلم مثلا انقشا في الروع من القوة الخيالية كاسلامي الفلاسفة
ومثبت له في الشجرة ونحوها كالمعتزلة **واما** المشبهة فمنهم مجسمة يهودية لا
تخفى مذهبهم ومنهم معظمة لجلال الله تعالى فلا تجسم وهاولا بين مجوز لقيام الحوادث
بالذات الاقدس كالكرامية ومن تبعهم من الظاهرية ومذهبهم كمذهب اخوانهم المجسمة
وناف لذلك مانع منه كبعض الظاهرية الطاعنين على الكرامية فالاغبيا من هاولا
مذهبهم ان الاصوات المقطعة والحروف المنظومة قديمة قايمة بذات الحق تعالى
ولم يبالوا لخروجهم عن مقتضيات العقول الجبلية لقدم ميم بسم الله المسبوقة بالبا
والسين ثم انهم ارتكبوا بعد هذا الارا قبايح لا تحكى وكفى بقوم لا يفهمون معنى
القدم ولا يميزون بينه وبين الحدوث **واما** اهل الحق فمتكلمون ومحققون
اما المتكلمون فاضطربوا في الكتب المنزلة فمن قايل هي كلام الله تعالى اي نه تولى
اختيار الفاظها واجرى الفاظها واجراها قلم اللوح المحفوظ ومن قايل هي دليل الكلام
وسامعها من اجل سماعه مدلولاتها بواسطتها يسمى كلام الله تعالى وكذلك تاليها
وكاتبها وحافظها ولفظ قران مشترك بين معان احدها مصدر قرا قرانا اي قراة
وهو على هذا نفس التلاوة التي هي حركة اللسان وفعل القاري وهو حادث مخلوق
وثانيها المقروء الحرفي وهو دليل الكلام ولا يتحاشى قوم من تسميته حادثا ومخلوقا
وقول رسول كريم وبهذا يظهر الفرق بينهم وبين الاولين ويتحاشى قوم من ذلك
خشية ايهام حدوث المدلول وثالثها المقروء المعنوي وهو الكلام الوحي المطابق
للكلام الالهي القايم بذات الحق سبحانه وتعالى وليس بحادث ولا مخلوق انه لقران
كريم في كتاب مكنون **واما** المحققون فيتفقون على انه كلام الله تعالى وليس للنبي
ولا لجبريل عليهما الصلوة والسلام فيها تصرف البته **بل** كل منهما مبلغ محض
ولكن اللسان الملكي لا يتاتى ان يكون على النمط الالهي ثم اللسان المحمدي البشري لا يتاتى

ان يكون علي النمط الملكي الموصوف بانه اما كصلصلة الجرس او كجر سلسلة علي صفوان
ونحو ذلك ولما ضربت الامثال للبيان التقريبي بصلصلة الجرس وجر السلسلة
مثلا سهل علي بعض الشيوخ سلوك مثل ذلك للتقريب فقال ما يسمع
من اليراع والبوق والمزمار مثلا هو في غيرها هوا لطيف وفيها هو هوا بعينه
ولكن من للبلاغ تكثف ثم صوتي كل منها علي نمط غير الاخر وكاعتبار التغير والحروف
اعتبرت الاصوات فالقرا محافظون علي الحروف ومخارجها ثم لم تجد صوتا مماثلا الصوت
اذ لا يتاتي من كل غير ما هو عليه قالوا ومن الجلي الواضح ان وضع اللغات ليس الا
لتفهيم السامع والمحوج اليه التكليم والخطاب لا التكلم والكلام فان قيل غير الحرف
والصوت كيف سمع موسي عليه الصلوة والسلام وغيره في الجنة وغيرها اجيب
بان اللطيف يسمع من طريقين احدهما بلطيف ما كثف من الاسماع بقوي يهبها الله
تعالي لمن يريد اسماعه الوحي نفسه كموسي ومحمد صلي الله عليه وسلم واهل الكرامة
وثانيهما بكثف اللطيف فيسمع من ورا حجاب وحجاب كل علي ما يليق به فمن
كلامهم كصلصلة الجرس اسمعهم حجابهم كجر سلسلة علي صفوان ومن كلامهم حرف
وصوت اسمعهم حجابهم حروفا واصواتا عالية ومن بعدت رتبتهم ارسل
اليهم رسولا ينا طقهم بلسانهم من الحروف والاصوات كمن يخبر نحن حتي
يسمع كلام الله تعالي وبين الفرق من الفرق ما لا يخفي وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا ولا يخفا ج
هذا التحقيق الي ارتكاب القول بالتجلي الصوري الموهم لنوع الحاد وتجسد
ولا لغيره ثم من حققه اقام عذر جميع الطوايف وعرف مشهد كل فرقة
وما رزقت من العرفان وما زوي عنها ومن اين زل قدمها ولم يحتج الي تاويل جر السلسلة
ولا تاويل الصوت سمعه من بعد كما يسمعه من قرب ويقاس به الروية فمنهم
راي الحقيقة ومنهم راها في حجاب رقيق ومنهم راها من حجاب اكثف قدر كل علي
اناس مشربهم ولقد احسن مولف طوالع الانوار في ايجاز الكلام علي مسئلة

الكلام قايلا والاطناب في ذلك قليل الجدوي فان كنه ذات الحق تعالي وصفاته
محجوبة عن نظر العقول والله تعالي اعلم قوله بالازلية والابدية رد لمذاهب
اهل الاهوا المتقدم بيانها قوله والابدية اشعار بانها صفة دايمة لا تنقطع
فرق بين صفة الكلام وفعل التكليم ومن التبس الفرق بينهما وقع تخبيط كثير
قوله والاحدية ينفي كون كلامه تعالي حروفا واصواتا متكثرة وكونه عرضا متجددا
كل وقت كما سبق والامر والنهي والخبر والاستخبار متعلق الكلام المعني لا نفسه
قوله والاستغنا عن الموجب والموجد يقتضي ان كلام الله تعالي غير محدث ولا مخلوق
ومن تكايس فقال مفعول لا مخلوق اشار الي التكليم او التكلم وظن انه الصفة
الكلامية لخفا الفرق كما اسلفته قوله والتعلق بجميع ما يتعلق به العلم اما شموله
ذلك كله فكمثل ما تقدم مرارا من ان نسبة الذات الاعلي الي كل متكلم فيه علي السوا
وانما قال بجميع ما يتعلق به العلم لفوايد منها ان يشمل الواجب والمستحيل والجايز
الواقع وغير الواقع فكما تعلق العلم بها كشفا يتعلق الكلام بها تصديقا ومنها يشير
الي الفرق بين العلم العرفاني والتصديق الكلامي والحاجة داعية اليه في معرفة
حقيقة الايمان فان الحنفية تكتفي في الايمان بمعرفة القلب وغيرهم يشترط مع المعرفة
التصديق القلبي ومنها ان تحتم كون خبره تعالي لا يكون الا صدقا لانه علي وفق العلم
الحق قوله والتوحد بذلك تقدم بيان مثله ثم قال الشيخ رحمه الله تعالي
فهذه الصفات كلها قايمة بذات الله تعالي وهي منقسمة الي ما يتعلق بغيره كشفا كالعلم
والسمع والبصر والي ما يتعلق بغيره تاثيرا كالقدرة والي ما يتعلق بغيره من غير كشف ولا
تاثير كالكلام واعمها تعلقا العلم والكلام واخصها السمع ومتوسطها البصر ش وملخص
شرح هذا ثلاث تنبيهات التنبيه الاول ان هذه الصفات كلها قايمة بنفسها
بذات الله تعالي وفيه فوايد منها ان الصفة الكلامية والفقهية هي اللغوية
كالحيوة والعلم والقدرة والبياض والسواد لا النحوية كالابيض والاسود والحي
ومنها انها صفات زايدة علي مفهوم الذات خلافا للنفاة من الجهمية والقدرية والفلاسفة

وغيرهم **ومنها** انها في نفسها متغايرة عند المولف والا لما سماها صفات واكثرها
بكلها وهو الحق خلافا لمن جعلها راجعة كلها الي العلم كالفلاسفة ونحوهم **ومنها** انها
قايمة بالذات لا كما قال المعتزلة في الارادة والكلام **ومنها** ان باء بالذات كما افادت
معني الالصاق كذلك تفيد معني السببية كما تقدم انها المتقومة لها بالاستلزام الذاتي
ومنها ان القيام عند المولف ليس هو بمعني مثل الكون في الحيز تبعا لمحله لما تقدم من استحالة
الجوهرية والجسمية علي الذات القدسية وانما هو الاختصاص الباعث خلافا للمتكلمين
علي ان المتكلمين وان فسروا القيام بما تقدم يسلمون قيام صفات الحق تعالي
بذاته ويتناطقون به وفصل الخطاب في ذلك ان لفظ القيام مشترك
بين المضاف الي الاعراض والمضاف الي غيرها فالعرض هو الذي فسروه واما غيره
فهو بمعني القيام الذي اطلقوه في الصفات وقد تقدم ان صفات الحق تعالي ليست
اعراضا **ومنها** ان الذات لحديثه والصفات قايمة بها لا كما قال القايم المقيمة لذات
الجوهر واعلم ان الذات الاقدس هي الموجبة للصفات هذا هو الحق عند الكل
ومنها غير ذلك **التنبيه الثاني** وهو ان الصفات السبع منقسمة الي
قسمين احدهما ما لا تعلق له بالغير وتسمي الصفات الذاتية كالحيوة ولعل الناسخ اسقط
هذا القسم من نسخة المولف والا فلا بد منه ليتم التقسيم اولا ولتكون الصفات كلها مذكورة
ثانيا ومنها ما له تعلق بالغير وتسمي الصفات المعنوية والثاني منها هنا ثلاثة اقسام
احدها ما تعلقه بالكشف اي الادراك الاطلاعي ومثاله العلم والسمع والبصر وثانيها ما
تعلقه بالتاثير كالقدرة وثالثها ما تعلقه من غير كشف ولا تاثير كالكلام ويتم هذا
بابحاث **احدها** ان التاثير قد يراد به ابراز اثر اما وقد يراد به ايجاد معدوم
او اعدام موجود فعلي الاول الارادة موثرة لان ترجيح احد الوجوه المقدورة الممكنة اثر
وعلي الثاني ليست موثرة ولعل المولف لم يتضح عنده امرها فطوي ذكرها
فمن ترجح عنده فيها شي فليلحقها اما بالقدرة في قسمها واما بالكلام في قسمه ومن
لم يترجح عنده فيها شي فليجعلها قسما مستقلا وهو ما تعلقه بالتاثير بغير اعتبار

وبغير اعتبار وثانيها ان القسمة العقلية بقي منها قسم رابع وهو ما تعلقه بالكشف
والتاثير معا كالمجيب والمغيث ولكن المولف لم يقسم الا ما ذكره من امهات الصفات
وليس هذا القسم منها ولذلك قلت والثاني منها هنا ثلاثة ثم اعلم ان قوله ما يتعلق
بغيره ليس مانعا من ان يتعلق بالله تعالي ايضا وقد اسلف رحمه الله تعالي ان العلم
والسمع والبصر والكلام بالقدم وغيره فتفطن له **التنبيه الثالث** وهو ان
اعم هذه الصفات تعلقا العلم والكلام واخصها السمع ومتوسطها البصر حق ويتمه
امران **احدها** ان متعلق القدرة والارادة اخص متعلقا مطلقا من تعلق العلم والكلام
لما لا يخفي واعم من تعلق السمع من وجه واخص من وجه اما اعميته فلشموله ما لا يسمع من
الممكنات الموجودة والمعدومة واما اخصيته فانه لا يشمل المسموع القديم وكذلك هو
اعم من متعلق البصر من وجه واخص من وجه اما اعميته فلانه يشمل المعدوم الممكن واما
اخصيته فلانه لا يشمل المرئي القديم ولعل المولف ترك ذكره للغموض فيه فاعلمه
وثانيهما ان فوايد ذكر اعمية التعلق واخصيته وتوسطه كثيرة **منها** ايضاح
الصفات وتقرير المعرفة لها ونحو هذا **ومنها** ان اختلاف التعلق يوجب تغاير
الصفات **ومنها** ان اصح قولي العلما جواز تفضيل بعض الاسما الحسني علي بعض وقد يكون
من اسباب التفضيل اعمية التعلق فاذا عرف امكن سلوكه كما وقع لي فيما حكاه الامام
فخر الدين فانه ذكر قولين في ان السمع افضل ام البصر فكان مما احتج به البصر علي السمع اعمية
تعلقه وانه المحصل لاكبر اللذات من روية وجه الله تعالي الكريم وسماع الكلام الالهي
كبير ولكنه يوجب شدة الشوق حتي ان الكليم عليه الصلوة والسلام لم يستطع الصبر معه فلم
يقر قراره لما كلمه تعالي حتي قال رب ارني انظر اليك والله تعالي اعلم واما الصفات السلبية
فصدرها المولف بالذاتية منها لانها الاهم فقال **النوع التاسع** معرفة ما يجب
سلبه عن ذات الله تعالي من كل عيب ونقص ومن كل صفة ذات لا كمال فيها ولا نقصان
ش ليس مراده ان كل منزه عنه تجب معرفته فان ذلك لا يمكن حصره علي ما بينه
الايمة رضي الله عنهم اجمعين انما المراد معرفة جنس ما يجب سلبه وهو ثلاثة هي المذكورة

في كلامه اولها كل عيب وثانيها كل نقص وثالثها كل صفة لا
كمال فيها ولا نقصان والفرق بين العيب والنقص بالعموم والخصوص
فكل عيب نقص وليس كل نقص عيبا كفوات الكمال او كمال
الكمال وضد العيب السلامة وضد النقص التمام والكمال وليس
مراده ما يجب سلبه عن الذات دون الصفات والافعال ولكن لما
كان العيب في الصفات والافعال عيبا في الذات اقتصر على ذكر
الذات ولو جمع بين ذكر الذات والصفات والافعال كان اوضح وهو
الذي قاله الايجي وذكر والامثلة لما يجب سلبه من كل نوع من انواع
كل اصل اما الذات فيجب ان يسلب عنها الثلاثة اولها عيب
الحدوث والفناء والتكثر والجوهرية والعرضية والجسمية والافتقار الى
الموجب والموجد ولوازم ذلك كلها من انتفاع او تضرر او افتقار او مخافة
او حاجة او ذلة او نصب او لغوب وثانيها نقص الكثافات
والاكدار والادناس وما ضرب الله مثلا للاصنام من انها لعبد
مملوك لا يقدر على شي وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير انما الله السبوح
القدوس وثالثها ما لا كمال فيه ولا نقص قال الايجي اما اثباته من
الالحاد في اسمايه تعالى لانه اسماؤه تعالى ولله الاسماء الحسنى الاية واما
الصفات فيجب ان يسلب عنها الثلاثة ايضا فمنها لا تاخذه سنة ولا نوم
وما كان ربك نسيا لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ولا يشغله شان عن شان وكذلك الافعال يجب ان يسلب عنها الثلاثة
فمنها لا يخلف الله وعده ما خلقت هذا باطلا افحسبتم انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون ما يبدل القول لدي لا يسال عما يفعل قوله
النوع العاشر معرفة تفرده تعالى بالالهية والاختراع ش الالهية
كونه الها والاله اما بمعنى فاعل اي انه تاله الخلق فيجب ايجادهم ويعتني

١٠٢ بشانهم ويدبر مهماتهم ويجيب دعاءهم ونحو ذلك واما بمعنى مفعول اي ان الخلق تالهه
وما يالهه حقا الا من ظهر له باسمايه الحسنى وصفاته العلى وبجماله الباهر واحسانه
وبره ونواله الاعم الاتم وبطن بكنه ذاته الاقدس وجلاله القاهر فلظهوره تعالى
استانس الانس والجن وعبدوه طاقتهم وجهدهم والعبادة امتلا القلب بالحب
له والتعظيم الناشي عن اكمل جمال واعظم جلال ولبطونه تعالى تحيرت العقول وطاشت
وتفجعت القلوب لفقده دهشا واشتاقت الارواح اليه صبابة فمعنى تفرده
بالالهية انه لا اله الا هو اي لا محبوب مودود ولا مطاع معبود ولا مقصود موجود
غيره سبحانه قوله والاختراع هو الاشتقاق اي الانشا والابداع والله تعالى هو
الذي يشق ظلمة العدم وينشي المبدعات النفسية والافاقية فهو جل جلاله رب الفلق
والربوبية قرينة الالوهية واعلم ان الاعتراف بالربوبية يوجب الاعتراف بالالوهية
فلاجل ذلك كثر في القران الالتزام بذلك كما في سورة قد افلح المومنون ونحوها من نحو قوله
تعالى قل لمن الارض ومن فيها الايات وخص المولف الاختراع بالذكر لانه خاص
بالله عز وجل اذ الابداع والانشا والفعل ونحوها قد تنسب الى غيره سبحانه وتعالى
كسبا فتامله والحمد لله وحده واما صفاته الفعلية تكوينية اضافية وغيرها اما
الاضافية فقدمها وصرح بها فقال النوع الحادي عشر معرفة صفات
الله تعالى الفعلية الصادرة عن قدرته الخارجة عن ذاته وهي منقسمة الى
الجواهر والاعراض والاعراض انواع كالخفض والرفع والعطا والمنع والاذلال والاقنا
والافنا والاماتة والاحيا والاعادة والافنا ش هذه الصفات هي المسماة اضافية
ولا انحصار لها وقد اشتمل كلام الشيخ على مهمات الاول تسميتها صفات والثاني
يناسب ما نحن بصدده قول بعضهم مميزا بين الاسما الحسنى والصفات العليا
فالاسم ما دل على ذات ومعنى واذا افرد ذلك المعنى كان صفة فالحي والعليم والقدير
مثلا اسما والحيوة والعلم والقدرة صفات وكذلك الخالق والخافض والرافع والمعز
والمذل مثلا اسما والخلق والخفض والرفع والاعزاز والاذلال صفات ومن قال

سبحان مكوكب الكواكب ومريح الرياح فالصفة الكوكبية لا الكواكب والاراحة لا الرياح
فالجواهر ليست صفات بل جعلها ذلك هو الصفة **واما الثاني** وهو كونها فعلية فالمراد
انها صفات لافعال لا صفات هي افعال وفي قولي صفات لافعال تساهل وانما هي
مسميات طابق الحقيقة ولهذا يقول كثير من المحققين صفات اضافية ولا يقول فعلية
وسياتي بيان معني كونها اضافية **واما الثالث** وهو كونها صادرة عن القدرة فلا بد
انها صادرة عن القادر واقعة منه سبحانه لا علي سبيل الايجاب بل علي سبيل القدرة
والاختيار وكون القادر لا يتوجه الي المقدور الا عالما به ولا يوجده علي وجه دون
اخر او في وقت دون اخر الا مريدا له يقتضي ان العلم والارادة شرط تاثير القدرة
وشرط السبب الذي يصدر عنه الاثر قد لا يسمي سببا ولا يجعل الاثر صادرا عنه وهل
من شرط اخر يسمي التكوين او لا فيه خلاف سياتي قريبا ان شاء الله تعالي **واما**
الرابع وهو انها صفات خارجة عن ذات الحق عز وجل فلعله اشارة الي قول الشيخ
ابي الحسن الاشعري رحمه الله تعالي اسما الرب سبحانه وتعالي ثلاثة اقسام منها ما يقال
انه هو وهو كلما دلت التسمية به علي وجوده تعالي ومنها ما يقال انه غيره وهو كلما
دلت التسمية به علي فعل كالخالق والرازق وامثالها ومنها ما لا يقال انه هو ولا يقال
انه غيره وهو كلما دلت التسمية به علي صفة قديمة كالحي والعالم والقادر والمريد والسميع
والبصير والمتكلم والذي يوضح كلام الشيخ وان اوهم التناقض ان الخفض والرفع مثلا في
الشاهد وسط بين الانخفاض وبين اليد الخافضة فالانخفاض قايم بالمخفوض خارج عن
ذات الخافض بلا شك واليد قايمة بذات الخافض بلا شك وحركة اليد تسفيلا او اعلاء
قايمة باليد لكن لما كانت اليد اداة حسية كانت حركتها التي هي الخفض والرفع حسية
ايضا حتي لو فرضت امرا لا يقبل الحركة لم يكن الخفض والرفع محسوسا قايما
محسوس بل كان امرا اعتباريا سماه الايمة تعلق القدرة بالاثر وليس في الخارج
غير القدرة والاثر فجعل مولف الطوالع ونحوه تعلقات قدرة الحق تعالي صفات له من
اجل ان القدرة صفة له سبحانه وقيل لها صفات اضافية ليشعر بذلك انها

ليست

103

ليست وجودية قايمة بذات الحق سبحانه وتعالي ومن اجل هذا هي حادثة
ولم يلزم من كونها حادثة تسلسل ولا قيام الحوادث به سبحانه وتعالي وله
الحمد ولكونها اضافية اعتبارات منها الاضافة النحوية فالاحيا والاماتة والاعزاز
والاذلال ونحو ذلك انما يوصف الباري سبحانه بشي منها علي تقدير مضاف هو ذو
فيقال له عز وجل ذو احيا وذو اماتة ذو اعزاز لاوليايه وذو اذلال لاعدايه وقد
صرح الايمة بان ذو بمعني صاحب وضعت وصلة الي الوصف باسما الاجناس
فعلي هذا فالباري تعالي ذو سما وذو ارض وذو عرش مجيد ونحو ذلك من الجواهر
والاجسام كما يشعر به قول المولف وهي منقسمة الي الجواهر والاعراض ومنها الاضافة
اللغوية والعرفية بقول الحاسب واضيف الي ذلك كذا معناه زيد اليه وجمع معه وليس
اصلا فوصف الباري تعالي بالقدرة ونحوها حقيقي اصلي ووصفه بما يصدر عن قدرته وصف
اضيف الي الاصل فكان اضافيا **واما الخامس** وهو انقسام ما يصدر عن
القدرة الالهية الي الجواهر والاعراض فالمراد ان كل ما يسمي جوهرا او عرضا بكل اعتبار
فهو من ايجاده سبحانه وتعالي خالق كل شي وهذه التعسفات قد اغني الله تعالي الايمة
عنها ان وجهوا كلامهم الي الصفات النحوية المعروفة بالاسما فالصفات الاضافية عندهم هي
نحو الخالق المحيي المميت لا الخلق والاحيا والاماتة **تنبيه** اختلف الايمة رضي الله عنهم علي
التكوين اهو نسبة مخصوصة بين القدرة والاثر او هو صفة حقيقية يلزمها النسبة والاضافة
فالاول قول الاشعرية والمعتزلة والثاني قول الحنفية واتباعهم وقد حققنا في الامالي ان التكوين
هو المسمي في الاسما الحسني بالاقتدار فالله سبحانه وتعالي هو القادر المقتدر وحينيذ فالتكوين ليس القدرة
ولا اثرها ولا هو تعلق القدرة بالاثر وانما هو تعليق القدرة بالاثر وهذا التعليق ليس صفة حقيقية
ولا هو ذات المكون سبحانه وتعالي ولما ذكر الصفات الاضافية عقبها بذكر الافعال الجايزة
فقال النوع الثاني عشر ما له تعالي ان يفعله وان لا يفعله كارسال الرسل وانزال الكتب
والتكليف والجزا بالثواب والعقاب **ش** وقد اشتمل كلامه علي اربعة امثلة **اولها** ارسال
الرسل واجمع الاقوال الشارحة للرسالة المطلوبة انها سفارة بين الحق والخلق تنبه اولي الالباب

علي ما تقرر عند عقولهم من صفات معبودهم ومعادهم ومصالح دينهم ودنياهم والاصح انها غير
مرادفة للنبوة وبينهما فروق شهيرة والنبوة والرسالة اشرف مراتب البشر ومن فاضل بين
الولاية والرسالة لم يرد الولاية العامة بل اراد بالولاية الاقبال علي الله تعالي المعبر عنه بنحو قوله
تعالي ثم دنى فتدلى ونحو قوله عليه الصلوة والسلام اللهم الرفيق الاعلي واراد بالرسالة الاقبال علي الخلق
لارشادهم وهدايتهم وقول الالهي الفلاسفة ان النبوة تكتسب بالرياضة ونحوها غلط بين
او فقيهم فيه قواعد باطلة صدتهم عن معرفة حقيقة النبوة وحقيقة الالهية واحالة الجاهلية
ارسال الرسل بهت فاضح وقول البراهمة في العقل منه وحتى عن الرسل افترا واضح وايجاب
المعتزلة للارسال مناسب قوالهم الفاسدة في التحسين والتقبيح وايجاب اللطف والاصلح
وقد حاولت رد مذهبهم الي معني كتب ربكم علي نفسه الرحمة وان الجايز بذاته قد يصير واجبا بغيره
واهل السنة لا يابون ذلك قل لو شا الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اي ولكن فضله وجوده
ورحمته وانه النور الهادي وجد ذلك وبسببه فوجب وقوعه وجوب رحمة وجود والحمد لله وحده
وثانيها انزال الكتب ما انزال الصحف والالواح كالتورية وغيرها فواضح واما الوحي فلا اشكال
في نزوله علي من سمع دفهم قوله تعالي نزل به الروح الامين علي قلبك وايجاب المعتزلة انزال الكتب
واحالة الخرين له لا يخفي بطلانه مما تقدم **وثالثها** التكليف وهو الزام اتباع هدي الله اصلاحا
وايجاب المعتزلة التكليف علي قاعدة التحسين والتقبيح لا يخفي بطلانه **ورابعها** الجزا وهو ايصال
ما يليق بكل عامل اليه من ثواب او عقاب ومبني الدنيا علي الدين التكليفي ومبني الاخرة علي الدين
الجزاي وايجاب المعتزلة علي الله تعالي الثواب والعقاب لا يخفي بطلانه واحالة العذاب طوايف
ظنا منهم منافاته لرحمة ارحم الراحمين وعدل احكم الحاكمين والحق جواز ذلك والصادق المعصوم
اخبر بوقوعه فوجب تصديقه ومن قال بوجوبه لذلك فهو محق وقد تقدم ان الجايز لنفسه
قد يصير واجبا لغيره ولكن بشرط الموافقة علي جواز العفو لله والشفاعة الوارد بهما الخبر الصدق
ويبقي الوجوب السمعي في ان اصل ذلك واقع او انه حيث لا عفو بشفاعة او دونها جمعا بين الادلة
وبهذا يظهر بطلان الاعتزال وان اهله يقولون بالوجوب لنفسه لا بمجرد الخبر وقولهم
بخلود اهل الكباير في النار كالكفار منابذ لقواطع الادلة واما صفة افعال الله وانها حكمة وصواب

فبينها

فبينها المولف اذ قال **النوع الثالث عشر** معرفة حسن افعال الله تعالي كلها خيرها وشرها
نفعها وضرها قليلها وكبيرها وانه لا حق لاحد عليه ولا ملجا منه الا اليه له حق وليس عليه
حق ومهما قال فالحسن الجميل م لذلك لو عذب اهل السموات والارض واقصاهم لكان
عادلا في ذلك كله ولو اثابهم وادناهم لكان منعما متفضلا بذلك كله **ش** اشتمل هذا النوع
علي مهمات **الاول** معرفة حسن افعاله تعالي كلها فانه تعالي كامل من كل وجه وبكل
اعتبار واثار الكمال كاملة كلها ولما خفي عن الثنوية هذا واعتاص عليهم فهمه وقعوا في التجس
قيل وتعقيب دليل الوحدانية بقوله تعالي لا يسال عما يفعل سره هدم شبهتهم وبوضح
حسن الافعال الربانية **سوال وجواب** فان قالوا اي حسن في انواع المضار وشرور
العالم وانواع الكفر والفسوق والعصيان اليست من افعال الله تعالي المتفرد بالخلق
والاختراع ثم اليست قبيحة في العقل والشرع حتي قيل والله لا يحب الفساد
فالجواب عن ما قالوه من وجهين **احدهما** ان الفعل غير المفعول فالفعل كله حكمة وعدل
وصواب وكله حسن جميل وانما المفعول هو الذي ينقسم الي حسن وقبيح كما هو مقرر في موضعه
وثانيهما لو سلمنا ان الفعل هو المفعول فكل ما في الافعال من قبيح شرعي او عقلي فانه
مغمور بما فيها من المصالح الكثيرة والحكم العظيمة وغير خاف ان الحكم للغالب فحينيذ
فكلها حسنة جميلة لمن يتنبه لمهماتها **فان** قيل فلم تمدح المعاصي واهلها وتحب لمصالحها
قيل اما من حيث انها معاصي معصية فلا حسن فيها البتة فهي من هذه الجهة مذمومة
مبغوضة وكذلك مع تكتها كما في الايات والاحاديث وقد ذكر الايمة في حكمة خلق الله تعالي
لابليس وانظاره فوق الف حكمة وخرق السفينة وقتل الغلام مثال لجميع ما وقع في العالم
من اثم وعدوان وجمع المولف بين وصف الافعال بانها حسنة كلها وتقسيمه اياها الي
خير وشر ونفع وضر قد اوضحناه في السوال والجواب المتقدم ذكرهما **الثاني** انه تعالي لا
حق لاحد عليه ولا ملجا منه الا اليه له حق وليس عليه حق الحق له معان انسبها هاهنا
الثابت الواجب اي لا واجب علي الله تعالي لاحد ومن المعلوم ان الوجوب الذي يرجع
اليه ويحمل عليه الامر الحتم من معظم مهاب ومحبوب مودود او مخوف السطوة او مرجو الخير

او ذي ايادٍ واحسانٍ او قرابة توصل او مالكية تحترم او نحو ذلك مما يذهب اليه ذاهب
وقول المعتزلة تجب علي الله كذا مرادهم ان فعل ذلك من الكمال الذي فقده نقص يتنزه عنه العليم
الحكيم فهم في ذلك مبطلون فرب فعل هو نقص في الخلق دون الحق عز وجل اذ الرب مالك علي
الاطلاق يتصرف في ملكه كيف يشا قل فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح
ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا وهل ذلك الا عين الغني والكمال الذاتي وعدم المبالاة
فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها وذلك لا يخرجه تعالي عن كونه
تعالي حكيما رحيما رؤفا لطيفا عند الفطن وقول المعتزلة لا تقع الارادة الازلية الا بما هو
حتم واجب لا يجوز تخلفه هوس محض وسفاهة واضحة **قوله** لا ملجا منه الا اليه كالتقرير
لنفي الوجوب عليه سبحانه اي انه لا انجاد عليه ولا يرد له مراد اذ لا قاهر يقهره فلا وجوب
وجوب عليه اذ لا موجب يلجيه الي شي سبحانه وتعالي عن ان يرهب من احد او يرغب في فعل
او ينفر لعظمته ونحو ذلك **قوله** له حق وليس عليه حق لاحد عود علي بدي اي انه لعلو
شانه وعظيم ربانيته يستحق الطاعة علي خلقه وعبيده وليس عليه حق لاحد لعظمة
مجده وعزه وكبريايه وحاصل هذا كله انه لا يجوز ان يعتقد موهم وجوب شي عليه تعالي
اصلا **الثالث** انه تعالي مهما قال فالحسن الجميل الشرح شمل هذا امورا **منها** الاوامر
والنواهي فهي حسنة جميلة لا من جهة حسن فيها فقط كما قالت المعتزلة واشياعهم بل من
جهة قوله تعالي انه تعبد بها خلقه وجعلها شرعا له وما في شرعنا من المحاسن ينشد له
بيت زادت الي كحل العيون تكحلا ويسم نصل السهم وهو قتول
ولو شرع غير ذلك لكان الحسن الجميل ولما توقف ابليس علي رعاية الحسن والقبيح ابلس
من رحمة الله تعالي فتامله **ومنها** الاخبار عن صفاته العليا وافعاله الحسني بما ارتضاه من
صريح وكناية وحقيقة ومجاز ومحكم ومتشابه **ومنها** كتبه كلها حسنة جميلة مكرمة **قوله**
ولذلك لو عذب اهل السموات الي اخره توضيح وتمثيل لما قرره والسلام في قوله ولذلك
اولي من الكاف والله تعالي اعلم **تتمه** مشتملة علي بيان انه تجب اعتقاد ما ذكر واعتقاد انه
فرض عين علي كل احد والتصديق به والسعي في تحصيله فهي ثلث تنبيهات بين منها

المولف اولها **النوع الرابع عشر** اعتقاد جميع ما ذكرناه في حق العامة وهو قايم مقام
العلم في حق الخاصة لما في تعرف ذلك من المشقة الظاهرة العامة فان الله تعالي كلف الخاصة
ان يعرفوه بالازلية والابدية والاحدية والتفرد بالالهية وانه تعالي حي عالم قادر مريد سميع
بصير متكلم وكلف العامة ان يعتقدوا ذلك لعسر وقوفهم علي ادلة معرفته فاجتزا منهم
باعتقاد ذلك سبحانه ولله الحمد **ش** اعلم ان الاعتقاد هو الحكم الذهني الذي لا يحتمل النقيض
عند الحاكم لا بتقديره في نفسه ولا بتشكيك مشكك فان كان مطابقا فصحيح والا ففاسد
وحده بعضهم **فقال** هو عقد علي القلب تارة تشتد وتقوي وتارة تضعف وتسترخي
كالعقدة علي الخيط وسببه الاكثري العلم هو ما انجلا به الجهل والشك والظن وحل رابطة الاعتقاد
وحقيقته كشف المعلوم علي ما هو عليه وسببه الاكثري التقليد وقوته ورخاوته علي حسب
مرتبة الكبريا في النفوس والعلم هو الحكم الذي لا يحتمل النقيض لا عند الحاكم ولا في نفس الامر
ويرسم بانه الاعتقاد الجازم المطابق الثابت لموجب قطعي والمراد بالعامة من لم يمارس العلوم
الدينية والصناعة الاستدلالية ولا التصفية الرياضية المحصلة للعلوم الوهبية والمراد
بالخاصة كل مُبَرهِنٍ او مرهبنٍ **وقوله** لما في تعرف ذلك من المشقة تقرير لقيام الاعتقاد
من العامة مقام العلم في الخاصة ولا شك ان المشقة في شرعنا القويم السالم من الاعنات
ومن كل تفريطٍ وافراطٍ يوجب التيسير بدليل قوله تعالي لا يكلف الله نفسا الا وسعها **وقوله**
من المشقة الظاهرة اشارة الي انها ليست من المشقات المحتملة بل من الحرجية العسرية الامرية
وفيه اشعار بان مطلق المشقة لا يكفي في التخفيف بل لا بد من مشقة ظاهرة **وقوله** العامة يعني
الموجودة في جميع الازمان وجميع الاحوال وجميع الاشخاص وليست الاعوازات النادرة بل الغالبة
وذلك الكافي في اقتضا التخفيف ثم هذا المذهب هو المختار عند المتاخرين لان النبي صلي الله عليه وسلم
لم يكلف العامة وحفاة الاعراب استدلالا ولا السلف الصالح رضي الله عنهم اجمعين في عصرهم
ثم بين ثاني التنبيهات بقوله **النوع الخامس عشر** من الحقوق المتعلقة بالقلوب تصديق القلب
بجميع ما ذكرناه من الاعتقادات والعرفان **ش** يحتمل ان الاعتقادات في القواعد الكلية والعرفان
في الامثلة الجزيية ويحتمل غير ذلك وتصديق القلب زايد علي الاعتقاد الاستدلالي

والتقليد كما تقدم في مسلة الكلام والجمهور يوجبون التصديق ولا يكتفون بمجرد الاعتقاد
ويردون قول الحنفية ونحوهم انه تكفي المعرفة في الايمان والتصديق اذعان لما عرف وانقياد
له واقرار نفسي يلزمه الابانة ثم بين ثالث التنبيهات بقوله **النوع السادس**
النظر لتعرف ذلك واعتقاده وهو واجب وجوب الوسايل **ش** اما النظر فهو الفكر
الذي يطلب به الاعتقادات واما الوسيلة فهي الموصلة الي المقصود والله تعالي اعلم تمت
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه الانواع بشرحها لسيدي الشيخ عز الدين بن عبد السلام
المقدسي عاد الله من بركاته علينا وعلي اولادنا واخواننا في الله اجمعين وجميع المسلمين امين
في تاريخ نهار الثلاثا رابع شهر الله ذي الحجة الحرام من شهور سنة ١٠٩٦ ضاحي النهار
بالجامع الازهر من خط الشيخ شهاب الدين المقدسي الدهشي نفع الله ببركاته وبركات اسلافه امين
والحمد لله وحده وصلي الله علي سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

بلغ مقابلة علي خط الحقير الفقير الي الله سبحانه ... شهاب الدين احمد ... وهو منقول علي ... سيدي الشيخ ... محمد بن عبد الكريم الموقت ... نفع الله به وبعلومه امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

فايده من فوايد الشيخ شهاب الدين بن رسلان تاليفه رضي الله عنه

قال عفا الله عنه

رد السلام واجب الا علي	من في صلاة او باكل شغلا
او شرب او قراة او ادعيه	او ذكر او في خطبة او تلبيه
او في قضا حاجته الانساني	او في اقامة او الاذان
او سلم الطفل او السكران	او شابة يخشي بها افتتان
او ناعس او فاسق او نايم	او حالة الجماع او محاكم
او كان في الحمام او مجنونا	فهي اثنتان بعدها عشرونا

قال الشيخ الامام العلامة حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي الطوسي تغمده الله تعالي برحمته ورضوانه **اعلم** ان كلمتي الشهادة
علي ايجازهما يتضمنان اثبات ذات الاله سبحانه وتعالي واثبات صفاته واثبات
صدق الرسول صلي الله عليه وسلم وبناء الايمان علي هذه الاركان الاربعة **الركن الاول**

في

في معرفة ذات الله تعالي ومداره علي عشرة اصول وهي العلم بوجود الله تعالي
وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس بمختص بجهة ولا مستقر
علي مكان وانه يري وانه واحد **الركن الثاني** في معرفة صفات الله تعالي ومداره
علي عشرة اصول وهي العلم بكونه تعالي حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا
متكلما صادقا في اخباره منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الصفات كلها
الركن الثالث في معرفة افعال الله سبحانه وتعالي ومداره علي عشرة
اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالي ومرادة له وانها مكتسبة
لهم وانه متفضل بالخلق وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البري
ولا تجب رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الانبياء صلي الله
عليهم وسلم اجمعين جايزة وان نبوة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم ثابتة مويدة
بالمعجزات **الركن الرابع** في السمعيات ومداره علي عشرة اصول
وهي الحشر والنشر وعذاب القبر وسوال منكر ونكير والميزان والصراط
وخلق الجنة والنار واحكام الامامة تمت بحمد الله وحسن توفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

مسألة في التوحيد

قال عيسي بن عبد البارئ لا اله الا الله نفي واثبات فالمنفي لا حقيقة له
فعلي من وقع النفي وللثابت موجود فعلي من وقع الاثبات والمثبت والثابت عين
المنفي والمنفي عين المثبت والثابت فهذه ستة والعين واحد **الجواب**
اعلم ان الامام ابا بكر البيهقي الحافظ روي باسناده عن المزني في حكاية طويلة **قال**
كنا علي باب الشافعي رضي الله عنه نتناظر في الكلام فخرج الشافعي الينا فسمع بعض
ما كنا فيه فرجع عنا وما خرج الينا الا بعد سبعة ايام ثم خرج وقال ما منعني
من الخروج اليكم الا اني سمعتكم تتناظرون في الكلام اتظنون اني لا احسنه لقد
دخلت فيه حتي بلغت مبلغا عظيما الا ان الكلام لا غاية له تناظروا في شي ان اخطا

فيه يقال لخطاتم ولا تتناظروا في شي ان لخطاتم فيه يقال كفرتم وحسب المرء
من هذا العلم وان كان من اشرف العلوم او اشرف العلوم ان يعرف منه ما يحتاج
اليه لنفسه ويذب عنه ما وراء ذلك من مخالطة غيره فيه الا عند الاضطرار
وقد سالني بعض الاخوان في هذا السوال وكرر المسلة مع ماله علي من حقوق
المحبة فاستخرت الله تعالى في كتابة سطور ينتفع المسترشد وهي كفاية المتعبد وانا
في غالب ما ذكره ناقل خبر لا مبتدع ولا مبتكر فاقول قال الامام ابو عبد الله
محمد بن عمر بن حسين الفخر الرازي في فضايل الامام محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى
وحكى البيهقي رحمه الله تعالى فيما نقل عن الشافعي في دليل التوحيد ان بشر المريسي
سال الشافعي في مجلس الرشيد ما الدليل على ان الاله واحد فقال رضي الله عنه
اختلاف الاصوات من المصوت واختلاف الصور دليل على انه واحد وعدم
الضد في الكل على الدوام دليل على انه واحد واربع طبايع نيران مختلفات في جسد
واحد متفقات على تربيته في استقامة الشكل دليل على انه واحد واربع طبايع
مختلفات في الخافقين اضداد غير اشكال دليل على انه واحد وان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله تعالى لايات لقوم يعقلون دليل على
انه واحد لا شريك له قال الامام الرازي رضي الله عنه ان الشافعي
ذكر انواعا من الدليل يجب علينا ان نفسرها اولا ثم نبين دلالتها على الوحدانية ثانيا
فالنوع الاول ما ذكره في قوله اختلاف الاصوات من المصوت فاعلم ان الاعضا التي
هي الات في تكوين الاصوات والحروف اعضا مخصوصة وهي الحلق والحنجرة واللسان
والاسنان والشفتان ثم انك ترى جميع الناس مع اشتراكهم في هذه الالات مختلفين
في الاصوات حتى انك لا ترى انسانين في الدنيا تتشابه اصواتهما من جميع الوجوه
فلولا ان الصانع القادر الحكيم خصص خلق كل انسان وحنجرته ولسانه واسنانه وشفتيه
بكيفيات مخصوصة لاجلها صار هو مختصا بذلك الصوت المعين والا لم تحصل فيه ذلك
الاختصاص ولا يمكن اضافة تلك الاختصاصات الى طبيعة النطفة والرحم والطبايع

والافلاك والانجم فان نسبة الكل الى الكل بالسوية فلم يبق الا الجزم باسناده
الى الفاعل المختار وكما انك لا تجد في الدنيا انسانين تتشابه صوتاهما كذلك
لا تجد في الدنيا انسانين تتشابه صورتاهما من جميع الوجوه كذلك وذلك من
اعظم الدلايل على الصانع الحكيم والى هذين من الدلايل الاشارة بقوله تعالى
واختلاف السنتكم والوانكم النوع الثاني قوله وعدم الضد في الكل على
الدوام وتفسيره ان بدن كل انسان ينتقل من حال الى حال مثل ان يكون صبيا ثم شابا
ثم كهلا ثم شيخا وايضا يكون سمينا ثم هزيلا وبالضد ويكون حارا ثم يصير باردا وبالضد ثم
انا نرى الانسان مع اختلاف هذه الاحوال باقيا على نهجه الاول من الصوت والصورة
ولو كانت هذه الاحوال معللة بما فيه من الطبايع والامزجة لوجب اختلافها عند اختلاف
الطبايع والامزجة ولما راينا ان الصوت والصورة مصونان عن النقص مع اختلاف هذه
الامور علمنا ان ذلك بسبب ان الصانع الحكيم منشيهما على تلك الاحوال والهيات
النوع الثالث قوله واربع نيران مختلفات في جسد واحد متفقات على تربيته
واستقامة الشكل دليل على انه واحد تفسيره ان في البدن نيران اربعة احدها نار الشهوة
وهي الحرارة التي تثور في بدن الانسان عند قضا شهوة الجماع ثانيها حرارة الغضب
وهي الحرارة التي تثور عند الغضب ثالثها الحرارة القايمة باعضا الغذا وهي الحرارة الغريزية
في هضم الغذا ورابعها الحرارة الغريزية ايضا وهي المتولدة في قلب الانسان وهي الحرارة التي
يتم بها امر الحيوة فهذه الانواع الاربعة من الحرارة نيران مختلفة بالماهية مع انها تجتمع
في بدن الانسان وتبقى كل واحدة منها على صفتها المخصوصة وطبيعتها المخصوصة وهي كامنة
في بدن الانسان لا تظهر الا عند الحاجة اليها مع انها مع اختلافها وتباينها متوافقة متعاونة
على تحصيل مصلحة الانسان موجبة لاستقامة ذلك الجسد النوع الرابع قوله واربع
طبايع مختلفة في الخافقين اضداد غير اشكال مولفات على صلاح الاحوال تفسيره ان ابدان
الحيوانات متولدة من الارض والما والهوا والنار وهي الاخلاط الاربعة الصفرا والسودا والبلغم
والدم ثم انها اضداد متنافرة متعاندة بطبايعها فاجتماعها في البدن الواحد لا بد وان يكون من

صانع مقتدر وتدبير مدبر وما ذاك الا الصانع الحكيم فاذا عرفت تفسير هذه الكلمات
فنقول انها دالة على وجود الصانع وكمال قدرته وعلمه وحكمته وهي ايضا دالة على
ان الصانع واحد لانه لو كان الصانع اكثر من واحد لما حصل هذا النظام في المخلوقات
بل كان يحصل الفساد كما **قال** تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
فثبت بما ذكرناه ان الوجوه التي ذكرها الشافعي رضي الله عنه دالة على وحدانية
الصانع وعلى هذا التقرير **قال** تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
ثم احتج على الوحدانية بقوله تعالى ان في خلق السموات والارض الى قوله لايات لقوم يعقلون
ومعلوم ان دلالة هذه الاشيا على صحة قوله تعالى والهكم اله واحد ليست الا بالطريق
الذي ذكرناه فثبت ان كلام الشافعي وهذا الباب على وفق دلالة القران من غير
تفاوت اصلا **اذا تقرر** هذا فالنرجع الى جواب السوال وقبل الخوض فيه نتكلم على
معنى التوحيد **فنقول** الواحد الذي اخذ منه الوحدانية **نقل** امام الحرمين
عن الاكثرين ان الواحد هو الذي لا ينقسم بوجه من الوجوه لا باعتبار الذات ولا باعتبار
الاضافة فالله تعالى منزه عن الانقسام لان الانقسام دليل الكثرة وهي على الله تعالى محال
وقيل في تفسيره ايضا انه الذي لا شبيه له بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في صفاته
كما يقال فلان واحد في عصره فهو تعالى لا يشبه شيا ولا يشبهه شي وقيل الواحد هو
المنفرد بالخلق والايجاد والتدبير وقيل في تفسير الواحد غير هذه الثلاثة لكنه في
الحقيقة يرجع اليها ثم اعلم ان مقتضى كلام امام الحرمين ان وصف الباري تعالى بالوحدانية
لا بد فيه من اعتبار المعاني الثلاثة فانه قال ولا يستقيم اعتقاد الوحدانية ممن خرم ركنا
من هذه الاركان الثلاثة انتهى فعلم ان اختلافهم في تفسير الواحد من حيث هو
هو هذا كلام اهل السنة واما التوحيد **فقال** بعض المحققين هو اسقاط الحدث
واثبات القدم والتوحيد الذاتي انفراد الرب بالوجود فلا يكون معه موجود وعلى هذا
قال بعض المتاخرين ان الوجود الحقيقي عند المحققين من الصوفية هو الواجب
لا الممكن يدل عليه قوله تعالى حتى اذا جاه لم يجده شيا **وقال** صلى الله عليه وسلم في الكهان

ووجد الله عنده

انهم

108

انهم ليسوا بشي **وقال** للمسي صلوته ارجع فصل فانك لم تصل **وقد قال** سيد
الطايفة ابو القاسم الجنيد نفعنا الله به اني ليخطر لي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين
من كتاب الله وسنة رسول الله **وقال** ايضا الطريق الى الله تعالى مسدود على خلقه
الا على المتبعين اثار رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** من لم يحفظ القران ويكتب الاحاديث
لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا مقيد بالكتاب والسنة **وهاهنا** بحث لطيف في ان الواحد يطلق
على الواجب والممكن او الواجب فقط فيه خلاف واذا قلنا بانه يطلق عليهما هل هو من باب
المشترك او المتواطي وهذا بحث يطول ذكره لان مبنى الرسالة على الجواب المقنع
هذا على وجه الاختصار **واما** الدلالة على التوحيد فقول الموحد لا اله الا الله
من الكتاب والسنة والقواعد اما الكتاب فقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقوله
انما الهكم الله وقوله انما الله اله واحد وقوله هو الله الذي لا اله الا هو الى غير ذلك من الايات
الشاهدة على التوحيد **واما** السنة فقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله الحديث وقوله في حديث معاذ حق الله على عباده ان يوحدوه الى غير
ذلك **واما** القواعد فالواحد هو المتصف بالوحدانية في ذاته وصفاته من غير علة لذلك
ولا موثر بل قام له من الحجج والبراهين ما يلزم بمقتضاه الخلق اعتقاد وحدانيته وذلك
ان العالم وهو كل موجود سوى الله تعالى حادث ودليله انه عرضة للتغير وما كان كذلك
فهو حادث فالعالم حادث والحادث لا بد له من محدث وهو الواجب القديم بذاته وصفاته
المخترع المحدث على غير مثال سابق **قال** الله تعالى في حق الكفار انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فبين سبحانه وتعالى عجز المعبودين من
دونه بعدم قدرتهم على الدفع عمن عبدهم بل وعن انفسهم والقادر القاهر هو المعبود
بالحق لا يصل اليه شي من النقايص اعلاها وادناها بل هو الفعال والمنعم والمعذب على من يشا بما يشا كما
يشا والقدرة والغنا والبقا الدايم دليل الوحدانية كما ان العجز عن ذلك دليل على عدمها
اذا عرفت ذلك فلا بد من بيان حقيقة الاستثنا والمستثنى والمستثنى منه
فالمستثنى منه هو اللفظ الشامل للمستثنى ولغيره والمستثنى هو المخرج من جملة ما شمله

كان

اللفظ الاول والاستثنا هو الاخراج اي اخراج المستثنى من المستثنى منه بالا
او احدي اخواتها وله شروط ان لا يكون الاستثنا مستغرقا اي لفظ الاستثنا
لا يستغرق ما في اللفظ المستثنى منه وهو من النفي اثبات ومن الاثبات نفي ولا
يجمع مفترق ولا يفرق مجتمع **وقوله** القايل لا اله الا الله اشتمل على مستثنى منه ومستثنى
واستثنا فموقع لا اله الا الله من الاعراب انه جملة من مبتدا وخبر فقولك لا اله مبتدا وقولك
الا الله بدل من لا مع اسمها فتعين رفعه لان البدل يحل محل المبدل منه في اعرابه
ولا يجوز نصبه بدلا من اسم لا لان لا لا تعمل الا في نكرة منفية ولفظ الله اعرف المعارف
لانه اسم علم مرتجل واحسن ما قيل فيه هذا **قال** البوني في المقصد الاسنى في شرح
اسما الله الحسنى انه اسم علم غير مشتق لم يسم به غير الله تعالى ومن قال انه مشتق
اختلفوا في اشتقاقه مما ذا ونحن نمشي على الاول فلا نطول بذكر الاشتقاق وهو اسم الله
الاعظم على ما قاله السهيلي في الروض الانف فهذه الكلمة وان كان ابتداوها نفيا فهي
في نهاية الثبوت وهذا ابلغ الاساليب فان قولك لا صديق الا انت ابلغ من قولك انت
صديقي بالاتفاق اذا **تقرر** هذا نظرنا فيما يرد عليه لا ثم ما يرد عليه الا وحكمنا على كل منهما
بما يقتضيه مدلوله بمزيته **فقوله** لما كان لفظ لا مع اسمها مبتدا والمبتدا لا بد له من خبر
لان الكلام المفيد انما يكون جملة فاذا قوله لا اله تحتاج الى ما تتم به الفايدة وهو الخبر فيكون
الخبر معبود لكن العبادة اذا اطلقت انما يراد بها الشرعيه وهي الواقعة على وفق الشرع
فيكون تقدير الكلام لا اله معبود بحق ويدل على ذلك ان الشارع لم يعتبر الواقع على غير
وفق الشرع وان تعنت متعنت وسماه باسم الشرعيات فانهم كانوا يسمون السجود
للاصنام ونحوه مما يعظمونها به عبادة ولهذا **قال** النبي صلى الله عليه وسلم للمسي
صلوته ارجع فصل فانك لم تصل فلم يعتبر صلوته وركوعه وسجوده وقراته لما ترك ركنا من المعتبر
شرعا في العبادة لفسادها كلها بما تركه فقال له انك لم تصل اي الصلوة المعتبرة شرعا
لكن لا بد من اعتبار عموم اللفظ لما قررناه في ان المستثنى منه تام في المستثنى والمنفي
الا تراه اذا قال لزوجته انت طالق ثلاثا الا واحده يقع ثنتان فكانت الواحده داخلة

في قوله

في قوله ثلاثا **ولهذا** قالوا لابد ان ينو الاستثنا قبل فراغ اليمين والا لم يعتبر ويقع
الثلاث لان الكلام قد تم قبل قوله الا واحده لفظا ونية اذا **تقرر** ذلك رايت
هنا نفيا ومنفيا ومثبتا فالنفي هو قول الموحد لا والمنفي هو اله والمثبت هو المعبود بحق
المدلول عليه بالنفي المقيد ه ويجوز توجيه الثلاثة بدون اعتبار الثبوت بواسطة
القيد بمعمول الثلاثة النافي والمنفي والنفي واذا اعتبرنا مطلق اللفظ صح ان
يقال وقع في اللفظ لفظ النفي على المنفي انه له وجود اما حقيقة او مجازا لان صورة
النفي موجودة بلا نزاع وانما اسقطنا اعتبار وجودها لاجل فقد المعتبر فيها شرعا
وقوله الا الله اثبات لان الاستثنا من النفي اثبات وقد تناوله عموم اللفظ السابق
وهو قوله لا اله بقيده وهو الخبر وهو معبود بحق وهو حق فهنا اثبات ومثبت ومنفي وهو
المعبود بغير حق وصح ان **يقال** وقع الاثبات على المثبت وليس معناه ان الاثبات
اوجده اذ الثابت ثابت في نفسه سوا اثبته مثبت ام لا وانما المراد ان هذا اللفظ دل
عليه ويجوز ان يقدر على ما قدمناه في النفي بان يقال مثبت واثبات وثبت لتعدد الافراد في المتكلم
وما تكلم به بحسب صفاتها التي اقتضتها اللغه **وترتب** على ما قلناه منع قول القايل ان المثبت
عين المنفي والنفي عين المثبت لان احدهما مطلق والاخر مقيد والمقيد غير المطلق لا عينه
ويدل على صحة ما قلناه ان المثبت موجود قبل ايجاد الاثبات **لقول** النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث معاذ حق الله على عباده ان يوحدوه فليس المراد به ان يجعلوه واحدا بتوحيدهم فانه
واحد سوا وحدوه ام لا وانما المراد ان يعتقدوا وحدانيته كما هو في نفس الامر والله اعلم
مسئلة ثانيه على قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه لان
الواقف على هذا الخبر اطلق عقله في ميدان الفكر لمعرفة نفسه فاشكلت عليه اذ ليست
النفس جزءا من اجزا بشريته تختلط بها كلها ولا منفكة عنه ليشاهدها كما يشاهد مرئيا غيره
فمن اشكلت عليه معرفة نفسه فكيف له بمعرفة غيره **الجواب** اعلم ان النفس تطلق
ويراد بها الشكل المركب من لحم وعظم وعصب وجلد وغير ذلك وهي المذكورة في قوله تعالى
وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس **وقوله** تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرايل انه من

قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وهو ظاهر عبارة الزمخشري
في الكشاف ويطلق ويراد بها المعنى المدرك الساري في البدن سريان ضوء الشمس
في الكوكب والبصر في الحدقة وهو المراد بقوله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
وفي قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة وفي قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة فيصح ان
يراد المعنى الاول ومعنى المعرفة بها عليه ان يعرف انها مركبة من اجزاء حادثة فانية بالفهم
الذكي ونيته ومقتضى تركيبها من حادث انها حادثة ويلزم من ذلك ان نعرف ان لها محدثا فان
كان قديما فهو المطلوب وان كان حادثا علم انه لابد له من محدث فاما ان يدور او يتسلسل وهما
باطلان فتعين ان يكون المحدث قديما فاذا عرف ذلك عرف انه محتاج وان المحتاج اليه قديم وهو المحدث
وعرف انه فان وان المحتاج اليه القديم باق فاذا عرف النفس بالنقص والضعف والاحتياج عرف
ربه القديم بالكمال والقوة والقهر والغلبة والغنا ويصح ان يراد بالنفس المعنى الثاني ويؤيده
قوله صلى الله عليه وسلم اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك فجعلها زايده على الشكل المركب من الاجسام
وترجح في المعرفة الي ما ادناه من معرفته بصفات كماله وعلى هذا فيصح ان يكون المراد بالنفس
كل منهما حقيقة وان يكون حقيقة في احدهما مجازا في الاخر واللفظ يستعمل في حقيقته وفي
حقيقته ومجازه واذا كان كذلك فليست جزءا من اجزاء البشرية بل كل البشرية وان تكون
زايدا على البشرية بالمعنى الثاني ويطلق على كل منهما كما تطلق الشمس ويراد بها نفس الكوكب وتطلق
ويراد بها الضوء الساري فيه يدل على الاول قوله تعالى اذا الشمس كورت وعلى الثاني
ما ورد في حديث الوادي لما قال بلال انه يكلا الفجر ونام كما قال فما ايقظنا الا حر
الشمس وهو مس الحرارة وليس هو الجرم وانما هو الضوء ووهجه ففي الاول في الاية
المراد بها الجرم وفي الثاني في الحديث المراد بها المعنى والاقرب ان يكون المراد النفس
المعنوية لان وصفها بالطمانينة واللوم والامر اقرب من الاول وصفات الكمال في المحدث
وان كانت ممكنة الا انها نسبية بالنسبة الي جنسها اذا كانت سالمة من نقايص الجنس
كانت كاملة بالنسبة الي ذلك الجنس الذي هم منه وعلى كل حال هي ناقصة بالنسبة
الي موجدها لاحتياجها وافراد الاحتياج لا تنضبط والموجد القديم كامل بكل وجه

يعتريه

يعتريه نقص ولا تغيير ولهذا نقل عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى
قال الدنيا كلها وبال الا العلم فيها والعلم كله وبال الا العمل به والعمل كله وبال الا الاخلاص
فيه والاخلاص انت منه على خطر ومن هو بهذه الصفة فهو حادث لاحتياجه
مقتضى للخوف من عدم القبول بل ومن غيره من خوف الامراض والاسقام والاحتياج
الغذا واخراج الفضلات الي غير ذلك مما لا يحصى لكثرة ومن لطيف ما يسال عنه الجمع
بين قوله تعالى ولا يحيطون به علما وبين قوله الله احد مقتضى الثاني ان لا يكون له غير
جهة واحدة يعرف بها من عرفه بها فقد عرفه ومن لا فلا وقضية الاول ان يكون له جهات
متعددة يعرف بها لاشعار لفظ الاحاطة بذلك والجواب بان تعدد جهات العلم بالشي لا
يستلزم تعدده في ذاته ولا بحسب صفاته لجواز ان يكون التعدد في الجهات بحسب الاعتبار
وذلك لا ينافي الوحدة ولهذا تعددت اسماوه الحسنى وصفاته تعالى ولهذا قال
ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وقد حكى لي شيخي الامام العلامة
ابو عبد الله محمد بن عبد الدايم البرماوي سقى الله عهده من لفظه ولا اعرف من نقله ان
ثلاثة نفر قدموا من البصرة يريدون المناظرة وعقد لهم مجلس كان راسه الحسن البصري
وكان الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت سقى الله عهده سنه اذ ذاك ستة عشر
او سبعة عشر سنه وحضر بعد ان اغتص المجلس بالعلما فلما حضر راى شخصا جالسا
على كرسي فسال فاخبر بالثلاثة ولمرهم وانهم اختاروا الذي على الكرسي للتكلم فيما جاوا فيه
فقال له الامام ابو حنيفة يا هذا سايل انت ام مستدل فقال سايل فقال له الامام
صعود الكرسي مرتبة المستدل فانزل عن الكرسي قالوا وكانت اول النصرة فقال له الامام
رضي الله عنه عما ذا تسال فقال عن ثلاث مسايل فقال سل فقال الاولى اخبروني
عما قبل الواحد فسكت الامام وتكلم القوم واطالوا القول واجالوا الفكر برهة من الزمان
ثم سكتوا عن غير جواب مقنع فقال الامام ابو حنيفة سقى الله عهده يا هذا ما قبل الواحد
الذي هو مبدا العدد قال ما قبله شي فقال الامام اعلى الله مقامه في الفردوس يا هذا
اذا كان الواحد الحادث ما قبله شي يكون قبل الواحد القديم شي هذا محال فرضي القوم كلهم

الي الكوفة

بالجواب واعلنوا بالدعا لابي حنيفة فقال الامام للسايل ثم عن ماذا تسال فقال السايل
اين وجه الله فوقع للخبط في الجواب علي الوجه السابق من كثرة الكلمات وارتفاع الاصوات
ثم انفصلوا عن غير جواب مرضي فقال الامام للسايل السراج اذا اوقد اين وجهه فقال
السراج كله وجه لانه نور لا مقدم له ولا موخر وكل نور كذلك فقال الامام رضي الله عنه
الله نور السموات والارض وقال تعالي فاينما تولوا فثم وجه الله فارضي الحاضرين الجواب
فقال له الامام ثم عن ماذا تسال فقال اسال سوالا لا يمكن الجواب عنه بوجه فقال الامام قل
فقال هل تعرف معبودك ان ادعيت معرفته خالفت صريح القران قال الله تعالي ولا يحيطون
به علما وان لم تعرفه وجهلته كفرت لجهلك بمعبودك فجالوا في الجواب وتطاولوا في الخطاب
ووقعوا في كلمات الخطا والصواب ثم تم الحال بالحال من عدم جواب الانفصال فقال الامام
من فتح رباني وفيض الهي للسايل يا هذا ان كنت تريد انك معرفته بكنه حقيقته فلا
اعرفها وهو المراد بقوله ولا يحيطون به علما وليست هذه المعرفة المكلف بها وان اردت
معرفته بذاته وصفاته فانا اعرفه وهو المطلوب من معرفة المعبود فرضي القوم كلهم وضج المجلس
وارتفعت الاصوات بالدعا للامام ابي حنيفة رضي الله عنه وارضاه وقال الحسن البصري
رضي الله عنه ان عاش هذا الشاب فاق الناس وكان كذلك وحاصل جواب هذا
السوال ان اطلاق الفكر وهذه التهويلات الامر ايسر منه حيث في كتاب الله تعالي وسنة
رسوله صلي الله عليه وسلم ما يزيل هذه المشقة ويبين الطريقة المحققة بما اوردناه في معرفة
النفس واسندنا اليه بكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم فان طرق معرفة النفس
اكثر من ان تحصي وما ذكرنا يغني عما لم يذكر والمسترشد يكتفي بالاشارة وما يقتضيه
ظاهر العبارة والله خالق قدرة الطاعة يلهم الصواب ويرفع عن قلوب المسترشدين من
الغفلة ظلمات الحجاب فهو ولي ذلك والقادر عليه وميسر الخير وداعي اليه وورا
ما ذكرناه في هذه السطور للصوفية مجالات وذكر مراتب وحالات يضيق علي باب
الاستقصا ذكرها ويظهر علي العارف بها نورها وبشرها في ارتقا مقامات السلوك من جمع
مفترق واستمداد ممن له قدرة التوصل بفضل الله الي هذا السداد وهذه مهمة فيها لا يكاد

الخاطر يسمح بولوجها من المفاوز الدركة والعقبات التي هي لمن لم تشمله العناية مهلكة
واعلم ارشدك الله تعالي انني رايت في كتاب التبصرة تفسير الامام الجليل ابي العباس
الدواني في قوله تعالي الله يتوفي الانفس حين موتها قال اي الارواح قالوا لكل انسان
نفسان نفس الحيوة وهي التي تفارق بالموت ونفس التمييز وهي التي تفارق عند
النوم وتبقي نفس الحيوة قال بعضهم ان في الاية دليلا علي ان النوم اخو الموت
وزعم اخرون ان المتوفي ثقيل النوم والنوم خفيف الموت وعن ابن عباس
وابن جريج في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس نفس وهي التي بها التمييز
وروح وهي التي بها التحريك فاذا نام ابن ادم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه فعند
الموت يقبض نفسه وروحه جميعا وعن علي رضي الله عنه تخرج الروح عند النوم ويبقي
شعاعها في الجسد فلذلك يري الرويا واذا انتبه رد الروح الي جسده باسرع
من لحظة وفي ذلك كفاية والله ولي الهداية والحمد لله وحده وصلي الله علي
من لا نبي بعده وعلي اله الكرام عليهم من الله السلام

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

نسخة مباركة ان شا الله تعالي يوخذ علي بركة الله وعونه وحسن توفيقه خولنجان
عقاذي حب هال عرق جهم ثمين فيل بزرجرجير زرنب لسان عصفور
بسباسه عرق جناح حبه سودا شمر يانسون زنجبيل بلوه
عرق ذهب كبابه قرنفل قرفه لف عود قرح لبان ذكر فلفل ابيض
بزرنجل مغاث عراقي تغت بزدي جوزه طيب تدق الجوامع
ويوخذ بقدر ما يلتوا فيه عسل نحل يغلي علي النار وينزع رغوته وينزل الي
الارض ويوضع فيه الجوامع المذكوره فيعقد علي الارض ويرفع عند الحاجه فيتناول
منه عند الفطر او عند النوم ولا ياكل بعده شي واذا تناوله تحمي من الحوامض والملوحات

كتاب التنوير في اسقاط التدبير لتاج الدين ابي الفضل احمد بن محمد بن عبد الكريم بن
الشيخ الكامل عطاء الله الاسكندري الاسكندراني المالكي الشاذلي امام عصره في جميع الفنون
المتوفى بمصر في جمادى الاخرة سنة تسع وسبعمائة
وكان اعجوبة زمانه في التصوف

ليس بكتاب التنوير في اسقاط التدبير فليحقق

112



بسم الله الرحمن الرحيم

111

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم يا حكيم

الحمد لله العظيم شانه القوي سلطانه الظاهر
احسانه الباهر برهانه المحتجب بالعظمة والجلال المتفرد
بالكبرياء والكمال لا يتصوره وهم ولا خيال ولا يحصره حد ولا مثال
فسبحان من عرفت معرفته لولا تعريفه لا يزال برهان عرفه في ارضه
وسمايه ما زال والصلوة التامه الدايمه على خيرته من خلقه محمد القايم بحقه
وعلى خير صحابة وخير ال والتابعين لهم باحسان ما تعاقب الجديدان
ورضي الله تعالى عن السادة الكمل الابطال والانجاب القادة اولي الكسب والاحوال
اما بعد فقد الفت هذا التاليف في مكة شرفها الله تعالى ثم اسندته كتبته
بمدينة دمشق ذكرت فيه فوايد حتى اذا طالعه المريد الصادق ونبهه الله تعالى
من رقدة الغفلة عرف ان المتلوث لا يصلح للحضرة القدسية ولا للحضرة
الربانية فليشتغل بطهارة الظاهر والباطن ولينتبه ويعلم ان الله تعالى
يطلبه بموافقة الطاعة ويمنعه عن المخالفه فيناديه بلسان الحال يا بن
ادم انا بدك اللازم فالزم بدك انا كافيك عن كل شي ولا يكفيك عني شي فيقوم
في طلب النجاة فيقول يا غياث المستغيثين اغثني فيحمله ذلك على سلوك طريق
التحقيق والبلوغ الى عالم اليقين والوصال الى حضرة الاله المنزه عن الاتصال
والانفصال والقرب من الله تعالى والانس به والجلوس معه انا جليس
من ذكرني فان قيل ما معنى السلوك والوصول فيقال السلوك عبارة
عن تهذيب الاخلاق ليستعد للوصول ومعنى الاتصال بالحق انقطاع
عما دون الحق وادنى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالى بعين القلب وان
كان من بعيد فاذا رفع الحجاب عن قلبه وتجلى له فيقال انه الان واصل ثم لا يزال
يزداد الوصال على قدره ودوام المشاهدات الى ان يحصل الانس به تعالى والبسط
وغير ذلك من المقامات العالية وليس المراد من الاتصال اتصال الذات بالذات
لان ذلك انما يكون بين الجسمين وهذا التوهم في حق الله تعالى كفر بل بمقدار انقطاعهم

عن

عن غير الحق اتصالهم بالحق فان قيل ما الدليل على كينونة الوصال كيف الطريق
الى الله تعالى يقال الطريق له بداية ونهاية سيل الجنيد رحمه الله تعالى عن النهاية
فقال الرجوع الى البداية وقال بعضهم اراد الرجوع الى الله تعالى لان الله تعالى اول كل شي
ومبداه ومرجع كل شي ومنتهاه قال الله تعالى اليه يرجع الامر كله وقال تعالى
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي واليه ترجعون فمنه المبدا واليه المنتهى
قال تعالى وان الى ربك المنتهى وله معنى اخر وهو ان نهاية المريد وغايته
ان يبلغ الى حال بدايته حيث خلقه الله وصوره في بطن امه ونفخ فيه الروح وانه
في تلك الحال كان في غاية الفقر والحاجة الى الله تعالى وفي غاية التوكل على الله تعالى
ولا حافظ له ولا مربي في تلك الحال الا الله وانه في تلك الحالة في غاية الضعف والعجز
والتواضع والتذلل والخضوع لله تعالى وانه كان في غاية الصفا من الحقد والحسد
والكبر والعجب والهوى وساير الصفات الذميمة والذنوب كلها وكل ذلك كمال
الصبي وبذلك الاحوال يبلغ العبد درجة الحرية والحرية نهاية العبودية فهي
بداية العبد عند ابتدا خلقته فافهم فانه بعيد الغور واما الطريقة فهي لباب
الشريعة ولا هي غير الشريعة وبداية الطريقة الاخذ بالاحسن الاحب والاحتياط
في احكام الشرع والاجتناب عن الرخص والتسهيلات ثم في الطريقة منازل ومقامات
ولكل منزل ومقام بداية ونهاية ولا يصل احد الى النهاية الا بتصحيح البداية فصل قال
ابو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى لا يصل احد الى النهاية الا بتصحيح البداية وقال
بعضهم انما حرموا الوصول بتضييع الاصول وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله تعالى
انما حرموا الوصول وهي الحقيقة لتضييعهم الاصول وهي الطريقة وقال الجنيد رحمه الله تعالى
اصولهم خمس خلال صيام النهار وقيام الليل واخلاص العمل والاشراف على الاعمال
بطول الرعاية والتوكل على الله تعالى في كل حال وقال التستري رحمه الله تعالى
اصولنا سبعة اشيا التمسك بكتاب الله تعالى والاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم
واكل الحلال وكف الاذا واجتناب الاثام والتوبة واد الحقوق فصل في علوم
الصوفية اعلم ان علوم الصوفية الاحوال والاحوال مواريث الاعمال ولا يرث
الاحوال الا من صحح الاعمال ولهذا قالوا الاوراد لمن لا ورد له وقال ابو سليمان رحمه الله تعالى

كل عمل لا ميراث له في الدنيا لا جزاء عليه في الآخرة وتصحيح الاعمال بمعرفة علومها
وهو علم الفقه من الصلوة والصيام وساير الفرايض والسنن الراتبة فاول ما يجب
على العبد بعد علم المعرفة والتوحيد الاجتهاد في طلب هذا العلم على قدر ما امكنه على
طريق الكتاب والسنة واجماع السلف الصالح كما قال بعضهم العمل بغير علم سقيم
والعلم بغير عمل عقيم والعمل بالعمل بالعلم صراط مستقيم ولهذا فرض طلب العلم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفي بعض
الروايات اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة والعلم الذي فرض
طلبه هو الذي يصح به اعتقاده وايمانه وتوحيده وعمله ومعرفته وما لا يسعه
جهله وكل علم لا يكون طريقه التوحيد فهو باطل فمن صح له العلم الراجح صح له
التوحيد الحق ووجب عليه عبوديته والواجب عليه قد يكون في ظاهره
كاعمال الجوارح وقد يكون في باطنه كاعمال القلوب باب هذا العلم
الراجح الذي به تصح معارفه وعمله الصالح هو في كتاب الله تعالى فان القران هو الامام في
الاعتقاد والايمان والتوحيد والمعرفة والاعمال والاحوال قال الله تعالى والذي اوحينا
اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه وقال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من
ربكم وكذلك الاخبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به
لن تضلوا كتاب الله وعترتي ومن لم يبلغ هذه الرتبة فلا بد له من شيخ كامل يدله
على الطريق ويرشده الى الله تعالى وكذلك قالوا من لا شيخ له فالشيطان شيخه
فالشيخ يدله على المجاهدة والرياضة والزهد والتقوى وكيف ما كان لا بد من سراج
العلم ومشعل المعلم كي لا يتخبط في الطريق فيخرج ساخطا غالطا فان بنور العلم ضيا
القلب وبذهابه عماه قال الله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل
سبيلا قال ابو علي الروذباري رحمه الله تعالى كان استاذي في التصوف الجنيد وكان
استاذي في الفقه ابو العباس بن شريح وكان استاذي في النحو واللغة ثعلب
وكان استاذي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ابراهيم الحربي يعني لا بد من كل
ذلك في استكمال النفس فصل الصوفية راوا طلب العلم افضل الاعمال
لتوقفها عليه فان الجاهل قد يعتقد ما ليس بقربة كبدع المبتدعة باحوالهم

نحو

116 نحو حلق اللحا والتطوق باطواق الحديد وغير ذلك مما اخترعته الجهلة فلا
يقبل الله تعالى من العمل الا ما كان صوابا خالصا فالصواب ما كان على وفق
الشريعة المطهرة والخالص ما اريد به وجه الله تعالى قال الله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واجمعوا على ان جميع ما فرض الله تعالى
لازم وحتم واجب لا يجوز التخلف عنه ولا يسع فيه التفريط لاحد من الناس
من صديق وولي وعارف وان بلغ اقصى المراتب واعلى الدرجات وانه لا مقام
للعبد يسقط اداب الشريعة فان من العلوم بالضرورة ان اقرب الناس
الى الله تعالى انبياؤه ورسله عليهم الصلوة والسلام ولم يرتفع عنهم التكليف
اجماعا مع بلوغهم الرتبة العالية فمن دونهم اولى بذلك بل كلما ازداد القرب كانت
المطالبة باداء اداب الشريعة والمعاتبة على تركها اكثر فعلم بذلك ان صحة
العمل بصحة العلم ولهذا قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى اجتنب صحبة
ثلاثة اصناف من الناس الجبابرة الغافلون والقرا المداهنون والمتصوفة الجاهلون
باب في علوم الشريعة اصول وفروع فالاصول اصول الدين مثل
التوحيد والمعرفة والايمان والايقان والفروع هي الاعمال والطاعات والاحوال
والمقامات اي فروع هذه الاصول وزياداتها واقسام العلوم اربعة الاول
علم الرواية والاخبار والاثار وهو العلم الذي تنقله الثقات عن الثقات
والقسم الثاني علم الدراية وهو علم الفقه والاحكام المتداول بين العلماء والفقهاء
والقسم الثالث علم النظر والاستدلال على المخالفين واثبات الحجة على
اهل البدع والضلال ونصرة الدين والقسم الرابع وهو اعلاها واشرفها
علم الحقايق والمنازلات والاحوال وعلم المعاملة والاخلاص في الطاعة والتوجه الى
الله تعالى من جميع الجهات فمن غلط في علم الحقايق والاحوال فلا يسال عن غلطه
الا عالما يفهم كاملا في معناه فهذه العلوم كلها توجد في اهل الحقايق من
الصوفية ولا توجد علوم الحقايق في غير اهلها لان علم الحقايق ثمرة العلوم كلها
وغاية جميع العلوم الى علم الحقايق فاذا انتهى اليها وقع في بحر لا ساحل له وهو علم
القلوب وعلم المعارف وعلم الاسرار فاذا اجتمعت هذه الاقسام الاربعة في

واحد فهو الامام الكامل وهو القطب وهو الحجة والداعي الي المنهج والمحجة قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يزال طايفة من امتي قايمين علي الحق لا يضرهم من
خذلهم ولا من خالفهم حتي ياتي امر الله وهم علي ذلك وقال علي رضي الله عنه
لكميل بن زياد اللهم بلي لا تخلوا الارض من قايم لله بحجته لئلا تبطل اياته وتدحض
حججه اوليك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا فصل ليس لاحد ان يزعم انه
يحوي جميع العلوم فيخطي برايه كلام المخصوصين بذلك ويزندقهم وهو غير ممارس
احوالهم وغير مناز لحقايقهم ولعالمهم قال الله تعالي بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه وقال تعالي واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وذلك لان
الله تعالي خص النبي صلي الله عليه وسلم بعلوم ثلاثة علم بين للخاصة والعامة وهو
علم الحدود والامر والنهي وعلم خص به بعض الصحابة دون غيرهم وهو الذي
كان يعلمه حذيفة بن اليمان صاحب السر وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال علمني رسول الله صلي الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك
احد غيري وعلم خص به رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يشاركه فيه احد من اصحابه
وهو العلم الذي قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم
بالنسا ولا تقاردتم علي فرشكم ولخرجتم الي الصعدات تجارون الي الله تعالي
والله لوددت اني لو كنت شجرة تعضد فعلي هذا يجب علي القايل والسامع
مراعاة الكلام في المخاطبات فالذي يجب علي القايل ان لا يطلق اللفظ المبهم
الموهم الا اذا فهمه السامع والذي يجب علي السامع بان لا يبادر الي تخطية القايل
عند سماعه بل يحسن الظن به ويحمل عدم ظهور الحق علي قصور فهمه باب
لا بد للمريد من شيخ كامل يقتدي به لانه رفيق في الطريق وليعلم ان لهذا
الشان محكا ومعيارا وهو القران والاخبار واجماع الامة المسلمة فما وافق
المعيار وخرج عن المحك سالما من الغش فهو صحيح وما خالف ذلك فهو فاسد
باطل قال الله تعالي يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال
تعالي يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وروي الغزالي رحمه الله تعالي

في الاحيا

في الاحيا ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الشيخ في قومه كالنبي في امته
ثم قال ليس ذلك بكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا بزيادة قوته بل لزيادة تجربته
التي هي ثمرة عقله وكذلك نري اخلاق الخلق يوقرون المشايخ بالطبع فضلا عن الطاف
الناس فالشيخ هو الذي سلك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك فيرشد المريد
ويشير عليه بما ينفعه وما يضره فلا يكون الشيخ وصحبته اقل من الجليس الصالح
قال رسول صلي الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح كمثل العطار ان لم يحذك من عطره
عبق بك ريحه ومثل الجليس السو كمثل القين ان لم تحرقك ناره عبق بك دخانه وريحه
فصل اذا وصل المريد الي الشيخ يحتاط ويجتهد في معرفة الشيخ انه هل يصلح
شيخا ويجوز الاقتدا به فان اكثر الطالبين هلكوا في هذا المنزل بل هلاك عموم
كان بالاقتدا بالايمة الضالة المضلة قال الله تعالي وقال الشيطان لما
قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والسلطان هو سلطان
الحق وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يعجبنكم اسلام رجل حتي تعلموا ما عقدة
عقله وطريق معرفته ان يعلم المريد ان جميع الانبيا عليهم السلام متابعتهم فرض
لازم وحق صواب لا سيما نبينا صلي الله عليه وسلم خاتم الانبيا ودينهم في الاصول
واحد اعني معرفة الله تعالي ومعرفة صفاته عز وجل ومعرفة الرسل والكتب
والملايكة وامور الاخرة لا ينسخ الخلاف والنسخ وانما النسخ في الاحكام ثم يعلم ان
اختلاف الايمة في فروع الاسلام لا باس به بل هو رحمة ولكل مجتهد نصيب يعني
لو اخطا في اصابة الحق يستحق من الثواب كفلا وان اصاب يستحق كفلين كما في الخبر واما
المخطي في الاصول فضال مبتدع عاص وطريق نجاته من البدعة متابعة الكتاب
والسنة واجماع الامة في معرفة ذات الله تعالي وصفاته جل علا فان وجد الشيخ
علي هذا المذهب يبحث بعد ذلك عن علمه بالطريقة والحقيقة فان كان مبتديا
يعرف ذلك من افواه الناس ومن احوال الجماعة الذين يقتدون به ويحبونه ولا
ينكرونه عليه فان علم انه لا ينكر عليه علما زمانه ورايي بعض العلما يقتدون به وكبار الناس
من الشيوخ والشبان يبايعونه ويرجعون اليه في طلب الطريقة والحقيقة يعلم انه

الناس ع

فصل

ما صرف ذلك والاقتدا به ان قبله الشيخ عين المصلحة فيقتدي به وينقاد له
فيما يامره من معاملات الطريقة ويعتقد في قلبه ان لا شيخ غيره ولا يوصله الي الله تعالى
الا هذا وهذا توحيد المطلب وانه ركن عظيم فيه كثير من المريدين وانقطعوا به من
طريق الله تعالي حيث تردد وابين المشايخ وذاقوا من طريق كل واحد ذوقة وتشوشوا
فيه مسلة المراد من توحيد المطلب ان يتحقق الطالب انه لا يمكنه الوصول
الي مطلوبه الا من يد شيخ معين موصوف بما ذكرنا فان من تشعبت همومه
تفرق قلبه قال الله تعالي وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم طوبي لمن جعل الله
همومه هما واحدا فان من تشعبت به همومه لا يبالي الله في اي الاودية
اهلكه فكما ان الحق واحد والقبلة واحده ينبغي ان يكون المطلب واحدا
لئلا ينصرف فيه الشيطان ولا يزعجن النفس مسله ينبغي ان يكون
المريد صادقا مخلصا اما الصدق فان يكون مستقيما مع الله تعالي ظاهرا وباطنا
سرا وعلنا وان يكون بجميع اطواره طالبا لله تعالي يعني بدنه ونفسه
وقلبه وعقله وسره وروحه واما الاخلاص فان يكون جميع حركاته وسكناته
وقيامه وقعوده وتقلباته وافعاله واقواله لله تعالي فبهذا الطريق يرجي له معرفة
وصفاته وذلك بالتوحيد عن ابي الدردا رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه
قال يقول الله تعالي من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني وفيه
رجا عظيم للطالبين بوجدان الحق سبحانه لانه اضاف الطلب والوجدان الي
ذاته ولكن الشرط الصدق في الطلب مع كمال الارادة واخلاص الطلب عن
شايبة طلب الغير حتي يكون في طلبه صادقا مخلصا موحدا والتوحيد عند
الصوفية ان لا يذكر شيا الا الله تعالي ولا يعلم شيا الا هو ولا يحب الا اياه
فيحب ذاته لذاته ويرجوا ذاته لذاته ويذكر ذاته لذاته ويشكر ذاته لذاته
ويخاف ذاته لذاته ويرجوا ذاته لذاته وعلي هذا الترتيب هو التوحيد عندهم
مسلة فان قيل قال الله تعالي يرجون رحمته ويخافون عذابه الجواب
هذا في وصف المومنين دون الانبيا والاوليا وقال في وصفهم الذين يبلغون

رسالات

116

رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وقال تعالي يحبهم
ويحبونه وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اني اعوذ بك وكل ذلك
في القران والاخبار موكدا لمقالة هولا الايمة الصوفيه فافهم ترشد ولما
شرايط الشيخ فنذكر في بابه ان شا الله تعالي باب اذا صدقت ارادة
الطالب واشتد شوقه الي سلوك الطريق يطلب شيخا ليعلمه الذكر ويامره
بمواظبته حتي تنفذ حرارة الذكر في وجوده ان شا الله تعالي ويجعله مستعدا
لاخذ التلقين ويلبسه خرقة التشبه بالصوفيه الي ان يجعله الله تعالي
اهلا للبس خرقة التصوف ثم علي المريد ان يداوم علي اهم الاذكار والاهم للمبتدي
قول لا اله الا الله فيداوم علي الذكر القوي الخفي بشرط النفي والاثبات بحيث
ينفي بلا اله جميع الخواطر خيرا كان او شرا ويثبت بالا الله محبة الله في قلبه
فيكون قد نفي بلا اله ما يستحيل ان يكون الها واثبت بالا الله ما يستحيل فقده
عن الالوهية ويحضر شيخه بقلبه في كل ذكر عند صدره ويقول في نفسه ان روحانية
الشيخ حاضر عندي ممد لي فاذا كوشف بشي في اثنا الذكر وخلال الخلوة يتجلي
ويتجلي له الصور الحسنة او القبيحة فلا يلتفت اليها ولا الي البروق واللوامع ولا
الي الالوان المنوره ويعلم يقينا ان النور الحقيقي منزه عن ان يكون مكونا ومشكلا
ومتحيزا في جهة من الجهات وكل ما كان من قبيل الخيال فيتبدل في الحال فيقول
كما قال الخليل عليه الصلوة والسلام اني لا احب الافلين وان ثبت فله حقيقة في عالم
المعني يتجلي عليه في عالم المثال فينبغي ان لا ياخذ نفسه ان يانس به لان الله تعالي
خلق في هذا الطريق سبعين الف حجاب من نور وظلمة وجعلها استار الكعبة الاسرار
عزته وا اشار الي هذا السر خلاصة الوجود صلي الله عليه وسلم بقوله ان لله سبعين
الف حجاب من نور وظلمة وهي هذه الانوار الروحانية والظلم الجسمانيه باب
رفع الحجاب الظلماني اسهل علي السالك من رفع الحجاب النوراني لان النفس الزاكية
تهرب بالطبع من الظلمة وتانس بالنور وفي هذه الحجب السبعين الف عشرة
الاف حجاب ظلمانيه مستكنة في اللطيفة القالبيه ولونها كدر فاذا اشتغل بالذكر
واشتعلت نيرانه يشاهد تلك الظلمات المطبقة بعضها فوق بعض فاذا صلح

الارادة الصادقة ولبس الخرقة

في التصوف

الوجود صفا وابيض مثل المزن الابيض ومنها عشرة الاف كامنة في اللطيفة
النفسيه ولونها ازرق وفيضان النفس علي الوجود وترتيبه منها فان صفيت وزكت
افاضت عليه الخير فينبت منه الخير وان افاضت عليه الشر فكذلك ينبت
منه الشر ومنها عشرة الاف مودوعة في اللطيفة القلبيه ولونها احمر
مثل لون النار الصافيه ان لم تكن لقمانه حظوظيه والا فمعها دخان ولا يكون لها
في الصعود سرعة ومنها عشرة الاف مكنونة في اللطيفة السريه ولونها
ابيض مثل الزجاجة البيضا الصافيه التي وقعت عليها الشمس ومنها عشرة
الاف مودعة في اللطيفة الروحيه ولونها اصفر في غاية الصفار ومنها عشرة
الاف مدرجة في اللطيفة الخفيه ولونها مثل لون السجنجل الصقل مثل سواد
العين في حدقة سويدا الانسان وفي هذا المقام تصل اللطيفة الانانية الحضرية
الي ينبوع الحياة ومنها عشرة الاف موجودة في اللطيفة الحقيقيه التي قامت بها هذه
اللطايف ولونها الخضر مما تقر به الاعين وتفرح به القلوب وهو لون جبوة القلب ثم
ينبغي بعده لون العقيق قال الشيخ نجم الدين الكبري رحمه تعالي من اتصف به حمله علي
فعل ما يجب ان يوجد ويمنعه عن فعل ما يجب عدمه شا صاحبه ام ابا لا ياتي
عليه كما لا ياتي علي الروح اذا احترزت من النار وهذا اللون انما يظهر باليسر
بعد العسر وهو عسر المجاهده فصل ومن وراء هذه الاستار تظهر انوار
اللطايف السبع فيشاهد في اللطيفة القالبية الجن وفي اللطيفة النفسيه
يشاهد الجحيم وفي اللطيفة القلبيه يشاهد الجنة وفي السريه يشاهد
وفي اللطيفة الروحيه يشاهد الاوليا وفي اللطيفة الخفيه يشاهد
الانبيا وفي اللطيفة الحقيقيه يشاهد نبينا محمدا صلي الله عليه وسلم ثم
يتجلي نور الانوار ويهلك في نوره جميع الانوار وينتهي السلوك في هذا المقام
ويتبدل السير بالجذبة الجليه ولا يمكن السلوك في هذا الطريق الا بالجذبة الخفيه
ولا يمكن الوصول الي الله الا بالجذبة الجليه ولا يتشرف احد بالجذبة الا بمتابعة النبي
صلي الله عليه وسلم والجذبة الجليه مدرجة في قوله تعالي يحبهم والجذبة الخفيه مودعة
في قوله تعالي ويحبونه فاذا احب الله تعالي عبدا وتقرب اليه بالنوافل بالجذبة

اللطيفة

الخفيه فيجد الله تعالي ويجذبه اليه بالجذبة الجليه ويطلعه علي سر محبته
اياه وهذا سر ذوقي من لم يذق لم يدر فاذا عمل المريد الصادق ذلك العمل مع الشرايط
المذكوره اربعين يوما مستمرا يفتح عليه له ابواب المكاشفات فاول ذلك
مشاهدة الانوار الروحانيه والكواكب الروحانيه ثم مشاهدة الملائكة ثم
مشاهدة الصفات فيفيض اليه بواسطتها بعض الحقايق وذلك في البداية الي
ان تعلو درجته عن المثال فيكافح بصريح الحق في كل شي فاذا رد الي هذا العالم المجازي
الذي هو كالضلال نظر الي الخلق نظر مترحم لحرمانهم عن جمال الحضرة القدسيه ويتعجب
من قناعتهم بالضلال وانخداعهم بعالم الغرور فيكون معهم حاضرا بشخصه غايبا
بقلبه يتعجب هو من حضوره وهم يتعجبون من غيبته فهذه ثمرة الذكر واول الذكر
ذكر اللسان ثم ذكر القلب ثم استيلا المذكور وانمحا الذكر وذلك نتايج الاعمال الصالحه
والاحوال السنية وهذا في النهايات بصحة البدايات باب تصحيح البداية
التي لحظها استاد الطريقة ابو القاسم الجنيد رضي الله تعالي عنه وهي اقرب الطرق
الي حصول المقصود وله ثمان شرايط اولها دوام الطهارة ودوام الصوم ودوام السكوت
ودوام الخلوة ودوام الذكر وهو قول لا اله الا الله ودوام نفي الخواطر ودوام ربط القلب بالشيخ
واستفادة علم الواقعات منه حتي تصرفه في تصرف الشيخ ودوام ترك الاعتراض علي يعني
الله تعالي في كل ما يرد عليه منه ضرا كان او نفعا وترك السوال له الجنه او تعوذ من نار
وانما يقوم بذلك من وفقه الله تعالي فنظر وتفكر فيما هو الاهم له فيعلم ان الاهم له هو الله تعالي
فينسكب في قلبه ارادة الله تعالي ومحبته فيعرض عن الكون ويقبل علي المكون والمكون
هو الله تعالي ويرجع من طريق البعد الي القرب ومن الكسل والبطالة الي الجد والاجتهاد
كما قال التستري رحمه الله تعالي ورضي عنه الهجرة فرض الي يوم القيمة من الجهل
الي العلم ومن النسيان الي الذكر ومن المعصية الي الطاعة ومن الاصرار الي التوبة
باب الشرط الاول وهو دوام الوضو ولا يمكث علي الحدث سويعة فاذا
لم يجد الما يتيمم حتي يجد الما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الوضو سلاح المومن
والوضو علي الوضو نور علي نور وروي الغزالي رحمه الله تعالي في الاحيا ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال بني الدين علي النظافة وقال صلي الله عليه وسلم

مفتاح الصلوة الطهور وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان قال
رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين ولا يتكلم ولا يشرب ولا ينام الا
على طهارة كاملة ليحصل بركة طهارة الظاهر طهارة الباطن وسلامة الصدر اذ لا
يوذن بالدخول في الحضرة الصمدية الا من اتى الله بقلب سليم ومن لم يطهر ظاهره على
قانون الشريعة لا يمكنه ان يطهر باطنه بادلب الطريقة لان الظاهر عنوان الباطن
فاذا داوم على الطهارة اوشك ان تتلالا فيه الانوار الربانيه من طريق العكس ثم
ينعكس منه الى مراة الخيال فيشاهد ذلك بعين قلبه فيرا في الظلمات ما لم يكن يرا
قبل ذلك باب الشرط الثاني دوام الصوم وتقليل الغذا عند الافطار بحيث
لا يضر به الجوع ولا يثقله الشبع ويجتنب كلا الطرفين المذمومين الافراط والتفريط قال
الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين والتقليل اذا كان مقرونا
بنية الصوم كان احسن فان الصوم قد اختص به الله تعالى بفضله وامتاز به عن ساير
اركان الاسلام والعبادات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الحسنة
بعشر امثالها الى سبعماية ضعف الا الصوم فانه لي وانا اجزي به ولخلوف فم الصايم
اطيب عند الله من ريح المسك وقال صلى الله عليه وسلم الصوم جنة ولا بد للمجاهد
مع النفس والشيطان من جنة لا تصيبه سهام ابليس ما ملى ابن ادم وعاء شرا من بطن ادمي
بحسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه وقال عيسى عليه السلام للحواريين اجيعوا
بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم قال الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه الاحيا اعلم ان
المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوسطها وكلا طرفي
قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب
وهيهات ولكن من اسرار الله تعالى حكمة في الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى
وكان فيه فساد جا الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى
ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط
لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا
والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد

فيعلم انه منتهى الى الغاية فان اشرف مشرف في مضادة الطبع كان في الشرع ما
يدل على اساءته فالافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا
يحس بالم الجوع فان المقصود بالاكل بقا الحيوة وقوة العبادة وثقل المعدة تمنع من العباده والم
الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقا للاكل فيه اثر ليكون متشبها
بالملايكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام والم الجوع باب الشرط الثالث دوام السكوت
الا عن ذكر الله تعالى مما لا يعنيه قولا وفعلا وفكرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم وقال علي رضي الله عنه الخير
كله مجموع في اربعة الصمت والنطق والنظر والحركة فكل نطق لا يكون في ذكر الله تعالى فهو
لغو وكل صمت لا يكون في فكر فهو سهو وكل نظر لا يكون في عبرة فهو غفلة وكل حركة لا تكون
في تعبد الله تعالى فهي فترة فرحم الله عبدا جعل نطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة وحركته
تعبدا ويسلم الناس من لسانه ويده ويتخلص بالسكوت عن الكذب والنفاق قال
الله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ولما اراد الله تعالى ان يتكلم عيسى بن مريم
طفلا صغيرا امر امه مريم بالسكوت فقال تعالى فقولي اني نذرت للرحمن صوما
فلن اكلم اليوم انسيا فنطق عيسى وهو طفل فلا يبعد انك اذا سكت عن فضول الكلام
سمعت كلام القلب الذي هو طفل الطريق مع الله تعالى وفي الجملة اذا نطق اللسان
سكت القلب واستمع واذا سكت اللسان نطق القلب باب الشرط الرابع دوام
الخلوة وهو حبس الحواس الظاهرة لفتح حواس القلب حتى يشاهد في اليقظة ما يشاهد
غيره في النوم وسد طرق الحواس شرط لفتح حواس القلب الا ترى انك لا ترى شيا
في اليقظة فاذا نمت رايت اشياء كثيرة كذلك اذا اسددت عليك في اليقظة طرق
الحواس انفتحت عليك حواس الغيب ولهذا السر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حبب اليه الخلا فكان يتحنث في غار حرا اسبوعا واسبوعين وروى جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم جاور في حرا شهرا فلا يخرج من خلوته
لازالة قبض ولا لسامة وملالة ولا لداعية من دواعي الهوى بل يكون خروجه عن ضرورة
في الدين كالوضو وصلوة الجماعة والجمعة وبيت الخلوة يكون صغيرا بقدر ما يصلى فيه

وبتروح في وقت الذكر في بيت مظلم لا يدخله شعاع الشمس ولا ضوء النهار فصل
ينبغي ان يكون المتخلي شجاعا مقداما لا يبالي ببذل مهجته قويا ولا يكون جبانا
خوارا ضعيفا ويكون زاهدا في كل ما سوى مطلوبه عاشقا بمن توجه اليه ثابتا غير
طايش ساكنا قلبه مطمينة نفسه طيبة روحه طاهرا طبعه عن رق الشهوات
مربا قلبه بالتقوى وعقله بالايمان عامرا جوارحه بالطاعة مشرحا صدره بنور
الاسلام وانفاسه بانوار الصدق والاخلاص اوليك الذين هداهم الله واوليك هم
اولوا الالباب ويكون متصفا بهذه الاخلاق وهي الاداب والتواضع والذل والانكسار
والمسكنة والخضوع والخشوع ويروض نفسه الى ان يعتاد بهذه الاخلاق فان [illegible]
عادة ويكون معرضا عن حب الدنيا وحب الجاه والمال ويرتاض رياضة من قلة الاكل وطول
الصمت وكثرة الصوم والصلوة والصدقة والصبر والشكر والتوكل واليقين والسخاء والقناعة
والامانة والسكون والثاني ان يكون ثيابه وغذاوه من وجه حلال لا يرى به
الشيطان بالوسوسة وان يقدم قبل دخول الخلوة رياضة وعزلة عن الخلق من
قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام وقلة الاختلاط مع الانام وقلة شرب الما ولا
يكثر من اكل اللحم بل في كل الاسبوع مرة او مرتين كل مرة بوزن خمسين درهما وهي اوقية
واحدة فان هذا المقدار اجازه الشيوخ لضعف المبتدي وبصغر اللقمة ويمضغ مضغا
قويا مع حضور القلب في دوام الذكر ويأكل الغذا الخفيف الموافق للطبع البطي الهضم
واما ادب الاكل في اوان العزلة والخلوة فهو ان ياخذ اللقمة فيسمي الله تعالى عليها فاذا
جعلها في فمه يكثر مضغها جدا فاذا ابتلعها حمد الله تعالى الذي سوغها في حلقه
حتى اذا استقرت في المعدة ياخذ لقمة اخرى ويفعل بها مثل الاولى هكذا الى ان
ينتهي الى القدر الذي فيه غذاوه وكذلك شرب الما يمص مصا ويقطع نفسه ثلث
مرات قايلا في اول النفس بسم الله وفي اخره الحمد لله كما ورد في السنة الشريفة قال بعض الاولياء
رضي الله عنهم جربنا العطش فوجدناه من الشهوات الكاذبة فمن يعود نفسه بقلة شرب
الما عند العطش يدفع الله عنه شهوة الما حتى يمضي عليه شهور كثيرة لا يشرب
فيها ما ولا يشتهيه ولا يوثر في مزاجه وبدنه وتقنع الطبيعة بما تستمد من الرطوبات
التي في الغذا قال الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين

لتندفع ظلمة شرة الطعام بنور الذكر

باب

باب استحباب العزلة عند فساد الزمان والخوف من فتنة في الدين ووقوع في
حرام وشبهات ونحوها قال الله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين
وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي رواه مسلم والمراد بالغني غني النفس
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قال رجل اي الناس افضل يا رسول الله
قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قال ثم من قال رجل معتزل في
شعب من الشعاب يعبد ربه وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره متفق عليه
وعن ابي سعيد ايضا رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك
ان يكون خير مال الرجل المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن
رواه البخاري وشعف الجبال اعلاها وعن عايشة رضي الله عنها قالت اول ما بدي
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة في النوم فكان لا يرى رويا الا جات
مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد
الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود
لمثلها حتى جاه الحق وهو في غار حرا فجاه الملك فقال اقرا قال فقلت ما انا بقاري قال فاخذني
فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني فغطني
الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه
الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا ابشر
فوالله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق قال اهل الله تعالى فاذا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تحققه بهذه الصفات الحميدة وعصمة الله تعالى
له عن هذه الافات لم يامن على نفسه فكيف يصح لاحد ان يطمع في الدخول الى الله تعالى
والاخذ عنه ولم يعمل الخلوة والاربعينيات مع ملابسته للاخلاق الذميمة بل الذي
ينبغي لمن اراد ان يكون عند الله تعالى كريما ومن غوايل الشيطان سليما ان لا يخلو

الاوصاف

يخلوا عن الاتصاف بهذه الصفات السنية التي ذكرتها هذه السيرة الجليلة التي
شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكمال وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم
اما الخلوة فمحمودة وهي الخلوة وهو شان الصالحين وعباد الله العارفين وقال
ابو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى حببت اليه العزلة صلى الله عليه وسلم لان
معها فراغ القلب وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مالوفات البشر ويخشع
قلبه ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم جاور في حرا على ما روى جابر رضي الله عنه فانفصل به
جبريل عليه السلام وما كان يعرفه فامره بالقراءة فقط دون الابلاغ والانذار الى
ان بالغ في الرياضة وزاد في مدة الخلوة فاستعد لامره وعظم شانه واستاهل للتبليغ
والانذار وترقا الى ذروة الكمال وذلك بعد ان تخلي ورغب عن مخالطة الاغيار واستبشع
ملاذ الدنيا ونعيمها وحبب اليه الخلوة ففارق الاهل والبلد وقنع بما يسد رمقه
ويسكن جوعه وداوم على التوجه الى حضرة الربوبية الى ان اغناه الله تعالى عن
طعام الخلق وشرابهم فقال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فايده الله تعالى بروح منه
واكرمه بانزال الوحي عليه فهذه هي السنة الالهية في هداية خواص عباده من
الانبيا والرسل عليهم الصلوة والسلام وتربية الطالبين لمتابعتهم وفي العوارف
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لياتين على الناس
زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق
الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قالوا ومتى ذلك يا رسول الله
قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة
قالوا وكيف يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال انه اذا كان ذلك الزمان كان هلاك
الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن له زوجة
ولا ولد فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة
فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده موارد الهلكة وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال خيركم بعد المايتين خفيف الحاذ قالوا وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل له
ولا ولد له ولا مال له قوله خفيف الحاذ يعني خفيف الحساب وقال الجنيد
رحمه الله تعالى من اراد ان يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس

فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة فصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من المومن الذي لا يخالط الناس ولا
يصبر على اذاهم هذا الخبر كما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعض الناس ما فهم
معناه فان معنى الخبر والله اعلم ان المومن الذي ارتاض نفسه بتهذيب الاخلاق
وتزكية النفس وتسكين الطبع ثم بعث الله تعالى اليه جبال الصبر وبحار الرضى
قال الله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين فحصل له الحلم والثبات
وكظم الغيظ واحتمال الاذى والوقار والمودة والاقتصاد في الامور والصبر والعفة
وسخا النفس ومسامحتها والقناعة والورع والمساعدة وترك الطمع وزال
عنه الحرص والغضب والكبر والعجب ورعونة الطبع والهوى فعند ذلك يمكنه
الصبر على اذاهم فاما من لم يبلغ هذا المبلغ وبقي في صفات نفسه واثار طبيعته
وهي السبعيه والفزاوه والذيابيه فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يقول لمن هذه صفته
انه يخالط الناس ويوذيهم ويغتابهم ويمزقهم بنزواته وخباثته فاجتنابه اياهم اولى
في ترك الهوى حتى يمكنك الجمع بين الظاهر والباطن ولا تقتصر على احد الجانبين
لتكون كاملا بالجمع بينهما كما قال سري السقطي رحمه الله تعالى ورضي عنه
الكامل من لا يطفي نور علمه نور ورعه فصل اعلم ان الشيوخ المسلكين
في تربية السالكين لهم طرق مختلفة وقد يكون ذلك بواسطة منع الخلوة وهذا
طريق الاكثرين من بعد الصحابة رضي الله عنهم اجمعين اما الصحابة رضي الله عنهم
فكانت فتوحاتهم من غير صنع خلوة بل من حضور مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم
وكان يحصل لهم من المعارف وغرايب العلوم بمجالسة لحظة مع النبي صلى الله عليه وسلم
ما لم يحصل لغيرهم بالخلوات الكثيرة وذلك ان الارادة كما قيل ترك العادة وكانت
عاداتهم رسوم الجاهلية فلما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى دين الاسلام انتزعوا
من عاداتهم ورسومهم الى المتابعة وحكموا النبي صلى الله عليه وسلم فيما بينهم على انفسهم
مسلمين لقضاياه من غير حرج فكتب الله في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه مع
مباشرة الاسباب والاكتساب المباحة والغزو ومع مخالطة الاهل والولد

وغيرهم فانه كانت همتهم مقصورة على المتابعة ونظرهم ملاحظة الرسول
صلى الله عليه وسلم اخذين ما اتاهم الرسول منتهين عما نهاهم وعنده صلى الله عليه وسلم
كل الفضايل والكرامات فلما راي ذلك منهم قابلهم بشمس قلبه فافاض على
قلوبهم بالحاظ نظره اليهم ما يسطع من سطوات غلبات انوار نبوته من معدن
الرساله وروي الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله تعالى انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صب الله شيا في صدري الا
وصببته في صدر ابي بكر فاستضات مصابيح قلوبهم بما افاض عليهم
فتنورت مشكات وجودهم متلالاة فاضمحلت ظلمات صفات بشريتهم
فصاروا زهادا عبادا علما حكما عارفين موحدين راسخين في العلم فلذلك
استضا من انوار بحار معارفهم من تبعهم باحسان رضي الله عنهم اجمعين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
فنظره صلى الله عليه وسلم كساهم هذه السعادة العظمى فاي خلوة توازي مجالسته
صلى الله عليه وسلم واي عقل لمن يختر ترك مجالسته واختار الخلوة وانما
فايدة الخلوة ان يجد المتخلي شيا مما وجده الصحابة في حضوره صلى الله عليه وسلم ولكن
من لم يدرك مجالسته المباركة ولم يتشرف بها رجع الى اصل فعله وهو الخلا اي
الخلوة والعزلة لتعرض نسمات نفحات الطاف ربه في ايام دهره قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وتعرضها
باداء الاوامر على اكمل الوجوه واحسنها وذلك لا يتيسر لمن تفرق قلبه وتشعبت
همومه فيحتاج الى العزلة والخلوة لتزول تفرقته ويجتمع قلبه وتصير همومه هما واحدا
فمن اختار العزلة لاجل ذلك فلا يلام على فعل الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع
الهم بامر الخالق وتقوي العزم على الثبات وتقل الافكار في عاجل حظوظ النفس
اذ الخلوة سد باب الحواس وحاسة العين باب القلب منها تدخل افاته وعندها
توجد شهواته ولذاته فالعاقل الكيس المدرك لا ينكر الخلوة لان اصلها صحيح بتعبد
النبي صلى الله عليه وسلم اولا في غار حرا فصل مشايخ الطريقة قيدوا الخلوة بشهر
وباربعين يوما اعتمدوا في ذلك على المتابعة فمن مال الى الاربعين تمسك بحديث

سوار

سوار بن مصعب عن ثابت عن مقسم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ومن
قال بالشهر استدل بحديث عايشة وجابر رضي الله عنهما انهما قالا جاور النبي صلى الله
عليه وسلم بحرا شهرا وقالت عايشة رضي الله عنها اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرويا الصالحة في النوم فكان لا يرى رويا الا جات مثل فلق الصبح ثم حبب اليه
الخلا فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك
ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها وغير ذلك الكلام بقول لخديجة ابيت عند ربي يطعمني
ويسقيني حتى فجاه الحق وهو في غار حرا فجاه الملك الحديث مسالة فان قيل
الخلوة بحرا كانت قبل الرسالة او بعدها الجواب ان قول عايشة رضي الله عنها اول
ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا يدل على انه كان نبيا يوحى اليه وقولها
ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا يدل على ان الخلوة كانت حكما مرتبا على الوحي
لان كلمة ثم تقتضي الترتيب فكانت خلوته صلى الله عليه وسلم امرا من امور الدين وجواب
اخر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان محفوظا من الله تعالى قبل المبعث فما كان
يجري عليه الا المرضي به من الاقوال والافعال ولهذا عاتبه الله تعالى حين رفع
الازار على عاتقه لنقل الحجارة للبيت كاشفا عورته لتفعل العرب فصرع من ساعته
شاخصا الى السما فستر عورته ولم ترا بعد ذلك اليوم فلو كان التخلي منه صلى الله عليه وسلم
امرا مخالفا للدين لنهي عنه فلما لم ينه بل صارت خلوته ذريعة الى مجي الحق الى ظهور
الملك لديه ونزول الوحي والقران عليه علمنا انها امر من امور الدين كانت مباركة
على نبينا صلى الله عليه وسلم فتكون مباركة علينا من بعده ان شا الله تعالى قال
الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقال تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وانما لم يشتغل بها الصحابة لاشتغالهم
باحكام ظاهر الشرع من الفقه والجهاد ولما استقر الشرع واعز الله الدين اشتغل
بها التابعون وتابعوهم فصل فوايد الخلوة كثيرة منها دوام الطهارة ودوام الذكر
بالقلب واللسان وكثرة التلاوة بالقلب واللسان ودوام الصوم ودوام حفظ
اللسان وساير الحواس عما لا يعنيه ودوام الصلوة في الجماعة في اول الوقت فان لم يكن

متروصدا الجماعة في الخلوة فربما تفوته الجماعة ودوام صلوة الجمعة فان معنى
الخلوة ان يجعل نفسه بالكلية لله تعالى على مواظبته حدود الشرع هكذا
كان مشايخنا رحمهم الله تعالى من شدة اعتنايهم باوامر الشريعة يامرون
بغسل الجمعة في ايام البرد ومن فوايد الخلوة ان لا ياكل الا عند الفاقة وان
لا ينام الا عند الغلبة وان لا يتكلم الا عند الضرورة وان يتادب مع الله تعالى بحسن
الادب واخلاص العبودية والصدق في الطلب والخشوع والخضوع والذلة
والافتقار اليه والاستغنا به والتوكل عليه وزوال النظر والاطماع الفاسدة
في الخلق وترك الريا والسمعة فالخلوة على هذا الطريق فقد فعلها اكثر
اهل الدين والعلم بالله تعالى فمن انكرها اما جاهل واما متعنت فصل
النبوة كانت كامنة في النبي صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم
بين الروح والجسد وفي رواية بين الما والطين فاحتاج ظهورها في عالم الشهادة
الى العزلة والخلوة والانقطاع الى الخالق تعالى عن الخلق وكذلك الولاية في الاوليا
يحتاج ظهورها الى العزلة والخلوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس معادن
كمعادن الذهب والفضة فيحتاج الى كثرة الذكر والتلاوة ودوام الوضو والصوم
والصلوة وترك الشهوات واللذات ودوام المراقبة والحضور مع الله تعالى
والمناجاة معه عز وجل وذلك يتعذر على اكثر الخلق بدون صنع الخلوة
فصل القلب الاعمى الذي ذكره الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور هو القلب الذي لا يشاهد عظمة الله تعالى وسبب عماوته
استيلا وسواس الشياطين وهواجس النفوس واعراضه عن ذكر الله تعالى
قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والنجاة
من ذلك كله في تصفية القلب وتزكية النفس بدوام الذكر حتى يجلوا قلبه منها
شيا فشيا الى ان يتخرق حجابه بمشية الله تعالى ويصل بصره الى مطلوبه فتحصل
الجمعية بمحو التفرقة وزوال وتحصل المعرفة بالله تعالى وهذه الجمعية انما تحصل عند عدم
مضادها وهي التفرقة وسلطان الجمعية هي العزلة ثم الخلوة وهي العزلة في
العزلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفقهوا واعتزلوا انما اشار الى

جمعية القلب فاذا قوي القلب بالذكر وتمكن حاله واستعلى شانه وصار
خلوته وجلوته سوا فعند ذلك لا يضره مخالطة الناس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالطوا الناس بابدانكم وزايلوهم بقلوبكم وهذا سر قوله
صلى الله عليه وسلم المومن الذي يخالط الناس الحديث وقد ذكرناه مشروحا فاجتهد
حتى يفتح الله عين قلبك فتشاهد عظمة الله تعالى بصفا سرك
وانجلا قلبك فان من لم يفتح عليه بشي من ذلك ولم يبلغ مبالغ الرجال فهو اعمى
وان كانت عيناه مفتوحتين قال الله تعالى ومن كان في هذه اعمى
فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فافهم لا تعترض فان الخلوة اصلها صحيح
بتعبد النبي صلى الله عليه وسلم فمن لم يصل فهمه الى اسرار الخلوة من حصول
الجمعية وتواتر الواردات الربانية ولم يخلق الا لذلك فما يحفظ لسانه من
الوقيعة في اصحاب الخلوات والحقد عليهم فالذي اشتغل بحفظ سمعه وبصره
وجوارحه وظاهره وباطنه من المعاصي والذنوب وبطنه من دخول الشبهة
ليسلم دينه خوفا من الله تعالى ان يعذبه فالمانع له من ذلك لا يومن عليه
من دخول ضرر في دينه او دنياه اما من كتب الله تعالى الايمان في قلبه
ووفقه لما يحب ويرضى فانه لا يتشوش على من يسعى في حفظ دينه فربما
يكون بعض المريدين لا يتيسر له حفظ القلب والدين الا بواسطة صنع الخلوة
والعزلة فمن كلفه بغير طاقته فقد ظلمه قال الله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها وكل مسلم يعلم ان الخلوة والعزلة امر جاير في الشرع وليس
بحرام فالاعتراض لماذا قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم اني
ذاهب الى ربي سيهدين فالذهاب الى الله تعالى هو الخلوة وذلك بترك
الاخوان ومفارقة الاوطان قال الله تعالى فلما اعتزلهم المراد هو الخلوة وفي
قصة مريم عليها السلام في قول الله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقا فالمحراب هو الخلوة وقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
واتممناها بعشر هي الخلوة وكذلك داود وسليمان كان لهما خلوة واعتزال
عن الناس وهو قوله تعالى وخر راكعا واناب وفي حق سليمان عليه الصلوة

والسلام فلما خر تبينت الجن الايه وذلك لانه من حين موته الي ان خر سنة
فلولا انه كان من عادته الخلوة والعزلة والا لطلبوه فلما تركوه علي حاله علم ذلك انه
كانت الخلوة والعزلة عادة له صلي الله عليه وسلم فصل طايفة من المشايخ اختاروا
الخلوة والاربعينيات علي الدوام الي ان يتم الامر ويأذن الله تعالي له في الخروج لدعوة
الخلق الي الصراط المستقيم والي متابعة النبي صلي الله عليه وسلم وبعضهم اختاروا
الاربعينيات والاستراحة فيما بين الخلوتين اسبوعا او اسبوعين وهذا اولي لانه
موافق بمجاهدة النبي صلي الله عليه وسلم فهو اولي بالاعتبار لانه صلي الله عليه وسلم كان يتردد
الي جبل حرا اسبوعا واسبوعين وجاور به شهرا كما رواه جابر وكان يتخلي بغتة
مدة ويخالط اخرا ولان النبي صلي الله عليه وسلم قال في حديث عبد الله بن عمرو
ابن العاصي ان لنفسك عليك حقا فقم ونم وذلك ان جميع العبادات انما
تتيسر بواسطة النفس فانها المركب فمن داوم علي التضييق عليها عيل
صبرها وكثرت ملالتها وسامتها وتظهر الشماصة والجموح ويعينها الشيطان
علي ذلك بوساوسه فربما يودي الامر الي انزعاج السالك وتنفره عن الخلوة وربما
لا يمكنه المراجعة الي الخلوة اللهم الا ان تدركه العناية الازليه وان جلس اياما
مدة ثم استراح اسبوعا او اسبوعين اشتدت رغبته وتجددت ارادته وازداد
دواعي طلبه فاذا عاد الي الخلوة والرياضة تدارك افة الفترة بسرعة وتكون خلوته
بعد ذلك علي شوق وطمانينة ورغبة صادقة ولا تنازعه النفس وتقل الخواطر
المذمومة فاذا قلت الخواطر ومنازعة النفس ونزاع القلب تيسر له من
السلوك وفتوح السالك باسرع الاحوال ما لا يتيسر لغيره في مدة مديدة
باب الشرط الخامس دوام ذكر الله تعالي باللسان مع حضور القلب
بالقوة الشديدة من غير رفع الصوت به بحيث يدخل اثر الذكر في العروق والشرايين
وافضل الذكر لا اله الا الله كما في الخبر وامر الله تعالي نبيه صلي الله عليه وسلم بعلم
هذه الكلمة فقال تعالي فاعلم انه لا اله الا الله فاذا واظب الذاكر علي ذكر اللسان
مدة مع حضور تام وتعظيم وافر يودي ذكر اللسان الي ذكر القلب ويطمين
القلب بالذكر قال الله تعالي الا بذكر الله تطمين القلوب ويستانس بالله عز وجل

وبذكره

وبذكره تعالي ويستوحش من الخلق ومخالطتهم المانعة عن الخلوة حتي
اذا استغرق الذاكر في الذكر القلبي امره شيخه بترك ذكر اللسان
وشغله بالتوجه الي الله تعالي كيلا يقف موقف المنقطعين فانه
وقوف في الصفات وانقطاع عن الذات قال البيهقي رحمه الله
سيل ابو يزيد البسطامي رحمه الله تعالي عن حقيقة المعرفة فقال
الحيوة بذكر الله تعالي وسيل عن حقيقة الجهل فقال الغفلة عن ذكر الله تعالي
قال الشيخ نجم الدين الكبري رحمه الله تعالي فقد ينتهي السيار بعد
مدة مديدة من الذكر باللسان الي حد يسام القلب عنه ويكون الذكر باللسان
تشويشا له فيمنع اللسان عن الذكر بدوام حضور القلب فلا يجري
الذكر علي لسانه ولو سنين وهو موقن متيقن الا في الصلوات المفروضة
علا بفتوي القلب فان القلب لا يفتي بترك المفروضات قط
ولا يفتي بما فيه شك قط كما في الخبر استفت قلبك وان افتوك
وحينئذ يتبدل الذكر الانسي بالذكر القدسي ويشغله الذكر الحقيقي
بالمذكور ويلهيه عن صورة الذكر فيعرف حينئذ حقيقة قول السادة
ان ذكر اللسان لقلقة وذكر القلب وسوسة فصل في الذكر جعل
الله تعالي صلاح القلب بواسطة الذكر لان القلب مطلوبه ومحبوبه هو الله
والذكر صفة الرب تعالي فلا جرم بذكره يتغذي ويتقوي وبذكره يتطهر ويتنور
وبذكره يصفوا ويدنو وكل قلب احبه الله تعالي وارتضاه وقربه وادناه واراد
ان يوصله الي مقام النبوة ان كان في زمانها او مقام الولايه فهو تعالي يسلط
الذكر علي ذلك القلب لينوره ويطهره بشدة ضيايه وقوة تصرفه فكلمة لا اله الا الله
هي التوحيد وقد ذكر الله تعالي هذه الكلمة في القران صريحا في موضعين الاول
قوله تعالي انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون الثاني قوله تعالي فاعلم
انه لا اله الا الله فاعلم ايها السالك ان الله هو الذي يستحق الالهية دون غيره
واذا علمت ان التوحيد انما يصح بكلمة لا اله الا الله علمت ان هذا الاسم من اعظم
الاسما فايدة وان هذا الذكر افضل الاذكار قال رسول الله صلي الله عليه وسلم

افضل الذكر لا اله الا الله وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى ليس
لقول لا اله الا الله ثواب الا النظر الى وجه الله عز وجل والجنة ثواب الاعمال
ثم اعلم ان كلمة التوحيد اذا قالها الكافر صادقا فينتفي عنه ظلمة الكفر ويثبت
في قلبه نور التوحيد، واذا قالها المومن في كل يوم الف مرة فبكل مرة تنتفي
عنه شيا لم تنفه المرة الاولى فمقام العلم بالله تعالى لا ينتهي الى الابد،
ولهذا لما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله لم يقل
علمت لان العلم بالله تعالى لا نهاية له الى الابد، ولما قال للخليل صلى الله عليه وسلم
اسلم قال اسلمت لله لان الاسلام مبناه على الظاهر وقال بعضهم
قايل لا اله الا الله يحتاج الى اربعة اشيا تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة
فمن لم يكن له تصديق فهو منافق، ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع ومن
لم يكن له حلاوة فهو مراي، ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق وخرج سهل
التستري رحمه الله تعالى يوم الجمعة من المسجد ونظر الى الناس فقال
اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل، ولم تكمل هذه الخصال الا للمصطفى
صلى الله عليه وسلم، فلذلك قيل له فاعلم انه لا اله الا الله لعظيم محله ودعا الاخرين
الى قوله دون علمه فصل ذكر الله تعالى فرض على الطالبين المحبين
قال الله تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال بن عباس
رضي الله تعالى عنهما اي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنا والفقر والمرض
والصحة والسر والعلانية وقال بعض السلف لم يفرض الله تعالى
على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ينتهي اليه وعذر اهلها في ساير الاحوال
الا الذكر فانه تعالى لم يجعل له حدا معلوما ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا من كان
مغلوبا في عقله ولو عذر احدٌ في ترك الذكر لعذر زكريا عليه السلام قال
الله تعالى ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا ثم قال تعالى واذكر ربك كثيرا
وكذلك لو عُذر احدٌ في ترك الذكر لعُذر الغزاة قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
فصل جميع الطاعات تزول يوم القيمة كالصلوة والصيام وغيرها

لارتفاع التكاليف في الاخرة الا طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم
وكيف تزول عنهم والقران دل على انهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على
الحمد هي المواظبة على الذكر والتوحيد، فالدليل على انهم مواظبون على الحمد قوله
تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده، فثبت انهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر فعلمنا
ان جميع العبادات زايلة عن اهل الجنة الا طاعة الذكر المتضمن للتوحيد قال
الله تعالى اقم الصلوة لذكري والمراد من الذكر معرفة المذكور ومحبته والفنا فيه
والبقا به والتوحيد له فصل في كيفية الذكر قال الله تعالى
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال
ولا تكن من الغافلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك
رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة ثم اعلم ان من شرايط الذكر ان يكون الذاكر
على طهارة كاملة من الوضو والغسل وطهارة البدن والثياب والموضع وان يقعد متربعا
متوجها للقبلة واضعا يديه على فخذيه او يأخذ براحة كفه اليسرى ظهر كفه اليمنى
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شا الله تعالى ويأتي في موضعه قريبا ويكرر لا اله الا الله بقلب حاضر مع
الله تعالى خافضا صوته مغمضا عينيه ويخرج لا اله من صميم فواده بقوة شديدة
مع قطع كل تعلق في قلبه نافيا جميع خواطره ضارا كان او نافعا ولا يدخل الى الذكر الا بالقوة
الشديدة في قلبه مثبتا توجه قلبه الى الله تعالى ليكون جوامع معنى ذكره ان ليس في
الوجود سوى الله مجدا وما على الذكر مواظبا عليه مراقبا القلبه ومن اداب الذاكر ان
يكون جميع اوقاته مستغرقا بالذكر بحيث لا يخلو لسانه وقلبه من الذكر ومعناه
حتى يتجوهر القلب بجوهر الذكر وترتفع الحجب المانعة من مشاهدة المذكور ويفنا
الذاكر في المذكور فصل ذكر الله تعالى فرض دايم على المسلمين قال
الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله، وفيه اشارة الى ان يذكر العبد بقوة شديدة لانه سبحانه ذكر القلوب
بصفة القسوة والقسوة صفة الحجر قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة، والحجر اذا كان قاسيا لا ينكسر الا بضرب شديد

شرايط الذكر

بقول قوي وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله اخنس وتولى واذا
غفل التقم قلبه فحدثه ومناه **فصل** في احتياج المريد لتلقين الذكر من الشيخ **قال**
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يعني قولوا لا اله الا الله
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله تفلحوا **واعلم** ان للذكر شرايط وادابا
لابد من رعايتها ليكون مفيدا مثمرا فمن شرطه ان يواظب على افضل الاذكار وهو قول لا اله الا الله
من فضايله وشرايطه ايضا ان ياخذ هذا الذكر بالتلقين من اهل الذكر كما اخذ الصحابة
رضي الله عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم **فيما روي** شداد بن اوس وعبادة بن
الصامت رضي الله عنهما حاضر يصدقه لما اتيا الى عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال هل
فيكم غريب يعني اهل الكتاب قلنا لا يا رسول الله فامر بغلق الباب فقال ارفعوا ايديكم
فقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه
ووضعنا ثم **قال** الحمد لله اللهم انك بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني عليها
الجنة انك لا تخلف الميعاد ثم **قال** ابشروا فان الله قد غفر لكم وقد لقن الصحابة
التابعين من المشايخ شيخا بعد شيخ الى زماننا هذا كل من كان اهل الذكر
منهم كما كانت الصحابة رضي الله عنهم **قال** الله تعالى والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها وهي كلمة لا اله الا الله وكانوا احق بها لانهم اخذوها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتلقين واهلها لنفوذ الكلمة في باطنهم بتاثير الانوار
فالمريد اذا استسعد بخدمة شيخ عارف بحقيقة الامر سالك لطريق الحق واقف
على دقايق التربية يلقنه الذكر ويعوده التخلي والمواظبة على الذكر ليزيد بذلك
طلبه وشوقه فيستانس في الخلوة ويستوحش عن الخلق فيحبسه في الخلوة
فصل ثبت عند ايمة الطريق من الصوفية وسادات السلوك ان
علي بن ابي طالب رضي الله عنه **قال** يا رسول الله دلني على اقرب الطرق الى الله تعالى
واسهلها على عباده وافضلها عند الله تعالى **فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي
عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات **فقال** رضي الله عنه هكذا فضيلة الذكر وكل
الناس ذاكرون **فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه

الارض

125

الارض من يقول الله الله **قال** علي رضي الله عنه فكيف اذكر يا رسول الله قال غمض عينيك
واسمع مني ثلاث مرات ثم قلها ثلاث مرات وانا اسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله
ثلاث مرات وعلي يسمع ثم قال علي لا اله الا الله ثلاث مرات والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع ثم لقن علي رضي الله عنه الحسن البصري وهو لقن حبيب العجمي وهو لقن داود الطائي
وهو لقن معروف الكرخي وهو لقن سري السقطي وهو لقن ابا القاسم الجنيد البغدادي
ومن الجنيد الى ابي علي الروذباري ومنه الى ابي علي الكاتب ومنه الى ابي عثمان
المغربي ومنه الى ابي القاسم الكركاني ومنه الى ابي بكر النساج ومنه الى احمد الغزالي
ومنه الى ابي النجيب السهروردي ومنه الى عمار بن ياسر ومنه الى نجم الدين الكبرى ومنه
الى مجد الدين البغدادي ومنه الى علي لالا ومنه الى احمد الكورباني ومنه الى عبد الرحمن
الكشرني ومنه الى برهان السمرقندي ومنه الى سيدي الشيخ العارف بالله تعالى
المرشد القدوة المربي ابي محمد عبد الله بن محمد بن ايمن الشهير بالشيخ قطب الدين بدمشق
اعاد الله من بركاته علينا وعلى جميع المسلمين **فصل** لينتبه المريد في هذا
الطريق على دوام الذكر بعد التوبة النصوح وليلازم الصدق والاخلاص والورع والصمت
الا عن ذكر الله تعالى فيكون في حركاته وسكناته وقيامه وقعوده ذاكرا الله تعالى مع سكون
الجوارح ممتثلا لاوامر شيخه العارف بهذا الطريق كالميت بين يدي المغسل كما
كان الصحابة رضي الله عنهم اجمعين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اراد ان ينظر الى رجل ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى ابي بكر **وقال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا فاذا كان بوصف الميت كان ذاكرا الله بالله لا بنفسه
وانما يصل الذاكر الى الله تعالى بذكر الله القديم له لا بذكره بنفسه الحادث **فصل**
اول ما يلزم المريد بعد الانتباه من غفلته ان يقصد الى شيخ من اهل زمانه عارف
مؤتمن على دينه معروف بالنصح والامانة واقف على دقايق الطريق فيسلم نفسه
لخدمته ويتجنب مخالفته ويكون الصدق حاله **ثم** ان الشيخ يعرفه كيفية الرجوع
الى الله تعالى ويدله على الطريق ويسهل عليه سلوكها ويعلمه شرايع الاسلام مما
له وعليه فان الشيخ هو الذي يقرر الدين والشريعة في قلوب المريدين واولى
الاشياء به تصفية المطعم والمشرب والملبس لان بذلك يجد الزيادة في حاله

بلغ

لزوم الارادة مع شيخ عارف واقف على دقائق الطريق

قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وقال بعضهم
طلب الحلال فريضة على الكل وترك الحلال فريضة على هذه الطايفة الا على حد الضرورة ثم
قضا ما ضيع من الصلوة ثم رد المظالم على اهلها لقول النبي صلى الله عليه وسلم رد دانق من
حرام يعدل عند الله سبعين حجة وما كان من ضرب وجرح وقطع فالقصاص
وما كان من غيبة ونميمة او شتيمة فالاستحلال والاستغفار لصاحبها ثم
معرفة النفس وتاديبها بالرياضة وللنفس صفتان انهماك في الشهوات
وامتناع من الطاعات فيروضها بالمجاهدة وهو فطم النفس عن مالوفاتها
وحملها على خلاف اهويتها ومنعها من الشهوات وباخذها من المكابدات وجوع
المرادات بكثرة الاوراد واستدامة الصوم والنوافل من الصلوات مع الندم على
المخالفات ونقلها عن قبيح العادات وتجتهد ان يتعوض عن النوم سهرا وعن
الشبع جوعا وعن الرفاهية بوسا فيكون حينيذ من جملة التايبين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله مع المختصين يحب الله تعالى قال قال
الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشاب التايب حبيب الله ويكون من الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات
فصل في تلقين الذكر اعلم ان الذكر بالتقليد شي وبالتحقيق شي اخر
فادخل في مسامع المستمعين من طريق افواه العامة مثل ترديد الوالدين وغيرهما
من المعلمين فهو الذكر التقليدي وهذا ينفع الذاكر في دفع الاعدا ولكن ليس له قوة الجماعة
للذاكر وتبليغه الى مقام الولاية والقرب من الله تعالى مثل النشاب الذي يشترى
من السوق فانه يصلح لدفع العدو ولكن لا يحمي الحماية كما يحمي النشاب الذي اخذه
من يد السلطان ليكون في حمايته كذلك الذكر اذا تلقنه من تلقين صاحب الولاية
في التصرف الذي اخذ الذكر من صاحب تصرف لخر مسلسلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا الذي يتصرف في باطن المريد المستعد اذا غرس في ارض قلبه بالتلقين وربي
بما الاعمال الصالحة بدهقنة المتابعة ونظر شمس الولاية فانها توتي اكلها من
المكاشفات والمشاهدات كل حين باذن ربها ويمكن ان يثمر له ثمرة معرفة الولاية
والوصول الى حضرة المحبة اذا رباه بما الارادة والصدق والاخلاص ان شا الله تعالى

ولتلقين

ولتلقين اهل الذكر في هذا المعنى شان عجيب ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم
النخلة بالرجل المسلم في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال ان من الشجر
شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر
البوادي قال عبد الله فوقع في نفسي انها النخلة ثم قالوا حدثنا يا رسول الله قال
هي النخلة وذلك ان النخلة لا تثمر البتة ما لم تؤبر فكذلك المريد الصادق ما لم يتلقن
الذكر من شيخ كامل لا تثمر شجرة وجوده من الثمار المودعة فيها بجود موجدها فصل
شرط التلقين ان يصوم المريد ثلثة ايام بامر الشيخ اذا اراد يتلقن الذكر ويكون فيها
دايم الوضو دايم الذكر قليل الطعام قليل الكلام قليل المنام قليل الاختلاط مع الانام ثم يغتسل
باذن الشيخ وينوي فيه غسل الخروج من الغفلة الى الحضور والمراقبة مع الله تعالى
كان كل من جا الى النبي صلى الله عليه وسلم امره اولا ان يغتسل بنية غسل الاسلام
ثم يلقنه النبي صلى الله عليه وسلم كلمة التوحيد كذلك المريد يغتسل عند تلقين الذكر
من الشيخ بنية الخروج من الغفلة والدخول في السلامة قال الله تعالى
الا من اتى الله بقلب سليم آخذا من هذه السنة في غسله هذا اللهم اني طهرت
البدن الذي تصل يدي اليه بتوفيقك فطهر انت قلبي الذي حكمه بيد قدرتك
وانت مقلبه بانوار معرفتك فاذا فرغ من الغسل تخلف الى الشيخ ويجلس بين
يديه ويوصيه الشيخ بما يقتضيه حاله ويجث على ركبتيه ويسكت ويحضر
قلبه مع قلب الشيخ ويراقب سره حتى يقول الشيخ مرة لا اله الا الله مادا
صوته وهو ياخذ بقلبه متفهما معانيها بحيث ينفي بلا اله الخواطر كلها ويثبت
بالا الله الحضرة الالهية اي لا مطلوب لي ولا مقصود ولا معبود ولا محبوب
الا الله تعالى ثم يقول المريد رافعا صوته مادا نفسه حاضرا قلبه عند النفي
والاثبات ثم يقول الشيخ مرة ثانية ثم يقول المريد ثم يقول الشيخ مرة ثالثة
ثم يقول المريد ثم يرفع الشيخ يديه ويدعو له ويقول اللهم خذ منه وتقبل منه
وافتح عليه ابواب كل خير فتحته على انبيايك واوليايك قال الشيخ
نجم الدين الكبري رحمه الله تعالى ان الذكر وان كان بمجرد اللسان سلطانا عظيما
ولكنه لا يظهر عند الوجود لقوة احتجابه عن سلطان الذكر فاذا عري السيار

عن الوجود بالنوم او بالغيبة عند ضعف الوجود ظهر سلطان الذكر وهو
نور يفتح عليه من فوق او من ورا او من قدام فيتزلزل وينتفظ ويقول عند
ذلك ضرورة المخافة لا اله الا الله ويجد شدة شديدة وقوة عظيمة حتى
انه يسجد وينيب حينئذ الى الله تعالى ويسلم ويومن وهذا يظهر بقدر
خدمته للذكر ومواظبته عليه فذكر الحضور بلا حضور ذكر اللسان وذكر
الحضور في القلب ذكر القلب وذكر الغيبة في المذكور ذكر السر فاذا رجعت
الى الحضور الى فهم الذكر نزلت درجة فاذا ذهلت على المذكور والحضور واختص
بمجرد لقلقة اللسان نزلت درجة اخرى **فصل** خلاصة الذكر
الاستغراق بالمذكور وذلك بان لا يلتفت القلب الى الذكر ولا الى القلب
بل يستغرق بالمذكور جملته واذا التفت في اثنا الذكر الى الذكر فذلك حجاب شاغل
فهذه الحالة يعبر عنها العارفون بالفنا وذلك بان يفنى عن الفنى حتى لا يحس
بشي من ظواهر جوارحه ولا من الاشيا الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة
فيه بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا
فيه اخرا فان خطر له في اثنا ذلك انه ذهل فني عن نفسه بالكلية فذلك شوب
وكدورة بل الكمال في ان يفنى عن نفسه ويفنى عن الفنى ايضا والفنا عن الفنا
غاية الفنا **فصل** قايل لا اله الا الله يحتاج الى خمسة اوصاف لا يفيد بدونها
الاول ان يعلم انه اي شي يقول وما الذي ينفي ويثبت اما النفي فانه ينفي الالهة
التي تدعي الربوبية من النفس والهوا والشهوة والشيطان **قال** الله تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه واما الاثبات فانه يثبت الله تعالى فيقوم نافيا
مثبتا **الثاني** ان يكون هذا الذكر لتعظيم الله تعالى في قلبه ويكون قلبه مملوا
من عظمته احتراما ويكون الله تعالى مطلوبه ومحبوبه **الثالث** ان يكون
صدق الارادة والمحبة في قلبه للوصال الى ربه تعالى بمشاهدة القلب لانه لو
كان ارادته ضعيفة كان متمنيا ما لم يبلغ ارادته الى صدق المحبة كالمجرب يريد
امتحان هذا الذكر انه هل يفيد شيا مما تقوله مشايخ الصوفية من المكاشفات
والمشاهدات والوصال وغيرها ام لا فلا يفيد له شيا قط **الرابع** ان يذكر بهذه

الكلمة

127

الكلمة بحسن الادب والحرمة لانه لو لم يكن له ادب وحرمة كان فظا غليظا مخالفا
غاويا غير صالح لصحبة السادة والكبرا فلا يفتح له الملك تعالى باب الغيب والمشاهدة
والجلوس اليه ومن ارتقى الى اعلا عليين بحسن خلقه ولم يكن معه حسن الادب
ينزله سو ادبه الى اسفل السافلين **الخامس** المراقبة مع الله تعالى بجميع الهمم **قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها فالنبي
صلى الله عليه وسلم امر بالتعرض لنفحات رحمة الله تعالى وهي المراقبة ونفحات رحمة
الله تعالى هي التي تسميها الصوفية لحة ولمعة ووجدا ووجودا وعلامة حصول
هذه الاوصاف الخمسة المذكورة وجدان الحلاوة في سره موهبة من الله تعالى
ومن شرايط الذكر ان يكون الذاكر على طهارة كاملة ولا يصبر على الحدث سويعة فاذا كلما
احدث جدد الوضو في الحال وان اغتسل بدلا عن الوضو كان افضل وقد ثبت باجماع الايمة
ان الغسل افضل من الوضو **ومن** شرايطه ان يواظب على ادا الفرايض والسنن
الراتبة ولا يخل شيا منها ولا ينقص وبعد ذلك يشتغل بذكر لا اله الا الله وذكر
لا اله الا الله تقوم مقام كل الاذكار والتسبيحات والنوافل كان كل الصيد في جوف
الفرا ويجتنب المعاصي كلها ويجتنب مجالس الناس ومكالماتهم لا سيما في حالة الخلوة
والذكر وبداية الطريقة والحقيقة فاذا عمل المريد الصادق ذلك العمل مع الشرايط
المذكورة اربعين يوما مستمرا يفتح له باب المكاشفات والمشاهدات من عالم الروح
لا محالة **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه **فصل** قد هدى الله الذاكرين بقوله تعالى
واذكروا الله كما هداكم اي الى مراتب ذكره فاولا يهديهم الى ذكر اللسان ثم الى ذكر النفس
ثم الى ذكر القلب ثم الى ذكر السر ثم الى ذكر الروح ثم الى ذكر الخفي **اما** ذكر اللسان فكانه
بذلك يذكر القلب ما نسي من ذكر الله تعالى **واما** ذكر النفس فهو ذكر مسموع ايضا بالحرف
والصوت تسمعه النفس كذكر اللسان **واما** ذكر القلب فذكره ضد النسيان وهو ملاحظة
القلب **واما** ذكر السر فهو المراقبة لمكاشفات الاسرار الالهية **واما** ذكر الروح فهو
مشاهدة انوار تجليات الصفات الصمدية **واما** ذكر الخفي فهو معاينة انوار جمال الذات
في مقعد صدق عند مليك مقتدر **فصل** هذه الاطوار اعني عوالم الانسان

كلها مذكورة في كتاب الله تعالى اما البدن فقال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين الايه والبدن هو هذا الجسم الكثيف واما النفس فقال تعالى يا ايتها
النفس المطمينة والنفس جسم لطيف كلطافة الهوا في اجزا البدن كالزبد في اللبن والدهن
في الجوز واللوز واما القلب فقال الله تعالى كتب في قلوبهم الايمان والقلب داخل
النفس وهو الطف واضوا منها واما السر فقال الله تعالى فانه يعلم السر واخفى
والسر نور روحاني آلة للنفس فان النفس تعجز عن العمل ولا يفيد فايدته ما لم يكن
السر الذي هو همته مع النفس واما الروح فقال الله تعالى ويسلونك عن الروح
الايه والروح نور روحاني آلة للنفس ايضا فان الحيوة في البدن انما تبقى بشرط وجود
الروح في النفس اجري الله العادة بذلك واما الروح الخفي فانهم يسمونه
خفيا ويسمونه أخفا والاصوب اخفا لموافقة القران في قوله تعالى فانه يعلم
السر واخفى وانما سمي أخفى لانه الطف من الروح والسر والقلب في الاستتار
والاختفاء عن الخواطر والهموم وهو نور الطف من السر والروح وهو اقرب الي عالم الحقيقة
وهو كالحاجب للنفس في الحضرة الصمدية اذا ذهل النفس والقلب والعقل والسر
والروح عن الحضرة يلتفت اليهم الاخفا بسر الجهة لطيفة فيتنبه الكل لله تعالى عقيب
ذلك فذلك التنبيه من الله تعالى بوسيلة الروح الأخفى وهذا الذهول عن الحضرة
الصمدية لعامة الاوليا او لعامة المومنين فاما الانبيا وكبار الاوليا فان اسرارهم
قل ما يلتفت عن الاعلي الي الاسفل وهم الذين قال الله تعالى فيهم يخشونه ولا يخشون
احدا الا الله مسئلة اعلم انه ثم روحا اخري الطف من هذه الارواح كلها وهي
لطيفة داعية هذه الاطوار الي الله تعالى وقالوا هذا الروح لا تكون لكل احد بل هو
الخواص قال الله تعالى يلقي الروح من امره علي من يشا من عباده وهذا الروح
ملازم لعالم القدرة مشاهد عالم الحقيقة لا يلتفت الي خلقه قط مسئلة
من قال هذه الاطوار من النفس الي اخرها كلها شي واحد لا يلتفت الي قوله لما بين
من فوايد كل واحد منها فان ذلك يودي الي تعطيل كل واحد منها بالذكر فلا بد عن
خاصيته فان الله عز وجل خص كل واحد منها بالذكر فلا بد في التخصيص من فايدة
واعلم انهم يذكرون اسم القلب ويريدون به النفس ويذكرون النفس ويريدون

به الروح ويذكرون الروح ويريدون به العقل لكن الاصل في القلب هو الذي
ذكرنا وما عداه مجاز وقد يطلق القلب ويراد به النفس باعتبار ان النفس
داخل البدن فيقال انه قلب البدن واما العقل فانه نور روحاني ومقامه
في القلب في جانب السر فان السر ميال الي الاعلي والعقل ميال الي الدنيا
والاخرة وقد ورد في اخبار داود عليه السلام انه سال ابنه سليمان عليه السلام
اين موضع العقل منك قال في القلب لانه قالب الروح والروح الحيوة ويروى
في الخبر ان الله تعالى فيما ناجى به ايوب عليه السلام قال يا ايوب من جعل العقول
في اجواف الرجال مسئلة اعلم انه لا حيلة في صرف الشيطان عن المريد ودفع
مكايده عنه افضل من ذكر الله تعالى قال الله تعالى ان الصلوة تنهي عن
الفحشا والمنكر ولذكر الله اكبر اي الكبر في نفي الكبر والخيلا ومحو الاوصاف
الذميمة كلها لا سيما ذكر الله تعالى بكلمة لا اله الا الله فان لها تاثيرا عظيما في
ازالة الاوصاف الذميمة وقال كثير من مشايخ الصوفية ولذكر الله
اكبر اي ذكر الله خيركم واكبر من ذكركم لله تعالى وهذا قريب ايضا فان ذكر الله لنا
بالقبول ونظر الرحمة والجود والفضل ينفي عنا الاوصاف الذميمة فكان اكبر من
الصلوة في تطهيرنا مسئلة اعلم ان ارتكاب العبودية والانقياد لها والفرايض
والسنن ربها شرط لانها اعلي واهم في تنوير القلب والنفس وكذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق الله فصل في الوصال ونعني
بالوصال الروية والمشاهدة وطريق الوصال الي الله تعالى متابعة الصراط المستقيم
بدوام ذكر الله تعالى قال الله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى وعلى الله قصد السبيل
ومنها جاير ولو شا لهداكم اجمعين وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك علي صراط مستقيم فطلب الحق سبحانه بالمراقبة والخلوة ودوام
الذكر فرض دايم علي طالبين الله تعالى المحبين اياه كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم
يعني قل اطلب الله واريده واحبه لا غير وقال تعالى وجاهدوا في الله حق
جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وهو امر بالمجاهدة في عوالم الحقيقة

ولهذا قال هو اجتباكم اي جذبكم اليه واصطفاكم لديه وهذا يدل على انه لابد
من المجاهدة في الله تعالى للمبتدي والمنتهي ولهذا قال تعالى واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين معنى ذلك ان قدر العارف بقدر معرفته بقدر سيره
في الله تعالى ولا ينتهي وان سار سرمدا فلا يحل لمن فتح له باب السير في العالم
الاعلى ان يقف حتى يموت وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا يعني الذين جاهدوا في طلبنا مسئلة المنتهي الواصل في شرف الوصال
مسرور بمحبوبه والمبتدي الطالب للوصال في شرف طلب الوصال ومن سواهما
لا قدر له واحذا لمن حمل القالب على المجاهدة والنفس على الرياضه والقلب على
المراقبة والسر على السير والروح على طلب المحبوب الى ان يصل الى سر الروح
وهي الخفي فاذا وصل الى السر الخفي وصل الى عالم الحقيقة فان الخفي في عالمها فاذا
طلع النفس والقلب والعقل عليها بواسطة السر كان السر سراج النفس
والقلب والعقل به يبصرون الحقيقة وهذا في مبادي الحال فاذا امكن المريد من
الحقيقة وترافى في المراقي تقدم النفس على السر والروح والخفي وصار اقوى
والطف من السر والروح والخفي فيكون النفس والقلب والعقل في باطن البدن
ويكون شعاعه في اعلى عليين في عالم الجبروت لا يتصل اليه الملايكة المقربون قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان لله كان الله له يعني من كان في طلب الحق مع اخلاص الاعمال
كلها كان الله تعالى كافيه في اموره قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده
وقال موسى عليه السلام يا رب متى تكون لي قال اذا لم تكن لنفسك قال
متى لا اكون لنفسي قال اذا نسيتها كلها فصل ينبغي لطالب الحق
تعالى ان يكون طالبا له محبا لوصاله مشتاقا الى لقايه في جميع احواله في السرا
والضرا كما في الخبر اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله في السراء والضراء
فان طلبه في كل حال يدل على صدق محبته له تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي عنه اصطفاه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعبد الله بالرضى فان لم تجد ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال
صلى الله عليه وسلم لطايفة ما انتم قالوا مومنون فقال صلى الله عليه وسلم ما علامة

ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر على الرخا ونرضى بمواقع القضى فقال مومنون ورب
الكعبة وفي رواية انه قال حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا وقال
بعض السادة رضي الله عنهم ذكر الله تعالى على الصفا ينسي العبد مرارة البلا وقال
ابو سعيد الخراز رحمه الله تعالى البلا من الله تعالى الى المقربين تحفة وهدية وتحريك
لما في ضمايرهم من المواصلة وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى اصبر الناس
اكتمهم للبلا وقال رويم رحمه الله تعالى حركوا بالبلا فتحركوا ولو سكنوا
اتصلوا وقال ابو يعقوب النهرجوري العالم يستغيث من البلا ويسال
صرفه والعارف يستعذب البلا ولا يسال كشفه وقال الجنيد رحمه الله
البلا سراج العارفين ويقظة المريدين وهلاك الغافلين قال ابن عطا
رحمه الله يتبين صدق العبد من كذبه في اوقات البلا والرخا فمن شكر في ايام الرخا وجزع
في ايام البلا فهو من الكاذبين قال علي بن ابي طالب بنولار دار اسست
على البلوى بلا بلوى محال فصل يجب على طالب الحق ان يواظب على ذكر الله تعالى
فالشيخ يلقنه الذكر فيذكر بقوة شديدة بحيث يدخل اثر الذكر في باطنه فيسري
في العروق والشرايين ويخرق ظلمة الوجود وكثافته وكدورته بنار الذكر
فان الذكر له نار ونور فنوره يسكن القلب الا بذكر الله تطمين القلوب وبناره يخرق
كثافة الوجود فيزيل منه الخشونة الاصليه واليبوسة الجبلية فيخرج من اثار
الصفات البشريه فيخفف عن الاثقال الترابيه فيعلو قلبه عن ارض
الملكوت الى سما الربوبيه واعلم ان اعظم تاثير الذكر في الخلوة الخالية عن الناس وعما
كلما يشغله عن الله تعالى في بيت خال ضيق بقدر ما يصلي فيه ويتربع في
وقت الذكر ويكون البيت خاليا كيلا يشغله عن الذكر ما يرا ويسمع من الناس ويكون
ضيقا ليكون همه اجمع ويبالغ في الذكر لما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر لا اله الا الله حتى يقال انكم مجانين ومن علامة الذكر
لله تعالى بالذكر الاخلاص والرقة والوجل قال الله تعالى انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وذلك لان ذكرهم ذكر العبودية والعبادة لا ذكر العادة
وذكر اليقظة لا ذكر الغفلة وذكر الجمعية لا ذكر التفرقه وذكر الانس لا ذكر الوحشة

وهذه الاوصاف انما تحصل للذاكر من ذكر الله تعالى له بوصف العطف واللطف
لانه تعالى ذكرهم بين الملايكة في الملا الاعلى بوصف المباهاة لهم كما في الخبر من
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه فمن
ذكره الله تعالى حصل له من ذلك ذكر القلب وذكر السر فذكر السر يودي الى الاستغراق
في المذكور والى الغيبة والذهاب في الله تعالى فيحصل له من ذلك التولية على الخلق
والتصرف فيهم والحرمة والمنزله والوقار وخلع على قالبه بالاعمال الصالحه وعلى قلبه بالاحوال
السنيه فسبحانه ما ارحمه بعباده وما الطف دعوته لهم اليه فامر الله عبده
بالذكر في الخلوة ليعلم فوايد الذكر بواسطة الخلوة وبواسطة الذكر التربية والتصفية
والتنوير والتطهير وبواسطة الذكر معرفة المذمومات والمحمودات وبواسطة الذكر
حصول الاتصال بالمحمودات والتعري عن المذمومات وبواسطة الذكر معرفة العدو
والشيطان وبواسطة الذكر حيوة القلب وصفاوه ونوره وبواسطة الذكر قوته
واستيلاوه على النفس وبواسطة الذكر معرفة النفس وقهرها وكسرها
وادخالها في حكم الشرع وبواسطة الذكر وصول العلم والحكمة والمعرفة والاحوال
الصافية الى القلب **مسالة** اعلم ان الله تعالى كما نور السموات والارض بانوار الملايكة
ونور الشمس والقمر كذلك نور القلوب والارواح بانوار اسمايه وصفاته وانما يحصل
ذلك بذكر اسمايه فنور اسمه الله ولا اله الا الله اضوا وانور واصفا من انوار جميع
الاسامي فيتصف نور القلب بانوار الذكر فيتنقر نور الذكر مع نور القلب في
القلب فيحصل للقلب صفة ذاتية لا تنفك عنه فذلك عبارة عن سر
قولهم وقع الكلمة في الغيب وقع في السر فبداية الذكر تفيد العلم **قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ونهاية الذكر تفيد الحكمة
وقال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على
لسانه وقيل المذكور واحد والذكر مختلف واصل الذكر اجابة الحق من حيث اللوازم
وقال الشبلي رحمه الله تعالى الستم ذاكرين الله تعالى اليس الله تعالى يقول انا
جليس من ذكرني ما الذي استفدتم من مجالسة الحق سبحانه **وسيل** بعضهم هل
في الجنة ذكر فقال الذكر طرد الغفلة فاذا ارتفعت الغفلة فلا معنى للذكر والله المستعان

باب الشرط السادس دوام نفي الخواطر وهو اشرف شي على ارباب
المجاهدات **قال** الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم بالغي ثم لا يقصرون **وقال** تعالى الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا والله يعدكم مغفرة منه وفضلا **كما** قيل عن يوسف
عليه السلام وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسو **وقال** الشيطان لما قضي
الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم
ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر
وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق **وقال** صلى الله عليه وسلم
الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله تعالى تولى وخنس واذا غفل التقم قلبه
فحدثه ومناه **فصل** من علوم الصوفية معرفة الخواطر حتى يوافق ما كان
منها الحق ويخالفه والخاطر وارد يرد على القلب في صورة الخطاب والوارد اعم من
الخاطر كالحزن والسرور والقبض والبسط واكثر المتصوفة على ان الخواطر
اربعة خاطر من الحق تعالى وخاطر من الملك وخاطر من النفس وخاطر من
الشيطان فالخاطر الحقاني علم يقذفه الله تعالى من الحق الغيب في قلوب
اهل القرب والحضور بغير واسطة **قال** الله تعالى قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب والخاطر الملكي هو الذي يحث على الطاعات ويرغب
في الخيرات ويحذر من المعاصي والمكاره ويلوم على ارتكاب المخالفات والتكاسل
والتقاعد عن الموافقات والخاطر النفساني هو الذي يتقاضى الحظوظ العاجلة
ويظهر الدعاوي الباطلة والخاطر الشيطاني هو الذي يدعوا الى المعاصي والمناهي
والمكاره والفرق بين خاطر الحق والملك ان خاطر الحق سبحانه اذا خطر لا يعارضه
شي واذا ظهر سلطانه فكل جزو من اجزا الوجود ينقاد ويستسلم له وساير
الخواطر تضمحل وتتلاشى **وسيل** بعض الكبار ما برهان الحق فقال وارد يرد
على القلوب فيعجز النفوس عن تكذيبها ومع وجود الخاطر الملكي معارضه خاطر
النفس ممكن واما الفرق بين خاطر النفس وخاطر الشيطان ان خاطر النفس

لا ينقطع بنور الذكر ويتقاضي علي مطلوبه ليصل الي مراده الا اذا ادركه التوفيق الازلي
ويقلع عنه عرق المطالبة واما خاطر الشيطان فانه ينقطع بنور الذكر ولكن يمكن ان
يعود وينسيه الذكر ويغويه كما في الخبر الشيطان جاثم علي قلب بن ادم فاذا ذكر
خنس وتولي واذا اغفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقال بعضهم للخواطر خطاب
يرد علي الضماير وقيل كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه
واما خاطر الحق تعالي فلا يحصل فيه خلاف من العبد له وقال بعضهم
الخواطر اربعه خاطر من الله تعالي وخاطر من الملك وخاطر من النفس وخاطر
من العدو فالذي من الله تعالي تنبيه والذي من الملك حث علي الطاعة والذي
من النفس مطالبة الشهوة والذي من العدو تزيين المعصية فبنور التوحيد
يقبل من الله تعالي وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الايمان ينهي النفس
وبنور الاسلام يرد علي العدو وسيل الجنيد رحمه الله تعالي عن الخطرات
فقال الخطرات اربعة خطرة من الله تعالي وخطرة من الملك وخطرة من النفس
وخطرة من الشيطان فالخطرة التي من الله تعالي ترشد الي الاشارة والخطرة التي
من الملك ترشد الي الطاعة والخطرة التي من النفس تجر الي الدنيا وطلب عزها
والخطرة التي من الشيطان تجر الي المعاصي والمشهور عند مشايخ الصوفيه
ان الخواطر اربعة وكلها من الله تعالي غير ان بعضها يجوز بغير واسطة وبعضها
بواسطة فما كان بغير واسطة فهو خير وهو الخاطر الرباني ولا يضاف الي الله تعالي
الا الخير ابدا وما كان بواسطة وهو خير ايضا فهو الخاطر الملكي وان كان شرا فان كان
بالحاح وتصميم علي شي معين وفيه حظ النفس فهو الخاطر النفساني والا فهو الشيطاني
وقال بعضهم اصل الخواطر الاربعة من الله تعالي وذلك لان الحق سبحانه وتعالي
اذا اراد ان يخلع علي عبده خلعة قرب حضرته او لا ينزل عليه وفود الاملاك الذين هم
جنود الارواح والقلوب تاييدا ونصرة للروح والقلب حتي يتقوي ويطير بجناح الهمة
في فضا القرب ويستعد لنزول الخاطر الحقاني واذا اراد تبعيد عبد بسوط
الابتلا يرسل جنود الشيطان اليه امدادا للنفس حتي يتقوي بهمته الدنيه ويرجع
الي مركز السفلي ومحبوبها الطبيعي ويتولد منه الخواطر النفسانيه وتمييز الخواطر

131

كما ينبغي فلا يتيسر الا عند تجلية مرآة القلب من صدا الطبع بمصقل الزهد
والتقوي لهذا المبلغ والذي يريد ان يميز بين الخواطر فله طريق وذلك بان
يزن اولا خاطره بميزان الشرع فان كان من قبيل الفرايض والفضايل يمضيه
وان كان محرما او مكروها ينفيه وان كان من قبيل المباحات فكل جانب يكون اقرب
الي مخالفة النفس يمضيه والغالب من محبة النفس ميلها الي شي دني ثم يعلم
ان مطالبات النفس علي نوعين بعضها حقوق لا بد منها وبعضها حظوظ فالحقوق
ضرورية اذ قوام النفس وبقا حياتها مربوط ومشروط بها والحظوظ ما زاد عليها فيلزمه
تمييز الحقوق من الحظوظ كي يمضي الحقوق وينفي الحظوظ فارباب البدايات يلزمهم
الوقوف علي الحقوق وحد الضرورة وتجاوزهم عن ذلك ذنب في حقهم واما المنتهي
فله فتح طريق السعة والخروج من مضيق الضرورة الي فضا المساهلة والمسامحة
وامضا الحظوظ باذن الحق سبحانه وجعل بعض المشايخ الواجب والمحظور للحق
والمندوب والمكروه للملك والنفس واما المباح فما لم يكن فيه ترجيح لم ينسب
الي خاطر لاستلزامه الترجيح والشيخ مجد الدين البغدادي رحمه الله تعالي زاد
علي الخواطر الاربعة خاطر القلب وخاطر الشيخ وبعضهم زاد خاطر العقل
وخاطر اليقين وعلي الحقيقة هذه الخواطر مندرجه تحت الخواطر الاربعة فان
خاطر الروح وخاطر القلب تحت خاطر الملك واما خاطر العقل فان
كان في امداد الروح والقلب فهو من قبيل خاطر الملك وان كان في امداد النفس
والشيطان فهو من قبيل خاطر العدو واما خاطر الشيخ فهو امداد همة
الشيخ يصل الي قلب المريد الطالب مشتملا علي كشف معضل وحل مشكل
في وقت استكشاف المريد ذلك باستمداده من ضمير الشيخ وفي الحال الذي
ينكشف ويتبين وذلك داخل تحت الخاطر الحقاني لان قلب الشيخ بمثابة
باب مفتوح الي عالم الغيب وكل لحظة يصل امداد فيض الحق سبحانه علي قلب المريد
بواسطة الشيخ واما خاطر اليقين فهو وارد مجرد من معارضات الشكوك والريب
داخل تحت الخاطر الحقاني واما خاطر العقل فقد قال صاحب العوارف هو
متوسط بين الخواطر الاربعة يكون تارة مع النفس والعدو لوجود التمييز واثبات

[Margin notes: وقال — الحظوظ م والشيطان]

الحجة على العبد لا يدخل في الشي بوجود العقل اذ لو فقد العقل سقط
العقاب والعتاب وقد يكون تارة مع الملك والروح لتوقع الفعل مختارا ويستوجب
به الثواب واما خاطر اليقين فهو روح الايمان ومزيد العلم **فصل**
الخواطر تاتي المجاهد كسيل العرم فالواجب عليه في بداية امره النفي وفي
اخره التمييز بين الخواطر لانه في حال بدايته ليس فيه اهلية ان يميز بين
الخواطر فالطريق ان ينفي الخواطر جميعا فما كان محمودا كخاطر الحق والملك
والقلب يثبت ولا ينتفي بنفيه وما كان من الشيطان والنفس فينتفي
فينفي الخواطر باسرها مع رعاية صورة الذكر ومعناه ولا يلتفت الى
تمييز الخواطر بعضها عن بعض فانه وان كان بعض الخواطر من قبل النفس وبعضها
من القا الشيطان وبعضها من القا الملك وبعضها من قبيل الالهامات
الا انه يضيع الاشتغال بتمييز الخواطر مضرة ظاهرة بل الواجب اجتناب
الخواطر كلها ولا يتيسر ذلك الا برعاية ظاهر الذكر ومعناه والمبالغة
في تعظيم الحق وتعظيم جلسته مع الله تعالى لقوله تعالى انا جليس من ذكرني
فان التجريد يتيسر لمن ايد بصدق الارادة والطلب في طرفة عين ولن
يتيسر التفريد الا بمدة مديدة بواسطة نفي الخواطر فان جميع الاشيا المحسوسة
التي يشاهد في ابتدا امره استانس بها او لم يستانس ترتسم في خياله فاذا
جلس في الخلوة واشتغل بالذكر تشوشت عليه الامر والوقت تارة بتشبيح الخواطر
وانشابها وتارة بتخالطها بالمشاهدات الغيبية ومزاحمتها اياها ولذلك
هو احبس النفس ودعاوي الهوى على لذاتها ووساوس العدو على اختلافها
وكثرتها بوسيلة الهوا فانه يخرج يكدر ينبوع القلب ويفرق جمعية الباطن
ويسلب حلاوة الذكر ويبطل لذة المناجات مع الله تعالى فاذا واظب
على نفي الخواطر وهو الشرط الاعظم بل هو خلاصة امر الخلوة يوصل الى الحقيقة
التفريد والانس ويتبدل القا الشيخ بالهام الرحمن وحديث النفس
بمكالمة الروح والقلب وبمناجات الحق سبحانه ان شا الله **باب**
الشرط السابع ربط القلب بالشيخ من جهة الارادة التامة لانه

رفيق

رفيق في الطريق **قال** الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وقال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون **وقال** تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم فالشيخ هو الذي سلك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك
ويشير عليه بما ينفعه وما يضره ولا يكون الشيخ وصحبته اقل من الجليس الصالح
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح كمثل العطار ان لم يحذك
من عطره عبق بك ريحه ومثل الجليس السوء كمثل القيران لم يحرقك ناره عبق بك
دخانه وريحه كما تقدم **فصل** على المريد ان يعلم انه ليس احد من مشايخ وقته
ان يوصله الى الله تعالى غير شيخه وان كان كل واحد من المشايخ موصوفا بهذه الصفة
فانه لو خطر ببال المريد ان في العالم احدا يوصله الى الله تعالى غير شيخه تصرف فيه الشيطان
وازعجه من خلوته وربما يبلغ هذا التصرف الى ان يتمثل بصورة شيخه ويبين به اشيا يفسد
بها اعتقاده فاما اذا استحكمت ارادته في حق شيخه يستحيل انه يتمثل الشيطان بصورة
الشيخ **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته وعلماء امتي كانبيا
بني اسرايل فكما ان الشيطان لا يمكنه التمثل بصورة النبي صلى الله عليه وسلم على ما قال
صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي فكذلك
لا يمكنه التمثل بصورة الشيخ المتابع للنبي صلى الله عليه وسلم فينبغي للمريد محفوظا **وقال**
السادة رضي الله عنهم من اركان الوصول اربع خصال **الاول** الغيرة يعني يكون غيورا
في دين الله سبحانه وتعالى **الثاني** علو الهمة يعني عند المشاهدات والمكاشفات
والتجليات يكون عالي الهمة **الثالث** حفظ الحرمة والعزة مع الشيخ **الرابع** الشفقة
على الاصحاب يعني يوقر كبارهم ويرحم صغارهم وهذا لا يكون الا عند كامل الايمان وناقص
الايمان بخلاف ذلك **فصل** على المريد ان يتيقن ان روحانية الشيخ غير متحيزة
موضع وكما لا يكون متحيزا استوى اليه الامكنة كلها ففي اي موضع يكون المريد لا تفارقه
روحانية الشيخ وان كان يفارقه شخصيته والبعد انما يتعلق بالمريد فاذا تذكر المريد
بقلبه الشيخ قرب اليه فيتعلق به قلبه فاستفاد منه واذا احتاج المريد الى الشيخ
ليحل واقعته يستحضر الشيخ بقلبه ويساله عن ما شاهده لا بلسان الظاهر بل بلسان

القلب فيلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقيب السوال وانما يتيسر له ذلك بواسطة
ربط قلبه بالشيخ ومن هذا الوجه يفصح له لسان القلب وينفتح له طريق القلب
الى الله سبحانه فيجعله محدثا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان في الامم
محدثون وان كان في هذه الامة فعمر بن الخطاب رضي الله عنه فصل
في المشيخة والشيخ فالشيخ هو الذي يقرر الدين والشريعة في قلوب المريدين
اعلم انه لا يصلح للتربية والمشيخة الا من سلك الطريق وابصر المذموم
والمحمود في الغيبة وقاسى بلا أمواج العظمة من الهيبة والوقت والفنا ولا يصلح
للمجذوب فان المجذوب وان كان قد ذاق المقصود ولكن لم يذق الطريق الى الله تعالى
فلم يصلح للتربية والمشيخة لان التربية والمشيخة هي الدلالة والحفارة في الطريق
وشرطه ان يكون عالما بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كل عالم
باهل للمشيخة بل ينبغي ان يكون موصوفا بصفات الكمال ومعرضا عن حب الدنيا
وحب الجاه والمال وما اشبه ذلك ويكون قد اخذ هذا الطريق النقي عن شيخ محقق
قد تسلسلت متابعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتاض بامره رياضة بالغة
من قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام وقلة الاختلاط مع الانام وكثرة الصوم والصلوة
والصدقة وطول الصمت وظهرت في شمايله مكارم الاخلاق ومحاسن الادب
مثل الصبر والشكر والتوكل واليقين والسخا والقناعة والامانة وبذل المال والجاه
والحلم والتواضع وكفاية امور الاخرة والصدق والاخلاص والحيا والوقار والاحتمال
والسكون والتاني وامثال ذلك وقد اقتبس نورا من انوار النبي صلى الله عليه وسلم واضمحل فيه
الاخلاق الذميمة مثل الكبر والعجب والبخل والحسد والحقد والحرص والامل والخفة وجرى
على ظاهره صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعنا بل بلذاذة وحلاوة واستنار
بانوار المشاهدة وانشرح صدره بالنور المقذوف في قلبه وتجافى عن دار الغرور وانابه
الى دار الخلود وارتوى من بحر الحال وتخلص من الاعلال والاغلال وقال معلنا بلسان
الحال لا اعبد ربا لم اره كما في مقام الاحسان وكما قال علي رضي الله عنه حيث ساله
دعيل اليماني وقال يا امير المومنين هل رايت ربك فقال علي رضي الله عنه لا اعبد ربا
لم اره فقال دعيل كيف رايته قال ويحك يا دعيل لم تره العيون بمشاهدة العيان

ولكن

ولكن تراه القلوب بحقايق الايمان ثم اخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد العسل
بعد العلقم وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكابدة الى متسع المشاهدة وانس
بنفحات القرب وفتح له باب من المشاهدة فوجد دواه وفاض وعاه وصدرت منه كلمات
الحكمة ومالت اليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا
وصلح للخلوة وصار له في جلوته خلوة فيغلب ولا يغلب ويفترس ولا يفترس فيؤهل مثل
هذا للمشيخة لانه اخذ في طريق المحبين وفتح له حال من احوال المقربين بعد ما دخل
من طريق اعمال الابرار الصالحين وقد يكون له اتباع ينتقل منه اليهم علوم ويظهر
بطريقه بركة ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده اجابة قالبه العمل كاجابة قلبه
فيزيده الله تعالى ارادة ومحبة خاصة من محبة المحبين المرادين ينقطع فيواصل ويرمي
فيراسل قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم بالغيب ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اخبر سبحانه ان
الجلود تلين كما ان القلوب تلين ولا يكون هذا الا حال المحبوب المراد فصل
ينبغي ان يكون الشيخ في الشريعة عالما بالفرايض والسنن ونوافل الطاعات وانواع
المحرمات والمحظورات ليميز بين الحلال والحرام والفرض والسنة والنافلة واما في
الطريقة فيجب ان يكون عالما بانواع المعالجات في طريق الله تعالى ومجاهدات المريدين
اللايقة بكل واحد منهم ويكون كيسا دراكا لامزجة المريدين واوصافهم الذميمة كالحقد
والكبر والعجب والبخل وحب الرياسة والجاه والمال وحب الشهوات ويكون عنده من العلوم
والمعارف التي يحتاج اليها المريدون في طريق الله تعالى واما في الحقيقة فان يكون عارفا بمقامات
عوالم الحقيقة ومنازلها وتكوينها وتمكينها وافاتها وخوايصها وان يكون بليغا في
المكاشفات ومرتفعا من المكاشفات الى المشاهدات والمعاينات ومرتقيا من الفنا
الى البقا والى بقا البقا وجامعا لمعرفة العظمة والكبريا مع الوحدانية والفردانية حتى
يصلح ان يكون شيخا مربيا للسالكين في طريق الله تعالى مرشدا للطالبين لقا الله تعالى
يدل على ذلك قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني يعني من اتبعني من الداعين الخلق الى الله تعالى على بصيرة اي على مشاهدة
ورؤية بالقلب والايمان فصل ومن شرط الشيخ ان يكون كريما رحيما صبورا

حليما غير فظ ولا كظ ولا قاس ولا طواف في الاسواق ولا جامعا للدنيا ولا محبا لزينتها
ولا طالب جاه وصيت واتباع ولا مغلوب للحال ولا شطاح في المقال ويكون للمريدين
في الشفقة كما كان النبي صلي الله عليه وسلم لاصحابه حيث وصفه الله تعالي بقوله لقد
جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم ؛ فاذا كان
الشيخ متخلقا بخلق النبي صلي الله عليه وسلم بهذه المثابة كان مفترض الطاعة علي المريدين
ويكون خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في تربية المريدين فالشيخ هو الذي سلك
الطريق وعرف مضاره ومنافعه فيرشد المريد ويدله علي الله تعالي قال الله تعالي حكاية
عن نبيه موسي عليه السلام ووليه الخضر عليهما السلام قال له موسي هل اتبعك علي
ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا **باب** الشرط
الثامن دوام ترك الاعتراض علي الله تعالي كما قال سبحانه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين **وقال** تعالي ومن يسلم وجهه الي الله وهو محسن فقد استمسك
بالعروة الوثقي **وقال** تعالي ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن
الايه **وقال** تعالي في مدح الصحابة رضي الله عنهم وما زادهم الا ايمانا وتسليما **اعلم**
ان من لوازم حال المريد اذا جلس في الخلوة ان يغتسل وينوي في غسله انه غسل الميت
فيكون بين يدي الله تعالي كالميت بين يدي الغاسل ومن لوازمه الرضا والتسليم
والتفويض ومبادي التوكل فلا يعترض علي الله البتة فان رزقه بسطا شكره وتيقن ان
الباسط هو الله تعالي وان ابتلاه بقبض شكره عليه وصبر فيه وتيقن ان القابض
هو الله تعالي فان مثل المريد كمثل المريض مع الله تعالي الطبيب فاذا تيقن المريض ان
الطبيب عالم بدقايق الطب مشفق علي حاله فوض امره اليه وترك الاعتراض عليه فاذا
سقاه الحلو والمر قبله وشربه وعلم ان شفاه فيه فكذلك المريد اذا تحقق عنده ان الله
لطيف بعباده رحيم عليهم روف بهم وانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في
السما وتيقن انه ظالم لنفسه ساع في هلاك قلبه وروحه جاهل بما فيه فوزه ونجاته
او هلاكه فوض امره الي الله تعالي واستسلم لقضايه فاذا طيب الله وقته ورزقه البسط
شكره وتيقن ان شفا قلبه فيه ومعالجة مرضه منوط به واذا ضيق عليه الامر وابتلاه
بالقبض شكره وتيقن ان صحة قلبه متعلق به ومعالجة مرضه في ذلك الوقت مستورة به

شعر

شعر هواي له فرض تعطف او جفا ومشربه عذب تكدر او صفا
وكلت الي المحبوب امري كله فان شا احياني وان شا اتلفا
قال الله تعالي وعسي ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسي ان تحبوا شيا وهو
شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون **وقال** الله تعالي وعسي ان تكرهوا شيا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا ؛ فاذا استسعد المريد في الابتدا بالتسليم ابلغه ذلك الي كمال العبودية
في الانتها ولن يبلغ احد هذه المرتبة الرفيعة الاعلي بسبيل التدريج ومبدا التدريج هو ترك
الاعتراض كانه يقرا يوم المعاد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فحينيذ تهرب عساكر
الشكوك والريب وتنزل الملايكة حول القلب وتمطر عليه سحايب الرحمة بقطرات
النور فيمتلي من الحبور والسرور ما لا يعلمه الا الله تعالي وحينيذ يكل اللسان عن وصف
عظمته وكبريايه وجلاله ويقرا بلسان قلبه وما قدروا الله حق قدره يعني ما عرفوا
عظمة الله حق عظمته **فصل** ومن الموجبات ترك الاعتراض الرضا
بقدرة الله تعالي المقدور وقضايه المبرم من الفقر والغني والحزن والخوف والقبض
والبسط والامن والهيبة والمعرفة والمحبة والمحو والاثبات والحظوظ والشهود
والبعد والقرب والصحو والسكر والمجاهدة والمشاهدة والمكاشفة والمجالسة
والمناجاة والمجاورة والمحادثة والخوف من العاقبة والسابقة والعناية الازلية
والكفاية الابدية والقهر والغلبة والعزة والقوة والكمال ويلوذ باذيال الرحمة
والفضل واللطف والعطف من السواطع الربانية واللوامع الروحانية فانه تعالي
كريم رحيم افاض علي نبيه صلي الله عليه وسلم مكارم الاخلاق ثم مدحه علي ذلك **فقال**
تعالي وانك لعلي خلق عظيم **سيل** الواسطي رحمه الله تعالي لاي شي كان النبي صلي الله عليه وسلم
احلم الخلق قال لانه خلق روحه اولا فوقع له صحبة التمكين والاستقرار الا تراه يقول
كنت نبيا وادم بين الروح والجسد اي لم يكن روحا ولا جسدا **وقال** بعض
المشايخ اطلع الحق سبحانه علي القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلي الله عليه وسلم
فلذلك استعجله بالمعراج تعجيلا للروية والمكالمة **وقال** صلي الله عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ؛ وقيل له ما الدين فقال حسن الخلق **وقال** صلي الله عليه وسلم
حسن الخلق خلق الله **وقال** صلي الله عليه وسلم افضل المومنين ايمانا بالله احسنهم خلقا

وقال صلى الله عليه وسلم حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاداب **خاتمة**
اعلم ان غاية الشروط الثمانية هي تصفية الجوهر الانساني ليستعد للوصول
الي الحضرة الصمدية وذلك بدفع الاغيار والاغيار ثلاثة الوجود والنفس والشيطان
ودفعها بما ذكرنا من الشرايط اما الوجود فهو ظلمة شديدة مركب من اربعة اركان
الما والتراب والنار والهوى كلها ظلمات بعضها فوق بعض لابد من تصفيته بالمجاهدة
واما النفس فهي في الوجود لطيفة كلطافة الهوى ظلمانية غير زاكية منتشرة
غير زاكية في جميع البدن لابد من تزكيتها بالرياضة واما الشيطان فهو نار
غير صافية ممتزجة بظلمات الكفر تجري من بن ادم مجري الدم لابد من الانفصال
منه وطريقها طريق الكيميا فلابد من استخراج لطيفة نورانية من بين هولا
فان القلب تنقشت فيه الاشكال منذ عقل وعاشر الدنيا وما فيها وهذه
الاشكال ظلمات تركب بعضها فوق بعض وحصل منها صدا القلب وهو الغفلة
فبواسطة الخلوة والذكر والصوم والطهارة والسكوت ونفي الخواطر والربط وتوحيد
المطلب تنجلي مراة القلب عن الصدا فالذكر نار ومبرد ومطرقة والخلوة كوره
والصوم والطهارة الة التصقيل والسكوت ونفي الخواطر لنفي الوارد من الظلمات عليها
والربط تلميذ وتوحيد المطلب استاذ فاذا واظب العبد علي هذه الشرايط الثمانية
ينكشف القلب شهود نور المعية **قال** الله تعالى وهو معكم اينما كنتم **وقال**
تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله **باب** ما يجب علي السالك يجب علي السالك
ملازمة الورع في جميع احواله ويعلم ان الله تعالى محاسبه علي الاستقصا **قال**
الله تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وذلك في المقامات
وهي قيام العبد بين يدي الله تعالى في عباداته واولها التوبة وهي الرجوع الي الله تعالى
مع دوام الندم وكثرة الاستغفار ثم الانابة وهي الرجوع من الغفلة الي الذكر **وقيل**
التوبة في الظاهر والانابة في الباطن ثم العفة وهو ترك الشهوات ثم الورع وهو ترك
المحظورات ثم التقوى وهو ترك الشبهات ثم الزهد وهو ترك ما يشغله
عن الله سبحانه **قال** ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى الزهد فرض وفضل ومكرمة
فالفرض في الحرام والفضل في الحلال والمكرمات في الشبهات او كما قال ثم الارادة وهي

استدامة

135 استدامة الكد وترك الراحة ثم الفقر وهو عدم الاملاك وتخلية القلب
مما خلت عنه اليد ثم الصدق وهو استوا السر والعلانية وذلك
بالاستقامة مع الله تعالى ظاهرا وباطنا سرا وعلنا ثم التصبر وهو حمل
النفس علي المكاره وتجرع المرارات ثم الصبر وهو ترك الشكوى الي
غير الله تعالى ثم الرضى وهو التلذذ بالبلوى ثم الاخلاص وهو اخراج
الخلق من معاملة الله تعالى ثم التوكل علي الله تعالى وهو الاعتماد علي الله تعالى
في الوعد والوعيد بالمرة الطمع عما سوا الله تعالى **باب** في ذكر
ادابهم ومحاوراتهم وهو ان يقصد بكلامه النصح والارشاد وطلب النجاة وما يعود نفعه
علي الكل ولا يكلم الناس الا علي قدر عقولهم **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا
معاشر الانبيا ان نكلم الناس علي قدر عقولهم ولا يتكلم في مسئلة لا يسال
عنها واذا سيل اجاب علي قدر السايل **حكي** عن الجنيد رحمه الله تعالى
انه قيل له يسالك السايل عن مسلة فتجيبه ثم يسالك اخر عن تلك المسلة
فتجيبه بجواب اخر فقال علي قدر السايل يكون الجواب واذا سال لا يسال الا عن
مقامه ولا يتكلم فيما لا يبلغه استعماله وقد قيل تجوز ذلك **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
رب حامل فقه الي من هو افقه منه ولا يبذل العلم الا لاهله **وقيل** ابذل العلم لاهله
ولغير اهله فالعلم امنع جانبا ان يصل لغير اهله ولا يتكلم بين يدي من هو اعلم منه **سيل**
ابن المبارك مسلة بحضرة سفيان الثوري فقال انا لا اتكلم عند الاستاذين
وقال بعضهم لا يحسن هذا العلم الا لمن يعبر عن وجده وينطق عن فعله
فصل ومن الاداب ان لا يتكلم قبل اوانه فيتولد عنه افات تقطعه عن الفوايد
ويحذر ان يطلب الجاه والمنزلة عند الناس وحطام الدنيا فيكون ممن لا ينفعه
الله تعالى بعلمه وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع **وقال**
صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهي به العلما او ليماري به السفها او ليصرف
او ليصرف به وجوه الناس اليه فليتبوا مقعده من النار ويجتهد في استعمال
ما سمعه وتعلمه فقد قيل كل من سمع شيا من علوم القوم فعمل به صار ذلك حكمة
في قلبه وينتفع به السامعون له وكل من سمع ولم يعمل كان ذلك حكاية يحفظها اياما

ينساها وقيل الكلام اذا خرج من القلب وقع على القلب واذا
خرج من اللسان لم يتجاوز الاذن باب في مراعاة ما يجب رعايته
اعلم ان من وقع في ارض قلبه بذر ارادة سلوك الطريق الي الله تعالى
فعليه ان يكرم هذا الضيف الغريب الغيبي وان يستغنم هذا البذر
العزيز النادر ويقدم بين يديه غذا يناسب قوة احتمال حوصلته وهذا
الغذا لا يوجد بالحقيقة الا في ولاية مشايخ الطريقة قدس الله تعالى ارواحهم
وذلك لان بذر الارادة في قلب المريد على مثال طفل ولد من الغيب الي الشهادة
فلا يكون غذاوه الا اللبن الذي هو من عالم الغيب والشهادة كذلك نور
الارادة اذا ورد على قلب المريد من عالم الغيب بتوفيق الحق سبحانه انما يتربي
بتربية ما المعرفة من انهار الغيب الفايض من نور الله تعالى الفايض على قلوب
اهل الغيب وهم مشايخ الصوفيه الذين تشرفوا بمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فافاض من الحق سبحانه على قلوبهم واردات ربانية في صورة المنا بعد فصا وذا
ربانيين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صب الله تعالى شيا في
صدري الا صببته في صدر ابي بكر رضي الله عنه رواه صاحب العوارف
فمن وقعت له هذه الارادة الشريفة فلا يغتر بعلمه ورايه وحذاقته بل
يقوم في طلب شيخ عارف كامل مامون موصوف بتربية المريدين وان
كان في الشرق او الغرب لا بد من ذلك ويتمسك بخدمته ويسلم
نفسه اليه ويخرج من تصرفاته النفسانيه واذا كان الشيخ موصوفا بما
ذكرنا فلا يدع الشيطان بعد يوسوسه بمكايده الشيطانيه ونفسه
توافقه في ذلك ويقول هذا الشيخ هل هو شيخ كامل ام لا فلا يخرج هذا
الخاطر الردي الفاسد من نفسه بقوة رجوليته الثابته وهمته العاليه
ويحفظ اسرار قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسمع والطاعة وان كان عبدا
حبشيا ولا يتصرف في نفسه بنظر العقل العاجز قال مشايخ الصوفيه
رحمهم الله تعالى لان يكون فعل المريد في تصرف همة خير له من ان يكون
في تصرف نفسه كما تقدم وكلت الي الحبيب امري كله فان الخيالي

من قولهم

136 وان شا التلفا وهذا على طريق المبالغة منهم على حفظ الارادة
وعدم المخالفة وقد ذكرنا شرايط الشيخ فلا محيص من رعايتها
باب في دعا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الامة اعلم ان الله تعالى بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون داعيا للامة الي الله تعالى باذنه وهاديا لهم الي صراط
مستقيم قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الي الله باذنه وسراجا منيرا قال تعالى وانك لتهدي
الي صراط مستقيم ولما تمت مدة بقايه في الدنيا خلف خلفا ليدعوا الناس
الي الله تعالى وهكذا قرنا بعد قرن الي قيام الساعة كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا الاهتدا انما يوجد عند من ورث
العلم من النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا بالوسايط فمن وجد شيخا بهذه
الصفة وقبله الشيخ فعليه ان يحترمه ظاهرا وباطنا اما احترامه الظاهر
ان لا يجادل معه ولا يحاجه فيما يسمع منه من المسايل وان كان يري انه اخطا
فان نظره اتم من نظره وعلمه اتم من علمه ولذا في حضوره لا يجلس على سجادة
شيخه ولا في غيبته الا وقت الصلوة فاذا فرغ من الصلوة رفع سجادته ولا يصلي
النوافل بحضوره وكلما يقول له ويامره يمتثل امره ما استطاع ولا يضع رجله
على سجادته ولا يتحرك عنده ولا عند غيره بحركة خارجة عن شيم العارفين
ولا يكثر النظر في وجوه المشايخ ولا ينبسط مع شيخ الا اذا اذن له ولا يفعل
فعلا يثقل عليه بل يطرق راسه ينظر بين يديه ولا يطلع في وجوه الناس
فيغفل عن ذكر الله تعالى واما احترام الباطن فلا ينكر عليه شيا فيما يراعي
ظاهره قولا وفعلا حركة وسكونا والا فهو نفاق فعليه ان يفارقه حتى يوافق
فيستوي ظاهره وباطنه بتوفيق الحق سبحانه فصل في محافظة
الاوقات التي يرجا فضلها وعمارتها بالصلوات والاذكار وذلك مثل وقت
الاشراق فيصلي فيه اربع ركعات ووقته يدخل بطلوع الشمس ويبقي الي
ارتفاعها قدر رمحين ومثل وقت الضحي فيصلي فيه اثني عشر ركعة واقله ركعتان
ووقته بطلوع الشمس الي زوالها ومثل ما بين العشايين فيصلي فيه ست ركعات

في المعنى
يا سعد فارق من لا يوافق
عي براهين اهل الصدق

صلوة الاوابين وان صلي فيه عشرين ركعة فهو افضل بكل ذلك
ورد الخبر ويشتغل بعد ذلك بالذكر الخفي القوي بحضور القلب ومثل
الثلث الاخير من الليل فيصلي فيه ثلاث عشر ركعة عشرة ركعات صلة
التهجد وثلاث ركعات الوتر واقلها ثلاث ركعات ثم يشتغل بالذكر الي طلوع
الفجر ثم يصلي الصبح ثم يشتغل بالذكر ايضا الي وقت الاشراق ويواضب
علي ركعتي تحية الوضو وركعتي تحية المسجد قال صاحب العوارف
كره جماعة من العلما تحية الوضو بعد صلاة العصر واجازه المشايخ الصالحون
فصل في من يواضب علي الشرايط الثمانية المذكورة ويراعي هذه الاوقات
يصير مخلصا ممن لا يكون للشيطان عليه سلطان ويصير من اهل الجنة ومن
خواص اهل الله تعالي والجنة والنار الان موجودتان عند اصحاب السلوك
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم دخلت الجنة وسمعت خشخشة نعل بلال
قدامي ودخلت الجنة ورايت قصرا فسالت وقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر
فذكرت غيرته وما دخلت فيه ورايت ابا طالب في ضحضاح النار ولولا مكاني
لكان في طمطامها فصل ومن كرامات الاوليا ان يصير الايمان الغيبي بالله حقا
وما نطق به الكتاب والسنة من الوعد والوعيد والحشر والنشر ايمانا
شهوديا بحيث لا يمكن للنفس انكارها ولا للشيطان التشكيك في امر
من الامور الاخروية بحيث لو يكشف له الغطا لا يزداد يقينه ويتيقن
ان الله تعالي علي كل شي قدير وان القدرة لا تنبعث الا بالحكمة واعلم
انه لا يصل العبد الي حقيقة الايمان الا بعد وصوله الي هذا المقام كما كان
حال حارثة حين ساله النبي صلي الله عليه وسلم فقال كيف اصبحت يا حارثه قال
اصبحت مومنا حقا قال فانظر الي ما تقول فان لكل دعوا حقيقة فما حقيقة
دعواك قال عزفت عن الدنيا فاستوي عندي حجرها ومدرها فاظمات نهارها
واسهرت ليلها وكاني انظر الي عرش الرحمن بارزا والي اهل الجنة يتزاورون
والي اهل النار يتعاوون فيها قال اصبت فالزم فلما تولي قال هذا عبد
نور الله قلبه فصل وعلامة قذف النور في قلب الذاكر انشراح

صدره وطمانينة قلبه بالذكر وعلامة انشراح الصدر ترك
الدنيا والاعراض عن اغراضها الفانيه وعلامة اطمينان القلب
بالذكر قرارة عينه بالموجود الايمان المقذوف في صدره عند غلبة
الذكر عليه واعلم ان لكل صورة معني ولكل محسوس معقولا
ولكل شهادة غيبا فمن لم يثبت للمعني صورة فهو باطني ملحد عنيد
ومن لم يثبت للصورة معني فهو ظاهري جامد بليد ومن يجمع بين
الظاهر والباطن ويثبت لكل محسوس معقولا ويطالع في كل شهادة
غيبا فهو سني رشيد سعيد صوفي فكن سنيا صوفيا غير متعصب
مع احد من ايمة المومنين ولا تطعن في من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
ما دمت تجد لقوله محملا صالحا باب من ادب نفسه بالمجاهدة
وراضها بالمكابدة وتحمل المشاق وتجرع المرادات ويكون قد جاوز المقامات
وتادب باداب المشايخ الذين يصلحون للاقتدا وصحب رجال الصدق
وعرف احكام الدين وحدوده واصول المذهب وفروعه فيصلح للاقتدا
به باذن الله تعالي ومن لم يكن بهذه الصفة فحرام عليه التصدي للمشيخة
والارادة وقيل من لم يتادب باداب العبودية عيوب افعاله ورعونات
نفسه والعلم في ازالتها بجهده لم يجز الاقتدا به ثم ياخذ نفسه بالمحا
ويتفقد زيادتها من نقصانها وما لها وما عليها ويعرض حاله علي شيخه فيما
يعرض له وعليه في كل وقت فقد قيل ليس بلبيب من لم يصف ما به
الي طبيب ثم يطالب نفسه بمنازل المقامات علي ترتيبها ولا ينتقل
من مقام الا بعد تصحيح ادابه فيه ولا يشتغل بالزهد الا بعد الفراغ من
الورع وما اشبه ذلك الي ان تصير المعاملات الي القلوب كما قال
بعضهم العمل بحركات القلوب اشرف من العمل بحركات الجوارح وقال
النبي صلي الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان اهل الارض لرجح وقال
ما فاق ابو بكر بكثرة الصوم والصلوة ولكن بشي وقر في قلبه ولهذا ظهر من
حاله بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم ما لم يظهر من حال غيره حين صعد

المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال من كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقابل اهل الردة حتي حفظ الله
به الاسلام وتجب علي المريد ان لا يخلو ظاهره من الاوراد وباطنه من
الارادات الي ان يرد عليه الواردات فحينيذ يكون مع الواردات لا مع
الاوراد ولا مع الارادات وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله تعالي
اذا صارت المعاملات الي القلوب استراحت الجوارح فحينيد يشتغل
بعمارة الباطن ومباشرة الاحوال ومراعاة الاسرار وعد الانفاس كما قيل
عبادة الفقير نفي الخواطر قال بعض المشايخ اذا رايت المريد يا
مع الشهوات طالبا لحظوظ النفس فاعلم انه كذاب واذا رايت المتوسط غافلا
عن حفظ قلبه ومراعاة احواله فاعلم انه كذاب واذا رايت من يشير الي المعرفة
ويميز بين المدح والذم والقبول والرد فاعلم انه كذاب قال الجنيد رحمة الله
لولا المعاملات لادعي كل انسان بسلوك الطريقة قال الله تعالي
فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول وتجب ان يعلم انه لا يصح له
حال ولا مقام ولا عبادة الا بالاخلاص وتصفية الاعمال عن روية الخلق
باب في الواجبات من الواجبات مراعاة النفس ومعرفة اخلاقها
فانها الامارة بالسو ولا يغفل عنها وان تناهي في المعرفة فان النبي صلي الله عليه وسلم
كان مراعيا لها ومستعيذا بالله من شرها وكان يقول لعلي رضي الله عنه
ما انا ونفسي الا كراعي غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب وقال
ابو بكر الوراق رحمه الله تعالي النفس مرايية في جميع الاحوال منافقة في
اكثر الاحوال مشركة في بعض الاحوال فينبغي ان يعلم انها طلبت ان تكون
لله ضدا في دعواها وندا في مطالبتها وذلك ان الله تعالي طالب عباده بالثنا
عليه والمدح له فطلبت النفس ذلك وطالب الله العباد ان لا يخالفوا امره
ونهيه وطلبت النفس ذلك وطالبهم ان يكون هو المرغوب اليه والمرهوب
منه وطلبت النفس ذلك وطالبهم ان يصفوه بالجود والكرم وطلبت النفس
ذلك وقيل النفس لطيفة مودوعة في هذا القالب وهي محل الاخلاق

المذموم

138

المذمومه والروح لطيفة مودوعه في هذا القالب وهي محل الاخلاق
المحموده كما ان البصر محل الروية والاذن محل السمع والانف محل الشم وقيل
الروح معدن الخير والنفس معدن الشر والعقل جيش الروح والهوي
جيش النفس والتوفيق من الله تعالي مدد الروح والخذلان مدد النفس
والقلب في اغلب الجيشين باب في لبس الخرقة اذا صح
للمريد مقام التوبة والورع والتقوي وشرع في مقام الزهد وقد ادب نفسه
بالمجاهدة والرياضة فله ان يلبس المرقعة ان رغب فيها وليراع ما يلزمه في لبسها
واعلم ان الانسان عبارة عن جملة ظاهره وباطنه ولكل واحد منهما لباس يختص
به قال الله تعالي ولباس التقوي ذلك خير اما ظاهره فالبدن ولباسه
ما اجازه الشريعة وهي الخرقة التي كساها الله تعالي اياه وما دنسته تصرفات
الطبع والعادة كما كان النبي صلي الله عليه وسلم يلبس كان يلبس القبا والجبة
الواسعة الكم والضيقة الكم والقميص والردا الفاخر والخسيس واما باطنه
فامور وهي نفسه وقلبه وسره وروحه وخفية الذي هو سر سره فلباس
نفسه الشريعة ولباس قلبه الطريقة ولباس سره الحقيقة ولباس روحه
العبوديه ولباس خفيه المحبوبيه ثم اعلم ان حجاب الانسان الذي به
يحجب اما نوراني وهو نور الروح واما ظلماني وهو ظلمة الجسم قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة كما تقدم فمن وفقه
الله تعالي للمتابعة حتي بلغ كمال العبوديه فبكمال العبوديه يستخلصه الله تعالي
من نورانية الروح حتي يصل الي كمال المحبوبية قال الله تعالي قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وبالمتابعة يستخلصه الحق سبحانه وتعالي
من ظلمانية الجسم فترتفع الحجابات عنه باذن الله تعالي فيكون ربانيا مخلصا
من ارضية الجسم وسماوية الروح اذ هو القايم بالله تعالي في مقعد صدق
عند مليك مقتدر وهذا قول الحصري الصوفي لا تقله الارض ولا تظله
السما قال الله تعالي ولكن كونوا ربانيين فالمتابعة صورة وحقيقتها
المتابعة العبودية ولا يتصور انقطاع العبودية التي هي اللب ولا المتابعة

التي هي الصورة لا في الدنيا ولا في الاخرة فلا يومر احد بمخالفة الشريعة
الامن رده الله تعالي فاورده المهالك بيس الورد المورود كما كان حال المستدرجين
وبلعام وبرصيصا نعوذ بالله من الجور بعد الكور فيكون ظاهره وباطنه
محفوظا من تصرفات الطبع والعادة اللهم ارزقنا متابعة النبي صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وباطنا قولا وفعلا طاعة وعبادة وعادة فصل في المدركات
الباطنة من النفس والقلب والعقل والسر والروح والخفي وكل واحد
له حجاب فحجاب النفس الشهوات واللذات والاهوية وحجاب القلب
الملاحظة في عين الحق وحجاب العقل وقوفه مع المعاني المعقولة وحجاب
السر الوقوف مع الاسرار وحجاب الروح المكاشفة وحجاب الخفي
العظمة والكبريا والواصل ليس له التفات الي هذه الاشيا اقتدا بالنبي
صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه الخزاين والدفاين في مقام السدرة فلم يلتفت
اليها فمدحه الله تعالي بقوله سبحانه اذ يغشي السدرة ما يغشي ما زاغ
البصر وما طغي والعاقل الموفق لا يامن الشيطان ما دام معه شي من دنياه
فقد جا عن السيد عيسي عليه الصلوة والسلام انه كان نايما متوسدا لبنة فنبه
من منامه فاذا اللعين عند راسه فقال له ما جابك الي قال طمعت فيك فقال
يا ملعون انا روح الله كيف تطمع في فقال انك اخذت قماشي فطمعت فيك قال وما
ذاك القماش قال هذه اللبنة تحت راسك فرماها عيسي حتي فارقه باب
في التصوف ومذهبهم قيل اركان التصوف في الظاهر خمسة الخدمة والخرقة
والخلوة والصحبة والفتوة واركان باطنه ايضا خمسة العلم والعمل والحال والقلب
والمعرفة وقال بعضهم اول التصوف علم واوسطه عمل واخره موهبة
فالعلم الكشف علي المراد والعمل العون علي الطلب والموهبة التبليغ الي الغاية
الامل وهم علي ثلاث طبقات مريد طالب ومتوسط ساير ومنتهي واصل
فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات ومجانبة حظوظ النفس
والاقتصار علي حقوقها ومقام المتوسط ركوب الاهوال في طلب المراد ومراعاة
الصدق في كل الاحوال واستعمال الادب في جميع المقامات ومقام المنتهي

الصحو

الصحو والتمكين واجابة الحق من حيث دعاه قد استوي حاله في الشدة والرخا والمنع
والعطا والوفا والجفا اكله لجوعه ونومه كسهره قد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه
ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وكل ذلك منقول من احوال النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم اجمعين اوله كان متخليا في غار حرا ثم صار مع الخلق ولا
فرق عنده صلى الله عليه وسلم بين الخلوة والجلوة وكذلك اصحاب الصفة صاروا في
حالة التمكين امرا وزرا فان المخالطة كانت لا توثر فيهم قال ابو عبد الله
ابن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل علمك ملحا وادبك دقيقا وقيل
التصوف كله ادب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم الادب
بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من
حيث يرجوا القبول وقيل من حرم الادب فقد حرم جميع الخيرات ومن اخلاق
اهل التصوف طريقهم علي الخاطر فلا يميلون الي الخلق ولا الي الدنيا ولا الي
انفسهم ولا الي اهلهم وان نظروا ومالوا افتنوا وعجزوا وسيل الجنيد رحمه الله
عن الصوفية منهم فقال اثرة الله من خلقه يخفيها اذا احب ويظهرها اذا احب
وسيل ابن عطا عن التصوف فقال اتفقت انا والجنيد علي ان التصوف نزاهة
طبع كامنة في باطن الانسان وحسن خلق يشتمل علي ظاهره وسال
رويم رحمه الله تعالي الجنيد رضي الله عنه عن التصوف في ذاته اياك واياك يا ابا
محمد خذ الظاهر ولا تسال عن ذاتيته قال فالح عليه فقال مجيبا له هم اقوام يعلمون
مع الله تعالي من حيث لا يعلم الا الله تعالي وقال سهل التستري رحمه الله تعالي
التصوف القيام مع الله تعالي من حيث الله عز وجل ومن اخلاقهم الحلم والتواضع
والنصيحة والشفقة والاحتمال والموافقة والاجتناب والاحسان والمداراة
والايثار والخدمة والالفة والبشاشة والكرم وبذل الجاه والفتوة والمروة والمودة
والجود والعفو والصفح والسخا والوفا والحيا والتلطف والبشر والطلاقة والسكينة
والوقار والدعا والثنا وحسن الخلق وتصغير النفس وتوقير الاخوان وتبجيل
المشايخ والترحم علي الصغير والكبير واستعظام ما اليه واستصغار ما منه وسيل
سهل التستري رحمه الله تعالي عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة

والرحمه للظالم والدعا قال ابن المبارك رحمه الله تعالي حسن
الخلق ٣ كف الاذي وبذل الندي باب في المعرفة اعلم ان المعرفة (بسط الوجه)
المعتبرة هي هداية من الله تعالي وهي اما استدلالية واما شهودية ضرورية
اما الاستدلاليه فنحو قوله تعالي سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الايه
وهي درجة العلما العاملين الراسخين في العلم وهذا استدلال بالايات علي
خالقها لان منهم من يري الاشيا فيراه بالاشيا وهذه المعرفة علي التحقيق انما تحصل
لمن انكشف له شي من امور الغيب حتي استدل علي الله تعالي بالايات الظاهرة
وبالايات الغيبية لان الله تعالي خلق ظاهر العلم وباطنه ليكونا دليلين عليه سبحانه
فمن اقتصر استدلاله بظاهر العلم دون باطنه فلا يستدل بالدليلين كالانفس
مثلا فان النفس هي كلية الذات ظاهرا وباطنا فمن استدل ببطنها دون ظهرها
فما استدل بالدليل جملة فتعطل استدلاله بباطن النفس فالدليل اذا كان مخلوطا
بالتعطيل فليس بدليل مطلقا مع ان الاستدلال بظاهر تحصل بالافاق فاستغني
بها عن ظاهر الانفس واجتهد في تهذيب الاخلاق لينكشف لك شي من
الملكوت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون علي
قلوب بني ادم لنظروا الي ملكوت السموات فان من لم ينفتح باطنه بنور المعرفة
والمشاهدة فهو اعمي وان كانت عيناه مفتوحتين قال الله تعالي ومن
كان في هذه اعمي فهو في الاخرة اعمي واضل سبيلا فمن اشتغل بما لا يعنيه لم يكن
موافقا لربه ولم يعرف ربه تعالي اذ هو واقف مع حظ نفسه فيباعده الرب
تعالي ويحجبه عن مشاهدة اوصافه سبحانه واما المعرفة الشهودية الضرورية
دليلها قوله تعالي اولم يكف بربك انه علي كل شي شهيد وهي درجة
الصديقين وهم اصحاب المشاهدات وهو استدلال بالصانع علي
الايات قال بعض المشايخ رايت الله قبل كل شي وهو عرفان الايقان
والاحسان فعرفوا كل شي به واوحي الله تعالي الي داود عليه السلام يا داود
اتدري ما معرفتي قال لا يا رب قال حيوة القلب في مشاهدتي قال
احمد بن عاصم الانطاكي ما اغبط احدا الا من عرف مولاه تعالي واشتهي ان لا

اموت

145

اموت حتي اعرفه معرفة العارفين الذين يستحيون منه لا معرفة التصديق قال الواسطي
رحمه الله تعالي المعرفة ما شاهدته حسا والعلم ما شاهدته خبرا وقيل
المعرفة اسم لعلم تقدمه غفلة ونكرة ولهذا لا يصح اطلاقه علي الله تعالي وقال
سهل بن عبد الله رحمه الله تعالي انما سبيل العارف ان يطهر نفسه من الادناس
ثم يتقرب الي الله تعالي بصحة القصد اليه بما اوجبه والزمه من اوامره واجتناب
نواهيه بالاقتدا فيها بالسنه وحسن المراعاة بالادب وقال ابن عطا رحمه الله تعالي
من عامل الله تعالي علي رؤية ما سبق منه اليه لم يكن يتعجب ان يمشي علي الماء وفي
الهوي وكل امر الله تعالي عجب ليس منه شي عجبا وسيل الشبلي رحمه الله تعالي
عن المعرفة فقال اذا كنت بالله تعالي متعلقا لا باعمالك غير ناظر الي سواه فانت
كامل المعرفه وقيل الرؤية في الاخرة كالمعرفة في الدنيا كما انه سبحانه يعرف
في الدنيا من غير ادراك كذلك يري في الاخرة من غير ادراك لا تدركه الابصار
وقالوا من لم يعرف الله تعالي فالسكوت عليه حتم ومن عرف الله تعالي فالصمت له
حزم ولذلك قيل من عرف الله كل لسانه وقيل لبعضهم ما غاية المعرفة قال
الكينونة معه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه الا من عرف الله عز وجل لم
يكن عليه فاقة ولا وحشه وقال بعضهم لا يوصف بالمعرفة الا من توالت علي
قلبه العلوم علوم واحد وهو الله تعالي فغابت غفلاته وظهرت عليه اثاره وعلاماته
وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لكل شي معدن ومعدن
التقوي قلوب العارفين فيها ولا العارفين باب يجب علي السالك ان
يعرف اصول الدين ويقف عليها لتصح معرفته وعبوديته وعبودته وعبادته
واصول الدين الاسلام والاعتقاد والايمان والايقان واعتقاد والمعرفة والتوحيد
فصل فان قيل ما الاسلام يقال هو الذي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بني الاسلام
علي خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتا الزكاة
وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا فان قيل ما حقيقة
الاسلام يقال نور في صدر المسلم قال الله تعالي افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو علي نور من ربه فان قيل ما معني قول النبي صلي الله عليه وسلم

للمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده يقال والله اعلم اراد به ثمرة
الاسلام فصل فان قيل ما الاعتقاد الصحيح يقال هو اتخاذ صورة
علم راسخ في القلب بوجود المغيبات فان قيل ما حقيقته يقال هو نور
في قلبه يدفع به ما يعوضه من الشكوك والريب فان قيل ما معنى
صحة الاعتقاد يقال هو الخالي عن الاتحاد والتعطيل والتشبيه
والتجسيم والتكييف والتنقيص والحلول والالحاد والاباحه وهو الاعتقاد
الذي كان عليه الصحابة والتابعون والتابعون هم الذين اجماعهم حجة في
اصول الدين لشهادة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما الهمهم بقوله خير
القرون قرني الذي انا فيه ثم الذين يلونهم الحديث فهذه هي العقيدة
الصحيحة السليمه فصل فان قيل ما العلم الراسخ يقال هو الاعتقاد
الجازم المطابق فان قيل ما حقيقة هذا العلم يقال هو نور اذا نزل في
القلب ينفذ شعاعه الي حيث المعلوم ويتعلق به كما يتعلق كنور
العين بالمرئي فان قيل ما ماخذ هذا العلم يقال ماخذه حضرة الاله بفيض
على القلب في مشكاة النبوة فيجذبه الي الله تعالى او الي امر الله تعالى او الي
حكم الله تعالى وهو على مراتب علم اليقين وهو ما حصل عن نظر واستدلال
وعين اليقين وهو ما حصل عن مشاهدة وعيان وحق اليقين وهو ما
حصل عن عيان مع المباشرة الاول كمن علم بالعاده ان في البحر ما الثاني
كمن مشى ونظر ووقف على ساحله وعاينه الثالث كمن غاص فيه واغتسل
وشرب منه فان قيل ما العلم اللدني قال الله تعالى وعلمناه
من لدنا علما يقال العلم اللدني معرفة ذات الله تعالى وصفاته علما يقينا
عن مشاهدة وذوق ببصاير القلوب فان قيل بم ينال العلم الصحيح
يقال هو ثمرة الايمان الصحيح فما لم ينزل زايد الايمان في منازل قلبه
لا ينجلي علم اليقين في ساحة صدره فصل فان قيل ما الايمان
يقال هو تصديق الرسول والرسالة والمرسل في جميع ما جا به فان قيل ما حقيقة
الايمان يقال هو نور مقذوف في قلب المومن قال الله تعالى كتب في

قلوبهم

قلوبهم الايمان فان قيل ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم المومن من
يامن جاره بوايقه ونحو ذلك يقال هو ثمرة الايمان وهو على نوعين الاول
عطا من الله تعالى والثاني كسب بالنسبة العبد بتقوية الايمان العطاي
وهو شهادة ان لا اله الا الله والايمان الكامل الذي هو جمع بين التوحيد والتعظيم
بقوله تعالى ليس كمثله شي توحيد وقوله تعالى وهو السميع البصير تعظيم
والجمع بينهما ايمان كامل فصل فان قيل ما الكفر وما النفاق يقال
كل واحد منهما تكذيب الرسول والرسالة والمرسل في شي مما جا به اما
ظاهرا او باطنا قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
فان قيل فما النجاة من الكفر والنفاق الجواب بان يقول ويعتقد امنت
بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره حلوه
ومره وبالحشر والنشر والجنة والنار وغير ذلك وباركان الاسلام
من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد ويعمل ما يجب عليه من اركان
الاسلام وبان القران كله السور والايات كلام الله تعالى والكعبة قبلة
الله تعالى ودينه وشرايعه باقية الي يوم القيمة حتى لو ان اليهودي
والنصراني اراد ان يسلم يجب عليه ان يقر بذلك كله وان يقول تبرات
من اليهودية والنصرانية بعد الشهادتين وهكذا كل حكم من احكام الاسلام
نقل اليه متواترا لو رده كفر كرد اية من القران فصل في المعرفة
قال الله تعالى في قصة الخليل عليه السلام لين لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين وروت عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان دعامة البيت اساسه وان دعامة الدين المعرفة بالله تعالى
واليقين والعقل القامع قالت قلت بابي انت يا رسول وامي ما العقل
القامع قال الكف عن معاصي الله تعالى والحرص على طاعة الله ثم اعلم ان
الدين له اصل وفرع فالاصل هو معرفة الله تعالى مع ساير المعارف وهو
مقدم على الفرع قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
قدم المعرفة على الاستغفار الذي هو الفرع قال تعالى يا موسى انني انا الله

لا اله الا انا فاعبدني قدم المعرفة على العبادة التي هي الفرع **فصل** فان قيل
ما المعرفة يقال المعرفة في اللغة هو العلم وفي العرف اسم لعلم تقدمه او في غفلة ونحوه
عبارة الصوفية المعرفة هو العلم الذي لا يقبل الشك اذا كان المعلوم ذات الله تعالى
وصفاته فان قيل هل يجوز اطلاق المعرفة على الله تعالى يقال لا يجوز ذلك
فلا يسمى الحق سبحانه عارفا ولا يسمى علمه معرفة لان المعرفة في وضع اصل اللغة
اسم لعلم كان بعد ان لم يكن وعلم الله تعالى لم يزل كاينا قديما فان قيل ما
معرفة الذات وما معرفة الصفات يقال معرفة الذات ان يعلم ان الله تعالى موجود
واحد فرد وذات وشي وقايم بنفسه لا يشبه شيا ولا يشبهه شي واما
معرفة الصفات فان تعرف الله تعالى حيا عالما قادرا سميعا بصيرا مريدا متكلما الى
غير ذلك من الصفات فان قيل ما سر المعرفة يقال سرها وروحها التوحيد
وذلك بان حيوته وعلمه وقدرته وارادته وسمعه وبصره وكلامه منزه
عن التشبيه بصفات الخلق فان قيل ما علامة المعرفة يقال حيوة القلب مع
الله تعالى اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود اتدري ما معرفتي
قال لا قال حيوة القلب في مشاهدتي فان قيل فاي معرفة اقوى يقال
المعرفة الشهودية قال احمد بن عاصم الانطاكي اشتهي ان لا اموت
حتى اعرفه معرفة العارفين لا معرفة الذين يستحيونه لا معرفة التصديق
فان قيل ففي اي مقام تصح المعرفة الحقيقية يقال في مقام الروية والمشاهدة
بسر القلب وانما يرى ليعرف لان المعرفة في باطنه الا ارادة فيرفع الله تعالى
الحجب فيريهم نور ذاته وصفاته عز وجل من ورا الحجاب ليعرفوه سبحانه ولا يرفع
الحجب بالكلية كيلا يحترقوا كما قال بعضهم بلسان الحال شعر

ولو اني ظهرت بلا حجاب ... لبهت الخلايق اجمعينا
ولكن الحجاب لطيف معنى ... به تحيى قلوب العاشقينا

فان قيل ما الدليل على ان الله تعالى يسمى شيا عظيما يقال قوله تعالى قل اي
شي اكبر شهادة وقوله ام خلقوا من غير شي اي من غير خالق قال الغزالي
رحمه الله تعالى وربما يتوهم انه يدل على انه لا يخلق شيا الا من شي وليس كذلك

142
بل من غير شي اي من غير خلق والغير والشي في اللغة هو الموجود والله تعالى موجود
فالله تعالى شي اكبر وانما اكبر تعالى بان ليس له نهاية لا في الذات ولا في
ولا في الصفات **فصل** في التوحيد فان قيل ما التوحيد يقال التوحيد
في اللغة جعل شي واحد وفي عبارة العلما اعتقاد الوحدانية لله تعالى وعند
الصوفية معرفة وحدانية الله تعالى فان قيل ما اصل التوحيد يقال
اصل التوحيد اثبات ما لم يزل واسقاط ما لم يكن قال رجل للجنيد صف
لي الباري تعالى فقال هو بلا هو ولا هو الا هو فزعق الرجل زعقة فخر ميتا فقال الجنيد
رحمه الله تعالى كم اجتهدت ان لا اتكلم في التوحيد بلسان التجريد وقال بعضهم
التوحيد تمييز الحدث عن القدم والاعراض عن الحدث والاقبال على القدم
حتى لا يشهد نفسه فضلا عن غيره لانه لو شهد نفسه في حال
توحيد الحق تعالى او شهد غيره لكان مثنيا لا موحدا فان قيل ما معنى
توحيد العبد للحق تعالى فان الله تعالى كان واحدا في ازله وما كان معه غيره
كما في حديث عمرو بن حصين كان الله ولم يكن شي غيره وكان عرشه على
الما ثم كتب جل ثناوه في الذكر كل شي الحديث بطوله فاذا كان الله تعالى
قبل الخلق واحدا وتوحيده ثابتا وما كان ثمه شي غيره فكيف وحده العبد
الجواب والله اعلم معنى توحيد العبد للحق تعالى معرفة وحدانيته
الثابتة له سبحانه وذلك بان لم يخص في شهوده غير الواحد جل جلاله وتوحيد
الموحد لم يفد للحق سبحانه صفة الوحدانية وانما افاد الموحد صفة الموحدية والحق
سبحانه ورا كل توحيد قايم بذاته موصوف بصفاته غني عن غيره فتوحيد العبد
للحق سبحانه معرفة تنزيهه وتعظيمه على موافقة الكتاب والسنة وذلك
علمه بان الله تعالى واحد في ذاته لا يشبهه شي وواحد في صفاته وافعاله لا
يشاركه فيها احد وانه تعالى ليس في مكان الخلق ولا في زمانهم فلا يشبهه زماني
ولا مكاني فانه تعالى اعظم واكبر من ان تحيط به العلم والوهم والفهم قال الله تعالى
ولا يحيطون به علما ليس كمثله شي فان قيل ما حقيقة التوحيد يقال نور
يشاهد السر وجود من لم يزل كاينا وعدم من لم يكن وهذا التوحيد ورا التوحيد

بعبارة العلم فان العلم لا يمحوا الشرك وانما يمحوا العين اذ ليس الخبر كالمعاينة
ومن لقي ربه تعالى موحدا عادت سياته حسنات ومن وحد الله تعالى صادقا من
قلبه عالما حرمه الله على النار كما تواتر به الاخبار فصل في دلايل التوحيد
قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو وقال تعالى والهكم اله واحد
لا اله الا هو وقال تعالى اني انا الله لا اله الا انا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقي بالجنة بالتوحيد عباده وكفى بالجنة ثوابا اعلم ان دلايل
وحدانية الله تعالى كثيرة واظهرها اربعة الاول الخلق الثاني التربيه
الثالث الاماته الرابع الاحيا قال الله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم
يميتكم ثم يحييكم اعلم ان الوحدانية اخص صفات الحق سبحانه ولهذا اتفق
اقاويل اهل الحق من ايمة الهدى وعلما الصوفيه وصحت عقايدهم في التوحيد
من غير تشبيه ولا تعطيل وذلك بان يفرده الحق سبحانه من كل شي سواه حتى
لا يشهد نفسه فضلا عن غيره وعند الصوفيه ترك التوجه الى الله تعالى
تعطيل في التوحيد والتوجه الى غير الله تشبيه فافهم ترشد فصل
في اليقين فان قيل ما اليقين يقال هو عبارة عن ظهور نور الحقيقة في
قلب الموقن في حال كشف الاستار البشريه بشاهد الوجد والذوق لا بدلالة
العقل والنقل قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا
بمعناه انما يزداد وضوحا ومشاهدة فان قيل نور الايمان واليقين نور واحد
وهما نوران يقال الايمان نور من ورا الحجاب قال الله تعالى يومنون بالغيب
واليقين نور عند كشف الحجاب وبالحقيقة هما نور واحد غير انه اذا كان من
ورا الحجاب يقال له نور الايمان واذا باشر ذلك النور قلب المومن من عند
رفع الحجاب صار يقينا مثال الايمان كنسبة الفجر الى الشمس فقد ذهب
جزو من سواد الليل ولم تطلع الشمس بعد ومثال اليقين طلوع الشمس
حيث ما رفت زالت الظلمة بالكلية فاعلم ان الايمان اصل اليقين وعلم اليقين
وعين اليقين وحق اليقين فروعه بعضها اغلب من بعض وقد جا في
الخبر الايمان يقين كله فعلم اليقين ادراك المعاني وفهم الكلمات من الله تعالى

بالتعليم الالهي والتفهيم الرباني قال الله تعالى ففهمناها سليمان
وهو علم الرحمه وقال تعالى اتيناه رحمة من عندنا اي نورا وبصرة
وهو علم الشفقة على الخلق بخرق سفينة المساكين وقتل الغلام
واقام الجدار فمن صح علمه صحت عقيدته وصح ايمانه ومن صح ايمانه
صحت معرفته ومن صحت معرفته صح توحيده في الدنيا وصحت رويته
في الاخرة واليقين عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية
القلب اعلى من عافية البدن وقال بعضهم الفرق بين الايمان
واليقين كالفرق بين الاعمى والبصير اذا اخبرا بطلوع الشمس فالبصير
ينظرها والاعمى لا يشهدها لكن يثبت عنده وجودها بتواتر الخبر
فصل في العبادة فان قيل ما العبادة يقال هي ثلاث مراتب منهم
من يعبد الله للثواب والعقاب وهذا هو العبادة المشهورة ومنهم
من يعبده لينال بعبادته شرف الانتساب كما قال قايلهم
لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسماي
وهذه التسمية بعضهم عبودية ومنهم من يعبده اجلالا وهيبة وحيا منه
ومحبة له سبحانه وهذه هي الرتبة العاليه وتسمى هذه في اصطلاح بعضهم
عبودة فالعبودة اعلى من العبودية والعبودية اعلى من العباده فالعباده محلها
البدن قال بعضهم العبودية لباس الاوليا والعبودة لباس الانبيا
عليهم السلام وهي قامة الامر العبودية محلها الروح وهي الرضى بالحكم
والعبودة محلها السر وهي عبادة في الاحوال فالعبادة اصل والعبودية
فرع ولا فرع بدون الاصل والعبادة والعبودية مجاهدة والعبودة هداية
اني ذاهب الى ربي سيهدين قيل كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه
يعبد ربه الله اجلالا وتعظيما وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لم
يفضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلوة وانما فضلكم بشي وقر في صدره وكان
عمر رضي الله عنه يعبده خوفا وهيبة فلذلك كان مهابا من خاف الله
خافه كل شي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفر من ظل عمر

في حق الخضر عليه السلام

وكان عثمان رضي الله عنه يعبده حيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
استحي ممن تستحي منه ملايكة السما وكان علي رضي الله عنه محبة وفيه
نزل قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فمن كان في
رتبة العبودة كانت روية الله تعالى له في المخالفة اشد عليه من العقوبة لعلمه بانه لم
يقع في المخالفة الا وقد حجب عن المشاهدة فصل في الحق والحقيقة فان
قيل ما الحق وما الحقيقة يقال اما الحق في اللغة فهو الكاين الثابت فالحق الكاين
الثابت الموجود الدايم النافع الضار الذي رحمته وسعت كل شي هو الله تعالى
فاستعمال الحق له تعالى حقيقة ولغيره مجازا اذ وجوده سبحانه ذاتي ووجود غيره بايجاد
الله تعالى اياه فكان الوجود الثابت له تعالى خاصة اسما خاصا لذاته سبحانه يدل على
ذلك قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقول النبي صلى الله عليه وسلم اصدق
كلمة قالها لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زايل
فاذا كان ما خلا الله باطل لزم ان لا يكون الحق الا الله لان الحق عكس الباطل قال
الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه واما الحقيقة في اللغة
هي الراية اعني العلم وهي عبارة اهل الاصول المراد بحقيقة اللفظ ما وضع له
اللفظ يعني اصطلحوا على انهم متى استعملوا هذا اللفظ عنوا به هذا المعنى ثم هذا
الاصطلاح ان صدر من اهل اللغة فهي حقيقة لغوية وان صدر عن الشرع
فهي حقيقة عرفية مثال الحقيقة اللغوية لفظ الرجل والمراة ومثال
الشرعية لفظ الصلوة والزكوة والايمان والكفر ومثال العرفية لفظ
الدابة لكل ما يدب ثم قد خصها العرب ببعض البهايم فصل واما الحق
والحقيقة في اصطلاح مشايخ الصوفية فالحق هو الذات والحقيقة هي
الصفات فالحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات ثم انهم اذا اطلقوا ذلك
فانما ارادوا به ذات الله تعالى وصفاته عز وجل خاصة وذلك لان المريد اذا
ترك الدنيا وتجاوز عن حدود النفس والهوى ودخل في عالم الارواح يقولون
دخل في عالم الحقيقة ووصل الى مقام عالم الحقايق وان كان بعد في
عوالم الصفات والاسما ومهما وصل الى نور الذات يقولون وصل الى الحق

دخل

144

وقال ما يستعملون ذلك في ذوات اخر او في صفاتهم لان مقصودهم الكلي هو التوحيد
وعن ابي الدردا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شي حقيقة ومعنا
لكل ذات صفة خاصة هي صفة الذات وقال صلى الله عليه وسلم لحارثة حيث
قال اصبحت مومنا حقا قال ان لكل شي حقيقة فما حقيقة ايمانك الحديث
وانما طلب النبي صلى الله عليه وسلم منه ذلك الوصف الخاص اللازم للايمان الكامل
التام وحارثة اجاب عن ذلك واصاب واما حق اليقين فهو الله تعالى وما سواه
لا يكون حق اليقين الا مجازا وعند الصوفية مشهور انهم يقولون كل بالله وكل
من الله وكل الى الله وكل من عند الله باب في الوصية قال الله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وقال تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة الحديث اعلم ان قرب الوصال من الله
تعالى انما يرجى بالعلم الراجح والعمل الصالح وذلك في كتاب الله تعالى فان القران هو الامام
في الاعتقاد والايمان والاعمال والاحوال والايقان والتوحيد والمعرفة وقد ذكرنا
المعارف واما الاعمال فانما صحتها بالعلم الراجح واما الاحوال فانما هي مواريث الاعمال
وان الله تعالى لا يقبل من الاعمال الا ما كان صوابا خالصا فالصواب ما كان على
وفق الشريعة المطهرة والخالص ما اريد به وجه الله تعالى قال الله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وانما يتقبل العمل اذا كان مقرونا
بالتقوى قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وانما النجاة في التقوى
قال الله تعالى وننجي الذين اتقوا والتقوى والايمان على درجات بعضها فوق
بعض قال الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
اذا ما اتقوا وامنوا ثم وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب
المحسنين فالله تعالى اثبت الايمان في هذه الاية العظيمة على درجات ثم جعل
الدرجة الرابعة احسانا فقوله تعالى ليس على الذين امنوا فهذه الدرجة الاولى
في الايمان حيث سماهم مومنين ثم قال تعالى اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
فهذه درجة ثانية في الايمان وهي اعلا من الاولى وضم اليها التقوى والاعمال الصالحات
وبعد ذلك قال ثم اتقوا وامنوا فهذه درجة ثالثة ومعها التقوى ايضا وبعد ذلك

قال
ثم اتقوا واحسنوا فالايمان الاول بلا تقوى وهو مجرد كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله
مع قبول الشرايع والثاني الايمان مع العمل باليسر فهذا الايمان يزيد على الاول
اذ معه التقوى على المحرمات مع الاخذ بالرخص والتاويلات والايمان الثالث
في الدرجة الثالثة ومعه التقوى ايضا وهو الاحتراز عن الشبهات والاخذ
بالعزايم والحذر عن الرخص والتاويلات ثم الدرجة الرابعة عالم الاحسان
فوق الايمان بالغيب وهذا عالم الايقان بواسطة المشاهدات وفي تلك
الدرجة اثبت التقوى ايضا وهو التقوى عن كل شي سوى الله تعالى

فصل في الوصال فهذا الكتاب طريق به يرجا الوصال الى الله تعالى
ومواصلته بتانس انوارهم في قلب العارف والوصول نظر الله تعالى الى قلب
عبده بنور من انواره وذلك النور الذي ظهر الى العبد لم يفارق الحق سبحانه
لانه صفة من صفاته دخل وجه العبد فينظر بقوة نور الحق الى الحق اذ ليس
من طرق البشر الاتصاف بصفات الله تعالى اذ لا يحمل عطاياه الا مطاياه
واعلم ان معنى الوصال هو الروية والمشاهدة بسر القلب في الدنيا وبعين
الراس في الاخرة ان شاء الله تعالى وليس معنى الوصال اتصال الذات بالذات
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كما قال بعضهم فان طرفي موصول برويته
وان تباعد عن مثواي مثواه ولا وصال الا بادراك حس من
الحواس الباطنة انما يراه العبد في الاخرة بلا كيف كما يعلمه ويعتقده ويوحده
ويعرفه ويومن به في الدنيا بلا كيف وانما تصح رويته في الاخرة اذا صح ايمانه فلا
يراه قط فصل ومن اركان الوصال بعد معرفة الاصول هو التقوى في جميع
المقامات قال الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والتقوى لباس
القلوب من نزغات الشيطان قال الله تعالى لباس التقوى ذلك خير
وقال تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وهو قول لا اله الا الله
ومنها الصدق وهو من ميراث التقوى قال الله تعالى اوليك الذين
صدقوا الله واوليك هم المتقون والعلم الذي انزل الله تعالى في الكتاب انما
ذلك هداية المتقين قال الله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

وامر الله تعالى لتفهم العلم بالتقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم
الله وان الله تعالى قرن جميع الاعمال والاقوال بالتقوى فقال تعالى
وان اقيموا الصلوة واتقوه وقال تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال في الحج وتزودوا فان خير الزاد التقوى
وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم وقال
تعالى في حق الجهاد ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم
تشكرون وان الله تعالى خص بالولاية والمحبة المومنين المتقين قال
الله تعالى الله ولي الذين امنوا وقال ان الله مع المومنين ان الله مع الصابرين
ان الله لمع المحسنين ان اولياوه الا المتقون وهذا النظم يفيد الحصر اي
لا يكون اوليا الا اتقيا وكل ذلك وغيره مما في القران يدل على ان معظم الاركان
في الاسلام التقوى انظر الى حال المستدرجين ابليس وبلعام وبرصيصا
مع كمال حالاتهم وكراماتهم لما اهملوا التقوى واتبعوا الهوى كيف سقطوا عن
درجاتهم شعر لو كان في العلم من دون التقى شرف لكان اشرف خلق الله ابليس
فطوبى للعاقل المتقي الذي يختار الباقي ويترك الفاني ويجتنب من لم يصحبه
التقوى قولا وفعلا واكلا ولبسا والمتقي لما عرف ان مصاحبة القرين السوء
نقص في الدين والدنيا وفضيحة في الاخرة هرب فارا الى الله تعالى قال الله تعالى
ففروا الى الله وقال تعالى الاخلاء يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
كيلا يقول يوم القيمة ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين فبيس القرين وسوء القرناهم الذين قال الله تعالى ان الله
لا يحب الكافرين ان الله لا يحب الظالمين ان الله لا يحب المتكبرين ان
الله لا يحب المفسدين ان الله لا يحب الخاينين ان الله لا يحب المعتدين
باب في شي من واقعات اهل الخلوة قال الله تعالى اني رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الرويا الصالحة جزو من ستة واربعين جزوا من النبوة اعلم ان السالك
اذا شرع في المجاهدة ورياضة النفس وتزكيتها وتصفية القلب ومراقبته

يحصل له العبور علي عالم الملك والملكوت ففي كل مقام يناسب حاله يكشف له
الوقايع فقد يكون كشف حاله في صورة منام صالح وقد يكون واقعة فالذي يتفق
له في اثنا الذكر واستغراق حاله مع الله تعالي بحيث تغيب عنه المحسوسات
ويكاشف ببعض امور حقايق الغيب وهو بين النوم واليقظة فان الصوفية
تسمي مثل ذلك الواقعة واذا اتفق هذا في اليقظة والحضور فهو المكاشفة
فان المنام قد يكون صدقا وقد يكون كذبا واما المكاشفة فلا يكون الا صدقا لانها
من اراآة الحق سبحانه في حال تجرد الروح عن غشاوة البدن وفي اكثر المنامات
تشارك النفس مع الروح فالصدق صفة الروح والكذب صفة النفس
المحجوبة فالصدق مدركة الروح والكذب مدركة النفس والرويا الصادقة
جزو من النبوة وروي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت اول ما بدي
به رسول الله صلي الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا
يري رويا الا جات مثل فلق الصبح قال فاذا راي المريد في الواقعة
انه محارب مع السباع والبهايم ويقاتل مع الحيات والعقارب ويجادل مع الكفار
والملاحدة فالشيخ يعرف انه في مجاهدة النفس فيامره بالصدق والثبات
علي المجاهدة كيلا يغفل عن مكر النفس فصل الاجزا الاربعة من التراب
والما والهوا والنار لكل واحد منها صفات ملازمة فلازم الجزو الترابي الكثافة
والكدورة والظلمة والجهالة والثقالة والقساوة فاذا شرع الخلوتي في المجاهدة
تبدل ذلك باللطافة والصفا فعند العبور علي الصفة الترابية يري كانه يقطع
المفاوز والفلوات والاخربة واما لازم الجزو الثاني فسرعة الاختلاط والامتزاج
مع النفوس وقبول التاثر والتلوث منها والميل الي النوم فعند عبوره علي الجزو المائي والنسيان
يري الانهار والبحار والحياض والخضرة واما لازم الجزو الهوائي فالميل الي الشهوات
وكثرة الملالة والضجرة وسرعة التغير من حال الي حال فعند عبوره علي
الجزو الهوائي يري كانه يطير في الهوا ويصعد ويتصاعد واما لازم جزو الناري
فالغضب والكبر والاستعلا وطلب الجاه والرياسة والرفعة فعند العبور علي الجزو
الناري يري السراج والمشعلة والبرق والاشيا المحرقة واخر العناصر الجزو

الناري

الناري ويمكن ان يقال هنا الحديث الذي قال النبي صلي الله عليه وسلم اخر
ما يخرج من روس الصديقين حب الجاه والرياسة وفيه اشارة الي خلاص
الصديقين من لوازم الجزو الناري لاستعلايها علي النفوس غالبا فصل
اذا كوشف بحقيقة الروح يرا ذلك في صورة الشمس واذا كوشف بحقيقة
القلب يري ذلك في صورة القمر واذا تجلي له صفات القلب يري ذلك
في صورة الكواكب وفي هذا القسم يمكن مداخلة الكذب ولكن لا سبيل لمحض
الكذب فيه لانه لا يخلو من ادراك الروح فينبغي للمعبر والماول ان يخلص
حقايق المدركات الروحانيات من شوايب الخواطر النفسانية لان القوة
المتخيلة تكسو كل واحد صورة الخيال وتعرضه علي النفس فيشاهد صورة تلك
الخواطر بعينها مثل شخص مرتاض داعية الي قبول الخلق باعثة له علي الرياضة فيري
في الواقعة انه مسجود للخلايق فيعرف المعبر والشيخ ان تلك نتيجة اشتياق النفس
في هواها تصورت لرايها لا جرم لا يعبره المعبر ويعده من قبيل الخيال الباطل واذا
وقع هذا النوع في المنام يقال اضغاث احلام واذا كان في الواقعة تكون الواقعة
كاذبة ولا يكون في مثل هذا صدق فصل اما الذي في عالم الغيب فظهوره
لا يمكن في عالم الشهادة مثل الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم واما
ما يمكن ظهوره في عالم الشهادة بصورة عارضة مثل الملايكة والارواح المجردة كظهور
جبريل عليه السلام كلما جا الي النبي صلي الله عليه وسلم تمثل بصورة دحية
الكلبي وبصورة اعرابي كما راه من كان حاضرا في ذلك المجلس في تلك الصورة ما كانت
نتيجة تصرف القوة المتخيلة والا كان كل واحد يشاهد ذلك بحسب اختلاف احوالهم
بصفة اخري ولا شك ان تمثل الملايكة والارواح المجردة بصورة البشر في عالم
الشهادة انما كان ذلك بصورة عارضة فاما حضورهم ومشاهدتهم بصور ذواتهم لا يكون
الا في عالم الغيب وهذا التمثل من قوة تصرف الروحانيات في عالم الصور يتمثل بكل
صورة يريد من صور البشر ومن المكاشفات ما يكون ادراكه في عالم الشهادة مثل
المسجد الاقصي راه النبي صلي الله عليه وسلم من مكة لما رجع من المعراج واخبرهم فانكر
كفار مكة ذلك وقالوا ان كنت صادقا فقل لنا عن المسجد الاقصي كم هي ففي الحال

بلغ مقابلة

ارتفع الحجاب عن نظره وعدعمره كلها وكذا سالوا عن القافلة بجانب الشام فقال
القافلة بينهم وبين مكة منزل واحد فوصل القافلة ثاني اليوم على الصباح ومثل
ما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه التي في رحم ابنت خارجة جارية فولدت
جارية ومثل خبر سارية امره عمر رضي الله عنه على جيش وجهه الى نهاوند
فلما التقى العدو بها وافق اللقا يوم الجمعة عندما كان عمر رضي الله عنه يخطب
على المنبر وقد كمن طايفة من العدو في الجبل فنادي يا سارية الجبل فسمع سارية
الندا واشرف في الجبل فاستاصل الكمين ومثل ذلك في واقعات المشايخ
فصل في فايدة الواقعة للسالك ليقف على صلاح النفس وفسادها وترقي
حالها ونقصانها في السير والسلوك ويكون سبب السكينة قال الله تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين وليفرق بين الحق والباطل وبين الوقايع
النفسانية والشيطانية والحيوانية والسبعية والملكية والقلبية والروحية
والرحمانية حتى اذا غلب على النفس الصفات الذميمة مثل الحرص والبخل والحسد
والحقد والكبر والغضب والشره والشهوة وغيرها فالخيال يصور كل واحد من هذه
الصفات في صورة حيوان تكون تلك الصورة غالبة على صفة ذلك الحيوان
فصفة الحرص ترى في صورة الفار والنمل وصفة الشره ترى في
صورة الخنزير وصفة العجب في صورة الدب وصفة البخل في صورة
الكلب والقرد وصفة الحقد في صورة الحية وصفة الكبر في صورة النمر وصفة
الغضب في صورة الفهد وصفة السبعية في صورة الاسد وغيره من السباع
وصفة الشهوة في صورة الحمار والصفة البهيمية في صورة الغنم وصفة الشيطنة
في صورة الشياطين والمردة والغيلان وصفة المكر والحيلة في صورة الثعلب
والارنب فان كان يرى هذه الصفات مستولية عليه علم انها غالبة عليه
فيجتهد في تطهيره عنها وان كانت مسخرة له علم ان ذلك عبوره عن هذه
الصفات وان راى انه يقتل ويقهر هذه الحيوانات علم انه يستخلص
منها وان كان في المنازعة والمكابدة معها فلا يغفل ولا يامن حتى تنتفي هذه
الصور بالكلية فصل عدا اطفال الطريقة في السلوك الوقايع الغيبية

فانها

147

امور واردات تربي بها اطفال الطريقة وبعض المقامات لا يمكن العبور منه الا
بتصرف الوقايع الغيبية وهذا هو الركن الاعظم في احتياج المريد الى الشيخ وذلك
لان السالك اذا كان سلوكه في وجوده وفي صفات نفسه يمكن انه لا يحتاج
الى الغير او له امارات بها يستدل على الطريق ولكن اذا بلغ الى مقام الروحانيات لا
يمكنه العبور منها الا بتصرف الغير فالواقعة في هذا المقام اذا كانت من فيض ولاية
الشيخ او من حضرة الرسالة او من تجلي الصفات الالهية يعطي السالك الفنا وفنا
الفنا ولكن لم يصل الى البقا وبقا البقا والتمكين في البقا الذي هو المراد من السلوك
ثم اعلم ان الواقعة القلبية والملكية والروحية والرحمانية لها مذاق تستلذ منها
النفس وتجد منها مشربا وقوة وذوقا وشوقا ويفارق مالوفات الطبع ومستلذاته
ويالف الى عالم الغيب والروحانيات واللطايف والاسرار والحقايق ويتوجه بها
بالكلية الى عالم الطلب ويصير مشربه عالم الغيب قد علم كل اناس مشربهم
فصل قال بعض الكبار ان الشيطان اذا وجد جاهلا ليس له علوم الدين وفقه يكشف
بشي من الغيب يضحك عليه ويستهزي به ويستخفه بحركات عجيبة ويبول
عليه ويريه قارورة فيها ما الورد يرش عليه وانه لعند الله تعالى يجعل ذلك الضعيف
وسيلة الى اغوا خلق كثير ويجعله اله يضل به جما غفيرا ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وهذا معقول فان الفقيه وان
كان سفيها كسلان في الطاعة فانه يهدي امة عظيمة بفقهه وهذا الجاهل
يغوي بعبادته ومكاشفته مع جهله خلقا كثيرا وان معاملات الشيطان
مع هذا الجاهل انه يغويه اولا ويريه ان الذي يرى من تجلي الحق سبحانه في الصور
فكما يرى فيصير مجسما فيهلك فالجاهل اذا راى في واقعته تجلي الله تعالى في
صورة اعتقد ان الله سبحانه ذاته صورة فيصير مجسما مشبها ثم الشيطان
يمنعه من صحبة العلما والمشايخ الكبرا الذين ينبهونه على الحق والباطل بان يسول
اليه ويقول له من مثلك في العالم حتى ترجع الى غيرك وتقتدي به وهل كان
للانبيا مثل ما لك من الصفا والجلا يتجلى لك الرب تعالى من غير سوالك وما تجلى
لموسى عليه السلام حيث قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ويقول له ايضا كيف

ترجح الي عالم او شيخ عارف اعرف من الله العظيم الذي ينعم عليك ويربيك
بفضله وجوده اتظن ان الشيخ العارف اعرف بمصالحك واقوي علي تربيتك
واقدر علي عصمتك من شر الشيطان وابصر بما يعينك من الله العزيز
الحكيم البصير العليم القوي المتين الهادي الخلق الي الحق فاذا اقبل ذلك هذا الجاهل
من كان له عند ذلك الشيطان شيخا ومعلما وصار حجابا بينه وبين الله تعالي ووضع عرشه
بين السما والارض وتجلي له متي شا واحتجب متي اراد حتي يغرقه في الضلالة
ثم يزينه عند الناس ويدعوهم الي الاقتدا به فيهلك بذلك خلق عظيم وهذا
امر مجرب جربه كثير من المشايخ ثم قالوا من لا شيخ له فالشيطان شيخه
قال الله تعالي فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلي الله عليه وسلم
اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال صلي الله عليه وسلم
اصحابي كالنجوم كما تقدم وقد حذر الله تعالي من معادات الشيطان في كثير من
الايات فقال تعالي ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الايه وقال تعالي
يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الي قوله انه يراكم هو وقبيله
من حيث لا ترونهم والعجب انه ما نجا من القا الشيطان انبيا الله تعالي قال
الله تعالي وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني القي الشيطان في
امنيته الايه وليس يخفي من حكاية ادم صفي الله تعالي وما عمل به اللعين فكيف
يا من العمر الغبي من احاد الجهال ان يسخره الشيطان فصل اكثر ما يلقي الشيطان
للجهال في الاباحة والتجسيم والحلول اما الاباحة فانه يسول لهم ان المقصود هو
الوصول الي مشاهدة الحقيقة وقد وصلت فترتفع التكاليف كما ترتفع بالموت
وربما يلقي اليهم ان الله غني عن طاعتك وانما كلفك بهذه التكاليف لتطهير النفس وحصول
الصفا وقد حصل حتي ترى لصفا قلبك الروحانيات وربما يلقيه في معصية
ويريه حالة عصيانه انوارا كاذبة وصورا مزخرفة ثم يقول له او يلقي في قلبه انه
زال عنه التكاليف حيث لا تضره المعاصي وكل ذلك تخيلات باطلة من الشيطان
وللنجاة عن ذلك اسباب كثيرة عند العلما وذو الاخوان يعلم ان هذه الطايفة اتباع
الانبيا عليهم السلام لان الانبيا كانوا الي الله تعالي اقرب منهم واقوي في مشاهدة

الحقايق

الحقايق والامور الباطنة ومع هذا ما اخلوا بشي من الطاعات ولا تجاسروا
علي اقتراف شي من المعاصي ولذلك يعلم ان ليس في القران ولا في اخبار
النبي صلي الله عليه وسلم حرف باباحة المحظورات لاحد من الناس في حال من الاحوال
بل القران والاخبار واجماع العلما ظاهرة عامة علي التشديد والزجر والحدود
والسياسات علي من تهاون بشي من التكاليف وتعظيم الاوامر والنواهي الزجريه
وامثال ذلك كهي البراهين علي بطلان الاباحة كثير عند المشايخ العارفة
والعلما الراسخة فصل واما التجسيم انما يريه الشيطان من قبل
انه يريه ان الذي يري من الصور والاشكال فذلك عينه ذات
الله تعالي وربما الشيطان اراه نفسه علي عرشه بين السما والارض
كما ورد في الخبر فيعتقده ربا فيسجد له وقد وقع تلك الحادثة لواحد وهو
المومل والله اعلم انه راي في بريه طريق مصر الشيطان علي عرش بين
السما والارض فسجد له وظن انه الرب تعالي ثم حكي ذلك لجماعة المشايخ
في بغداد فقالوا اما ذلك فهو شيطان بدليل قول النبي صلي الله عليه وسلم
ان للشيطان عرشا بين السما والارض وهو يجلس عليه الحديث كما ورد
فقام الرجل واعاد صلوته وجدد ايمانه ثم عاد الي المكان الذي راه فيه
ولعنه وانكر عليه وقال انا انت الشيطان اللعين لقد عرفتك وامنت
بالله تعالي وحده اما النجاة من ذلك فلها وجوه كثيرة عند العلما الراسخين
وايضا من اجماع الانبيا والامم العاقلة المومنة بالانبيا واتفاق المشايخ
العارفة بالله تعالي علي ان الله تعالي منزه ذاته وصفاته ان يكون جسما
او يشبه من الاجسام وان الاجسام كلها مخلوقة ومحدثة والله خالقها
قديم ازلي ابدي كان ازلا ابدا فصل في بيان الحلول اعلم ان الحلول
انما حدث في الاسلام من واقعات الجهلة المتصوفة فالقي الشيطان
في قلوبهم الاغلاط فغلطوا بها وذلك خوان يريهم انهم انما يرون من
الروحانيات من بواطنهم ببواطنهم فاذا هو في الباطن صيرورة ان
ليس في الخارج والذي في الباطن نفسه فيكون نفسه ربا اذا وايضا

يلقي الي طايفة من اصحاب الاحوال منهم فان الحال ربما ينزل فيهم ويغلبهم ثم انهم بقوة ذلك الحال يعملون اعمال الخارقة للعادة وهي الكرامات العيانية فيخيل لهم ان ذلك الحال الذي نزل فيهم هو الله تعالي حيث يعمل خوارق العادات والنجاة من ذلك ان نعلم ان ذلك تاثير الحال والحال نظر الله تعالي اليه بما شا من صفاته عز وجل ونظر الناظر غير الناظر كنظر الواحد منا الي الكواكب في السما ومنها ان يكون السالك بعد في عالم النفس والهوي فيرا في المنام او الحال انه الرب فيكون الروبا صحيحا محتاجا الي التعبير وتعبيره ان ذلك الشخص بعد عبد نفسه يحبه هواها ويعمل له ما يحب فيكون بعد من اتخذ الهه هواه فيراي في الواقعة انه الرب المعبود فيجب عليه ان تجتنب من طاعة النفس والهوي ومن القيام بما يشتهي ويهوي ويكسرها بالمجاهدة والرياضة فلا يظن ظان ذلك الحال فايري في المنام او في الحال فانه كمثل ما يري ساير العامه في منامهم حيث يري انه ادم او نوح او موسي او عيسي او جبريل او ملك من ملايكة الله تعالي وانه طير او سبع وما اشبه ذلك ويكون لذلك الروبا تعبير صحيح وان لم يكن كما يري ومنها ان يكون الصوفي قد جاوز عالم النفس والهوي الي عالم الحقيقة ووصل الي عالم الفنا وتفسير الفنا عندهم ان لا يري شيا الا الله تعالي ويكون ناسيا لنفسه ولكل الاشيا سوي الله تعالي فعند ذلك يترايا له انه الرب اذ لا يري ولا يعلم شيا الا هو فيعتقد انه لا شي الا هو فيظن انه هو فيقول انا الحق ويقول ليس في الدار الا الله وليس في الوجود سوي الله ويعتقد من يسمع ذلك منه الحلول والنجاة من ذلك ان يعلم ويعتقد ان ذلك الحسبان انما جا لانه نسي كل شي من الدنيا والاخرة ونسي نفسه وصفاته وبقي عالما بالله تعالي مشاهدا له بباطنه وفي الحقيقة كل شي موجود باق كما كان ولكينونة الصوفي في مقام الفنا حسن وانه مقام رفيع لكن فيه خطر الغلط من هذا الوجه ومنها ان يبلغ الصوفي الي مقام كل شي نظر فيه راي الله تعالي وهذه المشاهدة مفرقة

ومن هنا قال بعضهم ما رايت شيا الا رايت الله تعالي فيه وروي الا رايت الله قبله وقال منشدا شعر

واي الارض تخلو منك حتي … تعالوا يطلبونك في السما

تراهم ينظرون اليك جهرا … وهم لا يبصرون من العما

والنجاة من ذلك ان يعلم انه انما راي حجاب العظمة والكبريا بكل مكان ويعلم انه تعالي بكل شي محيط والي كل شي قريب لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السما مع انه تعالي باين عن خلقه والخلق باينون منه يستحيل حلوله في شي او حلول شي فيه ولا يتجاوزه شي ولا يتجاوز هو شيا قط وهو معكم اينما كنتم واينما تولوا فثم وجه الله واعلم ان هذه الدرجة فيها افة غلط الحلول والاصل في النجاة من ذلك غير ما ذكر من قبل ومن اتفاق الانبيا والاوليا والعلما علي خلاف الحلول وكذلك ايات القران والاحاديث وكذلك المشايخ العارفون بالله تعالي وبصفاته عز وجل يعلمون مشاهدة انه تعالي باين عن خلقه غير داخل في الخلق انتهي كلام الشيخ الديلمي رحمه الله تعالي

باب في شرف هذه الامة المرحومة قال الله تعالي كنتم خير امة اخرجت للناس وقال تعالي وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدولا اعلم اخي ان هذه الامة زادها الله تعالي شرفا لا تزال الولاية ثابتة فيها الي يوم القيمة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يزال طايفة من امتي ظاهرين علي الحق لا يضرهم خذلان من خذلهم وجملة العلما علي انهم حملة العلم وقد دعا لهم النبي صلي الله عليه وسلم فقال نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها واداها كما سمعها وجعلهم عدولا فامرهم بالتبليغ عنه فقال ليبلغ الشاهد منكم الغايب وخيرها ما قال صلي الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وحكي ان ابراهيم عليه السلام وجد في الصحف فضيلة هذه الامة فقال يا رب اجعلهم امتي فقال لا افعل انهم من امة محمد صلي الله عليه وسلم فقال اذا فاعطني لسان صدق فيهم فوصفه الله تعالي في التحيات وهكذي راي موسي عليه الصلوة والسلام

تحفظ وله نسي

وصف هذه الامة ومدايحهم في التوراة فقال اللهم اجعلهم من امتي فقال
لا افعل فانهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال ان لم تجعلهم من امتي فاجعلني
منهم فقال تبعد ظهورهم ولا تلحقهم ولا تتصل اليهم وهكذي راي
عيسى عليه السلام خصايلهم في الانجيل فقال اللهم اجعلهم من امتي
فقال لا افعل وهم امة احمد صلى الله عليه وسلم فقال ان لم تجعلهم من امتي
اجعلني منهم فرفعه الله الى السما ليرده الى الارض في اخر الزمان ليكون من
هذه الامة **فصل** في تعريف الصحابي والتابعي والولي اما الصحابي
ففيه مذهبان **احدهما** انه كل مسلم راي النبي صلى الله عليه وسلم او راه النبي
صلى الله عليه وسلم وان لم يجالسه ولم يخالطه **والثاني** انه يشترط مجالسته
وهذا مقتضى العرف **واما** التابعي ففيه ايضا قولان **احدهما** انه من
راي الصحابي **والثاني** انه الذي جالس الصحابي **واما** الولي **فقال** الله تعالى
الله ولي الذين امنوا **وقال** بعض السادة الولاية ولايتان ولاية تخرج
من العداوة وهي لعامة المومنين فقال ولي الله يريد بالولاية التي من
العداوة **كما قال** تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
والعداوة هي عداوة الكفر وهم الذين عباداتهم متواترة وطاعتهم متوالية
من غير فتور ولا قصور **واما** تعريف الولي الخاص فقد سيل النبي صلى الله عليه وسلم
من اوليا الله تعالى قال الذين اذا رءوا ذكر الله تعالى رواه ابو نعيم في
حلية الاوليا **وفي** الخبر ان اوليايي من خلقي عبادي واحبايي من
خلقي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم **وقال** السلمي رحمه الله تعالى
في حقايقه قال عيسى عليه السلام جالسوا من يذكركم الله رويته ويرغبكم
في الاخرة وهذه الولاية ولاية اختصاص واصطفاء **فصل** في القطب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث مدفوع بالابواب لو اقسم
على الله لابره **قال** بعضهم هذا الحديث يوذن بوجود اوليا الله تعالى
الخواص وان بساط النبوة وان طوي لم يطو بساط الولاية **اعلم** ان
القطب وهو الغوث عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من

العالم

العالم في كل زمان وهو على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **ثم اعلم**
ان من زعم ان القطب يساوي النبي في الدرجة عند الله تعالى فقد
اخطا خطا عظيما ولزمه الحد بجهالته وحماقته ولا يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
مقامه فوق مقام القطب فالنبي نبي في مقام النبوة وقطب في مقام
القطبية والقطب وان كان قطبا ليس بنبي لان النبي صاحب
الشريعة والقطب ليس بصاحب الشريعة والاقطاب والاوتاد
والابدال كلهم اتباع النبي في اوامره ونواهيه وان جمهور الاقطاب
والاوتاد والابدال مع ساير المومنين الذين هم امة نبي واحد لو جمع الكل
بفضايلهم ودرجاتهم ثم اغرقوا في بحر نبوة نبيهم ضاعوا فيها وتلاشوا فلا
ينبغي للعاقل ان يغتر بترهات الجهال فينسلخ من دينه فيهلك والله العصمة
والدليل على ذلك ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما سمي نبيا لارتفاع قدره على
غيره والانبيا هم الاشراف الكبرا المشرفون باقدارهم ومقاديرهم على
ساير من سواهم من الناس **قال** الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس
انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني رفعناه الى اعلا عليين في
الجنان **وقال** تعالى في حق عيسى عليه السلام اني رافعك الي ومطهرك
يعني مطهرك من الذنوب ثم رافعك الى عالمي **وقال** تعالى نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات يعني رفعنا
الانبيا على الاوليا والاوليا على عامة المومنين والمومنين على الكافرين **وقال**
تعالى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهذا
نص ظاهر في هذا المعنى **وقال** تعالى في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاوحى
الى عبده ما اوحى اي القا اليه الاسرار بلا واسطة فلا يعلمها احد غيره
سبحانه وتعالى **وقال** تعالى ما كذب الفواد ما راى اي ما كذب القلب ولا
ارتاب فيما راي العين بالعين عيانا وشاهد بالبصر ربه كفاحا **وقال**
تعالى افتمارونه على ما يرى يعني افتشكون على ما يرى محمد صلى الله عليه وسلم من ذات
ربه سبحانه وصفاته تعالى فلا تشكوا فيه هذه روية النبي صلى الله عليه وسلم

بعين الراس معاينة وكفاحا وقد راه سبحانه مرة اخرا وهي قوله تعالي
ولقد راه نزلة اخرا اي معراجا ثانيا راه عند سدرة المنتهي اي كان
محمد صلي الله عليه وسلم عند سدرة المنتهي حين راه روية اخرا قوله
تعالي ثم دنا فتدلي **قال** بن عباس رضي الله عنهما هو محمد دنا اي قرب
فتدلا اي زاد في القرب **قال** بعض الكبار دنا اي قرب فتدلي اي تكشف
الحجاب حتي وصل الي غيره من الحجب فما زالت الحجب تتدلا عن محمد صلي الله عليه وسلم
حتي وصل الي ما اشار اليه من قوله تعالي فكان قاب قوسين اي كان دنوه
قربا كقرب قاب قوسين يعني مدار قوسين وقاب قوسين موضع الاشكال
اشكل ليتبين العارف ويهلك الجاحد الجاهل والتدلي التكشف ثم رفع
ما بقي من الحجب فصار ادني واقرب وهو القرب الذي يظنه بعض الناس
حلولا وليس ذلك الا رفع الحجاب عن سيدنا ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم **فصل**
في سير ذات النفس انما يصير ذلك بعد ما صارت النفس مطمينة نورانية
مثل شمع يتوقد فالان لما يصير بشعاعها في عوالم الروحانيات وانما ثمرة سير
النفس ان تكبر وتعظم بمقدار سيرها وسيرها موقوف علي المراقبة والحضور
والتواضع والتذلل بين يدي الله تعالي والعبودية والانطواع والتسليم والاتحاد
في ذلك كثير **قال** رسول الله صلي الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله تعالي **وروي**
ان الله تعالي قال لموسي عليه السلام اتدري لم خصصتك من بين الخلايق قال لا يا رب
قال رايتك تتمرغ في التراب بين يدي تواضعا فاردت ان ارفعك بين الناس
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لا تستحقرون
تستحقرون احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير **وعن** بن
عباس رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم ما من بني ادم احد الا وفي راسه
سلسلتان سلسلة في السما السابعة وسلسلة في الارض السابعة فاذا
تواضع رفعه الله تعالي بالسلسلة الي السما السابعة واذا تكبر وضعه
الله بالسلسلة الي الارض السابعة **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلي الله عليه وسلم انه قال الله تعالي من لان في حقي وتواضع لي

ولم يتكبر في ارضي رفعته حتي اجعله في عليين وامثال ذلك كثير كلها
تدل علي ان نفوس الناس لها اختيار في السير وتزكية النفس **قال**
الله تعالي قد افلح من زكاها اي ذكاها بسيف مخالفة هواها وان نفس
الانسان بالسير تصير نورانيا وكذلك **قال** الله تعالي في حق نبيه
صلي الله عليه وسلم قد جاكم من الله نور وكتاب مبين فاراد بالنور النبي صلي الله عليه وسلم
وبالكتاب القران **وقال** تعالي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الي الله باذنه وسراجا منيرا والمنير هو المنور لغيره فلو استحال
ان يكون الانسان منور الغيره لاستحال في النبي صلي الله عليه وسلم ايضا
لانه انما خلق من التراب كساير اولاد ادم وقد وصل الينا متواترا انه لم
يكن للنبي صلي الله عليه وسلم ظل علي الارض لان نور ذاته صلي الله عليه وسلم كان
يمنع وقوع ظله علي الارض بدليل قوله تعالي قد جاكم من الله نور فورد النص علي
انه صلي الله عليه وسلم نور **وقال** تعالي في حق المومنين يوم تري المومنين
والمومنات يسعي نورهم بين ايديهم وبايمانهم الي قوله تعالي حكاية عن المنافقين
انظرونا نقتبس من نوركم **وقال** تعالي والذين امنوا معه نورهم يسعي بين
ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فالله تعالي اخبر ان نورهم يسعي
بين ايديهم وبايمانهم يعني نور ذاتهم ونور العلم يسعي بين ايديهم وبايمانهم **وقال**
النبي صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي خلقني من نوره وخلق المومنين من نوري
وقال صلي الله عليه وسلم في دعايه اللهم اجعل في سمعي نورا وفي بصري نورا
واجعلني نورا فلو كان محالا ان تصير نفس الانسان نورا مضيا لما قال اللهم
اجعلني نورا **وقيل** انما سمي ابو الحسين النوري نوريا لانهم راوا ذلك منه
كثيرا وكثير من الناس الخاص والعام يرون ارتفاع الانوار من مقابر الصلحا والشهدا
وذلك نور نفس الانسان لما علي وغلب سري الي البدن وصار طبعا مزاجا
للبدن فاذا خرج النفس من البدن بقي البدن منبع الانوار ومنفذها كما كان في
حالة الحيوة **فصل** علي العبد حفظ عبودية الله نفسه ومراقبته اياها وان لا
ينساها لحظة فان ارتكاب ذلك كسب العبد وفضل الله تعالي وجوده والتوفيق

152



للسير والهداية اليه موقوف على انقياد العبد وارتكابه العبودية طوعا ورغبة
فكثير من الناس جاهدوا وتكلفوا فرفعهم ذلك الى اعلا عليين والحقهم بالملائكة
والنبيين عليهم الصلوة والسلام وكثير منهم تكاسلوا في ذلك فانزلهم
كسلهم ذلك في الدرك الاسفل من النار وارتكاب العبودية والانقياد والفرح
والسرور بها شرط على دوامهم في تنوير النفس **فصل** في التمرغ المذكور
في الحديث المتقدم عن موسى عليه السلام هو تمرغ النفس والروح في عالم الارواح في
التراب الروحاني وهذا التمرغ كسب العبد وهذه الحرفة انما يعلمها من كان
في عالم الارواح ومن اراد ان يتعلم ذلك فانما يتعلم ممن كان منهم ماهرا في التمرغ
في ذلك التراب **وروي** ان موسى عليه السلام كان يتمرغ كل يوم مرة
فلما ارتفع في المعارج كان يتمرغ كل يوم الف مرة فكلما كانت ذات الانسان و
صفاته اعلا واعظم واصفا كان هو اعبد واحمد واحسن ادبا واخلص عبودية
وقال الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير العلم النافع ما اورث صاحبه تواضعا
بعد التكبر وعزلة بعد المخالطة وزهدا بعد الرغبة فاما اذا اثمر صاحبه تكبرا بعد
التواضع وذكرا بعد الخمول وشهرة بعد العزلة فذلك العلم الذي استعاذ منه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اعوذ بك من علم لا ينفع **وقال** رحمه الله تعالى
المعرفة طريقة بدايتها نجوم زاهرة ووساطتها اقمار باهرة ونهايتها شموس
ظاهرة **وختم** الكتاب بهذه الاية الشريفة **قال** الله تعالى افرايت
ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
نبهنا الله واياكم من نومة الغافلين وايقظنا ايقاظ المخلصين **فيا معشر**
الاخوان هذه تذكرة من واعظ لا يتعظ ونصوح لا يقبل ومصاب قد امتحن
ببصر ناقد يرى طريق رشده ويعرف خطا ما هو عليه ولكن اقعدته قيود الشقا
عن المسير الى طريقة رشده ثم انشد يقول **بيتا مفردا**
وما يغني العقاب عيان صيد ... اذا كان العقاب بلا جناحي
فجزا الله هذا المولف خيرا ما اكثر تواضعه واعاد علينا من بركته وجمع بيننا وبينه
في دار كرامته امين والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ من نسخ هذه الرسالة المباركة يوم الخميس
المباركة تاسع عشر شهر المحرم الحرام من شهور سنة اثني عشر و[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
قال الشيخ الامام العلامه تاج الدين ابو الفضل احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطا الله الاسكندري
من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجا عند وجود الزلل ارادتك التجريد
مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفيه وارادتك الاسباب
مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العليه سوابق الهمم لا تخرق
اسوار الاقدار ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به
لنفسك اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس
البصيرة منك لا يكن تاخر امد العطا مع الالحاح في الدعا موجبا لياسك فهو الذي
ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد
لا في الوقت الذي تريد لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود
به وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك
اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبالي معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو
يريد ان يتعرف اليك الم تعلم ان التعرف هو مورده عليك والاعمال انت مهديها
اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك تنوعت اجناس الاعمال لتنوع
واردات الاحوال الاعمال صور قايمه وارواحها وجود سر الاخلاص فيها ادفن
وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ما نفع القلب شي مثل
عزلة يدخل بها ميدان فكرة كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعه في مراته
ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر
من جنابة غفلاته ام كيف يرجوا ان يفهم دقايق الاسرار وهو لم يتب من هفواته
الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن راى الكون ولم يشهده فيه او عنده

او قبله

153

او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف
بسحب الاثار مما يدلك على وجود قهره ان حجبه عنه ما ليس بموجود معه
كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي اظهر كل شي كيف يتصور ان
يحجبه شي وهو الذي ظهر بكل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو
الذي ظهر في كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر
لكل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الظاهر قبل وجود كل شي كيف يتصور
ان يحجبه شي وهو اظهر من كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الواحد
الذي ليس معه شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو اقرب اليك من
من كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي ولولاه لما كان وجود كل شي يا عجبا
كيف يظهر الوجود في العدم ام كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم
وقال رضي الله عنه ما ترك من الجهل شيا من اراد ان يظهر
في الوقت غير ما اظهره الله فيه احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات
النفس لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو اراد لاستعملك
من غير اخراج ما ارادت همة سالك ان تقف عند ما كشف لها الا ونادته هواتف
الحقيقة الذي تطلب امامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقايقها
انما نحن فتنة فلا تكفر طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره
لقلة حيايك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه ما من نفس تبديه
الا وله قدر فيك يمضيه لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود
المراقبة له فيما هو مقيمك فيه لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت في هذه الدار فانها
ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها ما توقف مطلب انت طالبه بربك
ولا تيسر مطلب انت طالبه بنفسك من علامة النجح في النهايات الرجوع الى الله

في البدايات من اشرقت بدايته اشرقت نهايته من استودع في
غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر شتان ما بين من يستدل به او يستدل
عليه المستدل به عرف الحق لاهله واثبت الامر من وجود اصله والاستدلال
عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى
تكون الاثار هي التي توصل اليه لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن
قدر عليه رزقه السائرون اليه اهتدى الراحلون اليه بانوار التوجه والواصلون
لهم انوار المواجهة فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشيء دونه
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون **وقال** رضي الله عنه تشوفك
الى ما بطن فيك من العيوب خير لك من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب
الحق ليس بمحجوب عنك وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شيء لستره ما
حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو
القاهر فوق عباده اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك
لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى
عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها ولان تصحب
جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه فاي
علم لعالم يرضى عن نفسه واي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه شعاع البصيرة
يشهدك قربه منك وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة
يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما عليه كان
وقال رضي الله عنه لا تتعدى نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الامال
لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع
ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا ان لم تحسن ظنك
به لاجل

به لاجل وصفه حسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الا حسنا وهل
اسدى اليك الا منا العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه
ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل اليه هو الذي
ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى وانظر
الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
فافهم قوله صلى الله عليه وسلم فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل هذا الامر ان كنت
ذا فهم والسلام **وقال** رضي الله عنه لا تصحب من لا ينهضك
حاله ولا يدلك على الله مقاله ربما كنت مسيئا فاراك الاحسان منك صحبتك
لمن هو اسوأ حالا منك ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب
راغب حسن الاعمال من نتائج الاحوال وحسن الاحوال من التحقق في مقامات
الانزال لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره
اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر
مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع
وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز **وقال**
رضي الله عنه من علامة موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الطاعات وترك
الندم على ما فعلته من وجود الزلات لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن
حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه لا صغيرة
اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله لا عمل ارجى للقبول من عمل يغيب
عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا

اورد عليك الوارد ليتسلك من يد الاغيار وليحرك من رق الاثار اورد عليك
الوارد ليخرجك من سجن وجودك الي فضا شهودك الانوار مطايا الاسرار
النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا اراد الله ان ينصر عبده امده
بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار النور له الكشف والبصيرة
لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك
وافرح بها لانها برزت من الله تعالي اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون قطع السايرين له والواصلين اليه عن روية اعمالهم وشهود
احوالهم اما السايرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله تعالي فيها واما الواصلون
فلانهم غيبهم بشهوده عنها **وقال** رضي الله عنه ما بسقت اغصان
ذل الا علي بذر طمع ما قادك شي مثل الوهم انت حر مما انت له ايس وعبد
لما انت له طامع من لم يقبل علي الله تعالي بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل
الامتحان من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها
خف من وجود احسانه اليك ودوام اساتك معه ان يكون ذلك استدراجا
لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون من جهل المريد ان يسي الادب فتوخر العقوبة
عنه فيقول لو كان هذا سو ادب لقطع الامداد ولاوجب الابعاد فقد يقطع الامداد
عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد تقام مقام البعد من حيث لا
تدري ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد اذا رايت عبدا اقامه الله بوجود الاوراد
وادامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاك لانك لم تر عليه
سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد قوم اقامهم الله لخدمته
وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هولا وهولا من عطا ربك وما كان عطا
ربك محظورا **وقال** رضي الله عنه قلما تكون الواردات الالهية الا

بغتة

بغتة صيانة لها ان يدعيها العباد بوجود الاستعداد من رايته مجيبا عن
كل ما سيل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك علي وجود جهله
انما جعل الدار الاخرة محلا لجزا عباده المومنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان
يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن ان يجازيهم في دار لا بقا لها من وجد ثمرة عمله عاجلا
فهو دليل علي وجود القبول ان اردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك
متي رزقك الطاعة والغني به عنها فاعلم انه اسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة خير
ما تطلبه منه ما هو طالبه منك الحزن علي فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من
علامات الاغترار ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته بل العارف
من لا اشارة له لفنايه في وجوده وانطوايه في شهوده الرجا ما قارنه عمل والا فهو
امنية مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية
بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتركك مع البسط واخرجك عنهما
كي لا تكون لشي دونه العارفون اذا بسطوا اخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف
علي حدود الادب في البسط الا قليل البسط تاخذ النفس منه حظها بوجود
الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك
متي فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطا الاكوان ظاهرها غرة وباطنها
عبرة فالنفس تنظر الي ظاهر غرتها والقلب ينظر الي باطن عبرتها ان اردت ان
يكون لك عز لا يفني فلا تستعزن بعز يفني الطي الحقيقي ان تطوي مسافة
الدنيا عنك حتي تري الاخرة اقرب اليك منك العطا من الخلق حرمان والمنع
من الله احسان **وقال** رضي الله عنه جل ربنا ان يعامله العبد
نقدا فيجازيه نسية كفي من جزايه اياك علي الطاعة ان رضيك لها اهلا كفي
العاملين جزا ما هو فاتحه علي قلوبهم في طاعته وما هو مورده عليهم من وجود موانسته

من عبده لشي يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورد العقوبة عنه فما قام بحق
اوصافه متي اعطاك اشهدك بره ومتي منعك اشهدك قهره فهو
في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك انما يولمك المنع
لعدم فهمك عن الله تعالي فيه ربما فتح لك باب القبول وقضي عليك بالذنب
فكان سببا في الوصول معصية اورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة
اورثت عزا واستكبارا نعمتان ماخرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما
نعمة الايجاد ونعمة الامداد انعم عليك اولا بالايجاد وثانيا بتوالي
الامداد فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات لك بما خفي
عليك منها والفاقة الذاتية لاترفعها العوارض خير اوقاتك وقت تشهد
فيه وجود فاقتك وترد الي وجود ذلتك متي اوحشك من خلقه فاعلم
انه يريد ان يفتح لك باب الانس به متي اطلق لسانك بالطلب فاعلم انه
يريد ان يعطيك العارف لايزول اضطراره ولايكون مع غير الله قراره انار
الظواهر بانوار اثاره وانار السراير بانوار اوصافه لاجل ذلك افلت
انوار الظواهر ولم تافل انوار القلوب والسراير ولذلك قيل
ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب **وقال**
رضي الله عنه ليخفف عنك الم البلا عليك علمك بانه سبحانه هو المبلي لك
فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار من ظن
انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره لايخاف عليك ان تلتبس الطرق
عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوا عليك سبحان من ستر سر الخصوصية
بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في اظهار العبودية لاتطالب ربك
بتاخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك متي جعلك في الظاهر

ممتثلا

ممتثلا لامره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك ليس كل
من ثبت تخصيصه كمل تخليصه وقال رضي الله عنه لايستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الاخرة
والورد ينطوي بانطواء هذه الدار واولي مايعتني به مالايخلف وجوده الورد هو
طالبه منك والوارد انت طالبه منه واين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك
منه ورود الامداد بحسب الاستعداد شروق الانوار علي حسب صفاء
الاسرار الغافل اذا اصبح نظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به انما استوحش
العباد والزهاد من كل شي لغيبتهم عن الله في كل شي فلو شهدوه في كل شي لم
يستوحشوا من شي امرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك
في تلك الدار عن كمال ذاته علم منك انك لاتصبر عنه فاشهدك مابرز منه لما
علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم مافيك من وجود الشره
فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكون همك اقامة الصلوة لا وجود الصلوة
فما كل مصل مقيم الصلوة طهرة القلوب واستفتاح لباب الغيوب الصلوة
محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الاسرار وتشرق فيها
شوارق الانوار علم وجود الضعف منك فقلل اعدادها وعلم احتياجك الي
فضله فكثر امدادها متي طلبت عوضا علي عمل طولبت بوجود الصدق فيه
ويكفي المريب وجدان السلامة لاتطلب عوضا علي عمل لست له فاعلا ويكفي
من الجزاء لك علي العمل ان كان له قابلا اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق العمل
ونسبه اليك لانهاية لمذامك ان ارجعك اليك ولاتفرغ مدائحك ان اظهر جوده
عليك **وقال** رضي الله عنه كن باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف
عبوديتك متحققا منعك ان تدعي ماليس لك مما هو للمخلوقين افيبيح لك
ان تدعي وصفه وهو رب العالمين كيف تخرق لك العوايد وانت لم تخرق من نفسك

العايد ما الشان وجود الطلب انما الشان ان ترزق حسن الادب ما طلب
لك شي مثل الاضطرار ولا اسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار لولا انك
لا تصل اليه الا بعد فنا مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد
ان يوصلك اليه غطي وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك اليه بما منه
اليك لا بما منك اليه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا للقبول انت الي حلمه اذا اطعته
احوج منك الي حلمه اذا عصيته الستر علي قسمين ستر عن المعصيه وستر فيها
فالعامه يطلبون الستر فيها من الله تعالي خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة
يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق من اكرمك فانما اكرم فيك
جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك ما صحبك الا من
صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك
لك لا لشي يعود منك اليه لو اشرق نور اليقين لرايت الدار الاخرة اقرب اليك
من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا وقد ظهرت كسفة الفنا عليها ما حجبك
عن الله وجود موجود معه اذ لا شي معه ولكن حجبك عنه توهم وجود معه لولا
ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته
اظهر كل شي بانه الباطن وطوي وجود كل شي لانه الظاهر اباح لك ان تنظر في
المكونات وما اذن لك ان تقف مع ذات المكونات قل انظروا ماذا في السموات
فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات ليلا يدلك علي وجود الاجرام الاكوان
ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته **وقال** رضي الله عنه الناس يمدحونك
بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلمه منها المومن اذا مدح استحيي
من الله تعالي ان يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه اجهل الناس من ترك
يقين ما عنده لظن ما عند الناس اذا اطلق الثنا عليك ولست باهل فاثن عليه

وقال رضي الله عنه

بما هو

بما هو اهله الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثنا من الخلق والعارفون
اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق متي كنت اذا اعطيت
بسطك العطا واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك علي ثبوت
طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا
يوييسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك
اذا اردت ان ينفتح لك باب الرجا فاشهد ما منه اليه واذا اردت ان
ينفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه ربما افادك في ليل القبض ما لم تستفده
في اشراق نهار البسط لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا مطالع الانوار القلوب والاسرار
نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزاين الغيوب نور يكشف لك به
عن اثاره ونور يكشف لك به عن اوصافه ربما وقفت القلوب مع
الانوار كما حجبت النفوس بكثايف الاغيار ستر انوار السراير بكثايف الظواهر
اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار او ينادي عليها بلسان الاشتهار
وقال رضي الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل علي اوليايه الا
من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه ربما اطلعك
علي غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف علي اسرار العباد من
اطلع علي اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهيه كان اطلاعه فتنة عليه
وسببا لجر الوبال اليه حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة
باطن خفي ومداواة ما يخفي صعب علاجه ربما دخل الريا عليك حيث لا
ينظر الخلق اليك استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك دليل علي عدم
صدقك في عبوديتك غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن
اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك من عرف الحق شهده في كل شي ومن

وقال رضي الله عنه

فني به غاب عن كل شي ومن احبه لم يوثر عليه شيا انما حجب الحق
عنك شدة قربه منك انما احتجب بشدة ظهوره وخفي عن الابصار
لعظم نوره **وقال** رضي الله عنه لا يكن طلبك تسببا الي العطا
منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبوديه وقياما بحقوق الربوبيه
كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطايه السابق جل حكم الازل ان ينضاف
الي العلل عنايته فيك لا لشي منك واين كنت حين واجهتك عنايته
وقابلتك رعايته لم يكن في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن
هنالك الا محض الافضال وعظيم النوال علم ان العباد يتشوفون الي
ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشا وعلم انه لو خلاهم وذلك
لتركوا العمل اعتمادا علي الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين
الي المشية يستند كل شي ولا تستند هي الي شي ربما دلهم الادب
علي ترك الطلب اعتمادا علي قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته
انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال ورود
الفاقات اعياد المريدين ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم
والصلوة الفاقات بسط المواهب ان اردت ورود المواهب عليك صحح
الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقرا تحقق باوصافك يمدك
باوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق
بضعفك يمدك بحوله وقوته **وقال** رضي الله عنه ربما رزق
الكرامه من لم تكمل له الاستقامه من علامة اقامة الحق اياك في الشي ادامته
اياك فيه مع حصول النتايج من عبر من بساط احسانه اصمتته الاساة
ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا اسا تسبق انوار الحكما

اقوالهم

158

اقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه
برز من اذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم اشارته
ربما برزت الحقايق مكسوفة الانوار اذا لم يوذن لك فيها بالاظهار عباراتهم اما
لفيضان وجد او لقصد هداية مريد فالاول حال السالكين والثاني حال ارباب
المكنة والمحققين العبارة قوت لعايلة المستمعين وليس لك الا ما انت له آكل ربما
عبر عن المقام من استشرف اليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس الا علي
صاحب بصيرة لا ينبغي للسالك ان يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها في قلبه
ويمنعه وجود الصدق مع ربه لا تمدن يدك الي الاخذ من الخلايق الا ان ترى
ان المعطي فيهم مولاك فان كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم ربما استحيى العارف
ان يرفع حاجته الي مولاه اكتفا بمشيته فكيف لا يستحيي ان يرفعها الي الخليقة
وقال رضي الله عنه اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما
علي النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا من علامة اتباع الهوى المسارعة الي
نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات قيد الطاعات باعيان الاوقات
كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت كي يبقى لك حصة في الاختيار
علم قلة نهوض العباد الي معاملته فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليه بسلاسل
الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الي الجنة بالسلاسل اوجب عليك وجود
خدمته وما اوجب عليك الا دخول جنته من استغرب ان ينقذه الله تعالي من شهوته
وان يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الالهيه وكان الله علي كل شي مقتدرا
ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك من لم يعرف قدر النعم بوجدانها
عرفها بوجود فقدانها لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فان ذلك
مما يحط من وجود قدرك تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الدا العضال لا يخرج

الشهوة من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق كما لا يحب العمل المشترك كذلك
لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله القلب والقلب المشترك لا يقبل
عليه **وقال** رضي الله عنه انوار اذن لها في الوصول وانوار اذن
لها في الدخول ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الاثار
فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من الاغيار تملاه من المعارف والاسرار
لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الاقبال حقوق في الاوقات
يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد الا ولله
عليك فيه حق جديد وامر اكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وانت لم تقض
حق الله تعالى فيه ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك لا قيمة له ما احببت
شيا الا كنت وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك
فانما امرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه
ولا ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه وصولك الى الله تعالى وصولك الى العلم به
والا فجل ربنا ان يتصل به شي او يتصل بشي قربك منه ان تكون شاهدا لقربه ""
والا فمن اين انت ووجود قربه الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان
فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت
العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها الوارد يرد من حضرة قهار
لاجل ذلك لا يصادمه شي الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق كيف يحتجب الحق بشي والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر
لا تيئس من قبول عمل لم تجد فيه وجود حضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك
ثمرته عاجلا لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار
وانما المراد منها وجود الاثمار لا تطلبن بقا الواردات بعد ان بسطت انوارها

واودعت

واودعت اسرارها فلك في الله غنى عن كل شي وليس يغنيك عنه شي تطلعك
الى بقا غيره دليل على عدم وجدانك له استيحاشك بفقدان ما سواه دليل
على عدم وصلتك به **وقال** رضي الله عنه النعيم وان تنوعت
مظاهره انما هو لشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو
بوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر الى وجه
الله الكريم ما تجده القلوب من الهموم والاحزان فلاجل ما منعت من وجود العيان من
اتمام النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك ليقل ما تفرح به ""
ويقل ما تحزن عليه ان اردت ان لا تعزل لا تتول ولاية لا تدوم لك ان رغبتك
البدايات زهدتك النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن انما
جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها علم انك لا تقبل
النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها العلم النافع
الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف عن القلب قناعه خير علم ما
كانت الخشية معه العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك متى آلمك عدم
اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله تعالى فان كان لا
يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى
منهم انما اجرى الاذى على ايديهم كي لا تكون ساكنا اليهم اراد ان يزعجك عن كل
شي حتى لا يشغلك عنه شي اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل انت
عمن ناصيته بيده جعله لك عدوا ليحوشك به اليه وحرك عليك النفس
ليدوم اقبالك عليه **وقال** رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا
فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك تواضعا فانت
المتكبر ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا

تواضع رأى انه دون ما صنع التواضع الحقيقي هو ما كان ناشيا عن شهود عظمته
وتجلي صفته لا تخرجك عن الوصف الا شهود الوصف المومن يشغله الثنا على
الله تعالى عن ان يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله تعالى عن ان يكون
لحظوظه ذاكرا ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا او يطلب منه غرضا
فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له لولا ميادين النفوس ما تحقق سير
السايرين لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة
بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته
ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوي عليك اصداف
مكوناته وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك
الكاين في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في
هيكل ذاته انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان
معك لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما مثل الخصوصية
مثل كاشراق شمس النهار ظهر في الافق وليست منه تارة تشرق
شمس اوصافك على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك
فالنهار ليس منك اليك ولكنه وارد عليك دل بوجود اثاره على وجود اسمايه
وبوجود اسمايه على ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال
ان يقوم الوصف بنفسه فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى
شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمايه ثم يردهم الى شهود اثاره والسالكون
على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين
لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه لا يعلم
قدر انوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر انوار السما الا

في شهادة

160

في شهادة الملك وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشاير العاملين بوجود
الجزا عليها اجلا كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف
تطلب الجزا على صدق هو مهديه اليك قوم تسبق انوارهم اذكارهم
وقوم تسبق اذكارهم انوارهم ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار
قلبه فكان ذاكرا ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر اشهدك
من قبل ان استشهدك فنطقت بالالهية الظواهر وتحققت
باحديته القلوب والسراير اكرمك كرامات ثلاث جعلك ذاكرا
له ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق
نسبته لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك رب عمر اتسعت اماده
وقلت امداده ورب عمر قليلة اماده كثيرة امداده من بورك له في عمره ادرك
في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه
الاشارة الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل
عوايقك ثم لا ترتحل اليه الفكرة سير القلب في ميادين الاعتبار الفكرة سراج
القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة
شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب الشهود
والاستبصار رسالة مما كتب به الى بعض اخوانه اما بعد فان
البدايات مجلات النهايات فان كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته والمشتغل
به هو الذي احببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه وان من
ايقن ان الله يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم ان الامور بيد الله انجمع
بالتوكل عليه وانه لا بد لبناء هذا الوجود ان تنهدم دعايمه وان تسلب كرايمه
فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره وظهرت

تباشيره فصدف عن هذه الدنيا مغضيا واعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا
ولا جعلها سكنا بل انهض الهمة فيها الى الله تعالى وصار فيها مستغنيا به في القدوم
عليه فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دايما انسيارها الى ان اناخت
بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة
والمشاهدة والمطالعة فصارت للحضرة معششا تاوي قلوبهم اليها ياوون وفيها
يسكنون فان نزلوا الى سما الحقوق او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين
والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ
بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ولله ومن الله والى الله وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا ادخلتني
واستسلامي وانقيادي اليك اذا اخرجتني واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا ينصرني وينصر بي ولا ينصر علي ينصرني على شهود نفسي ويفنيني عن
دايرة حسي **رسالة** مما كتب بها الى بعض اخوانه ان كانت عين القلب
تنظر الى ان الله واحد في منته فالشريعة تقتضي انه لا بد من شكر خليقته وان
الناس في ذلك على اقسام ثلاثة غافل منهمك في غفلته قويت عليه دايرة حسه
وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب
العالمين اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي وصاحب حقيقة
غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب
فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى على
مداها غير انه غريق الانوار مطموس الاثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه
على فرقه وفناؤه على بقايه وغيبته على حضوره واكمل منه عبد شرب
فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه

عن

161

عن جمعه ولا فناؤه يصرفه عن بقايه ولا بقاؤه يصده عن فنايه يعطي كل ذي قسط
قسطه ويوفي كل ذي حق حقه **وقد قال** ابو بكر الصديق رضي الله عنه
لعايشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا اشكر الا الله تعالى دلها ابو بكر رضي الله عنه
على المقام الاكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الاثار **وقد قال** تعالى ان اشكر
لي ولوالديك **وقال** صلوات الله وسلامه عليه لا يشكر الله من لا يشكر
الناس وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غايبة عن الاثار
فلم تشهد الا الواحد القهار **وقال** رضي الله عنه لما سيل عن قوله صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة هل ذلك خاص به ام لغيره منه شرب ونصيب
فاجاب رضي الله عنه ان قرة عيني في الصلوة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود
فالرسول صلوات الله وسلامه عليه ليس معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته
وانما قلنا قرة عينه في صلوته بشهوده جلال مشهوده لانه قد اشار الى ذلك بقوله في
الصلوة ولم يقل بالصلوة اذ هو صلى الله عليه وسلم لا تقر عينه بغير ربه فكيف وهو
يدل على هذا المقام ويامر به من سواه لقوله صلوات الله وسلامه عليه اعبد الله كانك تراه
ومحال ان تراه وتشهد معه سواه **قال** له القايل وقد تكون قرة العين بالصلوة
لانها فضل من الله تعالى وبارزة من منة الله تعالى فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكن قرة
العين بها **وقد قال** سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون فاعلم ان الاية قد اومات الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال
فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم ليفرحوا بالاحسان والتفضل
وليكن فرحك انت بالمتفضل كما **قال** في الاية الاخرى قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون **وقال** رضي الله عنه الناس في ورود المنن عليهم على

ثلاثة اقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها ومنشيها لكن لوجود متعته فيها
فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
وفرح من حيث انه شهدها منة ممن ارسلها ونعمة ممن وصلها يصدق عليه قوله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله تعالى
ماشغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله تعالى عما سواه
والجمع عليه فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين بي فليفرحوا
وبذكري فليتنعموا والله يجعل فرحنا واياك به وبالرضى منه وان يجعلنا من اهل
الفهم عنه وان لا يجعلنا من الغافلين وان يسلك بنا سبيل المتقين بمنه وكرمه
وقال رضي الله عنه في بعض مناجاته الهي انا الفقير في غناي فكيف لا
اكون فقيرا في فقري الهي انا الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي الهي ان
اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن
السكون الى عطا واليأس منك في بلا الهي مني ما يليق بلومي ومنك ما يليق
بكرمك الهي وصفت نفسك باللطف والرافة بي قبل وجود ضعفي افتمنعني
منهما بعد وجود ضعفي الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي
وان ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي الهي كيف تكلني وقد
توكلت لي وكيف اضام وانت الناصر لي ام كيف اخيب وانت الحفي بي
ها انا اتوسل اليك بفقري اليك وكيف اتوسل اليك بما هو محال ان يصل
اليك ام كيف اشكو اليك حالي وهو لا يخفى عليك ام كيف اترجم لك
بمقالي وهو منك برز اليك ام كيف تخيب امالي وهي قد وفدت اليك
ام كيف تحسن احوالي وبك قامت واليك الهي ما الطفك بي مع عظيم جهلي

وما ارحمك

وما ارحمك بي مع قبيح فعلي الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك
ما ارافك بي فما الذي يحجبني عنك الهي قد علمت باختلاف الاثار
وتنقلات الاطوار ان مرادك مني ان تتعرف الي في كل شي حتى لا
اجهلك في شي الهي كلما اخرسني لومي انطقني كرمك وكلما
ايأستني اوصافي اطمعتني منتك الهي من كانت محاسنه مساوي
فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقايقه دعاوي
فكيف لا تكون دعاويه دعاوي الهي حكمك النافذ ومشيتك
القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا الهي كم من طاعة بنيتها
وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل اقالني منها فضلك الهي
انك تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما
الهي كم اعزم وانت القاهر وكيف لا اعزم وانت الامر الهي
ترددي في الاثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني
اليك الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون
لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت
حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي
توصل اليك الهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد
لم تجعل له من حبك نصيبا الهي امرت بالرجوع الى الاثار فارجعني اليك
بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها
مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شي
قدير الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك منك اطلب
الوصول اليك وبك استدل عليك فاهدني بنورك اليك واقمني بصدق
العبودية بين يديك الهي علمني من علمك المخزون وصني بسر اسمك المصون
الهي حققني بحقايق اهل القرب واسلك بي مسالك اهل الجذب الهي اغنني

بتدبيرك لي عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري واوقفني علي مراكز
اضطراري الهي اخرجني من ذل نفسي وطهرني من شكي وشركي قبل حلول
رمسي بك استنصر فانصرني وعليك اتوكل فلا تكلني واياك اسال فلا تخيبني
وفي فضلك ارغب فلا تحرمني ولجنابك انتسب فلا تبعدني وببابك اقف
فلا تطردني الهي تقدس رضاك عن ان يكون لك علة منك فكيف تكون له
علة مني انت الغني بذاتك عن ان يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا
عني الهي ان القضا والقدر غلبني وان الهوي بوثاق الشهوة اسرني
فكن انت النصير لي حتي تنصرني وتبصرني واغنني بفضلك حتي استغني بك عن
طلبي انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك وانت الذي ازلت الاغيار
من قلوب احبابك انت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم وانت الذي هديتهم حيث
استبانت لهم المعالم ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك لقد خاب
من رضي دونك بدلا وخسر من بغي عنك متحولا فكيف يرجي سواك وانت ما
قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان
يا من اذاق احباه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين ويا من البس اولياه
ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين انت الذاكر من قبل الذاكرين وانت البادي
بالاحسان من قبل توجه العابدين وانت الجواد بالعطا من قبل طلب الطالبين
وانت الوهاب ثم انت لما وهبتنا من المستقرضين الهي اطلبني برحمتك حتي اصل
اليك واجذبني بمنتك حتي اقبل عليك الهي ان رجاي لا ينقطع عنك وان
عصيتك كما ان خوفي لا يزايلني وان اطعتك قد دفعتني العوالم اليك وقد اوقفني علي
بكرمك عليك الهي كيف اخيب وانت املي ام كيف اهان وانت متكلي الهي كيف
استعز وفي الذلة اركزتني ام كيف لا استعز واليك نسبتني الهي كيف لا افتقر
وانت الذي في الفقرا اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني انت الذي
لا اله غيرك تعرفت لكل شي فما جهلك شي وانت الذي تعرفت الي في كل شي

فرايتك

163

فرايتك ظاهرا في كل شي فانت الظاهر لكل شي يا من استوي برحمانيته علي
عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه
محقت الاثار بالاثار ومحوت الاغيار بمحيطات افلاك الانوار يا من احتجب
في سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار يا من تجلي بكمال بهايه فتحققت عظمته
الاسرار كيف تخفي وانت الظاهر ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر والله الموفق

بسم الله وصلي الله علي سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا محمد
يقول العبد المعترف بتقصيره وذنبه المفتقر في كل حال الي رحمة ربه
احمد بن محمد بن عيسي البرنسي ثم الفاسي عرف بزروق اصلح الله حاله
وبلغ فيما لديه امله الحمد لله حمدا عاجزا عن جميع الاحمد والصلاة والتسليم
علي محمد نبيه الكريم وعبده وعلي اله واصحابه وازواجه واهل وده اما بعد
فكتاب الحكم العطائية من اشرف ما صنف في علوم التوحيد واجل ما قصد
بالتفهم مفيد ومستفيد لما احتوي عليه من العبارات الرايقة وما تضمنه
من الحقايق الفايقة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والانوار
الساطعة والبراهين القاطعة وقد ظهر لي ان اتي عليه بمختصر يشبه
الطرز والحواشي ونبيه ينتفع به ان شاء الله المنفقة والناشي حسبما
انقل ذلك من معادنه او يفتح الله تعالي به من خزاينه وذلك بقدر الوسع
والتيسير وطباق ما انتهي اليه فهمي القاصر وعلمي القصير ولذوي العلم
الفضل في تحقيق فصوله واصلاح الخلل برده الي اصوله عالمين بان
العمدة في جل ما انقله تنبيه سيدي ابي عبد الله بن عباد وانه الاصل
في كل معني مستفاد ولو وقعت لنا مخالفته في بعض المواضع فلا يشكك في
جلالة قدره ووفور علمه علينا احد ولا ينازع فيه منازع وعلي الناسخ

لهذا المسطور تمييز الكلامين باختلاف الاقلام لئلا يلتبس الاصل بغيره من
الكلام وعلى الله اعتمد والى الله استند ومن فضله استمد وهو حسبنا
ونعم الوكيل تنبيه اعلم ان كلاما في هذا الكتاب على قدرنا لا على قدره وفهمنا
له على حسب حالنا لا لحقيقة امره اذ كل كلمة منه تحتمل الاسفار العديدة
وكل لفظة تحتها ما لا يحصى من الاشارات المفيدة ثم هو مرتب بعضه على
بعضه ومردود طوله على عرضه فكل كلمة منه توطئة لما بعدها وشرح لما قبلها
بل وكل باب شروح لكل كلمة من التي تليها على الترتيب ثم الكتاب كله شرح لكل
كلمة منه فنقول والله المستعان انما ابتدا الشيخ الامام تاج الدين ابو الفضل
احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطا الله الجذامي الاسكندري المالكي الشاذلي
المتوفي بالقاهرة سنة تسع وسبعمائة كتابه هذا بقوله من علامة
الاعتماد على العمل نقصان الرجا عند وجود الزلل لان الاعتماد
على الشي في حصول قصد يوجب طلبه واستشعار فوات المقصد بوجود
ضده وهذه اول المقاصد التي تتوجه للعبد عند ارادة الحق اذ لا
تنبعث النفس لا لسبب تعتمد فيما تريد والناس ثلاثة معتمد على عمله
وعلامته ما ذكر في النص ومعتمد على فضل الله وعلامته الرجوع اليه في
السترا بالحمد والشكر وفي الضرا بالالتجا والفقر ومعتمد على سابق القسمة
وماضي الحكم وعلامته فقد الاضطراب لعدم الاسباب فلا يزيد رجاؤه
لعلة ولا ينقص لزلة لو وزن رجاؤه وخوفه لتعادلا لا في كل حال من الاحوال
بل يكون دايم البشر متواصل الاحزان كما جاء في وصفه عليه السلام قد قال
بعض المحققين رضي الله عنه من بلغ الى حقيقة الاسلام لم يقدر ان يفتر
عن العمل ومن بلغ الى حقيقة الايمان لم يقدر ان يلتفت الى العمل ومن بلغ
الى حقيقة الاحسان لم يقدر ان يلتفت الى احد سوى الله تعالى انتهى
فاعرف قدرك ولا تتعد طورك ثم ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك

الى صح

في

166

في الاسباب من الشهوة الخفية اذ هي ميل الى الدعة والراحة من
من كدورات الاسباب وطلب لدرجات الخواص واهل الاقتراب مع ما في ذلك
من الشهرة والالتفات من العمل على التوفير والخبرة هذا وجه كونها شهوة
فاما كونها خفية فلان ظاهرها يقتضي خروج النفس عن مرادها
وتشويش معتادها وذلك مطلوب في الجملة لكن من حيث يرضاه الحق
لا من حيث ترضاه النفس والذي يرضاه لك قيامك بما اقامك فيه اذ
اهلك له دينيا كان او دنيويا حتى ينقلك عنه لما يختاره لك بتخلف شرطه
وهو الاقامة او تعين رفايدته وانما علامة الاستقامة قال
في التنوير والذي يقتضيه الحق منك ان تمكث حيث اقامك حتى يكون الحق
هو الذي يخرجك كما تولى ادخالك وليس الشان ان تترك السبب بل الشان ان
يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت اليه
فتركني السبب فلم اعد اليه انتهى قلت وترك السبب اياه عدم
استقامته له او استقامته فيه وارادتك الاسباب مع
اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية
لان التجريد حال الاخذ من الله بلا واسطة والجمع عليه بلا عايق ولا علة
فالمتجرد في هذه الحالة كمن خلع عليه الملك خلعة الرضى فجعل يتشوف
لسياسة الدواب وخلع الموضي وقد قال الشيخ ابو عبد الله القرشي
رضي الله عنه من لم يانف من مشاركة الاضداد في الاسباب فهو خسيس
الهمة وقال بعض المشايخ رضي الله عنه مثل المتجرد والمتسبب كعبدين
للملك قال لاحدهما اعمل وكل من كسبك وقال للاخر الزم انت حضرتي
وانا اقوم لك بقسمتي انتهى قلت فمتى خرج واحد منهما عن مراد السيد
منه فقد اسا الادب وتعرض لاسباب المقت والعطب وبالجملة فالعمل
في الاسباب قياما بالعبودية تجريد والتجريد مع الاقامة في الاسباب

يتولى صح

تسبب والتسبب مع قيام التجريد منازعة وارادة كل منهما مع الاقامة في
الاخر من الاعتماد عليه في حصول مقصد وذلك كله تدبير مع الله واصله
كله من عدم التحقق بالقدرة والا فمن علم ان سوابق الهمم التي هي قوى
النفس الفعّالة في الوجود بلا تردد كما يكون من الولي عن قوة يقينه ومن
العاين عن خبثه ~~كما يكون من الولي عن قوة يقينه~~ ومن الساحر عن عقده
وتفله ومن المريض عن قوة نفسه لا تخرق اسرار الاقدار لم يصح منه
التدبير والاختيار لتحققه بان ما لا يصح ان يكون للاقوى حكما لا يجوز
ان يكون للاضعف كذلك وقد تقرر في العقول ان قدرة الله لا تخرج عنها
شيء ولو كان ما كان فلم يبق للتدبير محل غير التعب والخسران والعناد
والطغيان ارح نفسك من التدبير وهو تقدير شؤون تكون عليها
في المستقبل مما يخاف او يرجى وارجع الى مولاك الذي تولاك بتدبيره
قبل ان تكون اخرتك ودنياك فما قام به غيرك عنك من امور الدنيا والاخرة
لا تقم به لنفسك فتكون متكلفا ولمن قام به عنك مكابرا وما وكل الى
قيامك به فلا تهمله لغيرك فقد قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم وقال الشيخ ابو
الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا
وقال ايضا رضي الله عنه لا تختر من امرك شيئا واختر ان لا تختر
وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء الى الله تعالى وربك يخلق ما
يشا ويختار وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله ليس لك منه
شيء ولا بد لك منه واسمع واطع وهذا محل الفقه الرباني والعلم
الالهامي وهو ارض لتنزل علم الحقيقة الماخوذة عن الله لمن استوى
فافهم وقال ابرهيم الخواص رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا
تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت انتهى والذي كفيته رزقك في

الدنيا

الدنيا والاخرة والذي استكفيته عملك لله بما امرك وتعلقك به
فيما ضمن لك منهما فان قمت بكل في محله كنت سالم البصيرة منور الشرع
والا فاجتهادك فيما ضمن لك من الرزق المقسوم والمقدر المحتوم وتقصيرك
فيما طلب منك من العمل المشروع والسبب الموضوع دليل على
انطماس البصيرة منك اذ عكست الاحكام وقلبت الحقايق قال
في التنوير فكيف يصح لك عقل او بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك
عن اهتمامك فيما طلب منك حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا
الدنيا وطلب منا الاخرة فليته طلب منا الدنيا وضمن لنا الاخرة
انتهى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يشرفون
المترفين ويستخفون بالعابدين يعملون بالقران ما وافق اهواهم
وما خالف اهواهم تركوه فعند ذلك يومنون ببعض ويكفرون
ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المحتوم والرزق المقسوم
والاجل المكتوب ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي من الاجر الموفور
والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور وقال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه للعباد على الله ثلاثة اشيا تكليفهم واجالهم والقيام
بامرهم ولله على العباد ثلاثة اشيا التوكل عليه واتباع نبيه
والصبر على ذلك الى الموت قلت ومعنى ذلك ان الثلاثة الاول
دخول العبد فيها تكلف اذ لا يتصور وجودها بسبب منه ولا يجب
على الله شيء والثلاثة الاخرى لا بد للعبد من قيام بها اذ لا العموم
بد من تسببه فيها وانما عبر المصنف بالاجتهاد ليشعر ان الطلب
دونه لا يقدح اذ ربما ندب او وجب ولو كان بدل الاجتهاد استغراقا
وعوض التقصير تركا لكان بدل الطمس عمى وهو الكفر والعياذ بالله
وهذا كله اذا كان المضمون في غير عين المطلوب فاما ان كان في

عينه فاشار الى احد صوره بقوله **لا يكن تاخر امد العطا** المضمون
في قوله تعالى ادعوني استجب لكم **مع الالحاح في الدعا** المطلوب
للعطا عند القيام به **موجبا لياسك** لكونك قمت بالمطلوب ولم ترا
المضمون فيه وحسن الظن بمولاك فيما به يتولاك **فهو ضمن لك**
الاجابه فيما يختاره لك اذ انت جاهل بكل اعتبار عاجز عن النفع
والاضرار فجعله الاجابه فيما يختاره لك **لا فيما تختار لنفسك**
رحمة بك اذ قد تكره الشي وهو خير لك وتحب الشي وهو شر لك
وفي الوقت الذي يريد **لانه الفعال لما يريد على الاطلاق لا في الوقت**
الذي تريد لان ارادتك لا تساوي شيا مع ارادته ولو كان الامر
على وفق مرادك حتما لكان طلبك يوجب عليه حكما وذلك ما لا يصح
في عقل ولا يمكن ان يشار اليه بنقل ولكان العبد بنفس وجود الطلب
بامن من فوات الارب فيترك الافتقار لفقده وجود الاضطرار الذي
هو مطلوب الدعا كما قال بعضهم فايدة الدعا اظهار الفاقة بين يديه
والا فالرب يفعل ما يشا وقال بعض العارفين اذا اراد الله ان
يستجيب دعا عبد رزقه الاضطرار في الدعا والاضطرار لا يتحققه
المرء من نفسه في جميع حالاته وقال بعضهم المضطر الذي
اذا رفع يداه الى الله لم ير لنفسه عملا وقال عليه السلام
ما من داع يدعوا الا استجاب الله له دعوته او صرف عنه مثلها
سواه او حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم
وكان بين قول الله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام قد اجيبت
دعوتكما واهلاك فرعون اربعون سنة وقال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما اي على عدم استعجال ما طلبتما
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي الذين يستعجلون الاجابه انتهى

واذا

واذا علمت انه سبحانه لا يجب عليه حق وان وعده صدق **فلا يشككنك**
في الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه او سببه وقد
تعلقه بشرط استاثر الحق تعالى به اذ لا يجب عليه بيان ما يريد اشتراطه
ولم يمنعك من بخل ولا عدم وانما يمنعك نظرا منه لك واعتنا بشانك
وقد وعد سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالنصر في احد
والاحزاب ودخول مكة ولم يذكر شرط ذلك وهي الذلة التي اقتضت
حكمته ترتب النصر عليها حسبما اظهر عندا ظهار الامتنان بقوله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقوله سبحانه ويوم حنين الاية
ووعد المومنين بالاجابه واظهر شرطها في معرض الامتنان فقال تعالى
امن يجيب المضطر اذا دعاه الاية وذكر المولف تعيين الزمان مبالغة او اشارة
لمن يصح في حقه ثم علل فقال **لئلا يكون ذلك** اي التشكيك الذي هو
التردد بين ايقاع الشك ونفيه **قدحا في بصيرتك** اذ وقفت مع ظواهر الوعد
دون تطلع لباطن الحق وهو ان الله تعالى يفعل ما يشا ولا يبالي **واخمادا**
لنور سريرتك اذ تعتاد الوقوف فتنقطع عنه مواد التنوير لتوقفها مع كل
عارض من غير اعتبار بما وراه فاول الشر الخطره كما ان اول السيل القطر
فان لم تترك التشكيك دعاك الى الشك والشك يجر الى الياس والياس يودي
الى الكفر وقد قال ابرهيم الخواص رضي الله عنه اول الذنب الخطرة
فان تداركها صاحبها بالكراهة والا صارت معارضة فان تداركها صاحبها
بالكراهة والا صارت وسوسة فان تداركها صاحبها بالمجاهدة والا هاج
منها الشهوة مع طلب الهوى فغطى العقل والعلم والبيان انتهى وكل ذلك موجبه
اعتماد العبد على ما يظهر له من نقله او فعل غيره من غير التفات لحق
الادب ولا اعتبار بموارد العطب فكن ايها العبد مستسلما لمولاك
شاكرا له فيما اولاك من عطا ومنع وتفرقة وجمع **فاذا فتح لك وجهة من التعرف**

وهو ما يشوش معتادك ويمنع مرادك ويشعرك بقدرة مولاك وقهرك اياك
فلا تبال معها ان قل عملك لوجودها من غير اختيار منك ولا تسبب
واشكره على ما اولاك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك ومعرفته
غاية المطالب ومنتهى الامال والمارب الم تعلم ان التعريف هو مورده عليك
وما كان منه بلا واسطة لا تتخلله العلل والافات والاعمال انت مهديها
اليه من اعمالك المعلولة واحوالك المدخولة مما هو مورده عليك من معارفه
الجليلة وافعاله الجميلة بينهما في الحكم ما بينكما في الوصف رب وعبد كيف
يشتبهان قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم ولقد مرضت
في سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله تعالى منها مثلت نفسي بين ما دبر الله لي
من هذه العلة في مقدار هذه العلة المدة وبين عبادة الثقلين في مقدار
ايام علتي فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين ان يكون لي عبادة الثقلين في
مقدار مدتها الى ايهما تميل اختيارا فصح عزمي ودام يقيني ووقعت بصيرتي
على ان مختار الله تعالى لي اكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهي العلة التي
دبرها لي ولا شوب فيه اذ كان فعله فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين
فعلك لتنجو به فلما رايت هذا ذق في عيني عبادة الثقلين مقدار تلك المدة
في جنب ما اتاني الله فصارت تلك العلة عندي نعمة وصارت النعمة منة
وصارت المنة املا وصار الامل عطفا فقلت في نفسي بهذا كانوا يستمرون
في البلا على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلاء
انتهى ٭ واذا علمت انها انما تنوعت اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال
فكان لكل حال عمل يخصه ويختص به لم تنح منك مبالاة بما فاتك من العمل الا انما
فاتك مثلا في الشكر استند ركنه بالصبر اذ كلاهما عبودية وهي المقصود
من كل شي ٭ واعتبر هذا بما اشار اليه سبحانه في قصتي ايوب وسليمان عليهما
السلام اذ قال في كليهما نعم العبد مع اختلاف مقاميهما ٭ ولهذا قال

ومعارف ... لكل نفس عزيز وانما ... اليه

الفاروق رضي الله عنه ٭ الصبر والشكر مطيتان ما باليت ايهما اركب
انتهى ٭ ثم الاعمال صور قايمة لا عبرة بها ولا فايدة لها ما لم توجد
ارواحها وارواحها وجود سر الاخلاص فيها وسر الاخلاص هو
الصدق المعبر عنه بالتبري من الحول والقوة الذي هو من لوازم وجهة
التعريف بالضرورة مع تعذر اصله الذي هو الاخلاص في الاعمال
فضلا عنه فلا وجه اذن للمبالاة الا المنازعة والعناد والوقوف مع الاراء
والخيالات ٭ وقد قال الشيخ ابو طالب رحمه الله ٭ والاخلاص عند المخلصين
اخراج الخلق من معاملة الحق واول الخلق النفس ٭ والاخلاص عند المحبين
ان لا يعمل عملا لاجل النفس ولا دخل عليه مطالعة غرض وميل الى حظ
النفس ٭ والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال
وترك السكون والاستراحة بهم في الاحوال انتهى ٭ وقال بعض المشايخ
رضي الله عنه صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة ٭
قلت وانما يتحصل للعبد على حقيقة الصدق اذا افقد الشهرة
واثر الخمول اذ لا داعي للريا سوى حب المحمدة او ما ينشا عنها وذلك هو
الموجب ايضا للتالم بفقد العلم والعمل وان وجدا رفع منه فلذلك قال
ادفن وجودك اي ما يكون سبب ظهور اختصاصك بين الخلق من علم او
عمل او حال ٭ في ارض الخمول التي هي احد ثلاثة امور احدها ان ترى ما
جبلت عليه من النقص فلا تعتد بشي يظهر منك لعلمك بدسايسك
وخبايث نفسك ٭ الثاني ان تنظر اليك من حيث انت فلا ترى لا بقايك
الا النقص وتنظر الى مولاك فتراه اهلا لكل كمال فكلما يصدر منك من
احسان تنسبه اليه اعتبارا بما انت عليه من خمول الوصف ٭ الثالث ان تظهر
لنفسك ما يوجب نفي دعواها من مباح مستبشع او مكروه لم يمنع دوا العلة
العجب لا محرما متفقا عليه اذ كما لا يصح دفن الزرع في ارض رديه لا يجوز الخمول

في حالة غير مرضية ثم الزرع قسمان بعد نباته **فما نبت مما لم يدفن لم يتم**
نتاجه وان ظهر نوره وابتهاجه وما دفن تم نتاجه لان التغيير الهوائي
مشوع لكل ظاهر حسبما اقتضته سنة الله تعالى والناس ثلاثة محب
للشهرة وكاره لها ومسلم لامر مولاه وقد قال ابرهيم ابن ادهم رحمه الله
ما صدق الله من احب الشهرة **وقال** بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح الا
لاقوام كنست بارواحهم المزابل وقال ايوب السختياني رضي الله عنه
ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه منه **وقال** عليه السلام
لاصحابه ابن تنبت الحبة قالوا في الارض قال فكذلك الحكمة انما تنبت
في قلب مثل الارض **وقال** الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه من اراد الظهور
فهو عبد الظهور ومن اراد الخفا فهو عبد الخفا وعبد الله سوا عليه
اظهره او اخفاه انتهى **ثم المعين** على الخمول انما هو معرفة العبد
نفسه وانما يعين على ذلك ما اشار اليه بقوله **ما نفع القلب شي مثل**
عزلة يدخل بها ميدان فكرة لانه بالعزلة يسلم من الخلائق
وبالفكرة تتبين له الحقائق فان القلب اذا خلي عن الخيالات الوهمية لم يبق
له تردد الا في الحقائق الوجودية فيستفيد علما بربه وبنفسه وقد
قال الجنيد رحمه الله العلم النافع ان تعرف ربك فلا تعدو قدرك
وقال من اراد ان يسلم له دينه ويستريح في بدنه وقلبه فليعتزل الناس
فان هذا زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة والناس في العزلة
ثلاثة معتزل ليسلم وشرطه سلامة المسلمين من سو ظنه ومعتزل ليغنم
وشرطه ملازمة الصمت والجوع والسهر ومعتزل ليتبع وعزلة السر في
حق هذا اتم مع التحرز من موارد الغلط ومظان الهلكة والخبط وشرط
كلها عدم احتياج الناس اليه واحتياجه اليهم في دين او دنيا والا منعت وملازمة
السنة والجماعة فانها العصمة الدافعة لكل نقمة وانما شرط المصنف

الفكر

168

الفكرة لان كل عزلة لا يصحبها فكرة فالى الحمق مآلها وكل فكرة على غير عزلة
لا يتم غالبا امرها ومن مجاري الفكر المودية الى حقائق الامور ان تقول
بفكرك لسرك في سرك **كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في**
مرآته اي بصيرته حتى علاها صدا الاعتماد عليها فلم يدع لها توجها
الا اليه **ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته** التي احاطت به
من جميع جهاته حتى لم تدع للقيام بحق مولاه محلا من اوقاته **ام كيف**
يطمع ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته التي استغرقت
جزئياته وكلياته حتى لم يحاسب نفسه على حالة من حالاته **ام كيف يرجو ان**
يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته وكيف يتوب من هفوته
من اثر شهوته وانغمر في غفلته يا عجبا كيف ينجو حليف الغفلة واليف
الزلة ومؤثر الشهوة والمتعلق بالضعيف دون من له القدرة **ثم الكون**
كله ظلمة اذ هو عدم في الحال بعدم استقلاله وفي الماضي بحقيقة
امره وفي المستقبل على حكم ذلك فكيف يعتمد عليه ويوثق به او يستند
اليه **وانما اناره ظهور الحق فيه** بما اظهر عليه من اثار قدرته
وتخصيص ارادته اذ خصصه بالوجود الجائز له الذي لولا هو ما ظهر
بدلا من العدم الذي هو اصل وجوده فاعتبر بمن نوره لا بنوره وتنوره
يشرق قلبك بنوره ويبدو لك الحق عند ظهوره فلم يبق لك للشهوات نظر
ولا للغفلة في قلبك مستقر ولا للاصرار مظهر فقد سيل الجنيد رحمه الله
كيف السبيل الى الانقطاع الى الله تعالى فقال توبة تزيل الاصرار
وخوف يزيل التسويف ورجا يبعث على مسالك العمل وذكر الله على اختلاف
الاوقات واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الامل قيل له
فبما يصل العبد الى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد انتهى
وعلى هذا **فمن راى الكون ولم يشهده فيه** فاعلا ومدبرا حتى عرف جميع

افعاله في افعاله فلم يصح منه اعتماد عليها **او عنده** فاتماله بما يجب
وعليه بما يجب حتى غيب حظوظه في حقوق مولاه شكرا وعبودية
له فلم تبق له شهوة **او قبله** اذ هو الخالق لوجوب وجوده لذاته دون غيره
او بعده اذ هو خالق كل شي وما لكه قال الله تعالى الله خالق كل شي
وهو على كل شي وكيل الاية فمن عمل على ذلك ظفر بالمراد وتحقق بالوداد والا
فقد اعوزه اي منعه ذلك والاشارة للرؤية **وجود الانوار** الكاشفة
عن حقايق الانوار **وحجبت عنه شموس المعارف** اليقينية **بسحب**
الاثار الوهمية العدمية وذلك غاية الخسران وراس الشر والطغيان
قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه واضر ما ابتلي به العبد واعمل في هلاكه
واشد لحجبه وابعاده ضعف يقينه لما وعد من الغيب وما توعد عليه
بالشهادة وقوة اليقين اصل كل عمل صالح انتهى وانما يصح هذا الامر بان ترا
انه القاهر للجميع والمنفرد بالعز المنيع **ومما يدلك على وجود قهره سبحانه**
لعباده وانهم في قبضته وتحت تصريف ارادته **ان حجبك عنه بما ليس**
بموجود معه وذلك وجود الاكوان الذي وصفناه انفا بالعدمية حسبما
اقتضاه حالها مع وجود احتجابه بها اذ لا يصح في حقه تعالى ان يكون
حجابا ولا محجوبا فاذا تاملت بعين التحقيق على هذا الطريق ظهر لك انه انما
ظهر لك بربوبيته وانما بطن بعز الالهية فما حجب عنه سواه ولا دل عليه
الا اياه اذ هو الباطن الظاهر ومظهر المظاهر لم يزل ظاهرا ازلا وابدا
وباطنا كذلك فاحتجاب الخلق بالخلق دليل على ظهور الحق بالحق لا حجب البتة
ومن العجب **كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي اظهر كل شي** بما افاض
عليه من رحمته وانار علمه وارادته وقدرته وحكمته **كيف يتصور ان**
يحجبه شي وهو الذي ظهر بكل شي بما اظهر فيه من التصرفات
وانواع القضايا والتدبيرات **كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر لكل شي**

[illegible]

اذ

169

اذ لا يصح خفاوه عنه مع كونه مظهرا له وظاهرا به وفيه **كيف يتصور**
ان يحجبه شي وهو الظاهر قبل وجود كل شي اذ علة كل شي صنعه
لثبوت قدمه وثبوت هذا الاسم له في ازله **كيف يتصور ان يحجبه شي**
وهو اظهر من كل شي اذ لا يصح ظهور الموجود دون موجده في المناط
العقلي **كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الواحد الذي ليس معه شي**
ازلا وابدا وان كان الخلق موجودين فهم به لا بهم وله لا لهم وليس الا
الله وافعاله **كيف يتصور ان يحجبه شي وهو اقرب اليك من كل شي** لثبوت
احاطته بك وقيوميته عليك في كل شي **كيف يتصور ان يحجبه شي ولولاه**
ما كان وجود كل شي اذ هو واجب الوجود لذاته ومن عداه واجب الوجود
لغيره **يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم** مع ان العدم ظلمة
والوجود نور **ام كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم** مع
ان الحادث لا قيام له بنفسه والباطل لا يثبت مع قيام الحق قال
في التنوير فما سوى الله تعالى عند اهل المعرفة لا يوصف بوجد ولا فقد
اذ لا يوجد معه غيره لثبوت احديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا
ما كان موجودا ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان
ولا شرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان انتهى واعلم ان
هذا الفصل هو نخبة الكتاب ولباب اللباب غير انه معدن غرور
الجهال ومزلة اقدام الرجال فمن متكبر بالباطل ومتعصب بما هو به
جاهل فاعتقد كمال التنزيه ونفي التشبيه وتمسك بقوله تعالى
ليس كمثله شي وهو السميع البصير وتجنب الباطل من تفلسف مع ادعايه
التصوف وما وقع لسلف هذه الطايفة مما ينافي ظاهر الشرع
فانكار ظاهره لازم والتسليم لهم واجب لان التعرض للتكفير مخطر
وترك النكير في محله غش للشريعة وقد سيل شيخنا ابو عبد الله محمد

بن القاسم اللخمي ثم الفوري مفتي مدينة فاس وعمدة اهل المغرب
الاقصى في دينهم رحمة الله عليه ما تقول في ابن العربي الحاتمي
فقال اعرف بكل فن من اهل كل فن ٥ فقيل له ما سالناك عن هذا قال
اختلف فيه من الكفر الي القطبانية فقيل له فما ترجح قال التسليم
ولخف يستدل له قلت واذا كان الامر كما وصف وان الواجب التسليم
في حقه مع كثرة ما وقع له من هذا النوع فما ظنك بغيره فسلم تسلم الا ان
يتعين حق شرعي ٥ فالقايم به نايب عن الله وحكم الله لا يرفعه ولاية ولي
ولا صديقية صديق وغيرات الله يغار لهتك جناب الاله فان الاذن
منه في ذلك سابق على كل ما هنالك والقايم بحق الله ماجور والمنتصر
لدين الله منصور فتحقق هذه الجمله ودع من عادا الشريعة او انكر بغير دليل
ولا دريعة واعتصم بالله فهو خير معتصم والسلام وقال رضي الله عنه
ما ترك من الجهل شيا من اراد ان يحدث في الوقت وهو الزمان
الذي لا يقبل غير ما اظهر الله فيه من طاعة او معصية نعمة او بلية
وذلك لثلاثة اوجه ٥ احدها مضادة العقل بارادة رفع الواقع وايقاع
الممتنع ٥ الثاني الخروج عن الادب مع الله تعالى بارادة غير مراده الثالث
عدم الاعتبار بسنة الله فيمن يفعل ذلك اذ اقتضت عدم اسعافه
بمراده ٥ وقد جاء في بعض الاثار ان الله تعالى يقول ابن ادم تريد واريد
ولا يكون الا ما اريد فان سلمت لي فيما اريد اعطيتك ما تريد وان
نازعتني فيما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ٥ وقال
ايوب السختياني رضي الله عنه اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون ٥ وقال
بعضهم اذا وقع ما تكره فلا تضاد الله فيما يريد ٥ ومن كلامهم الوقت
سيف ان لم يقطعه بالعمل اقتطعه عن الامل وفي معنى ذلك انشدوا
٥ وكالسيف ان لاينته لان مسه ٥ وحداه ان خاشنته خشنان

والي

والي هذا المعنى اشار المولف بقوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ
من رعونات النفوس اي من حماقاتها وذلك لثلاثة اوجه احدها
انه تضييع لحق الوقت الذي هو القيام بما امكن كيف امكن الثاني
ايثار الدنيا على الاخرة اذ الفراغ غالبا لا يتصور فالتعلل به ايثار
لنقيض المعلق عليه ٥ الثالث الثقة بالنفس في عزمها الذي
غالب الامر عدم وفايها به لو صح ما علقت عليه ٥ وقد قال
الجنيد رحمه الله لا تركن الي نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة
ربك ٥ وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا تؤخر طاعة وقت
لوقت فتعاقب بفوتها او بفوت غيرها او مثلها جزا بما كفر من ذلك
الوقت فان لكل وقت سهما من العبودية يقتضيه الحق منك
بحكم الربوبيه ٥ ولله در ابن الفارض رحمه الله حيث يقول
٥ وعد من قريب واستجب واجتنب غدا ٥ اشمر ساق واجتنها دا بنهضة ٥
٥ وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى ٥ واياك علا فهي اخطر علة ٥
٥ وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطاله ٥ ما اخرت عزما لصحة ٥
٥ وجد بسيف العزم سوف فان تجد ٥ تجد نفسا ان جد تصحدت جلة ٥
واذا علمت ان الواجب انما هو القيام بالعبودية في كل حال
فلا تطلب منه ان يخرجك من حال ليستعملك فيما سواها ولكن اطلب
منه ان يعينك على القيام بحقها ان كانت مما اقامك الحق فيه بحيث
استقامت لك واستقمت فيها فلو اراد لاستعملك من غير اخراج
او اذن في الخروج بتخلف شرط الاقامة كفقد الرفق في التجريد
ووجود الضرر في الاسباب ٥ وقد قال الشيخ ابو عثمن رضي
الله عنه منذ اربعين سنه ما اقامني الحق في حال فكرهته ولا
نقلني الي غيره فسخطته ٥ وطلب بعضهم رغيفين كل يوم ليتفرغ للعبادة

فسجن وكان يوتى بهما كل يوم حتى ضجر ففكر في امره فذكر تميمة وقيل
له انك سالت الرغيفين ولم تسال العافية فاستغفر فاخرج من جبه
قال في التنور فتادب بها ايها المومن ولا تطلب ان يخرجك
من امر ويدخلك فيما سواه اذا كان ما انت فيه موافقا للسان
العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله فاصبر لئلا تطلب الخروج
بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيئا
وداخل في غيره ليجد الراحة والترويح فتعب وقوبل بوجود النصب
عقوبة لوجود الاختيار انتهى ومن مخالفة احكام الوقت
الوقوف مع ما يرد من فوايد الحق فلذلك قال ما ارادت
همة سالك ان تقف عند ما كشف لها من العلوم والمعارف والفهوم
والحقايق ونحوها الا نادته هواتف الحقيقة التي هي لسان حال
ما كشف له وما فضل الذي تطلب امامك وهي المعرفة التي لا تتناها في
دار البقا الابدية فضلا عن هذه الدار الدنية لانه ان كان
ما فتح له من باب معاني الافعال فقد حجب عن علم معاني الصفات
فقد فاته تعظيم الذات وان كان ما فتح له من تعظيم الذات الكريمة
كما يليق بها لم يصح منه الوقوف مع كشفه لعلمه بان المعروف
لا يتناهى اذا المعرفة بحسب معروفها ولهذا كانت العبودية
مستمرة والاحكام الشرعية في كل مقام مستقرة حتى قال
بعضهم يموت الولي ويبقى عليه هداية لم يبلغها انتهى ثم قال
ولا تبرجت ظواهر المكونات تزينها الخارقة للعادات من انقلاب
اعيان او تسخير اكوان او غير ذلك الا نادتك حقايقها اي ما جاءت
لاجله وهو ما دلت عليه من قدرة المولى جلت قدرته انما
نحن فتنة اي اختبار لك هل تقف معها او تجاوزها الى تعرف ما تضمنته

ن

من عظمة باريها وباعثها فلا تكفر نعمة الله عليك فيما تولاك
به من ذلك كان بعضهم يسير في البادية وقد اصابه العطش
فانتهى الى بير فارتفع الما الى راس البير فرفع راسه الى السما وقال
اعلم انك قادر ولكن لا اطيق هذا فلو قيضت لي بعض الاعراب
يصفعني صفعات ويسقيني شربة ما كان خيرا لي ثم اني اعلم ان ذلك
الرفق من جهته وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه
من لم يكن كارها لظهور الايات وخوارق العادات منه كراهية
للخلق لظهور المعاصي فهي حجاب في حقه وسترها عنه رحمة وفي
المعنى لابي الحسن الششتري رحمه الله تعالى شعر

فلا تلتفت في السير غيرا وكلما • سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه • حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى • عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب • فلا صورة تجلى ولا لخفية تجتنى

فاذا رفعت همتك عن الاكوان طلبا لوجود العيان فاعلم ان الطلب
كله معلول مدخول الا ما كان على وجه العبودية والقيام بحق
الربوبية اذ طلبك منه اتهام له لانك لو وثقت به لم تطلب منه
شيئا قسمه لك وطلبك له غيبة منك عنه لانك لو استشعرت
قربه ما كنت تطلبه اذ الحاضر لا يطلب وطلبك لغيره لقلة
حيائك منه لانك لو قدرته حق قدره ما توجهت لغيره وطلبك
من غيره لوجود بعدك عنه اذ لو كنت حاضرا بقلبك معه ما صح
منك توجه لغيره واذا علمت ان ما من نفس تبديه الا وله قدر
فيك يمضيه بل عين ذلك النفس وامضاه من قدره لم يصح منك
طلبه ولا الطلب منه ولا من غيره ولا لغيره لما تشاهد من قربه منك

وقيوميته عليك وعلي غيرك فلم يبق لك التفات لغير امره ولا تعول الا
علي كريم بره اذ كل نفس يقتضي تجليا وذلك التجلي يوجب معرفة وتلك
المعرفة توجب للعبد عبودية ادناها السكون تحت جريان الاقدار ذي
عجز نفسه وانفراد مولاه بجلاله في علو قدسه فيكون في كل نفس من
انفاسه سالكا طريقا الي ربه والي هذا اشار بعض المشايخ بقوله الطرق
الي الله تعالي علي عدد انفاس الخلايق واليه يشير عليه السلام بقوله
انه ليغان علي قلبي الحديث وقد راه الشيخ ابو الحسن في منامه فسا له
عن معني ذلك فقال له غين انوار لا غين اغيار يا مبارك قالها ثلاثا
ومن فوايد شهود التقدير ترك التدبير كما قيل
نفذت مقادير الاله وحكمه فارح فوادك من لعل ومن لو ومن فوايد
ذلك ان لا تترقب فروع الاغيار بل تعمل في كل وقت بحكمه وتقوم
بكل حق في محله فان ابيت الا ان تترقب فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة
له فيما هو مقيمك فيه لان التفاتك للفراغ يمنعك عن القيام بحق وقتك
ثم الذي تنتهي اليه يمنعك عن القيام بحقه الا لتفاتك لما بعده اذ للاول
من الحق ما للثاني فبوجوده ارتفع حكم ما قبله وتعين حكمه فلا فراغ
في الاوقات اذ لا ارتفاع لاحكامها ولا نهاية لاشغال الدنيا وانما نهايتها
بالاسر كما قيل فما قضي احد منها لبانته ولا انتهي ارب الا الي ارب
وقال جعفر بن محمد رحمه الله من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه
ولم يرزق يعني الراحة في الدنيا انتهي فاذا وطن العبد نفسه
علي هذا صار تعبه راحة وشغله فراغا والي هذا اشار المولف بقوله
لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت مقيما في هذه الدار فانها ما
ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها حسبما اقتضاه
حالها عند تتبع افعالها فالعاقل من جعل عمله فيها من جملة اشغالها
والصبر

172 والصبر فايدته في جميع اعمالها فقد قال الجنيد رحمه الله ليس اتبشع ما يرد علي
من العالم لاني قد اصلت اصلا وهو ان الدنيا دار هم وغم وبلا وفتنة وان
العالم كله شر ومن حكمه ان يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بكل ما احب فهو
فضل والا فالاصل هو الاول وقال ابن مسعود رضي الله الدنيا دار هم وغم
فما كان منها من سرور فهو ربح وقال الاحنف بن قيس رحمه الله من اراد
البقا فليوطن نفسه علي المصايب ومن طال عمره فقد الاحبة ومن قصر عمره
كانت المصيبة في نفسه وفي المعني انشدوا لبعض الشعراء شعر
يمثل ذو اللب في نفسه ... شدايده قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه ... لما كان في نفسه مثلا
راي الامر يفضي الي اخر ... فصير اخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه ... وينسي مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان ... ببعض مصايبه اعولا
ولو قدم الحزم في نفسه ... لعلمه الصبر عند البلا
وانما يعين العبد علي امر دنياه واخرته تعلق بمولاه واعراضه عن كل شي سواه
فما توقف مطلب انت طالبه بربك اذ هو غني كريم قادر غير عاجز ولا
ولا بخيل ولا معدم ولا محتاج الي سبب او معين ولا تيسر مطلب انت طالبه
بنفسك اذ هي عاجزة حقيرة ذليلة فقيرة فيما يمكنها العمل فيه فضلا
عن غيره قال في التنوير وما ادخلك الله فيه تولي لعانتك عليه وما
ادخلك فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق فالمدخل الصدق ان تدخل لا بنفسك والمخرج الصدق ايضا
كذلك انتهي وكلامه هذا عام في جميع المطالب دينيا كان او دنيويا ثم اشار

اليه لاهل الطريق فقال من علامة النجح في النهايات بالحصول على مقاصده
المراد منه كا بنا ما كانت الرجوع الى الله في البدايات بالتوكل عليه في تحصيل
مقاصدها واقامة حدودها حقوقها من اشرقت بدايته بالاعتماد على الله
والقيام بواجب العبودية لله اشرقت نهايته بالوصول الى الله والدوام بين يدي
يدي الله فان من كان في الله تلفه كان على الله خلفه ما استودع في غيب
السراير من المعرفة واليقين وغير ذلك ظهر في شهادة الظواهر بالعمل على
ماهنالك لان الاسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب على الوجوه اثره يلوح
فمن اودع في غيب سره الوصول اليه استدل به ومن اودع في غيب سره الايمان
به استدل عليه وان كان متعلق الكل واحدا ومقصدهما متحد فشتان بين
من يستدل به او يستدل عليه اي بعدان وفرقان ما بينهما وان اتفقا في التعلق فقد اختلفا
في التحقق المستدل به عرف الحق لاهله وهو الوجود الواجب الذي هو اصل
في وجود كل موجود لمستحقه وهو الله سبحانه واثبت الامر من وجود اصله وهو
الظاهر الاول الذي ظهرت المظاهر بفعله من غير تقدم زمان ولا سبقية
اوان والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه لان الواصل الى الشيء يستغني
بوضوحه عنده فكيف يحتاج الى الاستدلال عليه قال في لطايف المنن
اعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده فان الشاهد غني بوضوح
الشهود عن ان يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسايل اليها كسبية
ثم تعود في نهايتها ضرورية وإذا كان من الكاينات ما هو غني بوضوحه
عن اقامة الدليل فالمكون اولى بغناه عن الدليل منها انتهى فلم يبق للاستدلال
محل الا الوهم الذي هو حجاب الفهم والا فمتى غاب حتى يستدل عليه بشيء لولاه ما
كان ظهور ذلك الشيء ومتى بعد حتى تكون الاثار هي التي توصل اليه وهو القريب

الذي عم كل شيء نوره وبدى على كل شيء ظهوره باظهاره لذلك الشيء قال في
لطايف المنن ومن اعجب العجب ان تكون الكاينات موصلة اليه فليت شعري هل لها
وجود معه حتى توصل اليه او هل لها من الظهور ما ليس له حتى تكون هي المظهرة
له وان كانت الكاينات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي
ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصلت اليه غير الالهية ولكن الحكيم هو
واضع الاسباب وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عين الحجاب انتهى
ومن الناس قسم لا يقبل الحقايق لبعده عن مواطنها مع فصاحة الحق فلينفق ذو
سعة من سعته وهم الواصلون اليه وسعت عليهم ارزاق العلوم والمعارف
حتى استدلوا به على الاشيا ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وهم
السايرون فقدرت اي ضيقت عليهم ارزاق العلوم والمعارف حتى احتاجوا
الى الاستدلال على ما لا يحتاج الى دليل لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها من
علم او عمل او رزق سيجعل الله بعد عسر يسرا اكل شيء لمن تام تحقق وثقه لصادق
وعده قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا الاية وان كان نزول الاية انما هو في شان
الانفاق فتحمل الاية على وجه اعم اتم اذا وافقه دليل من خارج والانتزاع لا يمنع
والاشارة لا تندفع اذا ثبت الاصل وبالله التوفيق اهتدى الراحلون اليه وهم
السايرون بانوار التوجه التي هي الاعمال والاحوال والمجاهدات والواصلون لهم انوار
المواجهة من المعارف والحقايق والتجليات كما يليق لجناب الكريم فالاولون للانوار
عبيد اذ لا تخرج لهم الا عليها عدما ووجودا وهؤلاء الانوار لهم وامدة وعليهم
واردة وبهم متصلة لانهم لله لا لشيء دونه وبه لا بشيء سواه فالاولون يستضيئون
بنور الهداية وهؤلاء يهتدون بسر العناية قال الله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب وقال عز من قايل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون

وكل ما دون الله خوض ولعب فالتعلق به زور وكذب فدع الكل جانبا وتعلق
بمولاك حتما تجده في كل مهم وغيب معينا وعند كل شي حقا بفنياه قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر بيت لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل
وقال مولانا جلت قدرته ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الايتين جعلنا الله
ممن تعلق به بلا علة وعافانا من الزلة والذلة والقلة وصحبنا بالعافية في هذه
الدار وتلك انه ولي ذلك والقادر عليه وقال رضي الله عنه تشوفك الي ما
بطن فيك من العيوب ولو كان ذلك الغيب معرفتك بربك وعجايب ملكوته لذلك لان
لان معرفتك بالغيوب ربما هلكت معها بالعجب والافتخار وايضا العلم بالغيوب حق الادب
مع مولاك والاطلاع علي العيوب مقولا نا رشهوتك وهواك وايضا فان طلب الغيوب
بغير اماطة العيوب اتيان للشي من غير بابه اذ ليس حجاب الغيوب الا وجود العيوب قال
في لطايف المنن وانما حجاب الغيوب وجود العيوب فالتطهر من العيوب للغيب يفتح لك
باب الغيب ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لربه فذلك حال الجاهلين
الذين لم يفقهوا عن الله ولا وجههم المدد من الله انتهي وذلك لانك اذا تاملت ظهر
لك ان الحق سبحانه في كمال وصفه انه ليس بمحجوب لثبوت احاطته وانما المحجوب انت
عن النظر اليه بما تراكم علي بصيرتك من العيوب العارضة وما يلازم بصرك من العيب
اللازم الذي هو الفنا الحسي الذي لا يرتفع الا في الدار الاخرة فلذلك كانت
الروية موقوفة عليها والا فالحجاب في حقه تعالي ممتنع غير مقصود اذ لو حجبه شي
لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشي فهو له
قاهر والقاهر للمقهور مالك ولا يصح ان يكون ما لكا لشي غيره قال
سبحانه وهو القاهر فوق عباده فوقية تليق بجلاله لا فوقية تزيده قربا
الي العرش والسما بل هو رفيع الدرجات عن الثري فقيل لبعضهم كيف ترا الله في الاخرة

عن العرش كانه رفيع الدرجات

قال

174

قال يري نفسه مخلوقا انه وليس في جهة من نفسه ولا مخلوقا انه وقال
سري السقطي رضي الله عنه من عرف الله عاش ومن مال الي الدنيا طاش والاحمق
يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش انتهي فمتي اردت كشف الغيب
فعليك باماطة العيب ولهذا المعني اشار بقوله اخرج من اوصاف بشريتك
عن كل وصف مناقض لعبوديتك وذلك الرضي عن النفس وفروعه الثلاثة
الي كل وصف موافق للعبودية وهو عدم الرضا عن النفس وفروعه الثلاثة وما
يتفرع عن تلك الفروع مثل الكبر والعجب والريا والسمعة والحقد والحسد وحب
الجاه والمال وغير ذلك ومثل التواضع وشهود المنة والاخلاص والصدق
وسلامة الصدر وترك فوق حب الدنيا الي غير ذلك من الاخلاق الحميدة كل ذلك
لتكون لندا الحق مجيبا بامتثال امره ومن حضرته قريبا بالاستسلام لقهره وذلك
يقتضي وجود الحفظ من الله تعالي حتي لا يلم العبد بمعصية وان الم بها فلا تصدر
منه واذا صدرت منه فلا يصر عليها اذ الحفظ الامتناع من الذنب مع جواز الوقوع
فيه فالعصمة للانبيا والحفظ للاوليا فقيل للجنيد رحمه الله ايزني العارف
فسكت قليلا ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا قال في لطايف المنن
فليت شعري لو قيل له اتتعلق همة العارف بغير الله لقال لا او كلاما بهذا
معناه ثم قال مبينا لاصول العيوب واصل ذلك اصل كل معصية وشهوة
وغفلة الرضي عن النفس اذ هو يستر عيبها ويمنع من النظر علي وجه الحق في احوالها
واصل كل طاعة وعفة ويقظة عدم الرضا منك عنها اذ هو موجب لتتبع امورها
والفحص عن اخلاقها كما قيل في معني ذلك وعين الرضي عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا وقال ابو حفص الحداد رضي الله عنه
من لم يتهم نفسه علي دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الي

مكروها في ساير ايامه كان مغروزا ومن نظر اليها باستحسان شي منها فقد
اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضي عن نفسه والكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام يقول وما ابري نفسي ان النفس
لامارة بالسوء انتهي والرضي عن النفس وعدمه غالبا انما ينشا من صحبة اهل
الخير ومن لا خير فيه لان المرء علي دين خليله ومن تحقق بحالة لم يخل حاضره منها
فلذلك قال ولان تصحب جاهلا لا يرضي عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما
يرضي عن نفسه وذلك لان الراضي عن نفسه يفيدك مع خلقه السيء زيادة
التعب فانك ان فعلت معه غاية جهدك راي له من الحق فوق ما يستحق فلا يرضي عنك
وان عملت ما عملت وان رضي فهو عندك كلا شي لاعتقاده استحقاق فوق ما جاملته
فالعمل معه كالرقص عند العميان وقال بعض الفقرا يوما عن بعضهم انه قال
اياك ان تعرف من لا يعرف نفسه فتتعب معه انتهي بالمعني ثم علمه وان كان اعلم
اهل البرية كالعدم لجهله بنفسه الذي دل عليه رضاه عنها فاي علم لعالم يرضي
عن نفسه اذ جهل ما بين جنبيه ولم يعلم حق ربه عليه واي جهل لجاهل لم يرض
عن نفسه اذ علم ما يرده الي ربه وان قلت بضاعته من الاحكام فيحصلها
بالوقايع علي طول الايام وانما انقلبت احكامهما لانقلاب الحقايق عندهما لان مراد الله
تعالي بالعلم ايثار الاخرة علي الدنيا والراضي عن نفسه موثر للدنيا علي الاخرة لما جبلت عليه
النفوس من حب العاجل الذي لا يمنعها عنه الا الخشية لله الكاملة علي سخط العبد علي نفسه
قال الله سبحانه انما يخشي الله من عباده العلما وقال رجل للشعبي ايها العالم
فقال اسكت انما العالم من يخشي الله تعالي وقال مسروق الاجدع رضي الله عنه كفي بخشية
الله علما وكفي بالاغترار بالله جهلا وقال الربيع بن خثيم رضي الله عنه من لم يخش الله
فليس بعالم الا تري ان داود عليه السلام قال ذلك بانك جعلت العلم خشيتك

والحكم

175

والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكمة من لم يومن بك وقال
سفين الثوري رضي الله عنه انما يتعلم العلم ليتقي الله به وانما فضل العلم علي غيره لانه
يتقي الله به وقال فرقد السبخي رحمه الله سالت الحسن عن مسلة فاجابني فقلت
ان الفقها يخالفونك فقال ثكلتك امك فريقد وهل رايت بعينك فقيها قط انما الفقيه
الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم علي عبادة ربه الورع
الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة
المقيم علي سنة المصطفي صلي الله عليه وسلم لا يهمز من هو فوقه ولا يسخر من هو
تحته ولا يلتمس علي علم علمه الله حطاما انتهي وانما يوجب الخشية التي تحمل علي عدم
الرضي عن النفس اليقين برؤية الحق واطلاعه وذلك علي مراتب هي بحسب نظر
العبد ببصيرته فشعاع البصيرة الذي هو نور العقل الهادي الي الايمان
يشهدك قربه منك حتي تري انه اقرب اليك من حبل الوريد فلا تقع منك معصية
لاستشعارك باطلاعه عليك وعين البصيرة الذي هو نور الحق الهادي الي
حقيقة المعتقد يشهدك وجوده علي الانفراد بلا واسطة حتي لا تري موجودا
علي الحقيقة سواه لا عدمك ولا وجودك ولا الدنيا ولا الاخرة عملا بقوله عليه السلام
كان الله ولا شي معه وهو الان علي ما عليه كان كينونة لا يصحبها الزمان
ولا يفيدها وجود الاكوان بل الازمنة هاهنا امور وهمية لا وجود لها علي
التحقيق والمقصود ان الله لا شي معه لثبوت احديته فلم يبق الا الكون لم يبق
فما ثم موجود وما ثم الا الله بذا جا برهان العيان فما اري بعيني الا عينه اذا عاين
وما ذكره المصنف هو ما اشاروا اليه من قولهم علم اليقين وعين اليقين وحق
اليقين وما نبهوا عليه من الفنا في الافعال والصفات والذات وقد قال
الشيخ محي الدين بن عربي من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم

فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل • انتهى قلت اذ ليس المعتقد كالمبرهن
ولا المبرهن كالموقن ولا هما كالمتمكن • ولهذه المعاني مجال ذكرها العلما
مفصلة في كتبهم بغامض القول وواضحه فانظرها في مظانها ككتاب التوحيد
والتوكل من الاحيا واوايل رسالة القشيري ونحو ذلك واعظمها نفعا واسلمها
ظاهرا كتب المصنف كلطايف المنن وتاج العروس وكتاب التنوير • وقال سيدي
ابو عبد الله بن عباد رحمه الله فيه ما في كتب الصوفيه المطولة والمختصرة مع ما
اشتمل عليه من زيادة البيان واختصار الالفاظ والمسلك الذي يسلك فيه مسلك
توحيدي لا يسع لحد انكاره ولا يدع للمصنف بصفة حسنة الا اكسبه اياها
ولا صفة ذميمة الا ازالها عنه وطهره منها • وقال تحصيله متعين على كل
مريد نجيب • وقال يمدح كتاب ابي طالب ويحض عليه • هو قوت القلوب والموصل
الى كل غرض مطلوب • وقال عن شيخه اوحد زمانه علما وعبادة ونجدة اوابه
ورعا وزهادة الحاج احمد بن عاشر رحمه الله انه كان يحض على كتاب النصايح للمحاسبي
ويحرض على قراته والعمل به قال واظنني سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما
فيه الا ولي او كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته وردا • وبعد كلام قال
وليجعل هجيراه مطالعته ومطالعة كتب التصوف وموالاة اهله بالتالف
والتعرف فبذلك تقوى انوار ايمانه ويقينه وتنتفي عنه الغرة في عمله بوظايف
دينه ولا يتقدم على ذلك الا فرض العين وما يستجم به خاطره من التعب والاين • وقال
في وصف فصول السلمي الموضوع في عيوب النفس صغير الحجم عظيم الفايدة انتهى كلامه •
ملفقا من رسايله وتنبيهه على سبيل الاختصار حرصا على الفايدة وبالله التوفيق •
وقال رضي الله عنه لا تتعد نية همتك الى غيره بطلب ذلك الغير او الطلب منه
فالكريم لا تتخطاه الآمال اي غيره في شي من ذلك • والكريم هو الذي اذا قدر عفى واذا
وعد

وعد وفى • واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى واذا
دفعت لغيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به
والتجا ويغنيه عن الوسايل والشفعا وليس ذلك الا للملك الاعلى كما قيل •
الله يغضب ان تركت سواله • وبني ادم حين يسال يغضب • واذا
كان الامر كذلك فلا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك اعتبارا بانه
ما اوردها عليك الا لتقبل عليه باللجا في امرها اليه لا لتطلبها من غيره لما
اقتضاه العقل من ان ما وضعه لا يقدر سواه على دفعه فكيف يرفع غيره ما
كان هو له واضعا مع عجز ذلك الغير وضعفه عن ضروراته لان من لا يستطيع
ان يرفع حاجة عن نفسه اذا نزلت به ولا يقدر على حلها ان تعلقت بقلبه
فكيف يستطيع ان يكون لها من غيره رافعا او لغيره جالبا ليت البخل يعض نفسه
قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم • ولا
يدوم شي سواه فهو الدايم القديم لم يزل ولا يزال وعطاوه وفضله دايمان •
وقال وهب بن منبه رضي الله عنه اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام اما وعزتي
وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي اعلم ذلك من نيته فتكيده
السموات السبع ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا • اما وعزتي
وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني اعلم ذلك من نيته الا قطعت
اسباب السموات من يده واسخت الارض من تحته ولا ابالي في اي واد هلك •
وقال بعضهم استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون •
انتهى • ولما كان الحامل على الطلب من الله حسن الظن به ذكر بعدك فقال
ان لم تحسن ظنك به لاجل وصفه وما هو عليه من نعوت الجلال التي لا يدركها
وهم ولا يحيط بها فهم حسن ظنك به لوجود معاملته معك قديما وحديثا اذ اوجدك

من العدم واسبغ عليك جميل النعم هل عودك الاحسانا من نعمه وهل اسدى
اليك الا مننا من كرمه اذا فعاله معك لعلة منك تما كان لك ولا علة فكذ له
ولا علة وكما من عليك بلا سبب فلا تتوجه لغيره حالة التسبب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وقال خصلتان ليس
فوقهما شي من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شي
من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله وقال ابو طالب رحمه الله كان
ابن مسعود رضي الله عنه يحلف بالله ما احسن عبد ظنه بالله في شي الا اعطاه
الله عز وجل ذلك لان الخير كله بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه ما يظنه
لان الذي حسن ظنه هو اراد ان يحققه له انتهى ولما فرغ من ذكر الطلب
منه شرع في ذكر طلبه فقال العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك
له منه ويطلب ما لا بقاء له معه وهو مولاه الذي من عليه بكل خير واولاه
وهو ما يوافق النفس من شهوته وهواه واخرته ودنياه قال بعضهم مكث عندنا
رجل ثلاثة عشر سنة يصلي كل يوم وليلة الف ركعة حتى اقعد فكان اذا صلى
العصر احتبى واستقبل القبلة ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا
عجبت للخليقة كيف استانست بسواك ثم يسكت الى الغروب وقال ابو
سليمان الداراني رحمه الله لو خيرت بين ركعتين وبين دخول الفردوس لاخترت الركعتين
لاني في الفردوس بحظي وفي الركعتين بحق ربي وروي الشبلي رحمه الله بعد
وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي
الا على شي واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال
واي خسارة اعظم من خسران لقائي وفي معناه قيل
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والانام غضاب

البلد

177
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
هذا كلام اولي البصاير والابصار فاما امثالنا فلا حديث عليه اذ تعلق ادنى
الادنى من القبايح والدنايات فضلا عن غير ذلك فانها لا تعمى الابصار عمى يكون
ضررا وانما اذا لا نفقد الحقايق نفقدها ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
عن ذكر الحقايق فيعود الضرر على ما هنالك واسباب عمى البصيرة ثلاثة
ذكرها الشيخ ابو حسن في قوله عمى البصيرة في ثلاثة اشيا ارسال الجوارح
في معاصي الله والتصنع بطاعة الله والطمع في خلق الله قلت نعني عماها
بتوجه العبد للخلق ويعرض عن الحق والى هذا اشار المولف بقوله لا ترحل
عن كون الى كون يعني بهمتك ولو عن ارادة الدنيا الى ارادة الاخرة
فتكون كحمار الرحا يسير والذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل عنه فهو من حيث
بدا اليه عاد وانت من غير حرج وبمثله تعلقت ولكن ارحل من الاكوان
الى المكون بحيث ترفع همتك اليه وتجعل همك كلها وقفا عليه اذ ليس في
الدارين سواه اولا واخرا قال الله تعالى وان الى ربك المنتهى اولا اذ هو
المبدي واخرا اذ اليه المرجع وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم من كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل كيف جعل جزا كل مومل ما
امل وثواب كل قاصد ما قصد واعتبر كيف لم يكرر ذكر الدنيا اشعارا بعدم
اعتبارها لخساستها ولان وجودها لعب ولهو فكانه كلا وجود فانظر قوله عليه
السلام فهجرته الى ما هاجر اليه وما تضمن من ابعاد ما سواه تعالى وتدبر هذا الامر
يعني ذكر الدنيا والمراة مع انهما ليشعر بان المراد كل شي في الدنيا من شهوة او

مال واليه ترجع الاكوان فافهم حق الفهم وان المراد بالحديث الخروج عن الذنب بل
وعن كل شي لله ان كنت دائم سديد سالم من الاعراض والاوهام والسلام علي
من اتبع الهدي بعد بيانه واعرض عن الباطل عند عيانه والله الموفق للصواب
وقال رضي الله عنه لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك علي الله مقاله
واصحب من يكون بضد ذلك وهو من لا يعرف غير مولاه ولا يدل الا علي ما به من
العبودية تولاه ثم قال سيدي عبد السلام رضي الله عنه من دلك علي
الدنيا فقد غشك ومن دلك علي العمل فقد اتعبك ومن دلك علي الله فقد نصحك
وقال ابو الحسن رضي الله عنه لا تصحب من يوثر نفسه عليك فانه لئيم ولا من
يوثر عليك نفسه فانه قل ما يدوم واصحب من اذا ذكر ذكر الله فالله يغني به اذا
شهد وينوب عنه اذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مفاتيح الغيوب
وقال الجنيد رحمه الله اذا اراد الله بالمريد خيرا اوقعه في الصوفية ومنعه
صحبة القراء وقال حمدون القصار رحمه الله اصحب الصوفية فان للقبيح
عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشار الي ان
العجب منفي عندهم وفي صحبتهم وقال بعضهم لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده
ببر ولا تنقص عنده باثم يكون لك وعليك وانت عنده سوا وانشدوا ليوسف
بن الحسين الرازي رضي الله عنه احب من الاخوان كل مواتي وكل غضيض
الطرف عن عثراتي يوافقني في كل شي اريده ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليتني لو عرفته فقاسمته مالي من الحسنات وقال
الشيخ ابو طالب رحمه الله قالوا واذا كان لا يزيد عند صاحبه بالعمل وينقص
بترك العمل فالفرقة اسلم للدين وابعد من المراآت من قبل ان النفس مجبولة
علي حب المدح وكراهية الذم ومبتلاة بان ترى حالها الذي عرفت به وان يظهر

الحسن

الحسن احسن ما يحسن عند الناس منها وان يجتلب ما يوجب المدح منهم ويجتنب
ما يوقع الذم عندهم انتهي وهذا ما يدخل عليك في صحبة الصالحين فاما
صحبة من لا خير فيه فاشار المولف اليها بقوله ربما كنت مسيئا فاراك الاحسان
منك صحبتك الي من هو اسوا حالا منك فتقع في الاعجاب ورويت النفس هذا ان
سلمت من انصباغك في اخلاقه لان النفوس مجبولة علي الاقتدا بالقرين كما قيل
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردي فتردي مع الردي
عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
واوحي الله الي داود عليه السلام يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانيا قال يا رب
قليت الخلق من اجلك فاوحي الله اليه يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك
اخوانا وكل اخ او صديق لا يوازرك علي مسرتي فهو لك عدو ويقسي
قلبك ويباعدك مني وروي ان عيسي عليه السلام قال لاصحابه
لا تجالسوا الموتي فتموت قلوبكم قالوا ومن الموتي قال الراغبون في
الدنيا المحبون لها او كما قال وقال سهل رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة
من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقرا المداهنين والمتصوفة الجاهلين
انتهي فبان مما قررناه ونقلناه ان لا يصحب الا العارف بالله ولا سبيل
الي معرفته الا بظهور آثار المعرفة عليه وهي الزهد في الدنيا فلذلك
قال ما قل عمل برز من قلب زاهد وذلك لان مقصود الحق سبحانه من
عباده قلوبهم وهذا الخلاء من حب الدنيا وما خلي منها عمر بضدها اذا القلب
لا يخلوا عن الشي ونقيضه ولهذا قال تعالي لداود عليه السلام حسبما
ورد في الداوديات يا داود ان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان
حبي وحبها لا يجتمعان في قلب ابدا انتهي ثم قال ولا كثر عمل برز من قلب راغب

لانه يضد الاول • وقد قال بعض الصحابه رضي الله عنه لصدر التابعين انكم
اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم
قيل ولم ذاك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا • وقال بعضهم تابعنا الاعمال كلها
فلم نر في الدنيا والاخرة ابلغ من الزهد في الدنيا • وكان ابو محمد بن سهل يقول
يعطي الزاهد ثواب العلما والعباد ثم يقسم على المومنين ثواب اعماله ولا يرى في القيمة
افضل من ذي زهد عالم ورع • وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من عالم
زاهد خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا • وقال
الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه شكى بعض الناس رجل من الصالحين انه يعمل
البر ولا يجد حلاوته في قلبه فقال لان عندك ابنة ابليس في قلبك وهي الدنيا
ولا بد للاب ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك • ولا يوثر دخوله الا فسادا انتهى • وانما
كان الزهد افضل الاعمال لان حسن الاعمال التي هي الزهد وما ينشا عنه من فراغ
القلب الموجب لكل عمل صالح نتايج حسن الاحوال التي هي اعمال الباطن الموجبه
للزهد المعرفه والمحبه واليقين وما ينشا عنها من اعتقاد وخلق من التحقق في
مقامات الانزال ومقامات الانزال مستفادة من التنزلات الواردة على القلب
من معاني الاسما والصفات فبقدر التنزلات من الرب تكون التوجهات من العبد
ولهذا اشارة الامام ابي حامد بقوله لا بد لكل مقام من علم وحال وعمل ومن معناه
قوله عليه السلام الصدقة برهان اذ قيل يعني على حب العبد ربه • ثم الاعمال
والاحوال انما تثبتها في القلوب وجود الذكر بالقلب واللسان والجوارح فان
فاتك واحد فلا يفوتك اثنان وان فاتك اثنان فلا يفوتك الثلاثة بل اذكر مولاك
على كل حال لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه بل قم بما امكن كيف امكن
فان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره لان الغفلة عنه اعراض

بالكلية

179

بالكلية وفي الغفلة فيه حضور بجزيية • وقد قال بعضهم اشكر الله على
ما وفقه الله من ذكر اللسان ولو اجرى مكانه الغيبة ما كنت تصنع والله اكرم
من ان يحض العبد بلسانه ثم لا يمن عليه بحضور قلبه فعساه ان يرفعك من ذكر
مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة وهي الانتباه لوارد الحق بواسطة
الذكر حتى تسكن على معناه ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور
وهو استحضار معنى الذكر بمراقبة المذكور حسبما اقتضاه الذكر ومن ذكر
مع وجود حضور الى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور حتى يندرج الذاكر في
مذكوره ويغيب السر عند ظهوره فيكون غايبا في ذكره بذكره • قال
الواسطي رحمه الله تعالى • الذاكرون في ذكره اشد غفلة من الناسين لذكره •

وفي معناه انشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يلعنني • سري وقلبي وروحي عند ذكراكا
حتى كان رقيبا منك يهتف بي • اياك ويحك والتذكار اياكا
اما ترى الحق قد لاحت شواهده • وواصل الكل من معناه معناكا

فحسن الظن بمولاك وتطفل على كرمه ينلك ما تريد من غير تعب ولا نصب كما تريد
وما ذلك على الله بعزيز اذ هو الغني الكريم العزيز الذي لا يتوقف امره على شي
وبالله التوفيق وقال رضي الله عنه من علامة موت القلب عدم الحزن على ما فاتك
من المرافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات لان الحياة تقتضي
الاحساس والعكس صفة الميت • وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه المومن
يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه • والفاجر يرى ذنوبه كذباب
وقع على انفه فقال به هكذا فاطهره • وقال عليه السلام من سرته
حسنته وساته سيته فهو مومن انتهى • والحامل على الندم تعظيم الذنب

لواجب حق الرب واذا كان الامر كذلك فلا يتعظم الذنب عندك عظمة تصدك
عن حسن الظن بالله اذ كما امرك بتعظيمه لاجله طلب منك تحسين الظن به فبه
فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه اعتبارا بانه الكريم الرحيم
الذي لا يتعاظمه شي كما عظم ذلك لواجب حقه اعتبارا بانه المنتقم القوي
العظيم فاستوى رجاؤه وخوفه في كل حال من احواله وانما يصح لك ذلك
اذا كنت ناظرا لاوصافه لا لافعالك بحيث تستشعر انه لا صغيرة اذا قابلك
عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله اذ هو الفعال لما يريد المالك على الاطلاق
اسعد من شا لا بوسيلة سبقت وابعد من شا لا بجريمة تقدمت. قال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه ان وضع عليهم عدله لم يبق لهم حسنة وان نالهم
فضله لم يبق لهم سيئة. وفي الخبر اوحى الله الى نبي من الانبيا قل لعبادي
الصديقين لا تغتروا فاني اذا اقمت عليهم عدلي وقسطي عذبتهم غير ظالم لهم
وقل لعبادي الخاطئين لا تيأسوا فاني لا يعظم علي ذنب اغفره لهم. وقال سيدي لعله تيئسوا
ابو العباس المرسي رضي الله عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة
متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا. قال في لطايف المنن ومعنى هذا الكلام
ان العامة واقفون مع ظاهر الامر فمتى خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما ورا
العبارة بنور الفهم كما لاهل الله واذا خوفوا رجوا عالمين ان من ورا خوفهم وما به
خوفوا اوصاف المرجو الذي لا ينبغي ان يقنط من رحمته ولا ان يوئس من منته [illegible]
على اوصاف كرمه علما منهم انه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه. واذا رجوا
يخافون غيب مشيئته الذي هو من ورا رجائهم وخافوا ان يكون ما اظهر من الرجا
اختبارا لعقولهم هل تقف مع ظاهر الرجا او تنفذ الى خوف ما بطن من مشيئته
فلذلك استاثر الرجا خوفهم انتهى. واذا كان الامر كذلك فلا عمل ارجى للقلوب ثوابه

وحصول

وحصول النفع به وقبوله من عمل يغيب عنك شهوده بشهود من وفقك اليه. 180
ويحتقر عندك وجوده اعتبارا بانه لا يليق بمن عملته له لما فيه من العلل
والافات لان كل ذلك يوصلك الى الاعتماد عليه تعالى بلا علة اذ لم تر للعمل قيمة
اعتبارا بقلة صدقه. اولان المولى جلت قدرته وتقدس القيام بحقه فقد
قال علي بن الحسين رحمه الله كل شي من افعالك اذا اتصلت به رويتك فذلك
دليل على انه لم يقبل منك لان المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه
رويتك فذلك دليل على وجود القبول. وسيل بعض العارفين ما علامة قبول
العمل. قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدليل قوله تعالى
والعمل الصالح يرفعه انتهى. وانما يحمل العبد على التسليم في جميع اموره ورود الواردات
على قلبه فلذلك قال انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا لا لتعتد
باعمالك وتشتغل بعللك واحوالك فاذا قصدت الورود عليه نظرت فيما تقدم اليه
فلم تجد الا اعمالا معلولة واحوالا مدخولة اورد عليك الوارد ليستلمك من يد
الاغيار وليحررك من رق الاثار لا لتقف مع ما يرد عليك من الانوار وتتقيد
بطلب الاحسان والابرار اورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك الذي هو نفسك
وما منها واليها الى فضا شهودك لا لتقف مع ما يبدو لك فقد قيل في المقام الاول
ميراث اعمالك ما يليق بافعالك فاطلب ميراث فضله فهو اولى بك. وقيل في الثاني
لا تنظر لعملك وان صح انظر لمن وفقك اليه. وقال ابو القسم النصراباذي
رضي الله عنه سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد. وقيل لبعضهم
بم يتخلص العبد من نفسه قال بربه انتهى ثم زاد ما قاله بيانا فقال الانوار
مطايا القلوب يعني الى حضرة علام الغيوب ومطايا الاسرار الى حضرة الملك الجبار
والقلب اشارة الى مبادي العقل الواقع على الجمال الالاهي باول النظر والسر سويدا

القلب الذي تنتهي اليه حقايق ما يرد عليه فيتحقق بالجلال فلا يحمل على مطايا
الحق شيا من الباطل و قد جعل الله سبحانه النور الذي هو حقايق ما يستفاد من
معاني الاسما والصفات جند القلب الذي يقابل الهوي والنفس والشيطان
ونحو ذلك كما ان الظلمة التي هي معاني ما يستفاد من الهوا والعوايد الرديه
جند النفس التي بها تقوي اثارها والحرب بينهما سجال فاذا اراد الله ان
ينصر عبده علي ما طلب منه امده بجنود الانوار فكلما اعترته ظلمة قام له نور
فاذهبها وقطع عنه مواد الظلم والاغيار فلم يبق للهوي مجال ولا للشهوة والخلال
الذميمة مقال ولا حال النور له الكشف عن حقايق الاشيا حتي يبدو للبصيرة
والبصيرة التي هي ناظر القلب بها الحكم بما يبدي لها من حسن او قبح والقلب
له الاقبال والادبار بحسب ما كشفت البصيرة فاذا فقد النور وعدمت
البصيرة صار القلب يخبط خبط عشوا فيري الامر علي غير وجهه وياتي به في
غير محله ومن صور ذلك ان يفرح بالطاعة لانها منه لا لانها منة فلذلك
قال لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك اذ ذلك مورث الاعجاب والكبر
وفيه تري الشكر وذلك من جند النفس وافرح بها لانها برزت من الله اليك
لان ذلك يوجب شكر ربك وفيه القيام بحق العبودية رجوعا الي وصفك
الذي هو العيب اللازم له في جميع احوالك قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فيتسلى حتي من علومهم واعمالهم واراداتهم
واحوالهم وانما لم يومر العبد برفض الفرح جملة لان ذلك من ضرورات البشر
التي لا يمكن رفعها بل ينبغي صرفها للوجه اللايق بها وكذا جميع الاخلاق كالطمع والبخل
والحرص والشهوة والغضب لا يمكن تبديلها بل يصح ان تصرف الي وجه لايق بها حتي
لا تتصرف الا فيه واعلم انه سبحانه قطع السايرين له وهم المريدون والواصلون اليه

لو هم المرادون عن روية اعمالهم وشهود احوالهم بما منهم له او لما منه اليهم
فاجزل فضله عليهم واعظم احسانه لديهم اما السايرون فلانهم لم يتحققوا الصدق
مع الله فيها فانقطعوا اليه بروية تقصيرهم فكان انقطاعهم بهم عنه وسبب اقبالهم
عليه ما منهم اما الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها اما بكونهم راوا انه من الحق
فوق ما عملوه وهذا حال الشاكرين او لانه الفعال ونعم الله مستغرقة او مسلطة
بسر قدرته وهذا حال الموحدين الذين لا يعرجون علي سواه عباة مولاهم
ولا يلتفتون لغير ما به تولاهم قايمين بامره مستسلمين لقهره ولما دخل
الواسطي نيسابور وسال اصحاب الشيخ ابي عثمان المغربي بم يامركم شيخكم
قالوا كان يامرنا بالتزام الطاعة وروية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية
المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود منشيها ومجريها قال القشيري
رحمه الله وانما اراد الواسطي صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا في اوطان التقصير
او تجويز الاخلال بادب من الاداب وقال ابن عجيبة لا يصفو الاحد قدم في العبودية
حتي تكون افعاله كلها عنده ريا واحواله كلها عنده دعاوي وقال النهرجوري
من علامة من تولاه الله في اعماله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في
اذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره
فتكون جميع احواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الي الله تعالى في فقره
وسيره حتي يفني عن كل ما دونه انتهي ومن الله التوفيق والهداية قال
رضي الله عنه ما بسقت اي طالت اغصان ذل الا علي بذر طمع وما تولد
طمع الا من وهم ما قادك شي مثل الوهم عن ادراك المعالي اذ لا تتصور غيره
ولا تتقيد بظواهر الامور وتخرج بنوادرها سواه ولو لم يكن حجاب الوهم لعلمت
انك انما انت حر مما انت عنه ايس اذ ليس لك به ولا له بك تعلق وعبد لما انت له

طامع اذ هو يقتضي استغراقك في طلبه وذلك بالضرورة مقتض لوجود الذل
للمطموع بتحصيله من جهته • فقد قيل لولا الاطماع الكاذبة ما استعبد الاحرار
بكل شي لا خطر فيه • وقيل ان العقاب يطير في فضاء عظيم بحيث لا يرتقي طرف
الى مكانه ولا تسمو اهمة الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم على شبكة فينزله
الطمع من مطاره فيعلق بالشبكة جناحه فيصاد لصبي يلعب به • وقال
ابو بكر الوراق الحكيم رحمه الله لو قيل للطمع من ابوك لقال الشك في المقدور
ولو قيل ما حرفتك لقال اكتساب الذل • ولو قيل له ما غايتك لقال الحرمان •
وقال ابو الحسين الوراق النيسابوري من اشعر نفسه محبة شي من
الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع • ومن طمع في شي ذل وبذله هلك • وقال
الشيخ ابو العباس رحمه الله جئت الى بعض من يعرفني فاشتريت حاجة بنصف
درهم ثم قلت في نفسي لعله لا ياخذ مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين
بترك الطمع في المسلمين المخلوقين • ولما اقام علي كرم الله وجهه القصاص في المسجد
سأل الحسن البصري وكان احدهم ما صلاح الدين قال الورع وما فساده قال
الطمع قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس • وقال ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه
كثرة الحرص والطمع • تورث الغم والجزع • قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع

وفي المعنى لبعضهم

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس • واقنع بعز فان العز في الياس •
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم • ان الغني من استغنى عن الناس •

قال في التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك اكثر مما تتفقد ما سواه
وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع بسبعة ابحر ما طهره الا الياس
منهم ورفع الهمة عنهم • وبعد كلام قال فعليك ايها المريد برفع همتك عن الخلق

ولاتذل

ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ
ايها الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه فكله بعز ولا تاكله
بذل انتهى • وانما كان الطمع مصحوبا بالذل لان من لم يقبل على الله بملاطفات
الاحسان حتى لا يطمع في سواه ولا يتعلق بغيره اعتبارا بانه المنعم المفضال الكريم الرحيم
قيد اليه بسلاسل الامتحان وهو ما سلطه عليه من عدم الاسعاف بمراده والالحاح
في طلب ما يريد حتى لاهل وداده وذلك ليرجع العبد اليه كرها اذ لم يقبل عليه
طوعا قال الشيخ ابو مدين رضي الله عنه سنته تعالى استدعا العباد لعبادته
بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم
بالسرا والضرا لعلهم يرجعون لان مراده تعالى رجوع العبد اليه طوعا
وكرها انتهى • فالاول حال الاحرار والثاني حال اهل الدناءة والاعبد من لم يشكر المنعم
فقد تعرض لزوالها من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم ومن شكرها فقد قيدها
بعقالها والشكر فرح القلب بالمنعم لا بالنعم حتى يتعدى ذلك الى الجوارح فتكف
عن التوجه لغيره والاستهانة بامره • وقد قال الجنيد رحمه الله كنت عند
السري وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال
لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك
من الله لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة • وقال بعضهم الشكر معرفة
بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان • وفي معناه لسيدي محمد بن جابر الغساني
شيخ شيخنا ابي عبد الله القروي رحمهما الله بمنه • الشكر قيد للنعم •
مستلزم دفع النقم • وهو على ثلاثة • قلب يد فاعلم وفم • واجمع حكما العرب
والعجم على هذه اللفظة الشكر قيد النعم • وقالوا الشكر قيد للموجود وصيد
للمفقود • وكان يقول النعم اذا اودعت بالشكر فهي اطواق • واذا دوعيت

بالكفر فهي اغلاق انتهي واذا اردت ما يحملك علي الشكر فخف من وجود احسانه
اليك ودوام اسائتك معه في دوام لطفه بك وعطفه عليك ان يكون ذلك
استدراجا لك حتي تقف معه وتغتر بها فتفرح بما اوتيت فتوخذ بغتة قال
الله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل رضي الله عنه في معني
هذه الاية نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الي النعمة وحجبوا
عن المنعم اخذوا وقال ابو العباس بن عطا يعني كلما احدثوا خطيئة
جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة وقال الشيخ ابو القاسم
القشيري رحمه الله الاستدراج تواتر المنة بغير خوف الفتنة الاستدراج
انتشار الذكر دون خوف المكر الاستدراج التمكن من المنية والحرف عن
البغية الاستدراج تعليل برجاء وتامبل بغير وفاء الاستدراج ظاهر
مضبوط وسر بالاغيار منوط انتهي من جزء له يسمي المنثور ومن وجوه الاستدراج
قضية هي من جهل المريد بنفسه وبحق ربه وذلك ان يسي الادب باظهار
دعوي او تورط في بلوي فتوخر العقوبة عنه امهالا له فيظنه اهمالا فيقول
لو كان هذا سو ادب لقطع الامداد واوجب الابعاد اعتبارا بالظاهر من الامر
من غير تعريج علي ما وراء ذلك وما ذاك الا لفقد نور بصيرته او ضعف نورها
والا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتي ربما ظن انه متوفر في عين
تقصيره ولو لم يكن من قطع المدد الا منع المزيد لكان قطعا لان من لم يكن في
زيادة فهو في نقصان وقد تقام مقام البعد من حيث لا تدري وعلامة ذلك
ان تكن لاعمالك وتقف مع ظواهر احوالك ولو لم يكن من الابعاد الا ان يخليك
وما تريد فيصرفك عنه بمرادك وهذا والعياذ بالله مكر وخسران فقد نقل
ابو نعيم رحمه الله عن ابن حنبل انه كان بعض اصحابه فقال خف سطوة العدل
بوجي
وادح

وادح رقة الفضل ولا تامن من مكره ولو ادخلك الجنة ففي الجنة وقع لابيك ادم ما
وقع وقد يقطع باقوام فيها فيقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
فقطعهم بالاكل والشرب عنه واي مكر فوق هذا واي خسران اعظم منه وقال
بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اسا احد الادب في الظاهر الا عوقب
ظاهرا ولا اسا احد الادب باطنا الا عوقب باطنا وقال ابو حفص التصوف
كله ادب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم اداب الاوقات
بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود
من حيث يظن القبول وقال ذو النون اذا خرج المريد عن حد الادب
فانه يرجع من حيث جاء وقال رويم لابن خفيف اجعل عملك ملحا وادبك
دقيقا وقال ابن منازل نحن الي قليل من الادب احوج منا الي كثير من
العلم وقال يوسف بن الحسين الرازي رايت افات الصوفية في
صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق النساء وقال ابو سليمن
رحمه الله ثلاث من طلبهن فقد ركن الي الدنيا طلب معاش او تزوج امراة
او كتب الحديث وقال ابن خفيف الارادة استدامة الكد وترك
الراحة وليس شي اضر علي المريد من مسامحة النفس في قبول الرخص
والتاويلات وقال الشيخ ابو الحسن رحمه الله اربعة اداب اذا خلا
الفقير المتجرد منها فاجعلوه والتراب سواء الرحمة للاصاغر والحرمة
للاكابر والانصاف من النفس وترك الانتصاف لها واربعة اداب اذا خلا
الفقير المتسبب منها فلا تعبان به وان كان احدهم اعلم البرية مجانبة
الظلمة وايثار اهل الاخرة ومواساة ذوي الفاقة ومواظبة الخمس في
الجماعة انتهي وقد اشرنا الي بعض الاداب لتتم الفايدة بها فمن اراد

استيفاء الاداب فعليه بكتاب الاسر المحكم المربوط فيما يلزم الشيخ والمريد من
الشروط وما كان في معناه مثل باب الوصية للقشيري وبابها من كتاب
التدبيرات للحاتمي لكن فيه امور لا يقدر المريد على فهمها فليجتنب كله غير هذا
الباب او ليسلم غير معتقد في تلك الامور ظاهرها وكذا كل كتبه وعامة كتب
البوني الا انها حجاب عن الحق بما تضمنته من الخواص والرياضات ونحوهما
مما يوجب التعلق بالدنيا ويشغل القلب عن المولى وقد قال ابو العباس ابن
البنا رضي الله عنه بابن البوني واشكاله ووافق خير النساج وامثاله
وقال سيدي ابو عبد الله بن عباد في بعض رسايله اوصيكم بوصية لا
يعرفها الا من عقل وجرب ولا يهملها الا من غفل فحجب وهو ان لا تاخذوا في
هذا العلم مع متكبر ولا صاحب بدعة ولا مقلد اما الكبر فانه عقال عن فهم
الايات والعبر واما البدعة فتوقع صاحبها في البلايا الكبار واما التقليد
فعقال يمنع من الظفر وبلوغ الوطن ولا يخلو الاهل الظاهر حجة على اهل الباطن
انتهى باختصار ومن اعظم وجوه اساءة الادب التفريق بين المقامات والحكم
على اهلها بشواهد المحاكمات فلذلك قال اذا رايت عبدا اقامه الله بوجود
الاوراد وهي ترتب الاعمال بحسب الاعمال والاحوال وادامه عليها مع طول الامداد
كسعة الرزق والاخلاق والرفق من الملك الخلاق فلا تستحقرن ما منحه الله مولاه
من ذلك اعتبارا بما تشاهد من ظاهر حاله وذلك لانك لم تر عليه سيما العارفين
من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدي المريد المختار ولا بهجة
المحبين من الشغف بمرضات محبوبهم والانبساط والادلال بين يدي حبيبهم فلولا
وارد الاهي اقتضى له رجاء او خوفا بعثه على وروده ما كان ورد بل ولولا وارد
ما كان انتساب وان يكذب اذ التخصيص دليل التعظيم والتعظيم لا يتحصل

الا

الا من وارد فتعظيم صاحبه واجب من حيث نسبته الى مولاه لا من حيث هو
فان كان كاذبا فالواجب علينا اكرامه لمن انتسب اليه الا ان يودي ذلك الى خرق
حرمة السبب فيجب رده له لا لغيره ثم عباد الله قسمان قوم اقامهم الحق لخدمته
وهم العباد والزهاد واهل الاعمال والاوراد وقوم اختصهم بمحبته وهم اهل المحبة
والوداد والصفا والوكاد واتباع المراد وكل في خدمته وتحت طاعته وحرمته
اذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه اليه قال الله سبحانه كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
من عطاء ربك وهذا عام في كل طريق وظاهر في كل فريق وما كان عطاء ربك محظورا
فيحجر ويحصر في نوع واحد او صنف او لحق وقد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة وقال ابو يزيد
رحمه الله اطلع الله سبحانه الى قلوب اوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة
فشغلهم بالعبادة وقال ابو العباس الدينوري رحمه الله ان لله عبادا لم يستصلحهم
لخدمته فاقامهم لمعرفته وفي وصفهم يقول القايل شعر

فما صحبوا الايام الا تعففا ۝ وما وجدوا من حب سيدهم بدا
افاضيل صديقين اهل ولاية ۝ الى سيد السادات قد جعلوا القصدا
تحل عقد الصبر من كل صابر ۝ وما حلت الايام من عقدهم عقدا

وقال بعضهم انما هما اثنان ولي وصفي فالولي من تحقق لذكر بربه
والصفي من يتسلط على قلبه الرضى بما يجري من الله علينا بما من عليهم
وافادنا من الجزاء ما لديهم انه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل
وقال رضي الله عنه قلما يكون الواردات الالهية الا بغتة صيانة لها
ان يدعيها العباد بوجود الاستعداد ولو كان لهم ذلك لخرجوا عن المراد ولهو
العبودية والتبري ممن ادعى ما لا يتصور من غير الربوبية مع انه سبحانه يجاز

بلغ

من منه ان ينسب لغيره وقد سيل الشيخ عبد الغني رضي الله عنه عن صفات الواردات
الالهية والطوارق الشيطانية فقال الوارد الالهي لا ياتي باستدعا ولا يذهب
بسبب ولا ياتي على نمط واحد ولا في وقت مخصوص والطارق الشيطاني بخلاف
ذلك غالبا وقال الشيخ ابو الحسن رحمه الله كل علم يسبق لك فيه الخواطر وتتبعها
الصور وتميل اليها النفوس وتلتذ بها الطبيعة فارم به وان كان حقا وخذ بعلم الله
الذي انزله على رسوله واقتد به وبالخلفا والصحابة والتابعين من بعدهم وبالهداة
الايمة المبرين من الهوى ومتابعتهم تسلم من الظنون والشكوك والاوهام
والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهوى وحقايقه وماذا عليك ان تكون عبدا
لله ولا علم ولا عمل وحسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ومحبة رسوله
ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة قال رجل متى الساعة يا رسول الله
قال ما اعددت لها قال لا شي الا اني احب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المرء مع من احب انتهى كلام الشيخ ابي الحسن ولما كان صيانة الوارد من وجوه الحكمة
وجب صيانته على اهل الخدمة وتعين ان من اباحه فقد خرق الحرمة فلذلك
قال من رايته مجيبا عن كل ما سيل وذاكرا كلما علم ومعبرا عن كل ما شهد
فاستدل بذلك على وجود جهله بحق ربه وحكمته في خلقه اذ ليس كل سايل
تصح اجابته ولا كل علم يذكر ولا كل مشهود يعبر عنه بل مدارك الشهود يضيق
عنها نطاق النطق بالاشارة فكيف يصح تعريفها بالعبارة وقد قال ابو علي
الروذباري رحمه الله علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي وقال رجل
لسفين الثوري لو انك نشرت ما معك من العلم رجا ان ينفع الله به عباده وتوجر على ذلك
فقال لو اعلم الذي يطلب العلم لا يريد به الا وجه الله لكنت انا الذي اتيه في منزله
ولحدثته بما عندي رجا ان ينفعه الله به وسيل بعض العلما عن شي فلم يجب

فقال

185

فقال له السايل اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سيل
عن علم فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب
فان جا من يستحقه وكتمته فليلجمني وقال بعض العلما زيادة العلم
في الرجل السوء كزيادة الماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وجا في الخبر
وجا في الخبر عنه عليه السلام اذا كان الكلام احب الى العالم من الصمت فقد هلك
وقال عيسى عليه السلام لاصحابه بحق اقول لكم لا تعلقوا الدر في اعناق الخنازير
وجا عن نبينا عليه السلام لا توتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها وقد قال
الله تعالى ولا تؤتوا السفها اموالكم الاية وفي المعنى لبعضهم
ومن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
قال علماونا ومن علم العلم لمن يطلب به الدنيا فهو كبايع سيف من قاطع
طريق فان لا انما يعطيه له ليجاهد به ويحمي المسلمين عن عدوهم قال في لطايف
المنن ولا يغرنك ان يكون به انتفاع للبادي والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من تعلم العلم لاكتساب الدنيا
وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما اشرف
الوسيلة وما اخس المتوسل اليه انتهى والذي يحمل العبد على تعليم ما لا
يليق به وذكر ما يجب صونه انما هو ايثار الدنيا على الاخرة والاغترار بها
بزهرتها وكونها عاجلة هو الكامل على ذلك فلذلك قال محقرا شانها
ومشعرا بزوالها ومعظما امر الاخرة وذاكرا حكمة تاخيرها انما جعل الدار
الاخرة محلا لجزا عباده المومنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم
ظاهرا وباطنا وقد قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقال صلى الله عليه وسلم في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في الجنة يوافق ما في الدنيا الا من حيث
التسمية او كلاما هذا معناه ولانه اجل اقدارهم عن ان يجازيهم في دار لا بقا لها
قال الله تعالى وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون • وقد قال محمد بن الحنفية
رضي الله عنه ليس لابدانكم قيمة الا الجنة فلا تبيعوها الا بها • وما كرمت على عبد نفسه
الا هانت عليه الشهوات او كما قال انتهى • ثم الجزا في تلك الدار له علامة في هذه الدار
وهي ان من وجد ثمرة عمله عاجلا وهي الحلاوة فيه والتوفيق لغيره والتنكر عليه فهو
دليل على وجود القبول لان الجزا على ذلك مقصود • قال الله سبحانه من عمل صالحا من
ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون •
قال ابرهيم ابن ادهم رحمه الله لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف •
وقال بعضهم ليس شي من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر
على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى •
ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم • وقال ابو سليمان رضي الله عنه كل عمل ليس له
ثواب في الدنيا ليس له جزا في الاخرة انتهى • ثم قال كالمستدل لما ذكر والمنبه على
قاعدته ان اردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيما يقيمك وذلك لان الاعمال
علامات والاحوال كرامات والكرامات دليل والعلوم وسايل • وقد جا في سنته ان
يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه فان الله ينزل العبد عنده
حيث انزله العبد من نفسه • وقال فضيل ابن عياض رضي الله عنه انما يطيع العبد ربه
على قدر منزلته منه • وقيل لبعضهم هل تعرف الله فغضب وقال تراني
اعبد من لا اعرف فقال له السايل او تعصي من تعرف • وقال اسمعيل
ابن نجيد التهاون بالامر من قلة المعرفة بالامر • وقيل لبعضهم بما عرفت انك
عرفته قال لم اقصد مخالفته قط الا ورد على قلبي استحيا منه • وفي معنى ذلك

انشد

انشد المولف في التنوير لبعض العارفين • حرام على من وحد الله ربه •
وافرده ان يجتدي احدا رفدا • ويا صاحبي قف بي مع الحق وقفة •
اموت بها وجدا واحيا بها وجدا • وقل لملوك الارض تجهد جهدها •
فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى • وعلامة اعتنايه بك امتثال امره •
والاستسلام لقهره والتوكل عليه بكل حال فهو تعالى متى رزقك الطاعة
والغناية عنها فقد اسبغ عليك نعمه ظاهرة اذ اراح ظاهرك من مخالفة امره
وباطنة اذ رزقك الاستسلام لقهره وهذا هو مطلب الحق منك وهو المعبر عنه
بالطاعة والغناية عنها وبالصدق في العبودية كما سياتي ان شا الله تعالى وهو حسبنا
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال رضي الله عنه خير ما تطلبه منه
ان كنت طالبا ما هو طالبه منك وذلك الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية
اذ هو مطلب العارفين كما سياتي وان شيت قلت امتثال الامر والاستسلام للقهر
وان شيت قلت وجود الطاعة والغناية عنها كما تقدم • قال بعضهم لمن استوصاه
اذا كانت لك حاجة فانزلها بالله الا ان يكون لك فيها حظ فتحجب عن الله • وكذا دعا
ابو القاسم الجنيد رحمه الله اللهم اني اسالك منك ما هو لك واستعيذ بك من كل
امر يسخطك • اللهم لا تشغلني بشغل من شغله عنك مما اراده منك الا ان يكون
لك اللهم اجعلني ممن ذكرك ذكر من لا يريد بذكرك منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية
قصدي اليك ما هو لك ولا تجعل قصدي اليك ما اطلبه منك • وقال الشيخ
ابو الحسن رضي الله عنه افضل ما يسال العبد ربه خيرات الدين ففي خيرات
الدين خيرات الاخرة وفي خيرات الاخرة خيرات الدنيا وفي خيرات الدنيا ظهور
خصايص الاوليا وخصايص الاوليا اربعة اوصاف العبودية ونعوت الربوبية
والاشراف على ما كان ويكون والدخول على الله في كل يوم سبعين مرة والخروج كذلك

فتكتسي في كل مرة حللا من انوار التقريب انتهى. قلت وما وقع له من ذكر
الدخول والخروج هو المشار اليه بقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة وقد تقدم بعض الكلام عليه وبيان باقيه ان استغفاره
عليه السلام من استغفار نقص ما دفع عنه باعتبار ما نزل اليه اذ ذاك الاستغفار
من مقتضى البشرية التي لا يمكن دفعها. ووجه الاستغفار منه التفريق بين
حالين كان فيهما بالعبودية اذ لا يلحق النبي نقص بوجه ولا فتور بحال لثبوت عصمته
ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ثم هم درجات فتامل هذا الامر والسلام.
ثم اعلم ان الحزن على فقدان الطاعة التي هي خير ما هو طالبه منك مع عدم
النهوض اليها بالعمل والاخذ في اسبابها وان كان الطلب من علامة الاغترار ولعدم التعلق
بشيء لا حقيقة له وتعليق المقاصد عليه اذ كل راج طالب وكل خائف هارب
وليس المراد حزن القلب ولا توجع اللب وانما المراد اتباع الامر والاستسلام للقهر
وقال ابو سليمان رضي الله عنه ليس البكا بتعصير العيون انما البكا ان تترك
الامر الذي تبكي عليه. وقال رجل واحزناه فقالت رابعة قل واقلة
حزناه لانك لو كنت محزونا لم يتهيأ لك ان تتنفس. وقال ابو علي الدقاق
رضي الله عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه
في سنين. وفي الخبر ان الله يحب كل قلب حزين. وفي التوراة اذا احب الله عبدا
نصب في قلبه نائحة واذا ابغضه نصب في قلبه مزمارا انتهى. وانما يتولد
الحزن من المعرفة الموقوفة على نوع من الجلال. وكذا الرجا انما يتولد من المعرفة
الموقوفة على نوع من الجمال والتعلق بكلا الحالين نقص عن الكمال فلذلك قال
ما العارف يعني الحقيقي من اذا اشار الى معنى من الحقيقة في اسم او صفة بل
العارف من لا اشارة له فضلا عن المشار اليه لتعلقه بما يستغرق ذلك المشار اليه
واسم

187 من اسم او صفة لفنائه في وجوده ولا تعريج على شيء يتضمن الاشارة وانطوائه
في شهوده اي عن وجود نفسه لاستغراقه في شهود جلال ربه وكماله المقتضي لعدم كل
شيء به ووجود كل شيء منه. فقد قال ابو يزيد رحمه الله ابعدهم من الله اكثرهم
اشارة اليه. وقال العريف رحمه الله في مجالسه والاشارة نداء على رأس
البعد وبوح بعين العلة والعلم على القلوب كالاسباب على الغيوب. وقال
الروذباري رضي الله عنه الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير
وفي الحقيقة الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من الحقائق. وقال ابو بكر الشبلي
رضي الله عنه كل اشارة اشار بها الخلق للحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق
وليس لهم الى ذلك طريق انتهى. وتحقيق القول في الاشارة انها كون العبد متعلقا بنوع
من انواع الاسماء والصفات حتى تكون احواله كلها جارية على ما يقتضيه ذلك النوع
حالا وعملا وقولا فتظهر كل احكامه في اعمال العبد حتى يفهم عنه في كل وارد
وصادر ويشعر به في كل حال منه فمن كانت مثلا اشارته للكرم والفضل او ضد ذلك
فاعماله على نوع من الرجا او الخوف مع نوع تعلق بجناب الحق. ومن كانت اشارته الى
استغراق الوجود في المنة فاعماله على نوع من الشكر والالتجا بوجه يشهد فيه
المنة لمولاه والعارف الكامل همته وراء ذلك كله اذ كل شيء عنده مضمحل دون
مولاه فلا يتوقف حاله على اسم ولا صفة ولا غير ذلك. وقد سئل ابو سعيد
بن الاعرابي رحمه الله عن الفنا فقال هو ان تبدو العظمة والاجلال
على العبد فتفنيه عن الدنيا والآخرة والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار
وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن كل شيء وعن فنائه عن الفنا
فيغرق في التعظيم عقله انتهى. وانما قدم المؤلف الحزن لانه حال المبدأ واخر
الرجا لانه اول درجات المعرفة وجعل الاشارة لانها تقيد كل منهما والرجا

ما فاز ند عمل علق الموجو علي وجوده ولا هوامنية والامنية منية اي موت
اذ هي موجب تعطيل الحياة والبعد من حصول الاغراض • وقد رايت ليلة سيدي
اباعبد الله الغزوي رحمه الله في المنام وانا اقرا عليه هذه الحكمة فكلما قلت امنية
قال اومنية فلما انتبهت فاملت كلامه فاذا هو عين الحق وان الامنية الصاحبة
منية انما تقطعه عن فوايد الحياة • وقد كان الحسن رضي الله عنه يقول يا عباد الله
اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكي يحلون فيها فوالله ما اتا الله عبدا بامانية
خيرا في الدنيا ولا في الاخرة • وقال ايضا ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتي لقوا الله
وليست لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربي كذب لو احسن الظن بربه احسن
العمل له وتلي قوله تعالي وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم الاية • وكتب ابو عمر
المنصور الي بعض اخوانه اما بعد فانك قد اصبحت تامل بطول عمرك وتتمني علي الله
بسوء عملك وانما تضرب حديدا باردا • وقال معروف الكرخي رضي الله عنه
طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب • وارتجاء المغفرة بلا سبب نوع من الغرور • وارتجاء رحمة
من لا يطاع حمق وجهل انتهي • ولما حظ علي طلب خير المطالب وذكر اسباب الطلب
عين خير المطالب فقال مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحق
الربوبية وهما متلازمان فمن صدق في العبودية فقد قام بحق الربوبية ومن قام بحق
الربوبية فقد صدق في العبودية • وقد تقدم معناهما وانما طلب العارفون هذا
لانه غاية ما يطلب • قال سيدي ابو مدين رحمه الله شتان بين من همته
الحور والقصور ومن همته رفع الستور ودوام الحضور • وقال بعضهم
ليس للعارف مراد سوي بقا معروفه • وانشد لو قيل لي ما تمني والعبد يعطي مناه •
لقلت منية قلبي • في ان يطول بقاه • واعلم انه سبحانه انما يريد منك معرفته
والتعلق به بلا علة حتي يكون له عبدا بلا علة فقبضك كي لا يتعبك مع البسط

فتطغي وتصلك لطغيانك وبسطك كي لا يتركك مع القبض فتضيق وتضجر
واخرجك عنهما والقا فيه والبقا له صدقا في العبودية ووفا ما لحق الربوبية
حتي لا تكون لشي دونه بوجه ولا بحال بل تسلم وجهك اليه وتعول في كل حال عليه
وما فعل ذلك الا رحمة منه بك • قال فارس رحمه الله القبض اولا ثم البسط
ثم لا قبض ولا بسط لان البسط والقبض يقعان في الوجود • واما مع البقا والفنا
فلا • وكان ابو القاسم الجنيد رحمه الله يقول الخوف يقبضني والرجا يبسطني
والحقيقة تجمعني • والحق يفرقني • اذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني
بالرجا ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا بالحق اشهدني غيري
فغطاني عني فهو في ذلك كله محركي غير مسكني وموحشني غير مونسني
بحضوري لذوق طعم وجودي فليته افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني
انتهي • والتحقيق والله اعلم ان القبض والبسط حالتي القلب قبل وجود الرجا والخوف
فيه وبعد ظهور مثيرات ذلك اذ قالوا انما سببهما عطا او منع وان كل قبض
او بسط لا يعلم له سبب فمن اهمال صاحبه او قلة والا لو تطلب لوجد السبب
وقد قال الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله القبض والبسط نعتان بهما بقا
القلب وفيهما لقا الحب القبض للارواح والبسط للارتياح انتهي • من جزئية
المسمي بالمنثور • ثم اهل الطريق في القبض والبسط قسمان • فالعارفون
اذا بسطوا اخوف منهم اذا قبضوا اعتبارا بخوف المكر وغيرهم اذا بسطوا
ارجي منهم اذا قبضوا اغترارا منهم بظاهر الامر ولا يقف علي حدود الادب
في البسط الا قليل بخلاف القبض فانه ادب كله • ولهذا قال فقف علي البساط
واياك والانبساط وانما كان ذلك لان البسط تاخذ النفس منه حظها بوجود الفرح
والفرح بعيد من الادب والقبض لا حظ للنفس فيه اذ هو يدهشها ويشوش عليها

وقد قال الدقاق رحمه الله القبض حق الحق منك والبسط حظك منه
ولان تكون بحق ربك خير لك من ان تكون بحظ نفسك ⁕ قال في لطائف المنن
القبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف ومحل ابهام الخاتمة وعدم
العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى انتهى ⁕ واذا علمت انه تعالى ربما اعطاك
فمنعك وربما منعك فاعطاك لم تنقبض لوجود شيء ولا عدمه وكذا لا تنبسط لفقد شيء
ولا وجوده اعتبارا بباطن الامر في الوجود والعدم ⁕ وقد قال الحاتمي
رحمه الله اذا منعت فذلك عطاء واذا اعطيت فذلك منعه فاختر الترك على
الاخذ ⁕ قال ابو حبيب البدوي لسفيان الثوري رضي الله عنهما يا سفيان منع
الله اياك عطاء منه لك وذلك انه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعك نظرا منه
لك انتهى ⁕ وصور طي العطا في المنع كثيرة منها انه متى فتح لك باب الفهم في المنع
بحيث يكون سبب رجوعك اليه واقبالك عليه عاد المنع هو عين العطا اذ هو
يوصل المطلوب من الفهم عن الله والدوام بين يديه ⁕ وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه
كل اساءة ادب تثمر ادبا فهو ادب ⁕ وقال ايضا لا يفهم العطا في المنع الا
صديق انتهى ⁕ ثم الاكوان ظاهرها غرة لا حقيقة لها من حيث ظاهرها
وباطنها عبرة اذ هو مشهد حقائق من الغنا للرب والفقر للعبد
والفنا للعبد والبقا للرب الى غير ذلك فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها فتنبسط
لوجودها وتنقبض لعدمها والقلب ينظر الى باطن عبرتها فينبسط لعدمها وينقبض
لوجودها كما كان حال السلف رضي الله عنهم اذ كانوا اذا اقبلت عليهم الدنيا قالوا
ذنب عجلت عقوبته ⁕ واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين ⁕ وروي
ان عيسى عليه السلام قال له الحواريون يا روح الله صف لنا اولياء الله الذين لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين نطق الكتاب بهم وبه نطقوا

وبهم

وبهم أعلم وبهم علموا وبهم قام وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر
الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فاماتوا منها
ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم فصار دركهم فيها فواتا
وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت
الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم
فلم يحيوها هدموها وبنوا بها آخرتهم لحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون

بيان للحياة

الله ويحبون ذكره ويستضيئون بذكره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم
الخبر العجيب انتهى ⁕ ومن وجوه الاعتبار ما اشار اليه بقوله ان اردت ان يكون لك
عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى ⁕ لان ما لا بد من وجوده في المآل كأنه
موجود في الحال ⁕ قال في التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت
بغيره فلا بقا لعزك اذ لا بقا لمن انت به معتزز ⁕ قال انشدنا بعض الفضلاء
لنفسه ⁕ ليكن بربك عزك يستقر ويثبت ⁕ فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت ⁕
ودخل انسان الى بعض العارفين وهو يبكي فقال له ما شأنك فقال مات
استاذي فقال له العارف ولم جعلت استاذك من يموت ⁕ قال ويقال
لك اذا اعتززت بغير الله وفقدته او استندت الى غيره فعدمته ⁕ وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الابيتين انتهى ⁕ ومن وجوه الاعتبار ان لا
تغتر بالكرامات بل بحقائق العبودية فالطي الحقيقي ان تطوي مسافة
الدنيا عنك حتى ترى الآخرة هي اقرب اليك منك لا ان الارض تطوى لك فاذا
انت حيث شئت من البلاد لان هذا ربما جر الى الاغترار وذلك يودي للتعلق
بالواحد القهار ⁕ وقد قال الشيخ ابو العباس رحمه الله ليس الشان من تطوى له
الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلاد انما الشان من تطوى عنه اوصاف نفسه ⁕

فاذا هو عند ربه وقال بعضهم في قوله الدنيا خطوة مومن يعني انه يتخطاها
بالزهد في خطوة واحدة وقيل لابي يزيد ان فلانا يمشي على الما قال الحوت
اعجب منه اذ هو شانه فقيل له ان فلانا يمشي في الهوا قال الطير
اعجب من ذلك اذ هو حاله فقيل له كان فلانا يمشي الى مكة ويرجع من يومه قال
ابليس اعجب من ذلك يطوي الارض كلها في خطوة وهو في لعنة الله انتهى على انا نحمل
وشك في لفظه ثم من موجب العتب ايضا ان ترى **العطا من الخلق حرمانا** اذ هو
يوجب الاقبال عليهم والسكون اليهم **والمنع من الله عز وجل احسانا** اذ هو يوجب
الاعراض عن من سواه قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجارون لا اعظم نعمة مما ردك الى مولاك وقطعك عما سواه وقال
الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله النعمة ما قطعك عن الخلايق وجمعك بالحق وقيل
النعمة ما سلاك عن دنياك وما ادناك من مولاك النعمة ما لم يوجب ندما ولا يعقب
الما النعمة ما لا يشغلك عن قلبك ولا يقطعك عن ربك النعمة ما لا يقسي القلب ولا
ينسي الرب وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اوصاني استاذي يعني الشيخ
ابا محمد عبد السلام بن مشيش رحمه الله فقال اهرب من خير الناس اكثر مما
تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك
ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو ترجع به الى مولاك خير
من حبيب يشغلك عن مولاك وفي وصية علي كرم الله وجهه لا تجعل بينك
وبين الله منعما وعد نعمته عليك مغرما وقال بعضهم عز النزاهة
اشرف من سرور الفايدة وقال بعض الحكما الصبر على العدم ايسر من تحمل
المنن ولله در القايل فلا البس النعما وغيرك ملبسي ولا اقبل الدنيا وغيرك واهب
اللهم اجعلنا ممن اكتفى بمنتك وعاملنا بمتعلقات فضلك ورحمتك ولا تحوجنا
الي

الى التوجه لغيرك واجعل كل احوالنا في موافقة مرادك انك على ذلك والقادر
عليه والمتيسر له بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين وقال رضي الله عنه **جل ربنا
ان يعامله العبد نقدا فيجازيه نسية** لما هو عليه من صفات الكمال ونعوت
الفضل والكرم والجلال بل جزاوه كله اما معجل او في حكم المعجل اذ الوعد الصادق
كالجزا السابق لحصول النعم بانتظاره والاستبشار عند ظهور اثاره وقد قرن
تعالى بالاعمال امورا لو لم يكن غيرها لكانت في جزايها كافية **فيكفي من جزايه
اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلا** ومن انت حتى اهلك لذكره او يعتني بك
حتى تلتفت لامره قام بعضهم ليقضي ورده من الليل فاصابه البرد فبكى من
شدته فجاءت عليه سنة فقال له قايل ما جزانا انمناهم واقمناك
الان تبكي علينا فانتبه واستغفر انتهى وما ذكره المولف جزا قبل العمل
فاما حال العمل فاشار اليه بقوله **كفى العاملين جزا ما هو فاتحه على قلوبهم
في طاعته** يعني من حلاوة الطاعات ولذاذة المناجاة قال ثابت البناني
رضي الله عنه كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة ومثله
قال عنه في قيام الليل وقال بعضهم التملق للحبيب والمناجاة للقريب
في الدنيا ليس من الدنيا بل هو من الجنة اظهر لاهل الله في الدنيا لا يعرفه الا هم
ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال بعض العلما رحمه الله ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة
المناجاة انتهى هذا الجزا حال العمل **وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته**
في كل اوقاته فهو الجزا بعد العمل اذ وجوده مرتب عليه وقد قال ابو تراب النخشبي
رحمه الله اذا صدق العمل وجد حلاوته قبل ان يعمله واذا اخلص فيه وجد العمل
حلاوته وقت مباشرته انتهى واذا تقرر هذا فلتعلم ان جزاه على الطاعة قبل

فعلها دليل على انه فضل منه ومنة لا بعلة وان من عبده لشي يرجوه منه
في العاجل او الاجل او ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فقد قام بحق اوصافه
اذ هي تقتضي ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى لا لعلة ولا سبب ٥ ففي اخبار
داود عليه السلام ان الله اوحى اليه ان اود الاوداء لي من عبدني لغير نوال
لكن ليعطي الربوبية حقها ٥ وفيما نقل وهب من الزبور ومن اظلم ممن عبدني
لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا لم اكن اهلا ان اطاع ٥ وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط
لم يعمل انتهى ٥ قلت ولا يصح رفع الهمة عن الحظوظ جملة لان ذلك مكابرة مع
الربوبية وانما المراد ان لا يطلب بالعمل واذا علمنا انه تعالى متى اعطاك اشهدك
بره واحسانه وفضله ومتى منعك اشهدك قهره وجلاله وعظمته وكبرياءه
عرفت الكل من بحر الصفات فلم يصح منك علة الا له ولا طلب الا منه بل تؤيدني
في شكره لما واجهك من خيره وهو ما يورده عليك مما يعرفك به جلاله من عطاء
او منع فهو في كل ذلك متعرف اليك تارة بجماله وتارة بجلاله من عطا او منع ومنه
وتارة بجماله ومقبل بوجود لطفه عليك اذ وجه لك ما يوجب توجهك اليه
ولكن انما يولمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه اذ لو فهمت عنه كنت تشكره
على ما واجهك منه ٥ فقد قال ابو عثمان المغربي رضي الله عنه الخلق كلهم
مع الله في مقام الشكر وهم يظنون انهم في مقام الصبر ٥ وقال ابرهيم الخواص
رضي الله عنه لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان احداهما الثقة
بالله ٥ والثانية الشكر له فيما زوي عنه من الدنيا مما ابتلي به غيره ولا
يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع افضل من نظره له في العطا وعلامة
صدقه في ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطا انتهى ٥ ومن وجوه العطا في

191 المنع والمنع في العطا انه سبحانه وتعالى ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك
باب القبول الذي هو الذل والانكسار والالتجا والافتقار وقضى عليك
بالذنب في الظاهر صغيرا كان او كبيرا فكان سببا في الوصول بما يترتب
عليه من الافعال الحميدة لا من ذاته اذ معصية اورثت ذلا وافتقارا
فاخرجت العبد عن نفسه وردته الى ربه خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا
فاخرجت العبد عن العبودية الى ادعاء اوصاف الربوبية ٥ قال الشيخ
ابو مدين رحمه الله انكسار العاصي خير من صولة المطيع ٥ وقال
الشيخ ابو العباس رضي الله عنه في اشارة قوله تعالى يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل يولج المعصية في الطاعة ويولج الطاعة في المعصية ٥
يطيع العبد الطاعة فيعجب بها ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها
ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة احاطت بها سيئات ويذنب الذنب
فيلجا الى الله فيه ويستصغر نفسه ويستعظم من لم يفعله فهذه سيئة
احاطت بها حسنات فايهما الطاعة وايهما المعصية ٥ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من ذلك العجب العجب ٥ وجاء عنه عليه السلام
لولا ان الذنب خير من العجب ما خلى الله بين مومن وبين ذنب ابدا انتهى ٥
واما العطا في العطا فلا يصح الا بوجود الشكر ولا يتم لك الامر فيه الا ان
ترى ان عليك نعمتان في كل حال وتلك النعمتان ما خرج موجود عنهما
ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد اذ كان العبد عدما ولا حاجة للحق في وجوده
ونعمة الامداد اذ لا قيام لوجوده الا بقوام فاذا رايت انه انعم عليك اولا
بالايجاد رايت كل شي منك به اذ لا وجود لك في الاصل واذا علمت انه انعم
عليك ثانيا بتوالي الامداد رايت كل شي منك واجب له اذ هو مستغرق في

منه وانما يحقق لك هذا متري فاقتك له ذاتية اذ انت محتاج ابدا اليه
حدوثك وقدرته محدثك وورود الاسباب من الغنى والفقر والعز والذل
والقوة والضعف عليك مذاكرات لك بما خفي عليك منها عند توالي العوارض
المشعرة بانتفائها ودفعها فان الامور الثابتة اللازمة كالاخلاق الجبلية
والفاقة الذاتية لا تدفعها العوارض بل تزيدها تاكيدا وتثبيتا في النفس ثم خير
اوقاتك وقت تشهد فيه فاقتك وتردك الى وجود ذلتك اذ هو يردك الى
ربك بلا علة منك حتى تستانس بقربه وتستوحش من غيره اذ فقد الخلق وعدمهم
يوجب لك الانفة منهم ومتى اوحشك من خلقه فاعلم انه يريد ان يفتح لك باب الانس به
لان القلب لا يخلو عن الشي ونقيضه وما احسن قول القايل لا وحشة مع الله
ولا راحة مع غير الله انتهى ومتى انسك بقربه اطلق لسانك بطلبه اعني راجيا
لتشاهد من بره ومتى اطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد ان يعطيك ما تريد او فوق
ما تريد حسبما يختار لك اذ هو الفعال لما يريد وفي الخبر من اعطي الدعا لم يحرم
الاجابة وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اذن له في الدعا منكم فتحت له ابواب الرحمة وما يسال الله شيئا قط احب اليه
من ان يسال العفو والعافية في الدنيا والاخرة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مد احدكم في الدعا فليدع فان الله يستجيب له وفي معنى ذلك قيل
لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا وعن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب عليه
البلا صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملايكة صوت معروف وقال جبريل
يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول الله تعالى دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته
فاذا قال يا رب قال الله لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشي الا استجبت لك ولا

تعالى

تعالى شيئا الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر لك عندي افضل
منه واما ان ادفع عنك من البلا ما هو اعظم منه انتهى وهو اعلم بنقص ما
سواه بكل حال ولم يصح منه استغنا عنه بحال ولهذا كان العارف لا يزول
اضطراره اذ هو يري فقر نفسه وعجزها وضعفها في كل حال ولا يكون مع
غير الله قراره اذ لا يري غنيا سواه ولا قويا قادرا الا اياه قال سيدي
ابو العباس رضي الله عنه في قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه العارف
لا يزال مضطرا اه قال في لطايف المنن معنى كلام الشيخ هذا ان العامة
اضطرارهم بمثيرات الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دايرة
الحس على شهودهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم
الى الله دايم انتهى وكان المولف اراد بهذه المسلة الشبيهة على ان ما
قبلها من صفات العارفين فتامله واعلم انه تعالى انار الظواهر بانوار
اثاره من السمع والبصر والكلام ونحو ذلك فدلت عليه وانار السراير بانوار
اوصافه من الاذكار والافكار والعلوم والاحوال المستفادة من اوصاف كرمه
وعظيم نعمه فوصلت اليه ولما كانت الانوار من الخلق للخالق لم تكن لها عبرة
اذ لا عبرة بمن نسبت اليه ولما كانت الانوار من الحق الى الخلق كانت لها
العبرة اذ نسبت لما به العبرة ولاجل ذلك افلت انوار الظواهر فلم يبق لوجودها
اثر عند ظهور الحق بالقهر ولم تافل انوار القلوب والسراير بل تزايدت عند
ظهور الحق عليها وتجليه لها كما يليق بها ولهذا تاكدت حجة الله على العارفين
به في التكاليف الشرعية بحسب رتبتهم في المعرفة ولذلك قيل وهذا من اصل المولف
ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب فكان قول هذا القايل اشارة
بالشاهد للغايب وايما للحقايق بالرسوم وقبل هذا البيت بيت لخر نصه

طلعت شمس من احب بليل ٠ واستنارت فما لها غروب ٠

وبروي ان رجلا سال سهلا رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت قال انما سالتك عن القوام قال القوام العلم قال انما سالتك عن الغذا قال الغذا الذكر قال انما سالتك عن طعمة الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اما رايت الصنعة اذا عيبت ردت الي صانعها حتي يصلحها وفي معني ذلك انشدوا

كمل حقيقتك التي لم تكمل ٠ والجسم دعه في الحضيض الاسفل ٠
يفني ويبقى دايما في غبطة ٠ اوشقوة وندامة لا تنجلي ٠
من يستطيع بلوغ اعلي منزل ٠ ما باله يرضي بادنى منزل ٠

والمراد الخروج عن كل شي للمولي جلت قدرته اعتبارا بواجب حقه ونظرا لعظيم امره وعدم الشفقة علي النفس في جانب الحق والله سبحانه اعلم وقال رضي الله عنه ليخفف الم البلا عنك علمك بانه سبحانه هو المبلي اما اعتبارا بان كل ما اتي له جميل اولانه عودك بالفعل الجميل والعطا الجزيل ٠ قال الله تعالي واصبر لحكم ربك فانك باعيننا فالذي واجهك منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار بما تكره هو الذي عودك حسن الاختيار بما تحب فاشكره علي ما اولاك واصبر له فيما به تولاك ٠ قال الامام ابو القسم القشيري رحمه الله سمعت الاستاد ابا علي الدقاق يقول في اخر عمره وقد اشتدت به العلة من امارات التاييد حفظ التوحيد في اوقات الحكم ٠ ثم قال كالمفسر لفعله مشيرا لما كان فيه من حاله هو ان يقرض مقاريض القدرة في امضا الاحكام قطعة قطعة وانت ساكن خامد ٠ وقال الجنيد رحمه الله كنت نايما عند السري فانبهني وقال لي يا جنيد رايت كاني قد وقفت بين يديه فقال لي يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم وبقي معي العشر فخلقت الجنة فهرب مني تسعة اعشار العشر وبقي معي عشر العشر

فسلطت

193 فسلطت عليهم ذرة من البلا فهرب مني تسعة اعشار العشر فقلت للباقين لا الدنيا اردتم ولا الجنة طلبتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون قالوا انك تعلم ما نريد فقلت لهم اني مسلط عليكم من البلا بعدد انفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي تصبرون قالوا اذا كنت انت المبتلي فافعل ما شيت فهولاء عبيدي حقا ٠ وانشد المولف في التنوير لنفسه ٠

وخفف عني ما الاقي من العنا ٠ علي بانك انت المبتلي والمقدر ٠
وما لامري عن ما قضى الله معزل ٠ وليس له منه الذي يتخير ٠

فهذا مع ما في البلا من اللطاف وموارد البر والاتحاف كاينة ما كانت ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره في العقليات والعاديات والشرعيات ٠ اما العقليات فما من بلا الا والعقل قد يمكن اعظم منه حتي لو قدرنا اجتماع بلايا الدنيا كلها علي كافر وعوقب في الاخرة باعظم عذاب اهل النار لكان ملطوفا به اذ الله تعالي قادر علي ان يعذبه باكثر من ذلك ونوعه بامر الله يقتضي له استحقاق ما يولجه به من ذلك فاقتصار الواقع علي ما يقع عليه مع القدرة علي ما فوقه غاية اللطف ٠ واما العاديات فما وجدت قط بلية الا في طيها خيرة وحقها لطف باعتبار تقرير علي نوعها اذا المبتلي مثلا بالجذام والعمي ذاالله ليس كالاعمي وهما مع الغني ليس كهما مع الفقر واجتماع كل ذلك مع سلامة الدين امر يسير ٠ ورتب البلا لا تنحصر ولم تشاهد قط اجتماعها علي شخص فاللطف متوجه للعبد بحسب نقصها ٠ واما الشرعيات فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه ٠ وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المومن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن الا كفر به من سياته وروي ان الله تعالي اوحي الي بعض انبيايه انزلت بعبدي بلايا فدعاني فماطلته بالاجابة

فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك من شي به ارحمك انتهى ، فاذا الواجب
على العبد الشكر على البلية لما تضمنته من النعمة فان فقدنا الصبر وانما
يعطي موجبهما وجود الهوى فلذلك قال لا يخاف عليك ان تلتبس الطرق
عليك فلا تدري انسلك سبيل الشكر ام طريق الصبر اعتبارا بظاهر الامر
او باطنه اذ كلاهما طريق للعبودية وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك
حتى تنفيهما بوقوفك مع الجزع المستفاد من وجود الشفقة على نفسك ،
قال احمد بن خضرويه رحمه الله الطريق واضح والدليل لائح والداعي قد اسمع
فما التحير بعد هذا الا من العمى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وصيته لابن عباس ان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل والا
ففي الصبر على ما تكره خير كثير انتهى ، ثم اذا تاملت ظهر لك ان التحقق بالمعرفة
منطو في وجود البلايا اذ ليست المعرفة الا بتحقق اوصافه تعالى حتى تفنى في اوصافه
كل شي من وجودك فلا يبقى لك عز مع عزه ولا غنا مع غناه ولا قدرة مع قدرته ولا
قوة مع قوته وهذا يتحقق لك بوجود البلية اذ هي مشعرة بقهر الربوبية فتخصيص
بالعرفان متضمن في وجود الامتحان ووجود الامتحان سابق للتخصيص بالعرفان اذ هو
رد الى وجود البشرية الذي ظاهره البعد عن وجود الخصوصية فسبحان من ستر
سر الخصوصية التي هي المعرفة التامة عمن تعلقت به وعن غيره بظهور البشرية
مع ان ظهور البشرية هو الموصل للخصوصية وظهر بعظمة الربوبية المقتضي لظهور
البشرية في ظهور العبودية الذي من لازمه وجود البشرية فجعل الحجاب عين
الدليل وما به الوصلة مانع من التوصيل ستر الافهام الاغيار وغيره على مكنونات
الاسرار فلذلك قال الكفار ما هذا الا بشر مثلكم الاية ، قال في
لطايف المنن واذا اراد الله ان يعرفك وليا من اوليايه طوى عنك بشريته

واشهدك

واشهدك خصوصيته انتهى ، واذا كان الحجاب منك والدوا بيدك فلا تطالب
ربك بتاخر مطلبك وهو وجود الخصوصية ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك اذ هو
عين العبودية ، قال بعضهم اياك وطلب الدليل من خارج فتفتقر الى المعارج
واطلب من ذاتك لذاتك تجد الحق اقرب اليك من ذاتك واعلم انه متى جعلك في
الظاهر ممتثلا لامره فعلا وتركا ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره
عطا ومنعا فقد اعظم المنة عليك اذ اغناك بهذه واراحك من الاعتراض
عليه اذ ليس كل من ثبت تخصيصه بالعلوم والاعمال والكرامات كمل تخليصه
من العلل والافات بل الغالب ان الكرامات انما ترد مقدمات للمعرفة او مقويات
لليقين او اختبارات للصدق اما في حق من ظهرت على يديه او في حق من ظهرت له ،
وقد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه اذا رايت الرجل يشير الى الايات والكرامات
فطريقه طريق الابدال ، واذا رايته يشير الى الالا والنعم فطريقه طريق المحبة
وهو اعلى ، واذا رايته يشير الى الذكر وهو متعلق بالذكر الذي ذكر فطريقه طريق
العارفين وهو اعلى درجة من جميع الاحوال انتهى ، ولو كان بالمقصود قنا مثله
وبالله التوفيق ، وقال رضي الله عنه لا يستحقر الوارد المجهول يعني بحق ربه
وحظ نفسه وجه وصوله اليها اذ الوارد يوجد في الدار الاخرة على حسب الورد
اذ جا في الحديث ان الله تعالى يقول ادخلوا الجنة برحمتي وتقاسموها باعمالكم انتهى ،
والورد ينطوي بانطوا هذه الدار فيفوت ثوابه بحسب فواته اذ هو مرتب عليه
واولى ما يعتني به عند العقلاء الاكياس ما لا يخلف وجوده اذ تذهب فايدته
بذهابه فاذا تعللت نفسك بعدم طلب الثواب فقل لها الورد هو طالبه منك
اذ هو حق العبودية وان ركنت الى طلب العوض فقل والوارد انت تطلبه منه لانه
حظ نفسك واين ما هو طالبه منك من واجب حقه مما هو مطلبك منه من غرضك وحظك

فطب نفسا بالعمل لمولاك وسلم له فيما به يتولاك • فقد قالوا كن طالب الاستقامة
ولا تكن صاحب الكرامة فان نفسك تهتز وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة
ولان تكون بحق ربك اولي لك من ان تكون بحظ نفسك • وقال الشيخ ابو طالب
رحمه الله ومداومة الاوراد من اخلاق المومنين وطريق العابدين وهي مزيد
الايمان وعلامة الايقان • وقال الجنيد رحمه الله العباده علي رؤس العارفين
كالتيجان علي رؤس الملوك • وروي ان بيده سبحة فقيل له انت مع شرفك تاخذ
في يدك سبحة فقال طريق وصلنا به الي ما وصلنا لا نتركه ابدا • وروي في المنام
بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك
العبارات وابيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا الا ركيعات كنا
نركعها في السحر ثم اعلم ان ورود الامداد في الدنيا والاخرة بحسب الاستعداد
لهما بالاعمال الصالحة فاعمل لدنياك كانك حي ابدا واعمل لاخرتك كانك ميت غدا و
شروق الانوار اليقينية العرفانية علي حسب صفا الاسرار من الاكدار
والهواية والنقية • قال في لطايف المنن واعلموا ان الله اودع انوار الملكوت
في اصناف الطاعات فاي من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من الموافقات
جنس فقد من النور بمقدار ذلك ولا تهملوا شيئا من الطاعات ولا تستغنوا عن
الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضي به المدعون تجري الحقايق علي السنتهم
وخلوا انوارها من قلوبهم انتهي • قلت وصفا الاسرار علي حسب السلامة من الاكدار
والسلامة من الاكدار في ترك التدبير والاختيار فلذلك قال العاقل اذا اصبح
نظر فيما ذا يفعل فكلما فاته مقصد ازداد قلبه كدر والغافل ينظر ماذا يفعل الله
فكلما فاته مقصد اعتبر وقام بحق الله في كل امر ظهر • قال عبد الواحد بن زيد
رحمه الله الرضي باب الله الاعظم ومستراح العابدين وجنة الدنيا • قال

عمر عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت ومالي سرور الا في مواقع القدر •
وقال الشيخ ابو مدين رحمه الله لحرص علي ان تصبح وتمسي مفوضا مستسلما
لله ينظر اليك فيرحمك انتهي • قلت والمقصود ان لا يكون للعبد سبب
في معصية ولا في ترك طاعة ولا تقصير في ادب ولا سنة فان قهره الحال
عن ذلك بقاهر لا يمكنه دفعه او كان الذي عرض اوجب مما هو فيه فام بحق
العارض اذ كل اوقاته لله تعالي • وقد قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
سالت استاذي عن ورد المحققين فقال اسقاط الهوي ومحبة المولي
ابت المحبة ان تستعمل محبا لغير محبوبه • وقال الورد رد النفس بالحق عن
الباطل في عموم الاوقات انتهي • ومن كان ناظر المولاه في كل احواله انس من اجله
بافعاله وانما استوحش العباد والزهاد من كل شي حتي انفردوا في الجبال وتركوا
الاهلين والاوطان والاموال لغيبتهم عن الله في كل شي فلو شهدوه في كل شي فاعلا
ومدبرا انسوا بكل شي ولم يستوحشوا بشي لانهم يجدون روح الانس من كل شي
كما وجده اهل العرفان وحققه اهل التحقق في الايقان وانما امرك في هذه الدار
بالنظر في مكوناته لتانس بما فيها حتي لا تستوحش منها نظر التنبيه اليه لا لها •
وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته حسبما شاهدته ببصيرتك من اياته في مخلوقاته
اذ ورد الامداد بحسب الاستعداد حسبما تقدم ثم ان الله سبحانه علم منك انك لا
تصبر عنه اذ لا غني للعبد عن مولاه فاشهدك ما برز منه حتي تعلم اوصافه
مما ابداه فتتادب من بساط فقرك وفقر من سواك يا غني علي الاطلاق من
للفقير علي الاطلاق ويا عزيز علي الاطلاق من للذليل علي الاطلاق ويا قوي علي
الاطلاق من للضعيف علي الاطلاق ويا قدير علي الاطلاق من للعاجز علي الاطلاق وان
لم يكن ذكر سندك بحق لك فقد دلت عليه شواهد احوالك واكدته شواهد احوال

غيرك فلا وجه للانفة من الخلايق لا الغفلة عن الحقايق ولما علم الحق منك وجود
الملل لون لك الطاعات لتستريح من نوع الى نوع اذ الاسر كما قيل
لا تصلح النفس اذ كانت مطوقة الا التنقل من حال الى حالات وعلم ما فيك
من وجود الشره المودي الى الملل القاطع عن بلوغ الامل فحجرها عليك في الاوقات
اذ جعل في اليوم خمس وفي السنة شهر وفي المايتين خمسة وفي العمر زورة ولكل
واحدة في تفاصيلها وقت لا تفسح في غيره كل ذلك رحمة بك وتيسيرا للعبودية
عليك فليكن همك اقامة الصلاة بحدودها وشروطها وادابها الظاهرة والباطنة
لا وجود الصلاة فقط لان ذلك ربما كان سبب العقوبة قال الشيخ ابو العباس
رضي الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح فانما جاء لمن اقام الصلاة
اما بلفظ الاقامة او بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه الذين يومنون
بالغيب ويقيمون الصلاة وقال تعالى حكاية عن قول ابرهيم عليه السلام
رب اجعلني مقيم الصلاة اقم الصلاة لذكري واقام الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر
المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون انتهى الصلاة
طهرة للقلوب من ادناس الذنوب قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
وقال عز من قايل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال عليه السلام
مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر بباب احدكم الحديث واستفتاح لباب الغيوب
اذ هي محل الاعراض عن الاغيار والعيوب فمن وجد هاذين العلامتين من صلاته
فليشكر الله عليها والا فليبك على نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم
تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا انتهى قلت اذ
الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافات فاذا لم يجد العبد فيها نسيما من القرب
فذلك دليل على غاية البعد ثم الصلاة تتسع فيها ميادين الاسرار لبعدها عن النقص

الادبار وتشرق فيها شوارق الانوار اذ هي محل الثلاث والدعوات والاذكار
علم وجود الضعف منك فقلل اعدادها وجعل الخمسين خمسة وعلم احتياجك الى
فضله فكثر اعدادها اذ جعل الحسنة بعشر امثالها ويزيد فاترك نفسك حيث
اتركك مولاك ولا تتكلف غير ما اتاك به كتابه الحكيم او رسوله الكريم
فقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي كل يوم ستة عشر ركعة في الضحى ستا
وقبل الظهر اربعا وبعدها ركعتان وقبل العصر اربعا خرجه الترمذي عن علي
وحسنه وكان يصلي بعد المغرب ركعتان وما زاد في رمضان ولا غيره عن اثني
عشر ركعة بعدها الوتر وكان يصلي الفجر ركعتان في بيته وكان يصوم الخميس
والاثنين قيل وهو نلث الدهر ان اضيف اليه رمضان كما ان الصلوات المذكورة
خمسون ركعة ان اضيف اليها الفرض وهو كان ورد زين العابدين علي بن الحسين
بن علي كرم الله وجهه امر عليه السلام عبد الله بن عمرو ان يقرا القران في سبع
وقال عليه السلام ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا
وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة اشارة الى ذكر طرفي النهار
وقيام اخر الليل ولم يكن عند السلف رضي الله عنهم الاجماع الاكمل لفتح او نفس
بالعبادة تسحج بل قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقوم راهم
يذكرون جماعة والله لقد جيتم ببدعة ظلما او لقد فقتم اصحاب محمد علما وجا
الى الشيخ ابي محمد بن عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه فقال يا سيدي
وظف علي وظايف واورادا فغضب الشيخ وقال ارسول انا فاوجب
الواجبات الفرايض معلومة والمعاصي مشهورة فكن للفرايض حافظا
وللمعاصي رافضا واحفظ قلبك من ارادة الدنيا واقنع من ذلك كله بما قسم الله
لك فاذا خرج لك مخرج الرضى فكن لله فيه شاكرا واذا خرج مخرج السخط فكن

عنه صابرا وحب الله قطب تدور عليه الخيرات واصل جامع لانواع الكرامات
وحصول ذلك كله باربعة صدق الورع وحسن النية واخلاص العمل ولا تتم لك
هذه الاربعة الا بصحبة اخ ناصح او شيخ صالح انتهى واذا قمت بالاوراد على الوجه المطلوب
فلا تطلب العوض عليها اذ متى طلبت عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه
وانت بعيد من الاخلاص فكيف بالصدق الذي هو التسليم المقتضي لنفي الاغراض
ويكفي المريب اي العادم للصدق في صدقه وجدانا لسلامته من العقوبة
على علل اعماله التي شملته في جميع احواله لا تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا
على الحقيقة واطلب ممن وفقك له بلا علة ان يعطيك بلا علة يكفي من الجزا لك على
العمل ان كان له قابلا اذ هي تقتضي عفوتك لما انطوى عليه من الذنب والعيب
قال خير النساج رضي الله عنه ميراث اعمالك ما يليق بافعالك فاطلب ميراث فضله
وكرمه فهو خير لك انتهى ثم انه تعالى اذا اراد ان يظهر فضله عليك في الدنيا
والاخرة خلق العمل ونسبه اليك ما اجرى من اسباب نفعها على يديك وقد قال
ابو يزيد رضي الله عنه غلطت في بدايتي في اربعة اشيا توهمت اني اذكره
واعرفه واحبه واطلبه فلما انتهيت رايت ذكره سبق ذكري ومحبته تقدمت
محبتي وطلبه لي اول حتى طلبته انتهى وجملة الكل في قوله لا نهاية لمذامك
ان ارجعك اليك اذ نفسك مجبولة على ضد الخير ولا تفرغ مدائحك ان اظهر
جوده عليك اذ لا يعظم عليه شي يعطيك اياه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سالتموا الله فاعظموا المسلة فان الله لا يتعاظمه شي قالوا اذا نكثر يا
رسول الله قال الله اكثر وقال سهل رضي الله عنه اذا عمل العبد حسنة
وقال يارب انت بفضلك استعملت وانت اعنت وانت سهلت شكر الله له
ذلك وقال يا عبدي انت اطعت وانت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال

انا

انا عملت وانا اطعت وانا تقربت اعرض الله عنه وقال يا عبدي انا اعنت
وانا وفقت وانا سهلت واذا عمل سيئة فقال يارب انت قضيت وانت
قدرت وانت حكمت غضب المولى جلت قدرته وقال يا عبدي انت
اسات وانت جهلت وانت عصيت واذا قال يارب انا ظلمت وانا
اسات وانا جهلت اقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي انا
قضيت وانا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت انتهى وهو ماخوذ
من قضيتي ابليس وادم فتامله واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدي
الى صراط مستقيم وقال رضي الله عنه كن باوصاف ربوبيته متعلقا
وهي الغنا والعزة والقدرة والقوة وباوصاف عبوديتك متحققا وهي
الفقر والذل والعجز والضعف وهما متلازمان فمن تعلق باوصاف الربوبية
تحقق باوصاف العبودية وبالعكس ثم تحققك باوصافك تكسبك له من
اوصافه فتكون غنيا في فقرك فقيرا في غناك عزيزا في ذلك ذليلا في عزك
قويا في ضعفك ضعيفا في قواك قادرا في عجزك عاجزا في قدرتك فكلما ازددت
تحققا باوصافك ازددت تعلقا باوصافه حتى تثبت لك اوصاف الربوبية
في عين ثبوت العبودية فيطلق عليك اسم الغني والقوي والقدير والعزيز الى
غير ذلك مما يصح اطلاقه على العبد عند التلبس بمعناه لا ان ذلك بتحقيقه
للعبد قال الله تعالى فيما يحكيه عن نبيه صلى الله عليه وسلم الكبريا ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما القيته في النار انتهى واذا كان
سبحانه منعك ان تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين من اقوال وعلوم
واعمال افيبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين معاذ الله ان
يكون ذلك فاعرف قدرك ولا تتعد طورك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن • قال
سيدي ابو عبد الله بن عباد رحمه الله ومعنى الغيرة في حقه تعالى انه لا يرضى
بمشاركة غيره فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال
الدينية انتهى • ثم قال كيف تخرق لك العوائد باكتسافها لم
القدرة وانت لم تخرق من نفسك العوائد بتحقق الادب في الحضرة
وذلك بثلاثة اوجه اقامة الفرض والاعراض عن الخلق وايثار الصدق
الناشي عن تحقق العبودية الموجب للتعلق بالربوبية • وقد قال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه تصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف
والذل لله تعالى واضدادها اوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم اوصافك
وتعلق باوصاف ربك وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك
ومن بساط الضعف الحقيقي يا قوي من للضعيف غيرك • ومن بساط
الذل الحقيقي يا عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع يدك •
انتهى • وليس المراد بمجرد التعلق والتحقق بل المراد ما ينشا عنهما من العبودية
والتخلق فلذلك اشار بقوله ما الشان وجود الطلب وانما الشان ان
ترزق حسن الادب وهو القيام بالحقوق على نعت الغنى عن كل مخلوق رجوعا
الى ترك الاختيار وثباتا بنعت الالتجا والانكسار اذ ما طلب لك شي من الله
ولا من غيره مثل الاضطرار اذ هو موجب التحقق والتعلق لينتج منهما التخلق
ولا اسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار اذ هما التزام لوصفك على نعت
التعلق بوصفه بلا علة • قال ابن منازل رحمه الله العبودية الرجوع في
كل شي الى الله على حد الاضطرار • وقال بعض العارفين المضطر الذي
يقف بين يدي مولاه فيرفع اليه يديه في المسالة فلا يرى بينه وبين الله حسنة

يستحق بها شيا فيقول هب لي يا مولاي بلا شي • وقال سهل رضي الله عنه
ما اظهر عبد فقره الى الله في وقت الدعا في شي يحل به الا قال الله لملائكته لولا
انه لا يحتمل كلامي لاجبته لبيك انتهى ثم اعلم ايها العبد انك لو انك لا تصل اليه
الا بعد فنا مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا اذ هي صفات لازمة لك
لا يمكن انفكاكها عنك الا بزوال وجودك بل لو تاملت ايها العبد وجدت محاسنك
مساوي وحقايقك دعاوي اذ كل شي منك عايد الى وصفك وذلك يقتضي بعدك
في كل حال عن ربك ولكن اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى
نعتك بنعته فكل نعت من نعوتك او وصف من اوصافك اذا اقبل الحق عليك
بمقابله من اسمايه وصفاته تلاشى كل موجود في وجوده فغيبك عن شهودك •
فمن قوبل باسم الجلالة غرق في بحر الانفراد بالحق على نعت تفريد الحق فيبقى للحق
بالحق ويفنى في الحق بالحق فلم يبق له خبر ولا عن الوجود مخبر ومن قوبل باسمه
الرحمن تعلق بوجود الرحمانية فطار فكره عن العوالم الحسية وقوفا مع شكر
نعمة الابتدائية • ومن قوبل باسمه الرحيم تمكن في باب التعلق به حتى لم يعرج
على حوايجه من غيره ولا يلتفت بالطلقة لاحد من خلقه • ومن قوبل باسمه الملك
راى نفسه في قبضته فسلم له في مملكته وقام بحق حرمته على بساط خدمته
ومن قوبل باسمه القدوس قدسه عن المقابلة بافعاله المدخولة وسماته
المعلولة • ومن قوبل باسمه المومن امن به وامن له في وعيده ووعده اذ هو
المومن لخلقه • ومن قوبل باسمه السلام حسن الظن به في كل امره وسلم الخلق
من سوء ظنه وظلمه • ومن قوبل باسمه المهيمن راقبه في سره وجهره
اذ هو الشاهد عليه في كل امره • ومن قوبل باسمه العزيز ذل له ذلا يلزمه
بوصفه وتعزز به تعززا لا يخرجه عن نعته • ومن قوبل باسمه الجبار •

اذعن لاحكامه وصغر عند ذكره ومن توبل باسمه المتكبر تضعضع تحت كبر
كل شي من نفسه ومن توبل باسمه الخالق استحسن كل شي يصدر من خلقه
الا لحقه ومن توبل باسمه البارئ تبرا من كل شي اليه واعتمد في كل شي عليه
ومن توبل باسمه المصور انصف كل شخص فيما يظهر من صورته وهكذا
الي اخر الاسماء فقد قيل اسماؤه تعالى كلها للتخلق الا اسم الجلالة فانه
للتعلق فاعلم ذلك وتأمله واطلب الفتح من الله فيه علما وعملا وحالا فلا طريق
الي تحقق ذلك الا فتح العلام العليم فاذا فتح لك منه بابا فقد سهل عليك الطريق
وهداك للتحقيق فوضك اليه بما منه اليك من الفضل والاحسان لا بما منك
اليه من العلوم والاعمال فقلت ما قال من تحقق بالتحقق اذ قال
بلا عمل مني اليه اكتسبته ٭ سوى محض فضل لا بشي يعلل . قال
الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا . وقال
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الايتين . وقال عليه السلام
البلاء والهوى والشهوة معجونة بطين ادم انتهى . وما كان في الجبلة لا يمكن نقله
ولكن الله يمن بستره على من يشاء من عباده فيكسيه حلة من فضله . وقال
رضي الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا للقبول بل ولا للوجود ومن
اين حتى توفق لصورة الطاعة واذا وفقت فاني تدرك اعمالك المدخولة وصفاتك
المعلولة حتى يقابل بها فضله وكرمه . قال الشيخ ابو عبد الله القرشي
رضي الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت اعمالهم واذا تلاشت اعمالهم زاد
فقرهم وفاقتهم فتبروا من كل شي ومن كل شي منهم ولهم انتهى . ثم اوضح المؤلف
ما اشار اليه فقال انت الى حلمه اذا اطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته
اذ انت في الطاعة غالبا بنفسك فان سلمت من هذه فلنفسك وان سلمت

من هذه

من هذه فناظر اليك والي اشكالك واقل احوالك غفلتك عن اتهام نفسك
في اعمالك . وقد قال ابو القسم النصرباذي رحمه الله العبادات الى طلب
العفو والصفح عن تقصيرها اقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها انتهى .
ثم زاد المؤلف بيانا فقال الستر على قسمين هما بحسب حال المستورين
في همهم ستر عن المعصية حتى لا يعرف طريقها وستر فيها حتى لا يفتضح
اذا عملها فالاول ستر بين العبد والمعصية ولا يعلم به غير ربه وهو موجب
الطاعة فوجودها اذا من بساط الستر . والثاني بين العبد والعباد حالة
التلبس بها وبعده والناس فيهما على حسبهما فالعامة يطلبون الستر من الله فيها
اذ ليس نظرهم الا للخلاص وحملهم على ذلك تعظيم الخلق في اعينهم اذ لم يوجب لهم
هذا الطلب الا خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق وان طلبوا ذلك في الدار الاخرة
لذلك فهم على حكم ذلك والخاصة يطلبون الستر عنها لان مرادهم الاخلاص .
والتبري من العيب والانتقاص وحملهم على ذلك تعظيم الحق اذ لم يوجب لهم
هذا الطلب غالبا الا خشية سقوطهم من نظر الملك الحق وان كان الكل في عين
التعلق به فالاولون محجوبون من حيث تعلقوا وهولاء واصلون لم يقتطعوا
واذا كان ستره هو الذي اوجب الطاعة وحفظ في وجود المعصية فمن
اكرمك فانما اكرمك فيك جميل ستره تعالى اذ لم يحمدك عنه غير ستره
اياك عاصيا كنت او طائعا معافا كنت او مبتلا لانه لو ازال ستره عنك كرهك
اقرب الناس واحبهم اليك وانما انت كما قيل على وجه مي مسحة من ملاحة
وتحت الثياب العار لو كان باديا . وقال بعضهم ما هناك
الا فضله وما نعيش الا في ستره ولو كشف الغطاء عن امر عظيم انتهى . ومن
وجوه حمده وشكره على عبده بستره ان لا تعتبر بتغيره فتطلب الستر لاجل

ذلك الغير فالحمد لمن سترك على ستره ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك اذ لم يراع

الا ظاهر فضله وخيره كان بعض مشايخ شيخنا ابي عبد الله القوري رحمه الله

يقول يا سري قلب من ترى يبدي من بعضيه انتهى ثم زاد المولف الامر تاكيدا فقال

ما صحبك يعني حق الصحبة الا من صحبك وهو بعيبك عليم على التفصيل الامن

وليس ذلك الا مولاك الذي نعصيه فيستر ونتوب اليه فيحكم ويغفر خير من تصحب

من يطلبك لا لشي يعود منك اليه وليس ذلك الا مولاك الغني على الاطلاق الكريم

بلا علة اذ كل من صحبك سواه فمتعلق بعوض ولو قلنا ان غيره يحبك لذاتك رد قولنا

باختصاصه اياك دون غيرك اذ لولا علة في نفسه ما اختص بعضا دون بعض ولما

لم ير المحققون محسنا سواه تعالى ثم الجؤ لغيره تعالى ولم يلتفتوا الى غيره اذ جبلت

القلوب على حب من احسن اليها حتى قال بعضهم شعر

كانت لقلبي اهواء موزعة ... فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي

تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

فصار يحسدني من كنت احسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

وانما يوجب للعبد الالتفات للخلايق فقدان النور الكاشف للحقايق والا فلو

اشرق نور اليقين الهادي الى العلم بان الاخرة خير من الدنيا وان ما عند الله

خير وابقى لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا وقد

ظهرت كسفة الفنا عليها لان الاتي قطعا كالموجود في الحال لا سيما ومباديه

ظاهرة من تغير الاحوال وانتقال الاهلين والاموال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل يا رسول الله وهل

لذلك من علامة يعرف بها قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود

والاستعداد للموت قبل نزوله انتهى ولو تحقق نور قلبك لم تعتد بشي دونه

بل

كل كنت تراه في كل شي لثبوت قيوميته ولاحاطته بك فلا تقف مع الاوهام

الصادفة عن الحقايق اذ ما حجبك عن الله وجود موجود معه اذ لا شي معه

لثبوت احديته ازلا وابدا كما تقدم بيانه وانما حجبك عنه توهم وجود شي معه

اغترارا بظاهر الامر حتى تعدى ذلك الى حيائك من غيره والخوف من سواه وقد جاء

في بعض الكتب المنزلة ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني اراكم

فلم جعلتموني اهون الناظرين اليكم انتهى ومما يحقق انه تعالى لا شي معه ظهور

الاشيا به وتوقف افعالها واوصافها على قدرته فلولا ظهوره في المكونات

بما له فيها من التدبيرات ما وقع عليها وجود ابصار من البصاير ولا الابصار

بل كانت تكون كما كانت قبل وجودها لو ظهرت صفاته للقلوب والاسرار

اضمحلت مكوناته فلم يبق لها ظهور ولا اظهار اذ كل شي عن معاني صفاته

صدر وبمقتضى اثارها ظهر فهو تعالى اظهر كل شي بانه الباطن فكان

على كل شي حجابا عنه وصار فاعرا به وطوى وجود كل شي لانه الظاهر الذي لا يمكن

ظهور شي معه فما دل عليه سوى ربوبيته ولا وصل اليه سوى فضله ورحمته

تستر بما به ظهر وظهر بما به تستر فهو الظاهر من جهة التعريف الباطن

من جهة التكييف من عرف انه اجل من ان يعرف فقد عرفه اذ ما انتهى المخلوق

الى مثله ويرجع الحادث الى ما كان من شكله وفي معنى ذلك قيل

لا يعرف الله الا الله فاتئدوا ... والدين ديان ايمان واشراك

وللعقول حدود لا تجاوزها ... والعجز عن درك الادراك ادراك

قال في لطايف المنن قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف

بالمعارف من به عرفت المعارف ام كيف يعرف بشي من سبق وجوده وجود

كل شي وقال مريد لشيخه يا استاذ اين الله قال اسحقك الله اتطلب

مع العين اين انتهي • واعلم انه سبحانه اباح لك ان تنظر ما في المكونات
من العبر والايات لتستدل بها على انوار الاسما والصفات • وما اذن لك ان
تقف مع ذوات المكونات اذ هي الحجب وعين الظلمات • قال الله تعالى
قل انظروا ماذا في السموات فامر بالنظر فيما فيها لا في اعيانها اذ قال ماذا
ولم يقل انظروا السموات فبقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
فتح لك باب الافهام اذ اتي بالظرفية المنبهة على مظروفها وهو انوار القدرة
وبدايع الحكمة ودلايل الصنعة ولم يقل انظروا السموات باسقاط الظرفية
ليلا يدلك على وجود الاجرام والدلالة عليها مجردة لا فايدة فيها اذ ليس بها عبرة
من حيث ذاتها • قال في لطايف المنن فما نصبت لك الكاينات لتراها
ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من
حيث ظهورها ولا تراها من حيث كونيتها • قال ولنا في هذا المعنى
ما اثبت لك العالم الا لتراها بعين من لا يراها فارفع عنها وقر من ليس يرضى
حالة دون ان يرى مولاها • فبان بجملة ما تقدم ان الاكوان ثابتة باثباته
اياها اذ علة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وممحوة باحدية ذاته اذ كل شي
منه بدا واليه يعود • قال الشيخ ابو الحسن رحمه الله انا لننظر الى الله ببصر
الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن اقامة الدليل والبرهان ونستدل به
على الخلق هل في الوجود شي سوى الملك الحق فلا نراهم فان كان ولا بد فنراهم
فنراهم في الهوي ان فتشتهم لم تجدهم شيا انتهي • وبالله التوفيق ومنه كالهباء
الهداية • قال رضي الله عنه الناس يمدحونك لما يظنون فيك من الخير
والصلاح اعتبارا بما يظهر من ستر الله عليك فكن انت ذاما لنفسك
لما تعلمه منها من القبايح والرذايل اللازمة لوصفها اذ اظهرت خلاف

حالها فكانت مرآية او تشبعت بما ليس فيها • قال بعضهم من فرح بالمدح
فقد امكن الشيطان ان يدخل في جوفه • وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير
ابقاك الله فيهم فغضب وقال احسبك عراقيا • وقال بعضهم لمادح مدحه
اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فانا اشهدك على مقته انتهي ثم اشار الى
الوجه الموجب لذم الممدوح نفسه فقال المومن اذا مدح استحيا من
الله ان يثنا عليه بوصف لا يشهده من نفسه اي لا يرى وجوده
منها حال وجوده فيكون حياوه من ان يثبت له نسبة مع سيده وقد يكون
حياوه من نسبة ما لم يفعل له فيستحيي من تعلقه بالريا الموجب للثنا
عليه • كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال انا اعلم من ذلك ولست
اغلط في نفسي بل لست في البين والمجري والمنشي هو الله تعالى انتهي ثم فتح
حال الفارح بالمدح الباطل فقال اجهل الناس من ترك يقين ما عنده من
صفات نفسه التي لا شك فيها لظن ما عند الناس من صلاحية حاله • قال
الحارث بن اسد المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل كمن يهزا
به ويقال ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رايحة كرايحة المسك
وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به • وقال الاحنف بن قيس رضي الله عنه
من مدح انسانا بما ليس فيه فقد بالغ في هجايه • وقال يحيى بن معاذ رحمه الله
تزكية الاشرار هجنة بك وحبهم لك عيب عليك انتهي ثم ارشد لوجه العمل
في ذلك فقال اذا اطلق الثنا عليك ولست باهل للثنا عليك وهذا
حالك في كل وقت فاثن عليه بما هو اهله من الفضل والكرم الذي اوجب لك
الستر حتى اثني عليك ولم يسلط احدا بالذم عليك وان سلط بعضهم عليك
فالحمد لله اذ لم يوجه جميعهم بالذم اليك • كان بعضهم اذا مدح قال اللهم

اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تواخذنا بما لا يعلمون واغفر لنا ما يقولون انتهى
وتحرير القول في ذلك ان اهل الطريق في ذلك قسمان فالزهاد اذا مدحوا انقبضوا
لشهودهم الثنا من الخلق فهم محجوبون عن الحق بالخلق اعتمادا على قوله صلى الله عليه وسلم
ان المدح هو الذبح وقوله عليه السلام للذي مدح عنده رجلا قطعت عنق
صاحبك وحذرا ان يكونوا من الذين يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا والعارفون
اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق فهم محجوبون عن الخلق بالحق
عاملين على قوله عليه السلام اذا مدح المومن ربا الايمان في قلبه وعلى مقتضى
قولهم السنة الخلق اقلام الحق فهم يرون ان مدحهم مدح لسيدهم اذ مدح
الصنعة عايد لصانعها فيردون الصنعة الى صانعها ويشهدون الفطرة لفاطرها
من غير اعجاب بانفسهم ولا اتكال على اعمالهم واحوالهم فاستوى عندهم ذامهم
ومادحهم وان خالف في المدح والذم نظرهم فاعرف نفسك وما انت فيه
فمتى كنت اذا اعطيت بسطك العطا واذا منعت قبضك المنع من حيث كل
منهما عطا او منعا فاستدل بذلك على وجود طفوليتك اي انك طفيلي على
مراتب القوم وعدم صدقك في عبوديتك لان التاثر بالعوارض ليس من
صفات اهل الكمال قال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب
اليك من قولهم بيس الرجل انتهى والمقصود استوا القلب في المدح والذم فان
كان ولا بد من الترجيح فالمدح حمد الله على ستره وبالله التوفيق وقال رضي الله عنه
اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يوئسك من حصول الاستقامة مع
ربك وباد للتوبة والانابة فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك فتفوز
فوز الابد والا فقد غفر لك سالف ذنبك ان كان مما لا يكفر بتوبتك ولو لم
يكن في ذلك الا محبة الله اياك قال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب

للمتطهرين

المتطهرين والتواب فعال من التوبة وجا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 202
ان الله يحب كل مفتن تواب يعني كثير الذنب كثير التوبة وقيل للحسن الرجل
يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب الى متى قال ما ادري هذا
الا من اخلاق المومنين انتهى وانما يحملك على الاستقامة في المبادي رجا وخوف
فان اردت ان ينفتح لك باب الرجا فاشهد ما منه اليك من احسان وافضال
بلا سبب فكيف وقد وعدك ووعده صدق وحق وقد قال الجنيد رحمه الله
اذا بدت عين من الكرم الحقت المسي بالمحسن واوحى الله الى داود عليه السلام
يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك
معاصيهم لماتوا شوقا الي ولتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي
في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود ارحم ما اكون بعبدي
اذا ادبر عني واحوج ما يكون الي اذا استغنى عني واجل ما يكون عندي اذا
اقبل الي انتهى وان اردت ان ينفتح لك باب الحزن فاشهد ما منك اليه
من قبايح الافعال ومذام الخلال في طاعتك فضلا عن معصيتك فتحزن اما
لخوف العقاب او لفوات الثواب او لعدم الحيا من المولى وهذا الوجه بكل عاقل
اولى وقد كان الفضيل رضي الله عنه اذا ذكر ذنوبه قال واسوأتاه منك وان
غفرت انتهى قلت وان اردت ان ينفتح لك بابا منهما فاشهد كلا من وصفه
ووصفك فترى من حيث انك اهل لكل شر ومن حيث هو انه اهل
لكل فضل فيستوي رجاؤك وخوفك وقد حكي ان رجلا قال لبعض الانبيا
عليهم السلام قل له كم اخالفه واعصيه وهو لا يعاقبني فاوحى الله الى ذلك النبي
قل له لنعلم اني انا انا وانت انت انتهى قلت واذا فتح للعبد باب منهما او من
احدهما فليلجه بالانتقال اليه عن غيره فربما اذا دق في غيره البسط ما لا تستفيد

ولا ينكشف

في ليل القبض ودبما افادك في ليل القبض ما لا تستفيده في اشراق
نهار البسط نعم والقبض اقرب لوجود الفوايد اذ هو وطن العبد والحال الذي
يرفع العبد لربه بنفس وروده فكم راج اداه رجاوه الى الاغترار وكم خايف
وصله خوفه الي العزيز الغفار وبالعكس وقد قيل الرجا زمام والخوف
سوط يسوق اليه بهما القلوب اذا شردت عنه ومن مشي في غبار امله
عثر في شكال اجله ٥ قال الله تعالى آباوكم وابناكم لا تدرون ايهم اقرب
لكم نفعا فالرجا بمنزلة الادب اذ من بساطه كان وجود العبد وهو الكرم
والخوف بمنزلة الابن اذ هو ناشي عن افعال العبد فقم بكل واحد في محله
ولا ترد الانتقال عنه مع قيام حكمه ولا يتصور لك ذلك لان تعلم ان
مطالع الانوار التي ينشا عنها الرجا والخوف انما هي القلوب والاسرار فما طلع
في القلب وتحققه السر انتشر الى الجوارح فاماد وما لا فلا واصل ذلك كله
نور مستودع في القلوب من يوم الست بربكم وما كان كذلك لا يمكن انتقاله
وكيف يمكن انتقاله او الانتقال عنه بمجرد الهوي مدده انما هو النور
الوارد من خزاين الغيوب الذي هو معاني الاسما والصفات المستفاده
من العبر والايات والنظر في ملكوت الارض والسموات وما كان مستفادا
من ذلك لا يصح ان تعمل الحيلة في وجوده او عدمه ثم ان النور قسمان
نور يكشف لك به عن اثاره من سما وارض وجنة ونار وغير ذلك مما يصون
الوهم ويحده البصر ويخطه الجهات ونور يكشف لك به عن اوصافه من جمال
وجلال وعز وكمال فاذا كشف لك عن اثاره تعلقت بسواه واذا كشف لك عن اوصافه
تعلقت به فتخاف وترجوا في الاول غيره له فيكون رجوعك بغيره اليه وخوفك
عن غيره بغيره وفي الثاني تخاف وترجوه له فيكون رجوعك منه اليه وتحسب ذلك

يكون شهود كله وقد قال في لطايف المنن نور الشمس تشهد به الاثار
ونور اليقين تشهد به الموثر قال ولنا في المعني
هذه الشمس قابلتنا بنورها ولشمس اليقين ابهر نورا
فبهذي راينا النور لكن ببصاينك قد راينا المنيرا
وقد قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المومن العاصي
لطبق ما بين السما والارض فما ظنك بالمومن المطيع انتهى قلت وانما يطلب وجود
النور لاجلا ظلمة النفس فاذا حصل منه ما يفيد المقصود وجب رفع الهمة
عن طلبه وعن الالتفات اليه اذ ربما وقفت القلوب مع الانوار فحجبت عن
المنور كما حجب النفوس كثايف الاغيار فحجب عن المغير وفي معني ذلك
لابي الحسن الششتري رحمه الله تقيدت بالاوهام لما تداخلت
عليك ونور العقل اورثك الشجنا وهمت بانوار فهمنا اصولها
ومنبعها من اين كان فما همنا وقد تحجب الانوار العبد مثلما
تبعد من اوصاف نفس حوت ضغنا واعلم ان الله سبحانه ستر انوار
السرايرالتي هي انار المعرفة والخصوصية بكثايف الطواهر التي هي
انار البشرية المشعره بوجود الخصوصية لان ذلك صيانة لها ان يبتذل
بوجود الاظهار فلا يكون لها رفعة ولا عزة وذلك مخالف لحقيقة حالها
او ينادي عليها بلسان الاشتهار فيبطل معني التخصيص للمختص من عباد الله
ويفتضح حال المدعين وذلك خلاف حكمة الله في عباده اذ يقتضي ستر
الجميع لما حضر به المقام الالاهي من الرحمة الشاملة العامة التامة وبالله
التوفيق ٥ ومنه الهدايه وقال رضي الله عنه سبحان من لم
يجعل الدليل على اوليايه الا من حيث الدليل عليه وكما لا دليل عليه تعالى

الا ما اظهر علي اوليايه الا ما ظهر منهم ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله
اليه لانهم لا يعرفون لاحد الا دلوه عليه وكيف لا وهم اهل الفضل والكمال
واعين الحق في عباده بكل حال هم القوم لا يشقي بهم جليسهم واذا كان الايمان
بطريقهم ولايتهم فكيف بمعرفتهم واذا كان ذلك فكيف بالدلالة عليها واذا
كان ذلك فكيف بمعرفتهم واذا كانت معرفتهم كذلك فكيف بصحبتهم واذا كانت
صحبتهم كذلك فما ظنك بمخالطتهم واذا كانت مخالطتهم كذلك فما ظنك
بخدمتهم واذا كانت خدمتهم كذلك فما ظنك بالسلوك علي منهاجهم وقد
قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه ماذا اصنع بالكيميا والله لقد صحبت
اقواما يعبر احدهم علي الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت
فمن صحب هولا الرجال ماذا يصنع بالكيميا وقال والله ما صار الاوليا
من قاف الي قاف حتي يلقوا مثلنا فاذا لقوه كان يغنيهم وقال ايضا
الولي اذا اراد اغني وقال شيخه الشيخ ابو الحسن رحمه الله ابو العباس هو
الرجل الكامل والله ليأتيه البدوي يبول علي ساقيه فلا يمسي عليه المسا
حتي يوصله الي الله وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه في حق المولف
قبل ظهور امره والله لاجعلنه عينا من عيون الله يقتدي به في علم الظاهر
والباطن فكان الامر كما قال والحمد لله قال في لطايف المنن انما
يكون الاقتدا بولي دلك الله عليه واطلعك علي ما اودعه من الخصوصية
لديه فطوي عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فالقيت اليه
القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك رعونات نفسك وكمايتها ودقايقها
ويدلك علي الجمع علي الله ويعلمك الفرار عما سوي الله تعالي ويسايرك في
طريقك حتي تصل الي الله يوقفك علي اساة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك

يفيدك معرفة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم
باحسان الله اليك الاقبال عليه والاقبال والقيام بالشكر اليه والدوام
علي الممر من الساعات بين يديه فان قلت فاين من هذا وصفه
لقد دللتني علي اغرب من عنقا مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان
الدالين وانما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد صدقا تجد
مرشدا وتجد ذلك في ايتين من كتاب الله تعالي ام من يجيب المضطر
اذا دعاه وقال تعالي فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت
الي من يوصلك الي الله اضطرار الظمان للما والخايف للامن لوجدت ذلك
اقرب اليك من طلبك ولو اضطررت الي الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته
لوجدت الحق منك قريبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه
الحق منك قريبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير
ذلك اليك انتهي وانما ذكرته مع طوله لعظم فايدته فلنرجع الان الي ما دل
عليه صريح كلامه فنقول في وصف الولي قال ابو علي الجوزجاني
رضي الله عنه الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق تولي الله
سياسته فتوالت عليه انوار التولي لم يكن له عن نفسه اخبار ولا
مع غير الله سبحانه قرار وفي الاشارة عن الله سبحانه انما سميت الولي وليا
لانه يلي دون ما سواه وقال ابو يزيد رضي الله عنه اوليا الله تعالي
عرايس ولا يري العرايس الا من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون
عنده في حجاب الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخرة وقال سهل
اوليا الله لا يعرفهم الا اشكالهم او من اراد ان ينفعه بهم ولو جعلهم يعرفهم
الناس لكانوا حجة عليهم فمن خالفهم بعد علمهم علمه بهم كفر ومن قعد عنهم

قال في لطايف المنن اوليا الله اهل كهف الايوا فقليل من يعرفهم خرج
قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول معرفة الولي اصعب
من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوق مثله
ياكل كما ياكل ويشرب كما يشرب انتهى ثم اعلم انه تعالى ربما اطلعك على
غيب ملكوته واسرار حكمته في خليقته وجب عند الاستشراف على اسرار
العباد حتى لا يعرف عدوا من صديق ولا فاسقا من صديق رحمة بك لان
من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالاهية التي تشمل الطايع
والعاصي وتستر الداني والقاصي ربما كان اطلاعه فتنة عليه اذ يوجب
طيشه وغفلته واشتغاله بالخلق عن الحق وربما كان ضررا في المال
وسببا لجر الوبال اليه في العاجلة بالعقاب وفي الاجلة بالعذاب
وهذا سوا كان اطلاع على عاص او طايع اذ في الاطلاع على الطايع
اذاية له باظهار حاله وفي الاطلاع على العاصي هتك لستره في حاله
ولله در بعض المشايخ حيث يقول ارحم جميع الخلق كلهم بيت
وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه وقر كبيرهم وارحم صغيرهم
وراع في كل خلق حق من خلقه وفي بعض الاخبار ان ابرهيم عليه السلام
راى عاصيا فدعى عليه فاهلكه الله ثم راى اخر فدعى عليه فاهلكه الله
فامره الله بذبح ولده فلما دنى لذبحه قال الهي ولدي وثمرة فوادي فاوحى الله
اليه وانا واحد والبادي اظلم انتهى بالمعنى الحادي للفظ ثم اعلم ان
حظ النفس في الاطلاع على المعصية والعمل بها ظاهر جلي اما في حق الغير
فالاستشعار العبد بتزكية نفسه واما في العمل بها فلموافقة النفس

عليها

عليها وحظها في الطاعة باطن خفي لان رويتها من الغير يوجب استشعار
النفس بالتزكية بصحبة الصالحين ووجودها معلول بالاعراض
والاعراض وغير ذلك مما هذا وجه كونها حظا فاما خفاؤها فلان صورتها
مخالفة للحظ ومداواة ما يخفى صعب علاجه فكن في الطاعة اشد
منك انها ما لنفسك في المعصية فربما دخل الريا عليك حيث لا ينظر الخلق
اليك وذلك ان استشرافك ان تعلم الخلق بخصوصيتك ومحبتك لاطلاع
على مناقبك الذي من عملك اما على عينه او على لازمه وهو ما يكسبك الحظوة من
جلته عند المحققين دليل على عدم صدقك في عبوديتك اذ لو صدقت
مولاك ما التفت لغيره وقد قال الفضيل رحمه الله العمل لاجل الناس ريا
وترك العمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما وقال احمد بن ابي
الحواري رحمه الله من احب ان يعرف بشي من الخير او يذكر به فقد اشرك
في عبادته لان من عمل على المحبة لا يحب ان يرى خدمته سوى مخدومه
وقال ابو الخير الاقطع من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراي
ومن احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب انتهى فاذا اردت السلامة
والصدق غيب نظر الخلق اليك اذ لا يملكون ضرا ولا نفعا بنظر الله اليك
اذ هو المالك لهم ولك وغب عن وجود اقبالهم عليك بالاسعاد والاخراج
بشهود اقباله عليك بالافضال والانعام لهذا ان رجعت اليه والا فبخلك
وقد قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه كل من لم ينتفع بقنع في
اقواله وافعاله بسمع الله ونظره دخل عليه الريا لا محالة قال في لطايف
المنن اعلم ان مبنى امر الولي على الاكتفا بالله والقناعة بعلمه
والاغتنا بشهوده قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه

وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى أليس الله
بكاف عبده وقال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى وقال تعالى أولم يكف
بربك أنه على كل شيء شهيد فمبنى سرهم في بدايتهم على الفرار من الخلق
والانفراد بالملك الحق واخفاء الأعمال وكثرة الأحوال تحقيقا لفنائهم
وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في إخلاص أعمالهم لسيدهم
حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء
وردوا إلى وجود البقاء فهناك إن شاء الله الحق أظهرهم وإن شاء سترهم
انتهى واعلم أن من عرف الحق شهده في كل شيء فاعلا ومدبرا فلم
يأنس بشيء ولم يستوحش من شيء إذ فني به عن كل شيء ومن فني به غاب عن
كل شيء ولم ير موجودا سواه ولا موحدا إلا إياه وبحسب ذلك يظهر
جماله وكماله فيحبه العبد ضرورة ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئا
من إرادته وشهواته فضلا عن غير ذلك من مخلوقاته قال سيدي
أبو عبد الله بن عباد رحمه الله وهذه الأمور التي ذكرها المؤلف هي علامات
بلوغ هذه المقامات العلية وبها تصح وتكمل فمن لم يجدها في نفسه
فلا ينبغي له أن يدعي تلك المقامات وليعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححها
ويكملها انتهى واعلم أن وجود الخلق مراد دون لشهود الحق فوجودهم
نوقفهم وظهورهم به دليل قربه منهم فإنك إذا تأملت رأيت أنه إنما حجب
الحق عنك شدة قربه منك وهو نحو قربه فيك إذ تشتغل بالتعرف ووجه
الجملة في العرف والجلب فهو تعالى إنما استتر بشدة ظهوره إذ ليس حجاب
عنه إلا المظاهر المشغلة عن الإقبال عليه وإنما خفي عن الأبصار لعظم
نوره الذي هو وجود ظهوره وفي المعنى أنشدوا شعر

بالنور

206

بالنور يظهر ما ترى من صورة ٭٭ وبه وجود الكائنات بلا امتراء
لكنه يخفى لفرط ظهوره ٭٭ حسا فيدركه البصير من الوراء
وإذا رأيت بعين قلبك لم تجد ٭٭ شيئا سواه على الذوات مصورا
وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه حقيقة القرب أن تغيب
عن القرب بعظم القرب كمن يستغرق برائحة المسك فلا يزال يدنوا
وكلما دنا منه تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته
انتهى قلت وهذا الموضع أيضا من مزال الأقدام فتمسك بمبادي
الاعتقاد إذ ليس ثم غيرها وإنما السلوك والسير للتحقق بحقائقها
وبالله التوفيق وقال رضي الله عنه لا يكون طلبك تسببا إلى العطا
منه فيقل فهمك عنه فيما يواجهك من عطائه إذ ترى أنه بسببك
فتقتصر في شكره ويوجب ذلك الياس منه عند وجود منعه لعمادك
على أعمالك وسكونا إلى أحوالك فتكون محجوبا عن مولاك معوضا عنه
في حال إقبالك عليه وليكن طلبك لإظهار العبودية إذ هي طلب الحق منك
وقياما بحقوق الربوبية إذ هو المقصود من وجود العبودية وعلامة
ذلك أن تدعو وأنت مفوض مستسلم قال الشيخ أبو محمد عبد
العزيز المهدوي رضي الله عنه من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره راضيا
باختيار الحق تعالى له فهو مستدرج وهو ممن قيل اقضوا حاجته
فإني أكره أن أسمع صوته فإن كان مع اختيار الحق تعالى لا مع اختياره
لنفسه كان مجابا وإن لم يعط والأعمال بخواتيمها وقال الشيخ أبو
الحسن رضي الله عنه لا يكن همك في دعائك الظفر بحاجتك وليكن همك
مناجاة مولاك انتهى وإذا تحقق أن وجوده سابقا لوجود ظهوره

لك ان عطاه لا يكون لاحقا لطلبك ٥ كيف يكون طلبك اللاحق سببا
في عطايه السابق جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل هذا ما لا يتصور
بوجه ولا بحال ٥ لاستحالة تقدم المتاخر او تاخر المتقدم بعد وجوبه
وقد سيل ذو النون رحمه الله عن التوحيد ما هو فقال هو ان
تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا امتزاج وصنعة الاشيا بلا علاج
وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وليس في السموات العلى
ولا في الارضين السفلى مدبر غير الله وكلما تصور في وهمك
فالله تعالى بخلاف ذلك انتهى ٥ واذا كانت عنايته فيك حتى اوجدك
وانعم عليك لا لشي منك اذ ذاك انت من حيث ذاتك لم تكن شيا مذكورا
فكيف يكون طلبك سببا في عطايه وفضله ٥ قال الواسطي رحمه الله
اقسام قسمت ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات
انتهى ٥ ثم ذكر انه تعالى لم يكن في ازله لخلاص اعمال ولا وجود احوال
بل ولا وجود من وجدت عنه بل لم يكن هناك الا محض الافضال
الذي لا سبب له ولا علة وعظيم النوال الذي لا غاية له ولا انفصال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال الواسطي رحمه الله
ان الله لا يتقرب بفقير لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه
وليس للاعراض خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا
والاخرة ما اوصلك اليه بها ولو اخذتهما كلها ما قطعك بها
قرب من قرب من غير علة وابعد من ابعد من غير علة كما قال
تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور انتهى ٥ واذا تقرر هذا
فاعلم انه سبحانه علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العناية باختصاص

البعض دون البعض بوجه دون وجه وبحال دون حال فقال يختص
برحمته من يشا فقطع الاطماع عن النيل بالاكتساب والتوصل بالاسباب
وعلم انه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل ووقفوا مع النفس في
بطالتها فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فبين ان الاعمال
علامات لا انها اسباب في تحصيل الخيرات فليس قاعدة التحقيق الا
سابقة التوفيق فكل شريعة حقيقة ولا تنعكس الشريعة مبينة
والحقيقة معينة والهداية والضلال بيد الله ٥ الى المشية يستند
كل شي اذ لا يخرج عن القدرة والارادة شي وليست تستند هي الى شي
اذ ليست معلولة بشي ٥ والى هذا المعنى اشار بعض العلما بقوله اسما الحق
تعالى لا تصح ان تكون مشتقة من شي لان المشتق منه سابق على
المشتق ولا يصح ان يكون شي سابقا له تعالى بوجه ولا بحال قال
فلا يقال في اسمه الرحمن انه مشتق من الرحمة بل يقال فيه معنى
من الرحمة وكذا السلام وغيره واستند في ذلك لقوله عليه السلام
حاكيا عن ربه تعالى هي الرحم وانا الرحمن اشتققت لها اسما من اسمي ٥
وبقول حسان رضي الله عنه ؛ وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد ؛ فحقق هذا الباب فانه لباب الكتاب
وبالله التوفيق ٥ وقال رضي الله عنه ربما دلهم الادب في بعض
الاوقات والحالات على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره
عن مسالته كان حالهم دايما اظهار الفاقة بين يديه ومد اكف
الضراعة اليه وانما هي اعمال اقتضتها احوال بحيث غلب التوحيد وانتشر
ذلك الى الجوارح فانطلقت بالذكر حتى لزم السكوت تحت جريان الاحكام

اذ لم يفوت وجها من العبودية ولا خرق حرمة للربوبية وانما الدعا
ان وجد عوضه مثله في الرتبة تعين والدليل على ذلك انك ان قلت
هو تذكير وتنبيه انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن
منه الاهمال وكلاهما على الله تعالى محال فلم يبق للدعا محمل الا تحقيق العبد
بافتقاره واشعاره نفسه بوجود اضطراره ولهذا اختار من قوي عليه
التوحيد التعريض على التصريح في محل التعلق له بالعبودية والسكون في
محل الدعا اكتفا بعلم الربوبية الا ترى ان موسى عليه السلام
لما احتاج الطعام قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وابرهيم
عليه السلام لما زج به في المنجنيق واتاه جبريل فقال الك حاجة قال
اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال سله قال حسبي من سوالي علمه بحالي
وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من يشغله ذكري
عن مسلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين انتهى واعلم ان ورود الفاقات
اعياد المريدين لكن بها تجمعهم على مولاهم تارة بالرغبة وتارة بالرهبة
وتارة بالسكون تحت الجلال فقد قيل للربيع بن خثيم رحمه الله قد
غلا السعر فقال نحن اهون على الله من ان يجيعنا وفي الخبر
انه صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه مفاتيح الارض قال لا يا رب
اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك
وشكرتك وفي المعنى انشدوا ، قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه
فقلت خلعة ساق حبه جرعا ، فقر وصبر هما ثوباي تحتهما
قلب يرى الفه الاعياد والجمعا ، احرى الملابس ان تلقى الحبيب بها
يوم التزاور في الثوب الذي خلعا ، العيد لي ماتم ان غبت يا املي

والعيد

208

والعيد ما كنت لي مرا ومستمعا ، ثم قال رحمه الله
ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة وان كانا
ارفع العبادات فليس لهما من الحضور ما يوجد في الفاقات ثم قال
في التنوير وفي البلا بانخماد النفس وتذللها وتدهشها عن طلب حظوظها
ويقع مع البلايا وجود الذلة وتكون النصرة ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة انتهى ثم زاد المولف بيانا فقال الفاقات بسط
المواهب وذلك لانها محل خروج النفس من البين اذ هي محل الاخذ من
الحق والرجوع اليه بلا واسطة وقد قال سهل رضي الله عنه
ما اظهر عبد فاقته في وقت الدعا في شي يحل به الا قال الله لملايكته
لولا انه لا يحتمل كلامي لاجبته لبيك لبيك انتهى ثم انه زاد بيانا فقال
ان اردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك وذلك
بتحقق عدمك واستشعار الذلة قال الله تعالى انما الصدقات
للفقرا فاتم العباد فقرا اكثرهم خيرا واعتبر هذا بحال الصبي الذي
لا يقدر على وجه من التصرف كيف سلط عليه والديه وغيرهم من
الحنان ما يوجب القيام بامره والتهمم برفع ضره ثم زاد المولف
رحمه الله بيانا فقال تحقق باوصافك يمدك باوصافه فكلما
ازددت تحققا بوصفك ازددت مددا من وصفه ووجه
التحقق باوصافك ان تنظر في كل احوالك فترى عجزك وضعفك
وفقرك وذلك في كل شي فاذا اردت مناجاته قدرت الموت
حايلا بينك وبينها وبحسب ذلك ترى ان الامر ليس لك ولا منك فبالضرورة
تقول بلسان حالك ومقالك في كل احوالك ، اني اليك مع الانفاس محتاج

لو كان في مصر في الاكليل والتاج تحقق بذلك بمدك بعزته فتكون كما قال
الشبلي رحمه الله لقد ذللت حتى عز في ذلي كل شي ذل وعززت حتى ما تعزز
احد الا بي وبمن تعززت به وفي المعني انشدوا
لا يبعدنك عتبنا عن بابنا ،، فالعهد باق والوداد مصان
وبحسننا وبعزنا وبجاهنا ،، شاع الحديث وسارت الركبان
فاذا ذللت لعزنا وبجاهنا ،، ذلت لعزتك الملوك وهانوا
تحقق بعجزك بمدك بقدرته حتى لا يقدر احد مقاومتك من الوجود
ولا يطيق ابدا علي عدم ولا وجود فتنال شي في همتك المقد وراث فضلا
عن المخلوقات فتكون متحققا بمعني قوله لا حول ولا قوة الا بالله اذ جا في
تفسير ذلك لا حول عن معصيته الا بعصمة الله ولا قوة علي طاعة الله الا باعانة
الله ذكره ابو طالب في كتابه وقال حدثنا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
تحقق بضعفك بمدك بحوله وقوته حتى تقوي علي كل شي اذ تري نفسك
ضعيفا عن كل شي وكذا اذا تحققت بفقرك امدك بغناه ثم اعلم ان
تحققك بواحد مما يستلزم التحقق بجميعها وحصول واحد يحقق لك جميعها
وفي المعني انشدوا ،، ادب العبيد تذلل ،، والعبد لا يدع الادب
فاذا تكامل ذله ،، نال المودة واقترب ، وقيل الصوفي من لا يعرف
في الدارين الا الله ولا يشهد مع الله سوي الله قد سخر له كل شي ولم
يسخر هو لشي وسلط علي كل شي ولم يسلط عليه شي ولم ياخذ النصيب منه شي
بصفوله كدر كل شي ولا يكدر صفوه شي قد شغله واحد عن كل شي
انتهي وهو غاية التحقيق وبالله التوفيق وقال رضي الله عنه ربما
رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة تقوية ليقينه وربما حرمها

تفسير لا حول ولا قوة الا بالله

من كملت له الاستقامة زيادة في تمكينه وربما اقيم لهداية
العباد وتحقيق الوداد وفايدة الكرامة تعريف اليقين والقوة
في مراتب العارفين فان تعرف هذا منها والا فاستعذ بالله من شرها
لان من علامة اقامة الحق لك في الشي ادامته اياك فيه مع حصول
النتايج فما لم يدم ارحت منه وما لم تحصل نتيجته فلا عبرة به بل ربما
كان ضرره اكثر من نفعه ثم اعلم ان من عبر اي دخل طريق الحق
من بساط احسانه بحيث يري انه عامل ومقبل اصمتته الاساة
مع ربه فلا ينطلق لسانه بالطلب بل تشوش بكل وارد يشعره فوات
الادب ومن عبر من بساط احسان الله اليه ورؤية منته عليه
لم يصمت اذا اسا بل ينطلق لسانه عند الزلل كما ينطلق لسانه عند
العمل وبحسب ذلك يظهر ان من وصل الي الله بكرامة الله اتم حالا
ممن اهتدي الي الله بغير الله استوي من تعرف الله اليه بكرامته
ومن تعرف الي الله بعقله وقد قال شارح محاسن المجالس
رحمه الله العارفون قايمون بالله قد تولي الله امرهم فان ظهرت منهم
طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا انفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم
زلة فالدية علي القاتل لم يشهد واغيبة في الشدة والرخا فيا بهم
بالله ونظرهم اليه وخوفهم هيبته ورجاوهم الانس به انتهي قلت
قوله الدية علي القاتل اشار به الي غاية التسليم وان الحق تعالي يفعل ما
يشاه في كل حال فكما قدر موجبات الرحمة كتب موجبات العذاب ورتب
الكل علي الكل فالامر في الكل اليه ان شا عذب وان شا رحم وانما تسبق
انوار الحكما اقوالهم لانهم لا ينطقون الا بالله ولله بحيث صار التنوير من قلوب

الخلق وصل التعبير منها وذلك لان كل كلام يبرز فانما يبرز وعليه
كسوة القلب الذي منه برز فما خرج من القلب بنية الوصول الى القلب
دخل القلب وما قصر عن اللسان لم يجاوز الاذان ومن اذن له في التعبير
بوجه من وجوه الاذن المعروفة عند القوم فهمت في مسامع الخلق عبارته
وجليت وحليت وحببت اليهم اشارته فلم يشكل عليهم كلامه ولم
يثقل عليهم خطابه الا اذا لم يمكنوا اذانهم من السماع او مكنوها ولم يقصدوا
القبول ام لم يقصدونهم بل قصد بمجرد التبليغ كحال الكفار اذ لم يسمعوا
دعوة الانبيا والاخيار وهذا الذي ذكره احد علامات الاذن في التعبير
قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف
والحقايق لديه مشهودة حتى اذا اعطي العبارة كان كالاذن له في الكلام
انتهى فاذا انقرر هذا فربما برزت الحقايق على رفعتها وجلالتها
مكسوفة الانوار محفوفة بالاغيار اذا لم يوذن لك فيها بالاظهار
فكيف بغيرها من الفهوم والعلوم والاسرار فتثبت ايها العبد في امرك
ولا تعجل لتعبيرك فقد قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه كلام الماذون
له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام غير الماذون له يخرج مكسوف الانوار
حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من احدهما وترد
على الاخر انتهى نعم ولهذا كانت عباراتهم لا تصدر الا عن ضرورة وتثبت
فيعبرون اما لفيضان وجد اذ هم مملوكون لوجدهم ولهم فيه احكام
المجانين من التسليم وعدم الاقتدا بهم او لقصد هداية مريد وهذا
حال من ملكه حاله ونصبه الحق هاديا لعباده فالاول حال السالكين
من بساط انفسهم الى حضرة الحق والثاني حال ارباب المكنة الذين لا تغيرهم

الاحوال

الاحوال والمتحققين بحقايق ما يعبرون عنه وكلام من عداهم كحاله
قيل لحمدون القصار رحمه الله ما بال كلام السلف انفع من كلامنا
قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضى الرحمن ونحن نتكلم
لعز النفوس وطلب الدنيا وقبول الخلق انتهى ثم بعد هذا فالعبارات
التي يعبر بها من تقدم وصفه قوت لعايلة المستمعين فكل احد لا
ينبغي ان يتعدى بسماعه حاله ولا يسمع ما يوديه الى ضلاله واذا
سمع شيئا عرضه على قواعد اعتقاده فان قبلته والا رده من
غير انتقاد ولا اعتقاد بل يسلم علم ذلك الى اربابه ولا يجوز للمشايخ
ان يذكروا للمريدين ما تحار فيه عقولهم فقد قال ابو حامد رحمه الله
قد تضر الحقايق باقوام كما يتضرر الجعل بالورد والمسك وقال عليه السلام
حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله نعم
ولا يجوز للشيخ ان يذكر شيئا مما لا يوافقه الشرع على ظاهره بل يلزم ظاهر
الشرع والرجوع لحقيقة الحق عاملا على قول القايل رحمه الله تعالى

فمن فهم الاشارة فليصفها ... والا سوف يقتل بالسنان
كحلاج الطريقة اذ تبدت ... له شمس الحقيقة بالتدلي

قلت والى هذه المعاني اشارة المولف بقوله وليس كل ما انت له اكل
اي كما لا يصح ان تاكل ما يقدم لك لا يجوز لك ان تقول ولا تقبل ما يقلقك
ولا ان تدعي ما ليس من شانك بمجرد استشرافك وفهمك وذوقك
ولا تظن ان كل من فهم كلاما ذاقه ولا ان كل من عبر عن شي تحقق به
فربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من
وصل اليه لاستوايهما في وضوح الامر عندهما ووجه وضوحه عند الاول

هو ان المقامات متداخلة فمن حاذا مقاما ظهر له ما يليه حتى كا
عين ما هو فيه لتداخل المقامات بعضها في بعض فلا يحصل الفرق الا بالتحر
وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة يميز الحالين بعلامتيهما وهو ان المستشرف
يعبر عن المقام بنقص في استبشار والاخر ياتي به مستوفا مع ان تعبير
عنه كالعدم ثم تعبير المستشرف مضرة به فلذلك لا ينبغي للسالك ان
يعبر عن وارداته الا للشيخ يعرض عليه احواله ليرقيه او يوقفه فان هو
عبر لغير هذا الغرض فان ذلك مما يقل عملها في قلبه اذ هي مباة يطهر
بها القلوب فما دامت فيها نفعت وان اهريقت لم يزل القلب بوضره
وضروه وذلك ايضا يمنعه وجود الصدق مع ربه اذ يانس باطلاع العباد
على احواله فتميل النفس اليهم فتستحكم عليها المخالفات اذ هي مجبولة على حبهم
وطلب خيرهم وهذا هو لكامل غالبا على التعبير قبل وجود الاذن فيه فان اردت
السلامة من الكذب مع الله والحصول على حقيقة الصدق معه فلا تمدن
يدك الى الاخذ من الخلائق بسبب او بلا سبب منك حتى ترى ان المعطي فيهم
مولاك فان منعوك لم تتهمهم على ما صدر وان اعطوك لا تراهم معطون لمطهر
بل يكونون عندك في المنع والاعطا سوا تثني عليهم ان احسنوا اتباعا لامر مولاك
وخروجا من رق احسان غيره وتسلم لهم ان منعوا اتكالا على فضله وبره
عالما ان ما سبقت به القسمة لا بد منه وما لم يقسم لا وصول له فقد قال
الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رحمه الله اجمع العلما على ان الحلال المطلق
ما اخذ بيد الله بسقوط الوسايط وقال يحيى بن معاذ رحمه الله من
لم يستفتح المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين وقال بعض الفقرا
لبشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه يا ابا نصر انقبضت عن اخذ البر من ايدي

الخلق

الخلق لاقامة الجاه فان كنت متحققا بالزهد منحرفا عن الدنيا فخذ من
ايديهم لتخل جاهك عندهم واخرج بما يطعمونك الى الفقرا وكن بعقد التوكل
تاخذ قوتك من الغيب فقال بشر اسمع ايها الرجل الجواب الفقرا
ثلاثة فقير لا يسال وان اعطي لا ياخذ فذاك من الروحانيين اذا سال
الله اعطاه وان اقسم على الله ابر قسمه وفقير لا يسال وان اعطي قبل
فذلك من اوسط القوم عقده التوكل والسكون الى الله وهو ممن توضع له
الموايد في حضيرة القدس وفقير اعتقد الصبر وموافقة الوقت فاذا
طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله بالسوال فكفارة سواله
صدقه فقال الرجل رضيت رضي الله عنك انتهى والمقصود ان تكون
مكتفيا بالله دون ما سواه فان كنت كذلك فخذ ولكن لا تاخذ الا ما وافقك
العلم على اخذه بشرط ذلك وما لم يوافقك العلم على اخذه فلا تاخذه وللاخذ علم قبله
وعلم حالة التلبس به وعلم بعد وجود الاخذ فمقتضى العلم قبل الاخذ ثلاثة
امور احدها الماخوذ في نفسه بحيث يعلم اصله ويجهل جهلا لا يغلب
على الظن حرمته معه الثاني ان يكون القصد في الاخذ من الله والمعاملة
في الاعطا مع الله الثالث ان يكون ذلك بوجه يبيحه الشارع وذلك
في اربعة امور البيع والاجارة والصدقة والهبة فاما البيع فشرايطه
اربعة استوا علمهما بالسلعة والثمن قدرا وصفة وكونهما مما يباح التعامل
به وفيه وله وحب كل منهما لاخيه ما يحبه لنفسه والصدق في الاخبار
والمفاوضة واما الاجارة فشرايطها اربعة العلم بقدر العمل والاجرة
وكون ما عقدت عليه مما يباح فيه والنصح في العمل على الاجير والوفا
بالاجرة على المستاجر واما الصدقة فشرايطها اربعة قصد وجه الله

والدار الاخرة علي المعطي وطيبة النفس في اخراجها من طيب واصابة الحق
اخذها علي المعطي له وشكر لمن اعطاها اخو وجا من منته ٥ واما الهدية
فشرايطها اربعة سلامة المهدي له من حق المهدي وان يقصد بها
التوادد والتحابب والمكافاة عليها والسلامة من التهم في قبولها واعطايها
فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من يشفع لاخيه شفاعة
فاهدي له من اجلها هدية فقد فتح علي نفسه بابا عظيما من الربا وقال
عليه السلام من اسدي اليكم معروفا فكافيوه فان لم تجدوا فادعوا له وقال
عليه السلام ان الصدقة لا تحل لغني ولا ذي مرة سوي ٥ وقال عليه
السلام من وجه الله له شيا من الرزق من غير مسلة ولا اشراف فلياخذه
وليتوسع في رزقه فان كان عنه غنا فليدفعه الي من هو احوج منه وكان
صلي الله عليه وسلم يعطي عمر العطا فيقول له اعطه من هو افقر مني فيقول
عليه السلام خذه فتموله او تصدق به وما جاك من هذا المال وانت غير مستشرف
ولا سايل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك ٥ وقال سري لاحمد بن حنبل
رضي الله عنهما يا احمد احذر افة الرد فانها اشد من افة الاخذ وعن النبي صلي الله عليه وسلم
من اتاه الله رزقا من غير مسلة فرده فانما يرد علي الله واهدي له عليه السلام
سمن واقط وكبش فاخذ السمن والاقط ورد الكبش وقال عليه السلام
المسلة كلها كدوح في الوجه الا ان يسال الرجل ذا سلطان تمت وقد
اختلف طرق القوم في الاخذ من ايديهم مع شرط ذلك وهو السلامة من
الميل اليهم بترك الحق والقيام مع غيره فمن اخذ وسع ومن تارك متورع وقد
اتفق ان بعض ملوك بلادنا اعطي سيدي ابا عبد الله بن عباد رحمه الله
كسوة فقبلها واعطي سيدي عمر بن جراح رحمه الله اخري فلم يقبلها
فسال

فسال عن ذلك بعض اهل الوقت فقال اجاز قلب الملك ولجبا جميع
العقلا والورع مستحب ومن تعلق بالواجب اتم حالا ممن تعلق بمندوب
وكان سيدي محمد بن ابي جمرة لا يقبل من احد شيا وسيدي
ابو العباس المرشدي يقبل ممن جابيه وكان بعض الناس تكلم
بالتفرق بينهما فبلغ ذلك بن ابي جمرة رحمه الله فقال رحمه الله
لا فرق بيننا غير اني قبضني الورع والشيخ ابو العباس بسطه العلم
وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه للناس اسباب وسببنا
الايمان والتقوي قال الله تعالي ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السما والارض ٥ وقال ابراهيم الخواص رحمه الله
لا ينبغي للصوفي ان يقعد عن الكسب الا ان يكون رجلا مغلوبا قد اقعده
الحال عن المكاسب واما من كانت به الحاجات قايمة ولم يقع له عزوف
يحول بينه وبين التكلف في العمل اولي به والكسب يبيح احل له وابلغ
لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف وكان راس مال عتبة الغلام
رضي الله عنه قيراط يشتري به خوصا فيعمل ما يبيع بثلاثة قراريط
فياكل قيراطا ويتصدق بقيراط ويشتري بالثالث خوصا ٥ وقد قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب خير له
من ان يسال رجلا اعطاه او منعه الحديث انتهي ٥ وهذا باب
عظيم مستوفي في كتب الايمة كالاحيا وقوت القلوب ونحوها واعلم ٥
ان من علم جلال الحق لم يعرج علي غيره بل ربما استحيا العارف
ان يرفع حاجته الي مولاه اكتفا بمشيته واعتمادا علي قسمته
واذا كان كذلك فكيف لا يستحيي ان يرفعها لخلقه اعتبارا
بنعت كل منهما وصفته اذا كان لا يرفعها لكريم غني حيي عزيز جليل
فكيف يرفعها لعبد ليم فقير ذليل ٥ وقد سيد الواسطي رحمه الله

ان يدعوا فقال الحشي ان ادعوا فقال لي ان سالتنا مالك عندنا
فقد اتهمتنا وان سالتنا ما ليس لك عندنا فقد اسات الادب
والثنا علينا وان رضيت اجرينا لك في الامور ما قضينا لك في
الدهور ، وقال ابن منازل رحمه الله ما دعوت الله منذ
خمسين سنه وما اريد ان يدعو لي احد لانه ماض على ما سبق ٥
وسئل الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه عن الكيميا فقال
اخرج الخلق من قلبك واقطع طمعك من ربك ان يعطيك غير ما
قسم لك ٥ وقال الشيخ ابو علي الدقاق رحمه الله علامة المعرفة
ان لا تسال حوائجك كلها الا من الله سبحانه قلت او كثرت مثل موسى
عليه السلام اشتاق الى الروية فقال ربي ارني انظر اليك واحتاج
يوما الى رغيف فقال ربي ارني انظر اليك فقال رب اني
لما انزلت الي من خير فقير ومن قصيدة انشاها المولف لنفسه
في التوبير ٥ الله يعلم انني ذو همة تابى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا اصون عن الورى ديباجتي واريهم عز الملوك واشرفا
اديهم اني الفقير اليهم وجميعهم لا يستطيع تصرفا
ام كيف اطلب رزقه من غيره هذا لعمري ان فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف الى مثله عجز اقام بحامليه على شفا ضعيف
فاسترزق الله الذي لحسانه عم البرية منة وتلطفا
والجا اليه بجد فيما ترتجي لا تعد عن ابوابه متحرفا
الهي ما اجلك وما اعظم شانك وما اعزك في سلطانك
فبحق عزك في ازلك وابدك لا تصرف وجهي لغيرك واعصمني
من مخالفة امرك وارض عني بغير سخط وعاملني بفضلك
في جميع الاحوال وكل من تعلق بي بوجه من الوجوه برحمتك يا ارحم الراحمين

وقال

213

وقال رضي الله عنه اذا التبس عليك امران واجبان او
مندوبان لا بد من انفراد احدهما فانظر اثقلهما على النفس
من قبل الطبع فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا هذا حال
غالب النفوس الا من عصمه الله ببصيرة نافذة او عادة جارية
فليعمل على عادته مع الحق في ذلك وليقدر نزول الموت به في تلك
الحال فان لم ينزعج فهو حق والا فباطل لان الموت حق لا يثبت
مع وجود باطل ٥ قال في لطايف المنن وقد تحاورت الكلا
انا وبعض من يشتغل بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه وانه لا لا يراد
به الا الله ٥ فقلت الذي يطلب العلم لله اذا قيل له غدا تموت لا يضع
الكتاب من يده انتهى قلت وانما لا يضع الكتاب لكونه وفي الحقوق
فلم ير افضل مما هو فيه فيحب ان ياتيه الموت على ذلك ومن هنا
يظهر ان من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات
والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق الا من
عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالاوراد الكثيرة والنوافل الحديثة الثقيلة
ولا يقوم بفرض واحد على وجهه ٥ وقال محمد بن الورد رحمه الله هلاك
الناس في حرفين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل الجوارح بلا مواطاة
القلب وانما حرموا الوصول بتضييعهم الاصول ٥ وقال بعض العلما
من كانت النوافل اهم عليه من الفرايض فهو مخدوع ٥ وحكي عن ابي
محمد المرتعش رحمه الله انه قال حججت حجات على قدم التجريد فسالتني
امي ليلة ان استقي لها جرة فثقل ذلك علي فعلمت ان مطاوعة نفسي
في الحجات كانت بحظ مشوب للنفس اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب
عليها ما هو حق في الشرع انتهى ٥ ثم اعلم انه سبحانه قيد الطاعات
باعيان الاوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف فتترك معاملته

بطرا وبطالة واتباعا للهوى بغير دليل ووسع الوقت عليك
كي تبقي حصة الاختيار فلا تضيق ما وسع عليك بالاشتغال
بما لم يامرك به من الفرض على اتم وجوهه وقد علم الحق تعالى
قلة نهوض العباد الى معاملته التي لا مصلحة لهم في الدارين الا بها
فاوجب عليهم وجود طاعته ورتب عليها وجود ثوابه وعقوبته
فساقهم اليها بسلاسل الايجاب اذ ليس فيهم من المروءة ما يردهم اليه
بلا علة هذا حال اكثر الخلق بخلاف اهل المروءة والصفا وذوي
المحبة والوفا الذين لم يزدهم التكليف الا شرفا في اعمالهم وزيادة في نوالهم
ولو لم يكن وجوب لقاموا للحق بحق العبودية ورعوا ما يجب ان يراعى من حرمة
الربوبية حتى ان منهم من يطلب لدخول الجنة فياتي ذلك طلبا للقيام
بالخدمة فتوضع في اعناقهم السلاسل من الذهب فيدخلون بها الجنة فيقال
ولهذا يشير عليه السلام بقوله عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل فقوله عجب يحتمل ان يكون بمعنى اعجب ويحتمل
ان يكون العجب صفة سمعية كساير الصفات السمعية يقال
فيها ما قال مالك رحمه الله في الاستوا اذ قال الاستوا معلوم والكيف
غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة قال ابو النجيب
السهروردي رحمه الله هذا هو مذهب الصوفية في ساير الصفات السمعية
انتهى معناه ثم انك اذا تاملت رايته انه تعالى اوجب عليك وجود طاعته
في ظاهر الامر وما اوجب عليك بالحقيقة الا دخول جنته اذ الاعمال
اليها والاسباب عدمية قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
قيل جنة معجلة وهي جنة المعارف والعلوم وجنة موجلة وهي
الموعود في دار القرار وفي البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جنتان انيتهما وما فيهما من ذهب وجنتان انيتهما وما فيهما

من فضة انتهى فان تعلقت النفس عن التشمير بما هي عليه من الاستغراق
في كل دني وحقير فاعلم ان من استغرب ان ينقذه الله من شهوته
التي اعتقلته عن الخيرات ان يخرجه من وجود غفلته التي شملته
في جميع الحالات فقد استعجز قدرة الالهية ومن استعجزها
فقد كفر او كاد ودليل ذلك ان الله تعالى يقول وكان الله على
كل شي مقتدرا فابان سبحانه ان قدرته شاملة صالحة لكل شي
وهذا من الاشيا وان اردت الاستعانة على تقوية رجايك في ذلك
فانظر حال من كان مثلك ثم انقذه الله وخصه بعنايته كابراهيم
ابن ادهم وفضيل بن عياض وابن المبارك وذي النون ومالك بن دينار
وغيرهم من مجرمي البداية ثم اذا عرضت لك شهوة او غفلة فلا تنقطع
اليها والتفت لما فيها من الحكمة فربما وردت الظلم التي هي الغفلات
والشهوات عليك ليعرفك قدر ما من به عليك فتشكره على ما كان
اولاك بواسطة ما به في هذه تولاك فقد قيل انما يعرف قدر الما
من بلي بعطش البادية لا من كان على شاطي الاودية الجارية وقيل
ايضا الولد العاق المصر على جنايته انما يعرف قدر الاب يوم وفاة
ابيه انتهى ثم زاد المولف بيانا شاملا فقال من لم يعرف قدر
النعم بوجدانها عرف بوجود فقدانها حتى يرجع الى مولاه بواسطة ما به
كرها اذ لم يقبل عليه طوعا قال سري رضي الله عنه من لم
يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقال الفضيل رحمه الله
اذا كانت النعم وسيمة فاجعل الشكر لها شكيمة انتهى فاذا اردت
القيام بواجب حقه تعالى في الشكر فلا تدهشك واردات النعم
بكثرتها وتداخلها وتسلسلها عن القيام بحقوق شكرك اعتبارا
بوصفك فان ذلك مما حط من وجود قدرك عند ربك نعم وهو متولد

من نظرك في شكرك الي نفسك والعمل علي مقابلة نعمه تعالي
به وهذا متولد من القول بانه واجب بالعقل وهو بعيد من الحق
والحق ان تعمل لله بما امرك به في نعمه بحيث لا تعصيه بها وتحمده عليها
معتقدا انه يقبل اليسير ويعطي الكثير بلا علة ولا سبب وانما اقام الاسباب
حفظا لحرمة الربوبية وتحقيقا لك في العبودية وكل ذلك من مقتضي اسمه
الحكيم وقد روي ان الله تعالي اوحي الي داود عليه السلام اني اعطي
الكثير وارضي باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني وروي
ان داود عليه السلام قال الهي كيف اشكرك والشكر نعمة منك
علي قال الان شكرتني يا داود وقال سهل رضي الله عنه ما من نعمة
الا والحمد افضل منها والنعم التي الهمها الحمد افضل من الاولي لان الشكر يستوجب
المزيد انتهي وانما يوجب مثل تعذر الدهش تمكن حلاوة الهوي من القلب
اذ هي موجب الركون الي البطالات والتعلل بالعلل والافات والنظر الي مساوي
الامور حتي تكسل النفس عن مبادرتها وذلك هو الداء العضال الذي لا يقدر
علي زواله دواء ولا مداوي حسبما اشار اليه الحق سبحانه في قوله تعالي
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله علي علم الي فمن يهديه من بعد الله
وقال رسول الله صلي الله عليه الشهوة والهوي يغلبان العقل والعلم
والبيان وقال بعض السلف رحمه الله نحت الجبال بالاظافر
ايسر من زوال الهوي اذا تمكن انتهي واذا كان لا يخرج الشهوة
التي هي فرع الهوي من القلب الا خوف مزعج لا يقر معه قرار او
شوق مقلق لا يصح معه استقرار وقد ليس للعبد فيهما اختيار فكيف
بالهوي اذا تمكن وانما كانا لنفي الخوف والشوق بهذه الصفة لانهما
من بساط الحق اذ لا ينشأ الا عن شهود جلال او جمال وما كان من بساط
الحق لا يقوم له شي وما يوجب لك لئلا تنزعاج عن غيره ان تعلم انه لا يجب

215
ان يكون فيك شرك لغيره فهو تعالي كما لا يحب العمل المشترك بالالتفات
لغيره نفسا كان او غيرها كذلك لا يحب القلب المشترك بمحبة غيره
من شهوة او غيرها العمل المشترك لا يقبله اذ ليس بخصاصة ولا اخلاص له
وهو اغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معه غيري تركته وشركه
حسبما اخبرنا بذلك نبيه صلي الله عليه وسلم فيما يرويه عنه والقلب المشترك
لا يقبل عليه لانه لا يحب ما كان له ان يكون لغيره قال محمد بن حسان
رحمه الله بينا انا ادور في جبل لبنان اذ خرج علي شاب قد احرقته السموم
والارياح فلما راني ولي هاربا فتبعته وقلت عظني بكلمة انتفع بها قال
احذره فانه غيور لا يحب ان يري في قلب عبده سواه انتهي وهو غاية التحقيق
وبالله التوفيق وقال رضي الله عنه انوار اذن لها في الوصول
الي ظاهر القلب توصلت اليه ولم تدخل وانوار اذن لها في الدخول
الي باطن القلب فدخلت الي سويدائه فالاول يوجب الايمان والثاني
يوجب الايقان الاول يذكر بالله والثاني ينهض الي الله قال
بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للاخرة والدنيا
وكان مرة مع الله ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان باطن القلب ابغض العبد
دنياه وهجر هواه انتهي ثم بعد هذا فربما وردت الانوار لتصل للقلب
او تدخله فوجدت القلب محشوا بصور الاثار من الشهوات والعادات
وغيرها فارتحلت من حيث نزلت ورجعت من الطريق الذي منه اقبلت
اذ وجدت المحل غير قابل بما فيه من القبائح والرذائل والامور لا تتوقف
علي علة ولا سبيل كما قيل حاشاهم ان يجرموك وانما
محو الوصال من استقام واهتدي فاذن فرغ قلبك من الاغيار بالتخلي عنها
والتحلي باضدادها تملاه بالمعارف والاسرار التي هي نتائج ما وقع به التخلي
فقد روي ان الله تعالي اوحي الي عيسي عليه السلام اني اذا اطلعت علي قلب

عبدي فلم اجد فيه حب الدنيا ولا الاخرة ملاته من حبي اشي ٥ فاذا نفرر
هذا فلا تستنبط منه النوال ولكن استنبط من نفسك وجود الاقبال
واعتبر بما وقع لبعض من فهم عن قايل يقول يا سعتر بري ٥ وذلك ان ثلاثة
خرجوا فسمعوا قايلا يقول يا سعتر بري ففهم احدهم إسْعَ تَرَى بِرِّي ٥
وفهم الثالث وَاسِع تر برى فكل فهم على حسب مقامه ٥ فاما الاول
فكان بطالا فقيل له اسع ترى بري ٥ واما الثاني فكان ممن طالت عليه
المجاهدة وقنط من نفسه ففرح بما سمع ٥ واما الثالث فكوشف بالكرم
اذ كان مقامه حسن الظن بربه ٥ وهذه الحكايه اوردها باختصار من
لطايف المنن ٥ فاذا اردت الاقبال عليه فاعلم ان الحقوق قسمان حقوق
في الاوقات وهي وظايف العبادات الظاهرة كالصلاة والصوم والحج
ونحو ذلك وهذه حقوق يمكن قضاوها اذا فاتت واستدراكها اذا
تاخرت لاتساع ازمنتها واختصاصها بوقت دون وقت وحقوق الاوقات
التي هي الاحكام الباطنة الجارية مع الانفاس بحسب ما يصدر من الحالات
لا يمكن قضاوها لتدافع اوقاتها وتتابع سوحاتها ٥ فان اردت القيام
بحقوق الاولى فقدمها في اوايل اوقاتها واياك وتركها والاهمال الى فوات
بعض الوقت ٥ واذا اردت القيام بحقوق الثانية فراقب انفاسك
واحكم عليها بما يصدر ذلك منها ٥ فقد قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه
اوقات العبد اربعة لا خامس لها ٥ الطاعة والمعصية والنعمة
والبلية ٥ ولكل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك
بحكم الربوبية ٥ فمن كان وقته المعصية فسبيله وجود التوبة ٥ ومن كان
وقته الطاعة ٥ فسبيله شهود منة الله عليه ان هداه لها ووفقه للقيام
بها ٥ ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ٥
ومن كان وقته البلية فسبيله الرضي والصبر والصبر مشتق من الاصطبار

وفهم الثاني اسع ترى بري

وهو

وهو العوض للسهام فكان الصابر ينصب نفسه عرضا لسهام القضا
والصبر ثبات القلب بين يدي الرب ٥ وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اعطي فشكر وابتلي فصبر وظُلِم فغفر وظَلم فاستغفر ثم سكت
قالوا ما ذا له يا رسول الله ٥ قال اوليك لهم الامن وهم مهتدون ٥
لهم الامن في الاخرة وهم مهتدون في الدنيا انتهى كلام الشيخ ابو العباس
على شك في لفظه ٥ وقد بان بما تقرر ان الاوقات كلها لله اذ ما من وقت
يرد ولو كان نفسا واحدا الا ولله عليك فيه حق جديد هو شكره على
خروج ذلك النفس وامر اكيد وهو ما يوجبه ذلك الوقت من الحكم المقتضي
لوقت شكره على ذلك النوع من الاحكام الاربعة والحقوق الموقتة ٥ واذا كان
الامر كذلك فلم تقض فيه حق غيره من نفس وغيرها وانت لم تقض حق الله فيه
وهو القيام بما يطلب من الخدمة وحفظ وجود الحرمة ما ارى ذلك الا لشمول
الغفلة والاغترار بوجود المهلة ولو علمت ان ما فات من عمرك لا عوض له لم يقع
منك غفلة ولا اهمال ولكنت تاخذ بالعزم والحزم بحيث تبادر الاوقات
وتراقب الحالات خوف الفوات عاملا على قول القايل ٥
٥ السباق السباق قولا وفعلا ٥ حذر النفس حسرة المسبوق ٥
وما حصل منه اذا علمت انه لا قيمة له كنت تستغرق اوقاتك في
شكر الحاصل وتحصيل الواصل ٥ فقد قال علي كرم الله وجهه
بقية عمر المرء ما لها ثمن يدرك بها منه ما فات ويحيي ما مات
وقد نظمه بعض الشعرا فقال
٥ بقية العمر عندي ما لها ثمن ٥ وان غدا غير محسوب من الزمن ٥
٥ يستدرك المرء فيها ما افات ويحيي ٥ ما امات ويمحو السوء بالحسن ٥
وفي الحديث ما من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله فيها الا كانت عليه
حسرة يوم القيمة ٥ وقال ابو علي الدقاق رضي الله عنه ٥ روي بعضهم

مجتهدا فقيل له في ذلك فقال من اولى مني بالجهد وانا اطمع ان
الحق بالابرار والكبار من السلف ٥ قال الله تعالى في ذلك
تاليتنا فسر المنا فسون انتهى ح وانما يعينك على مراقبة اوامرك
لله بلا علة حبك اياه لانك ما احببت شيا الا كنت له عبدا اذ
لا يمكنك التصرف الا على مقتضى مراد محبوبك ابتا المحبة ان
تشتغل بحبا لغير محبوبه وهو لا يجب ان تكون عبدا لغيره اجلالا
لقدرك لا لحاجة منه لك فكما لم يرض لك بغيره لا ترضى لنفسك ان
تكون عبد السواه ٥ قال محمد بن السماك رحمه الله كتب الي اخ
لي ان استطعت الا تكون لغير الله عبدا ما وجدت من العبودية
له بدا فافعل ٥ وقال الجنيد رحمه الله انك لن تكون على الحقيقة
له عبدا وشي مما دونه لك مسترقا وانك لن تصل الى صريح العبودية
الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية ٥ وسيل عن من لم
يبق عليه من الدنيا الا مص نواة فقال المكاتب عبد ما بقي عليه
درهم انتهى ٥ وانما قلنا انه يجب عبوديتك له اجلالا لقدرك لا لحاجة
منه لك لانه لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك اذ هو الغني على الاطلاق
القادر بلا عجز القوي بلا ضعف العزيز بلا ذل الذي لا يحتاج الى وزير
ولا ظهير ولا يفتقر الى معين ولا مشير يفعل ما يشا بلا علة ويحكم ما يريد
ولا راد لحكمه فلله وانما امرك بهذه يعني الطاعات ونهاك عن هذه
يعني المعاصي لما يعود اليك من فوايدهما المرتبة عليهما حسب ما اقتضته
حكمته واوجبته رحمته اذ لم يامر عباده بشي ولا نهاهم عنه الا لمصلحة
لهم عاجلة او اجلة ٥ قال في لطايف المنن ولسنا نقول كما قال من عدل
به عن طريق الهوى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل انما نقول
ذلك عادة الحق وشرعته المستمر فعلها مع عباده على سبيل التفضل

فليت

217

فليت شعري اذا كان الواجب على الله مراعاة مصالح عباده فمن هذا
الموجب عليه ثم انا نظرنا فراينا كل ما هو مامور به او مندوب اليه
يستلزم الجمع على الله وكل منهي عنه او مكروه يتضمن التفرقة عنه
فاذا مطلوب الله من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي اسباب
الجمع ووسايله فلذلك امر بها والمعصية هي اسباب التفرقة ووسايلها
فلذلك نهى عنها انتهى ٥ ثم هو تعالى كما وصف بالغنا المطلق موصوف
بالعز المطلق فكما لا ينفعه ولا يضره فعل احد بوجه ولا مجال لغناه
لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص عن عزه ادبار من ادبر عنه
اذ صفاته لا تتغير كما ان ذاته لا تتغير ولو جاز عليه التغير في صفاته
لدل ذلك على حدوثه تعالى الله عن ذلك وتقدس ٥ ثم اعلم ان الوصفين
المشار اليهما اعني الغنى والعز اليهما يرجع جميع معاني الاسما والصفات
فتامل ذلك تجده وبالله التوفيق ٥ وقال رضي الله عنه وصولك الى الله
وصولك الى العلم به على وجه ليسقط فيه الاستدلال وتبدو العظمة
والاجلال حتى تعرف انه اجل من ان يعرف واعظم من ان يحد او يكيف
بل يعرف العبد في حقيقة العجز في عين البيان و يتعلق بوصفه
وهو الجهل في عين العيان متحققا ما قاله الصديق الاكبر ابو بكر
الصديق رضي الله عنه اذ قال سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا
الى معرفته الا بالعجز عن معرفته ومستمدا مما قاله سيد المرسلين ٥
لما وجه بالسر الاعظم اذ قال لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك
بل يظهر ما في ضمن كلامه عليه السلام بقوله انت اجل من ان يثني عليك
الله اكبر من ان يحاط به او يدرك هذا هو الوصول المشار اليه عند القوم
والا فجل ربنا ان يتصل بشي او يتصل به شي ٥ لان الاتصال والانفصال
من سيمات الحوادث وما لا يجري على الحوادث لا يسبقها وما لا يسبقها

والموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثه م

كان حادثا مثلها تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد قال
الجنيد رحمه الله متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير
هيهات هذا الظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا
احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان انتهى وكذا قربك منه انما هو
ان تكون مشاهدا لقربه منك كما يليق بجلاله الكريم من التنزيه عن قرب
المدانات وانطوا المسافات اذ ذلك محال عليه تعالى والى هذا اشار بقوله
والا فمن اين انت ووجود قربه اذ انت عبد وهو رب وبين الرب
والعبد ما بين الناقص من كل وجه والكامل من كل وجه ثم اذا تاملت القرب
والبعد رايتهما عايدين لك بحيث توجهت للخلق كنت بعيدا واذا توجهت
للحق كنت قريبا كما اخبر به تعالى في كتابه بقوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد الى غير ذلك
ومن دعا الشيخ ابي العباس رضي الله عنه يا قريب انت القريب وانا البعيد قربك
ايئسني من غيرك وبعدي منك ردني للطلب منك فكن لي بفضلك حتى تمحوا
طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز انتهى ثم الحقايق التي تفيد العلم بالله
وبما يقرب منه اذا وردت ترد في حين التجلي مجملة لا يعرف لها دليل
ولا يعرض لها تاويل لكن يقبلها القلب ويبتهج لورودها اللب وبعد
الوعي يكون البيان لمعانيها والظهور لادلتها حتى يبين لها من الوجود
ما لا يخطر ببال ومن الادلة ما لا يشعر بها ورود هذا الحال فاذا وردت
عليك حقيقة فاصبر لها ولا تقابلها بعقلك فينطفي سراج معرفتك
واقبلها كما جات فاذا تمكنت من القلب ووعاها السر فاطلب معانيها
وادلتها قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام تعليما لكيفية تلقي
وحيه لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه
فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه قال ابن عباس جمعه في صدرك ثم تقراه

ميسرا

ميسرا ثم ان علينا بيانه اي تفهيمه لمن لا يفهمه وقد قال
ابو سليمان رضي الله عنه ان النكتة لتقع في قلبي من كلام القوم فتمكث
اياما فاقول لها لا اقبلك الا بشاهدي عدل كتاب او سنة وسيل
عبد الله بن طاهر البصري رحمه الله عن الحقيقة فقال الحقيقة
كلها علم فسيل عن العلم فقال العلم كله حقيقة وقال
رويم رضي الله عنه اصح الحقايق ما قارن العلم وقال الشبلي
رحمه الله الالسن ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق
فلسان العلم ما تادى الينا بالوسايط ولسان الحقيقة ما وصله الله
ما وصله الله الى الاسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس اليه طريق
انتهى ويشير بالخبر الى ما لا يمكن التعبير عنه من مواجيد القلوب
اذ لا يدرك الا بالذوق كحلاوة العسل ولذة الجماع ونحو ذلك واذا علمت
انك متى وردت الواردات الالاهية اليك هدمت العوايد عليك
لم تصح منك ملاقاة لها بالمعهود ولا تكلف في قبولها بمعدوم ولا موجود
ودليل كونها هادمة للعوايد قوله تعالى في قصة بلقيس ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها اي غيروا احوالها عما هي عليه وهم لا يتولون
ذلك بانفسهم لكنه نسب اليهم ما نشا عن امرهم ولذلك اذا وردت الواردات
الربانية على القلوب الممتلية اخرجت منها كل صفة ردية واكسبتها كل
خلق زكية وفي معنى ذلك انشد الشيخ ابو العباس رضي الله عنه

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت ... ارض النفوس ودكت الاجبال
لرايت شمس الحق يسطع نورها ... يوم التزلزل والرجال رجال

وعلة كون الواردات هادمة للعوايد هو ان الوارد ياتي من حضرة القهار
لا يثبت عند ظهوره شي فلاجل ذلك لا يصادمه شي الا دمغه اي اصابه
في دماغه فاتلفه ولهذا قالوا اذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين

قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
اي ذاهب متلوف فان الحق لا يقوم له شي ؛ قيل لبعضهم من اين
تاكل قال من عند الله قيل له اينزله عليك من السماء قال
لو لم يكن الارض له فقال له السايل لا يقوم لكم احد بحجة قال
الحق لا يقوم له شي انتهى ؛ ومن حقايق الوصل ان ترا الحق اظهر من ان
يستدل عليه واعز من ان تهتدي الاشارة اليه فيقول ما قاله
اهل المعرفة والوصول كيف تحتجب الحق بشي والذي يحتجب به هو
فيه ظاهر اذا ظهر وموجود حاضر معه اذ قهره بالعجبا كيف يختفي
من ابانه في كل شي بل يختفي بل يعين كل شي شاهدة بوجود عينه وفي معنى
ذلك قيل م عجبت لمن يبغي عليك شهادة ؛ وانت الذي اشهدته كل شاهد
قال في لطايف المنن فارباب الدليل والبرهان عموم عند
اهل الشهود والعيان فمتى سوا الحق في ظهوره ان يحتاج الى دليل يدل
عليه وكيف يحتاج الى دليل من نصب الدليل وكيف يكون معرفا به
وهو المعرف له انتهى ؛ ومالك بعض المريدين لاستاذه هذا فلان
يستدل على وحدانية الله بالف دليله قال يا بني لو عرف الله ما
استدل عليه ؛ وقد كان سيدي ابو عبد الله الواذلاوي رحمه الله
اذا جيته في بعض الاحيان ينشدني ابياتا لا ادري محفوظة عنك او نقي له

ما بدا فهو وجهه ... والذي غاب اعظم
فهو لا شك ظاهر ... وهو باد مكتم
لا تقل كيف لي به ... فيه عنه تفهم

واذا كان المولى معك حاضرا في كل حال وظاهرا مع كل ما يرد عليك
فاعتمد على فضله وكرمه اولى بك فاعتمد عليه بكل حال واعمل بما
تستطيع فان حضر قلبك والا فلا تياس من قبول عمل لم تجد فيه وجود

الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا وربما رد
ما ادركت ثمرته فاعتبر بمجرد قصد التقرب واعتمد على فضله فيما وراء
ذلك ؛ فقد قال الواسطي رحمه الله استحلاء الطاعات سموم
قاتلة ؛ قال في لطايف المنن وصدق الواسطي رحمه الله فاقل ما في
ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قايما فيها متطلبا
حلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها وتحب فيها الا قياما
بالوفا ولكن لما وجدت من الحلاوة والمنفعة فتكون في الظاهر قايما
لله وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك ان تكون حلاوة الطاعة
جزا تعجلته في الدنيا فتاتي يوم القيمة ولا جزا لك انتهى ؛ ثم اذا حضر
قلبك وصفى وارد ذلك فلا تركن وارد الا تعرف ثمرته من الاعتماد
على الله والاعراض عما سواه والانتها عن معصيته والاتباع لطاعته ؛
فليس المراد من السحابة الامطار اذ ربما كان وجودها عين الاضرار
وانما المراد منها وجود الاثمار ولذلك تحتمل ما فيها من المضار ؛ وهذا من
بديع الاستعارة ولطيف الاشارة واذا حصل للوارد ثمرة بحيث تنبسط
نوره ويظهر سره فادفع همتك عنه ولا تطلبن بقا الواردات بعد ان
بسطت انوارها واودعت اسرارها فصار الاقدام والاحجام على
حكمهما من غير تردد بل ارجع الى الله بالعبودية فان وجدتها قايمة
فاستغن بها في حضور الجمع على هواك فلك في الله غنى عن كل شي
من علم وعمل وحال ووارد وحقيقة وغير ذلك وليس يغنيك عنه شي
لثبوت غناه عن كل شي وعدم افتقاره الى شي وافتقار كل شي اليه ولو
شا لوهبك المملكة كلها ولم يكن ذلك كبيرا عليه ؛ قال في التنوير واعلم
ان الباري سبحانه انما يدخلك في الحال لتاخذ منها لا لتاخذ منك ؛ وانما
جات تحمل هدية التعريف من الله اليك فتوجه اليها باسمه المبدي

فابدا آها وابقاها حتي اذا وصلت اليك ما كان فيها فلما ادت
الامانة توجّد اليها باسمه المعيد فارجعها وتوفاها فلا تطلبن بقا
رسول بعد ان بلغ رسالته ولا امين بعد ان ادي امانته وانما يفتضح
المدعون بزوال الاحوال ويعزلهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار
ويهتك الاستار فكم من مدعي الغنا بالله وانما غناه بطاعته او نوره او
فتحه وكم من مدعي الاعتزاز بالله وانما اعتزازه بمنزلته وصولته على
الخلق معتمدا علي ما ثبت عنده من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل
وكما كان لك ربا ولا علة فكن عبدا له ولا علة لتكون له كما كان لك
انتهي فاذا تقرر هذا فتطلعك الي بقاء غيره دليل علي عدم وجدانك
له اذ لو وجدته لكنت تكتفي به عن غيره وقد سئل ابو سليمن رضي الله عنه
عن اقرب ما يتقرب به الي الله فقال اقرب ما يتقرب به الي الله تعالى
ان يطلع على قلبك وهو لا يريد من الدنيا والاخرة غيره انتهي ثم قال استيحاشك
بفقدان ما سواه دليل علي عدم وصلتك به لان المستانس به لا
يستوحش بوجود شيء ولا بفقده اذ هو يرد كل شيء اليه فيعول في كل شيء عليه
وقد قيل الوصول فوق المامول اللهم انسنا بقربك واملا قلوبنا
بحبك ولا تكلنا لاحد غيرك يا رب العالمين وقال رضي الله عنه النعيم
وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه اذ كل نعيم دون شهود
الحبيب عدم وكل عافية دون اقترابه الم والعذاب وان تنوعت مظاهره
انما هو بوجود حجابه ولولا ذلك لكان نعيما اذ شهود الجميل ينسي المحنة
ويشعر بوجود المنة واعتبر هذا بقوله تعالى فلما رايته اكبرنه وقطعن
ايديهن الاية فسبب العذاب وجود الحجاب حتي قال بعضهم انه
لو تجلي الحق سبحانه علي اهل النار لنسوا ما هم فيه من العذاب وقيل
في قوله تعالى والكافرون لهم عذاب شديد ان مفهوم خطابه ان المومنين

220

لهم عذاب لكنه غير شديد وذلك لان الكفار لا يشهدون المعذب
في العذاب بخلاف المومنين وهذا في حق من عذب من المومنين والله اعلم
واتمام النعيم بالنظر الي وجه الله الكريم علي الوجه اللائق بجلاله في الدار
الاخرة حسبما جا الوعد الصدق بذلك لا في الدنيا اذ غالب النصوص
يقتضي منع ذلك بل يكاد ان يقع الاجماع علي نفي وقوع ذلك ومنعه
شرعا وان جاز عقلا قال بعض العلما الحكمة في ان الله تعالى لا
يري في الدنيا عشرة اشيا احدها ان الدنيا دار اعدايه والدنيا جنة
الكافر الثاني صلاح العباد اذ لو ظهر للكافر لبطل فضل المومن ولو راه
المومن لقال الكافر لو رايته لعبدته ولو راوه جميعا لم يكن لاحدهما
مزية علي الاخر الثالث ان المحبة علي غيب ليست كالمحبة علي عين
والذين امنوا اشد حبا لله الرابع ان الدنيا اقبح المواضع والروية
اشرف الكرامات فلا مناسبة الخامس ان الدنيا محل المعيشة ولو
راوه الخلق لاشتغلوا عن معايشهم فتعطلت معايشهم السادس
انه جعلها بالبصيرة ولم يجعلها بالبصر ليري الملائكة صفا قلوب
المومنين السابع ليتفضل الاعمال وتظهر مقادير العباد لان من
خدم علي غيب ليس كمن خدم علي عين الذين يخشون ربهم بالغيب
الثامن ليظهر قدرها اذ كل ممنوع عزيز التاسع الالتذاذ والسرور
بها فعلى قدر الغيبة يكون سرور الاوبة العاشر انما منعها
رحمة بالعباد لما جبلوا عليه في هذه الدار من الغيرة اذ لو راه
احد تصدع قلبه من روية غيره اياه كما تصدع الجبل غيرة من
ان يراه موسى الا تراه عليه السلام كيف قال تبت اليك
يعني من طلب رويتك في الدنيا انتهي بالمعنى ولاجل كون الحجاب
سبب وجود العذاب قال المولف رحمه الله ما تجد القلوب

من الهموم والاحزان يعني عند فقدان مرادها وتشويش
معتادها فلاجل ما منعت من وجود العيان اذ لو عاينت جمال
الفاعل حمل عليها الم البعد كما اتفق في قصة النسوة اللاتي قطعن
ايديهن ٥ ويحكى ان شابا ضرب تسعة وتسعين سوطا فما
صاح ولا استغاث ولا تأوه فلما ضرب الواحدة التي كملت بها
المائة صاح واستغاث ٥ فتبعه الشبلي رحمه الله فسأله عن امره
فقال ان العين التي ضربت من اجلها كانت تنظر الي في التسعة والتسعين
وفي الواحدة حجبت عني ٥ وقد قال الشبلي رحمه الله من عرف الله
لا يكون عليه غم ابدا ثم اعلم ان من تمام النعم عليك ان يرزقك
ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك فتفرغ سرك من الفكرة في هم الرزق
وتريح قلبك من الاشتغال بالخلق مع ما في نقيض ذلك من الهموم
والاحزان والتزلزل الموجب لضعف الايمان في جانبي الزيادة والنقصان
اما النقصان فبين واما الزيادة فليقل ما تفرح به مثل ما تحزن عليه
ولتكثر ما تفرح به يكثر ما تحزن عليه ٥ ولهذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفي ٥ وخير الذكر الخفي ٥ وقال
عليه السلام ما طلعت شمس ولا غربت الا وبجنبها ملكان يناديان
يسمعان الخلائق غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى
خير مما كثر والهى ٥ وكان عليه السلام يقول اللهم اجعل قوت
ال محمد كفافا ٥ ويحكى عن بنان الحمال رحمه الله قال كنت
بمكة فبقيت مطروحا على باب بني شيبة سبعة ايام ولم اذق شيئا فنوديت
في سري من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله عين قلبه ٥ وقال
بعض العارفين من لم يعرف قدر ما زوي عنه من الدنيا باحد وجهين ابتلي
اما بحرص مع فقر ينقطع به حسرات او رغبة في غنى ينسيه شكر
النعم

ما النعم به عليه وفي المعنى انشدوا الم تر ان الدهر يهدم ما بنا
ويفسد ما اعطا ويسلب ما اعطى ويفسد ما اسدى
ومن سره ان لا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله فسادا اذا الانسان جاز له الحدا
وقيل لبعضهم لم لا تغتم قال لاني لا اقتني ما يغمني فقده وحكي
انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصعا بالجوهر
لم ير له نظير وفرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكما
كيف ترى هذا قال اراه فقرا حاضرا ومصيبة عاجلة قال
وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق
صرت فقيرا اليه وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة
والفقر فاتفق انه انكسر القدح يوما فعظمت المصيبة على الملك
وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا انتهى ٥ ومن صور ما يفرح به
وهو ايل الى الحزن ما اشار اليه بقوله ان اردت ان لا تعزل
فلا تتول ولاية لا تدوم لك وكل ولايات الدنيا كذلك ان لم تعزل
عنها بالحياة عزلت عنها بالممات ان رغبتك البدايات لنيل
اغراضك من الولايات وغيرها زهدتك النهايات لسرعة فقدها
وحسرتها وقد كتب علي رضي الله عنه وكرم وجهه لسلمان رضي الله عنه
انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عنها
وعن ما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت
من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها
كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه وفي المعنى لبعضهم
وما الخلق الا هالك وابن هالك ٭ وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ٭ له عن عدو في ثياب صديق

فحسب ماذكرناه ان دعاك اليها ظاهر اغترارا بما تستفيد منه
نهاك عنها باطن اعتبارا بمآل امرها وقبح حالها الا ترى الى قول
بعضهم تركت الدنيا لسرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها
وخسة شركائها وفي معنى ذلك قيل
ومن يحمد الدنيا بشي يسره . فسوف لعمري عن قريب يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة . وان اقبلت كانت كثيرا همومها
هذا ما شهد به حالها ودلت عليه افعالها وانما جعلها الحق
سبحانه محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها
حتى لا يمكنك استناد اليها ولا تعريج عليها وقد قيل ان
الله تعالى اوحى الى الدنيا تضيقي وتشددي على اوليائي حتى لا يشتغلوا
بك عني وتوسعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا يتفرغوا
لذكري انتهى وانما زهدك فيها بهذا الوجه لانه علم منك انك لا
تقبل النصح المجرد على التجربة المرجحة لنفي الوهم والشهرة
فقد مكنك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها فكان فعله
معك في ذلك كفعل الوالد مع ولده المغتر بظاهر الحية مع عدم
علمه بسمها وعدم قبوله خبر المخبر له بذلك الا تراه يذيقه الم
الضرب ليصرفه عن اعظم منه وهو الموت وقد قال ابو هاشم
الزاهد رحمه الله ان الله سبحانه وسم الدنيا بالوحشة لتكون انس
المريدين به دونها وليقبل المطيعون اليه بالاعراض عنها واهل
المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى الاخرة مشتاقون
انتهى وموجب الخشية الكاملة على ترك الدنيا هو العلم النافع الذي
ينبسط في الصدر شعاعه فينكشف عن حقيقة الدنيا والاخرة
بوجه يوجب الاقدام والاحجام وينكشف عن القلب قناعه حتى لا

يخفي

222 يخفى عليه شي ويتجلى فيه حقيقة كل شي قال الشيخ ابو عبد الله محمد
بن علي الترمذي الحكيم رضي الله عنه العلم النافع هو الذي قد تمكن
في الصدر وتصور وذلك ان النور اذا اشرق في الصدر تصورت
الامور حسنها وسيئها ووقع بذلك ظل في الصدر فهو صورة الامور
فياتي حسنها ويجتنب سيئها فذلك هو العلم النافع من نور القلب
خرجت تلك العلائم الى الصدر وهي علامات الهدى والعلم الذي
قد تعلمه فذلك علم اللسان وانما هو شي قد استودع الحفظ والشهوة
غالبة عليه قد اذهبت بظلمتها ضوءه وقال مالك رحمه الله ليس
العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله في القلوب وقال
ابن وهب ذكر طلب العلم عند مالك بن انس فقال ان طلب العلم
لحسن ان صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين
تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيا انتهى واذا
صح هذا وتقرر فاذا خير علم ما كانت الخشية معه وذلك ان الخشية
انما تنشي عن العلم بصفات الحق سبحانه والعلم يشرف بشرف معلومه
قال في لطائف المنن فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية
وشاهد الخشية مع موافقة الامر اما علم تكون معه الرغبة في
الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار
والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من
هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبيا وهل ينتقل الشي الموروث
الى الوارث الا بالصفة التي كان بها عند الموروث ومامثل من هذه
الاوصاف اوصافه من العلما الا كمثل الشمعة تضي على غيرها وهي تحرق
نفسها جعل الله تعالى العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا
في تكثير العقوبة لديه انتهى ثم قال العلم ان قارنته الخشية فلك

بلغ مقابلة علي حسب الطاقة

اجره وثوابه وحصول النفع به والا فعليك وزره وعقابه وقيام
الحجة به ٥ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران حجة لك
او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها ٥ وقال صلى الله
عليه وسلم من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا
من الدنيا لم يجد عرف الجنة اي ريحها ٥ وقال الاوزاعي رحمه الله
شكت النواويس ما تجده من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علما
السوء انتن مما انتم فيه ٥ وعن الفضيل بن عياض واسد بن الفرات قالا
بلغنا ان الفسقة من العلما ومن حملة القران يبدا بهم يوم القيمة
قبل عبدة الاوثان ٥ قال فضيل رحمه الله لان من علم ليس كمن لم
يعلم ٥ وعن ابي الدردا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اوحى الله تعالى الى بعض انبيايه قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون
لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش
وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر
اياي يخادعون وبي يستهزءون وعلي يجترءون لاتيحن لهم فتنة تذر
الحليم منهم حيران ٥ وفي الاخبار المروية عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القران الا رسمه
قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة بابدانهم شر من تحت السما
يوميذ علماوهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود ٥ وقال الفضيل رحمه الله
لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوا
العلم حيث انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا
وعز الاسلام واهله ولكنهم ذلوا انفسهم ولم يبالوا ما نقص من دينهم اذا سلمت
لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس فذلوا
وهانوا على الناس ولله در القايل ٥ ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ٥

ما طلب هذا العلم احد الا كان حظه منه ما اراده وقال الشيخ ابو الحسن

ولو عظموه في النفوس لعظما ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما
وقال الحسن رضي الله عنه العلوم كالدنانير والدراهم ان شا نفعك بها
وان شا ضرك معها ٥ وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه الفقيه
من انفقا الحجاب عن عيني قلبه ٥ وقال في التنوير والعلم النافع هو
الذي يستعان به على طاعة الله ويلزمك المخافة من الله والوقوف على
حدود الله وهو علم المعرفة بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما
به امر الله اذا كان تعلمه لله ٥ وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصرا على بعض الكباير وهو لا يعلم انتهى ٥
وعلامة خشية الله تعالى ترك العوايق الاربع ٥ الدنيا والخلق ومحاربة
النفس والشيطان ٥ فاما الدنيا فقد تقدم الكلام عليها ٥ واما الخلق
فاشار اليهم بقوله متى الملك اي اوجب لك المًا او كان ملايما لك عدم
اقبال الخلق عليك بالبر والمدح والاكرام او توجههم بالذم اليك فارجع
الى علم الله فيك فان علم منك ما يواجهونك به فاصبر على ستره اياك
فيما انت فيه وان علم منك خلافه فاشكره على ستره اياك عن فعل ما يوجب
نقصك عندهم ٥ لكن حكمك في الاول شهود المنة فقط ٥ وفي الثاني وجود
الاستغفار والتوبة ٥ وقد راى سهل رضي الله عنه رجلا من الفقرا
بمكة فقال له شيا فقال يا استاد لا اقدر على هذا من اجل الناس ٥
فالتفت سهل لاصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر
حتى يكون باحد وصفين حتى تسقط الناس من عينه فلا يرا في الدار الا هو
وخالقه فان احدا لا يقدر ان يضر ولا ينفعه او تسقط نفسه عن قلبه
فلا يبالي باي حال يرونه ٥ وقال ابرهيم التيمي لاصحابه ما تقول الناس
في ٥ قال يقولون انك مراي فقال الان طاب العمل ٥ قال

بشر الحافي والله بعلم الله فلم يجب ان يدخل مع الله غيره • وقال ملك
رحمه الله لبعض اصحابه ما تقول الناس في شيخك قال اما الصديق
فلا يقول الا خيرا واما العدو فكما علمت • فقال ملك رحمه الله نعوذ بالله
بتتابع الالسن انتهى على شك في لفظه • ثم كمل المولف ما ذكره فقال
فان كان لا يقنعك علمه فيك وكنت عاملا على احوالهم ملتفتا لما
يولجهك من افعالهم فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك
بوجود الاذى منهم اذا اذوك لان اذاهم يصيبك في بدنك وعدم قناعتك
بعلم الله يطفي نور قلبك • وقد قال بشر رضي الله عنه سكون القلب
الى قبول المدح له اشد عليه من المعاصي انتهى • ثم اعلم انه سبحانه
انما اجرى الاذى عليهم كي لا تكون ساكنا اليهم فزهدك فيهم بعالم
كما زهدك في الدنيا بتقلب احوالها • وقد قال بعض العارفين الصحة
من العدو سوط يضرب بها القلوب اذا سكنت غيره ولولا ذلك لرقد
القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم • وذكر بعضهم انه وجد
في رفايع الاسكندر مكتوبا بالذهب اذا كان الله هو غاية الغايات
فالمعرفة به اجل العبادات • واذا كان الموت حق فالركون الى الدنيا
غرور • واذا كان القدر حق فالحرص باطل • واذا كان الغدر في النفوس
طبعا فالثقة بكل احد عجزه • واذا كان الله تعالى عدل في احكامه
فعقوبات الخلق بما كسبت ايديهم • قال في لطايف المنن اعلم ان اولياء
الله تعالى حكمهم في بداياتهم ان يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتكمل
فيهم المزايا وكيلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد
ومن اذاك فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك فقد استرقك
بامتنانه • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم
معروفا فكافيوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب

من

من رق احسان الخلق وليتعلقوا بالواحد الحق انتهى وانما بالغ سبحانه
في تزهيدك في الدنيا والخلق اجلالا لقدرك اذ اراد ان يزعجك اليه
من كل شي يتسلط كل شي عليك حتى لا يشغلك عنه شي كاين من كان
ذلك الشي • وقد قال الجنيد رحمه الله لبعض اخوانه من اشار الى الله
وسكن الى غير الله ابتلاه الله وحجبه اي حجب ذكره عن قلبه واجراه على
لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن اليه ورجع الى ما اشار اليه كشف
الله ما به من المحن والبلوى وان داوم على سكونه نزع الله من قلوب
الخلق الرحمة عليه والبس لباس الطمع فتزداد رغبته فيهم مع فقدان
الرحمة من قلوبهم عليه فتصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده
اسفا • وقد قال ابو الحسن الوراق النيسابوري رحمه الله
الانس بالخلق وحشة والطمانينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز
والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم ضياع واذا اراد الله بعبد خيرا
جعل انسه به وبذكره وتوكله عليه وصان سره عن النظر اليهم وظاهره
عن الاعتماد عليهم انتهى • واذا بان مراد الحق من عباده جمعهم عليه
فليوجه العبد همته اليه فاذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك
فلا تغفل انت عمن ناصيتك وناصيته بيده وهو مولى الكل
الذي عمهم بلطفه وواجههم بعطفه فارجع اليه بالالتجا والافتقار
واظهار الفاقة • فقد قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه في قوله
تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ففهم قوم من هذا
الخطاب انهم امروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب
وقوم فهموا ان الشيطان لكم عدو وانا لكم حبيب فاشتغلوا
بمحبة الحبيب فكفاهم من دونه • وقال ابو حازم رحمه الله
ومن الشيطان حتى يهاب والله لقد اطيع فما نفع وعصي فما ضر

وقال ابو سليمن رضي الله عنه ما خلق الله خلقا اهون عليه
من ابليس لولا ان الله امرني ان اتعوذ منه ما تعوذت منه ابدا
وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الشيطان قديم وانت حديث
والشيطان كيس وانت سليم الناحية والشيطان لا ينساك وانت
تنساه وله من نفسك عليك عون ۞ وقال مالك بن دينار
رحمه الله ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المونة الا من عصم الله
وقال ذو النون رحمه الله ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان
الله تعالى يراه من حيث لا يرى الله فاستعن عليه بالله ۞ وقيل
صدر ابن ادم سكن له ومجراه من ابن ادم مجرى الدم وانت لا تقاومه
الا بعون الله ۞ قال الله سبحانه واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله ۞ وقال عز من قائل ان الذين اتقوا اذا مسهم
طيف من الشيطان تذكروا ۞ وقال عز وعلا ان عبادي ليس
ليس لك عليهم سلطان ۞ وقال جل وعلا انه ليس له سلطان على
الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ۞ وقيل لبعض المشايخ بم تدفع
ابليس قال لا ادفع من لا اعرف ۞ وقيل لبعضهم كيف مجاهدتك
للشيطان قال وما الشيطان نحن قوم صرفنا همنا الى الله
فكفانا من دونه وفي معناه انشد ۞ تسترت عن دهري بظل جناحه
فعيني ترى دهري وليس يراني ۞ فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت
واين مكاني ما عرفن مكانيا ۞ فسبحان من جعل بسبب رحمته
في عين وجود عذابه والموجب لوجود القرب منه عين الصارف
عن بابه اذ خلق الشيطان وجعله لك عدوا ليحوشك اليه
وحرك عليك النفس ليدوم اقبالك عليه فكلما تسلطا عليك رجعت
اليه بالافتقار وقمت بين يديه على نعت اللجا والاضطرار فقد قيل

ان

ان الشيطان والنفس بمثابة الكلب ان قاومته مزق الاهاب
وقطع الثياب وان رجعت الى ربه صرفه عنك برفق ۞ وقد قال
سهل رضي الله عنه ليس للعبد الا مولاه واحسن احواله ان يرجع
الى مولاه اذا عصى قال يا رب استر علي فاذا استر عليه قال
يا رب تب علي فاذا تاب عليه قال يا رب وفقني حتى اعمل
فاذا عمل قال يا رب وفقني حتى اخلص فاذا اخلص قال يا رب
تقبل مني انتهى على شك في الفاظه ۞ وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي
بني ادم ما دامت الارواح فيهم فقال الله له وعزتي وجلالي
لا ازال اغفر لهم ما استغفروني وهنا انتهى كلام المولف على
العوايق الاربع التي يقول فيها الشاعر

اني بليت باربع يرمينني ... بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ... يا رب انت على الخلاص قدير

واحسن رحمه الله في سياقها وتعليلها وذكر حكمة الله في
خلقها ووجه التخلص منها على طريق سهل ومنهج واضح وكلام
قليل جامع كما هي عادته في كل كلامه الذي يكاد ان يكون معجزا
بما احتوى عليه من المعاني التي لا يكاد يهتدى اليها في عبارات
لا انكار ولا اعتراض عليها ۞ وقد قال احمد بن سهل رضي الله عنه
اعداوك اربعة الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة والشيطان
وسلاحه الشبع وسجنه الجوع والنفس وسلاحها النوم وسجنها السهر
والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت انتهى ۞ وانما ذكرته تتمة
للفايدة وتنبيها على ان مجرد التعلق بلا عمل بطالة ففي صحيح مسلم ۞

انه عليه السلام قال احرص على ما ينفعك واستعن بالله الحديث
والله المعين والميسر لكل مراد فيه رضاه بلا مشقة ولا محنة
وهو حسبنا ونعم الوكيل وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا
فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمن اثبت التواضع
فقد اثبت تلك الرفعة اذ بضدها تتبين الاشيا فمتى اثبت لنفسه
تواضعا فقد اثبت لها شيا ارفع مما هي فيه حتى اتضعت عنه وحسب
ذلك فانت المتكبر ولو كنت في الظاهر في اقصى درجات التواضع
ومتى لم تر لنفسك قدرا بوجه ولا بحال فانت المتواضع وان كان
ظاهر حالك في اقبح درجات الكبر اذ التواضع امر قلبي حقيقته
عدم رؤية المرء نفسه اهلا لشي والكبر عكسه فليس المتواضع
الذي اذا تواضع راى انه فوق ما صنع وان كان من الرتبة في اعلا
الدرجات ثم للتواضع سببان احدهما معرفة المرء بنفسه والثاني
معرفته بربه وهذا الثاني اقوى من الاول لان فيه ما في الاول
وزياده ولذلك كان التواضع الحقيقي ما كان عن شهود عظمته
وتجلي صفته وذلك ان الحق اذا ظهر على العبد تلاشت اوصافه
حتى لا يبقى لها وجود فضلا عن ان يبقى لها موجود وليس الخروج عن
النفس لنفس كالخروج عن النفس لله لا يخرجك عن الوصف النفساني
على الحقيقة الا شهود الوصف الرباني المقابل له كما تقدمت الاشارة
اليه عند قوله ستر وصفك بوصفه وقد قال ذو النون رحمه الله
من اراد التواضع فليشخص نفسه الى عظمة الله تعالى فانها تذوب
ومن نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس
كلها حقيرة عند هيبته ومن اشرف التواضع ان لا ينظر الى نفسه
دون الله تعالى انتهى ولكون شهود الوصف هو الموجب للخروج

عن

عن الوصف كان المومن يشغله الثنا على الله عن ان يكون لنفسه
شاكرا اذ يرى مولاه هو اهل الشكر وحده دون ما سواه لما طالعه
من جماله ويشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا
لما افاده شهود ذلك الكمال من حبه وحب ما من قبله فاذا كمل ايمانه
وثبت ايقانه انتفى نظره عما من قبله ولم يلتفت لسواه في عمل اذ
ليس المحب على الحقيقة الذي يرجوا من محبوبه عوضا تمقتضى
نظره فان المحب من بذل الروح لمحبوبه ويستقلها ليس المحب من
يبذل له واذا عمل اعمالا يستكثرها فقيل لبعض المحبين المحبوبين
وقد بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له بقية
ما كان سبب حالك في المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق
لخلق تجملت في هذا البلا فقيل وما هي قال سمعت محبا خلا
بمحبوبه وهو يقول له انا والله احبك بقلبي كله وانت تعرض عني
بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فاي شي تنفق علي
فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي
حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق
وعبد لمعبود ولله در ابن الفارض رحمه الله حيث يقول
مالي سوى روحي وباذل نفسه في حب من يهواه ليس بمسرف
فلين رضيت بها لقد اسعفتني يا خيبة المسعى اذا لم تسعف
فانت ايها العبد اذا اردت الوصول الى محبوبك الاعلى فدع نفسك
في الحضيض الاسفل اذ لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السايرين
لا تمييز وصول الواصلين لان الحق سبحانه اقرب اليك من حبل الوريد
وليس عنك في حال ببعيد وانما البعيد عنه انت بما تراكم عليك
من اثار نفسك التي هي المعاصي والشهوات والتقييد بالعوايد والانس

على عمله او يطلب منه عوضا

بالغفلات وبرهان ذلك لانفود في المعقول من انه تعالى لا مسافة
بينك وبينه حتى يطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى
تمحوها وصلتك اذ ليس في جهة ولا مكان ولا يصح ان يتصف
بما يدل على الحدود والازمان فاجل مراتب قلبك باسقاط نفسك
تراه اقرب اليك من نفسك وفي معنى ذلك انشد من تحقق ما هنالك
على لسان الحقيقة فقال ـــــ اسمح بنفسك ان اردت لقاءنا
واحلف بنا ان لا تحب سوانا ٭ فاذا قضيت حقوقنا بامدعي
عاينتنا بين الانام عيانا ٥ فمن اراد الطريق الى الخروج عن نفسه
فليعلم ان اهل الطريق ثلاثة عباد ومريدون وعارفون فطريق
العباد كثرة الاعمال والتجنب من الزيغ والضلال وطريق المريدين
تخليص الباطن عن الشوائب والنفور عن المشغلات
والشواغب وطريق العارفين تخليص القلب لله وبذل الدنيا والاخرة
في طلب رضاه وهي اعلا الطرق واجمعها وتنبني على فاعدتين
معرفة العبد ربه وما هو عليه من صفات الجمال ونعوت الجلال
والكمال ومعرفته بنفسه وما هي عليه من الخسة وقبيح الخلال
ويتولد من هذه المعرفة شيئان محبة العبد لمولاه وشكره له على
ما اولاه اذ يرى نفسه اهلا لكل شر ومولاه اهلا لكل خير فينبسط
كل ما يستحسنه لسيده مستعملا احسن الادب معه في كل اوقاته
وذلك بان تحمد على ما دق وجل وتستغفره من تقصيره في شكره له
عليه ويتبرا من حوله وقوته له في ذلك كله وحسب هذا ان يكون
شعاره الحمد لله استغفر الله لا حول ولا قوة الا بالله في جميع اوقاته
وهو الذكر المنجي من عذاب الله في الدنيا والاخرة المقرب للفتح لمن لازمه
حسبما اشار اليه الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه وعليه احتوى سند

الاستغفار

الاستغفار بل جميع الاذكار فتامل ذلك تجده واعلم انك لن
تصل الى التحقق بهذه الجملة الا بمراقبة الاوقات باحكامها
من التوبة والاستغفار عند العصيان وشهود المنة في
الطاعة ووجود الرضى في البلية ووجود الشكر في النعمة
ناظر السبب كل منهما وحاله وماله ولن تصل الى ذلك الا بتعلق
قلبك بصلاح قلبك واتهام نفسك حتى في خروج نفسك وتصل
الى هذا باحد اربعة اوجه نور يقذفه الله في قلبك بلا واسطة
او علم متسع في عقل كامل او فكر سالمة من الشواغل او صحبة
شيخ او اخ هذه حاله ٥ وقد قال الشيخ ابو مدين رحمه الله
الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه
الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه هذه احد اوصافه
وليس من شرطه ان يكون عالما بجميع العلوم ولا قايما على جميع
الاحوال بل شرطه ان يكون عالما بما تطلب طالبا كما تطلب سالما
من البدع والاهوا ناصحا لمن تعلق به معينا له بهمته يرشد الى
من هو اعلم منه مستشيرا الى من هو اتم حالا منه قد جعل الحق
بين عينيه فلم يبرح الا عليه ولا يهدي الا اليه فان وجد
من هذا وصفه فشرطك معه ستة امور احدها استمرار
طبيعتك على موافقته فيما ظهر وخفا من غير تاويل لامره
ولا عصيان له فيما يشير به وان كان الصواب في خلافه
الثاني ان تكتم سره ولا يخفى عنه شيء من سرك ولو
كان في امره الثالث ان لا تسمع من غيره امرك بالسماع منه
ولا تنتقل الى غيره ولا تلتفت بقلبك لسواه وان كان اكمل
منه اذ ذلك موجب الحرمان من الاول والثاني ٥ الرابع ان لا تنكر عليه

شيئا مما يالف ظاهر الشرع ان وقع فيه ولا تسمع له ان
امرك بفعله ولا تستعظم شيئا من احواله في عوايده الخامس
ان تعتقد نقصه في كماله في نقصه بحيث ترى انه من البشر
النقص فيه اصل والكمال له عارض فتنظر بعين الكمال وتحكم عليه
بالنقص فاذا اظهر منه ما يدل على نقصه لم ينقص في نظرك بل
يزيد عندك بالوفا ولا ينقص بالجفاه السادس ان تقوم
بحقه من غير افراط ولا تفريط ٥ وهذه الشروط عليك سوا
كان شيخا او صديقا واياك وصحبة طايفتين من الناس الفقها
المتعمقون القايمون مع نفوسهم المستغرقون في الرضى عنها والفقرا
البطالون الذين لاهمة لهم الا في الاكل والرقص والاشتغال بالدعاوي
وموجبات النفس وكذا اهل السماع والمشاهد وارباب الرياضات
والمشاهد ٥ فقد قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه سالت استاذي
رحمه الله عن السماع فاجابني بقوله تعالى انهم الفوا اباهم ضالين فهم على
اثارهم يهرعون ٥ وقال سيدي ابو العباس رحمه الله من
كان من فقرا هذا الزمان اكالا لاموال الظلمة موثرا للسماع ففيه نزعة
يهودية قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت ٥ وقال
الحاتمي رحمه الله السماع في هذا الزمان لا يقول به مسلم ولا يقتدي
بشيخ يعمل السماع ولا يقول به فقال ايضا ان السماع من تحامل
النفس اذ هو من بساط الشعر فلا يفيد الا نقوسها ٥ وقال من
سمع من المشايخ فانما سمع لاحد معنيين ٥ احدهما ان ذلك يرده
الى احساسه فيكون ذلك ارفق ببدنه ٥ والثاني ان يكون ذلك
تنازلا للمريدين حتى يلقوا اليهم الحق في قالب الباطل اذ نفوسهم الى
تقبل الحق مجردا عن صورة الباطل فهو كله نزول بهذا امعن كلهم

باختصار

باختصار ٥ وقد نص السهروردي رحمه الله على انه من رخص المذهب
ولكن هذا اذا اتى بشروطه وشروطه دايرة على اربعة اركان
الزمان والمكان والاخوان وقوة الايمان ٥ فاما الزمان فله اربعة
اوصاف احدها ان لا يكون معينا معروفا تتشوق النفس اليه
الثاني يكون زمان هدو وسكون النفس عن الحركات كالليل
ليحصل الجمع فيه ٥ الثالث ان يكون فصلا معينا على التاثر كفصل
الربيع ونحوه او وقت علة حال ليكون الفتح اقرب لمن قصد به
الرابع ان لا يودي ضيقه لتضييع واجب او مندوب كاول
الليل ونحوه لا اخره ونحوه لما فيه من تضييع القيام لصلاة
الصبح او اول ليل شهر رمضان لتضييع القيام به ٥ واما المكان
فله شروط اربعة ٥ احدها ان لا يكون محترما حرمة
الشارع كالمسجد ونحوه ٥ الثاني ان يكون خاليا من غير الجماعة
الذين قصدوا السماع فيه ٥ الثالث ان يكون مجموعا حسن
الوضع لتنشرح به النفس ولا يتفرق الذهن ٥ الرابع ان
يكون بعيدا عن الناس بالحس او بالمعنى بحيث لا يعرف من فيه
لئلا يشوش عليهم ٥ واما الاخوان فلهم اوصاف اربعة احدها
ان يكونوا معتقدين لصحة ما يفعلونه من غير ريب ٥ الثاني
سلامة صدور بعضهم لبعض ٥ الثالث كتمان بعضهم عن
بعض ما يقع له ٥ الرابع ان يكون جماعة ليست بالكبيرة
ولا بالقليلة بل ينبغي ان لا يزيدوا على اثني عشر فيفترقوا الهمة
ولا ينقصوا عن سبعة فتقل الفايدة ٥ واما قوة الايمان
فيوجب لهم شروط اربعة ٥ احدها ان لا يكون معهم حدث
ولا امراة ولا تداخلهم في القصد عادة من طعام ولا غيره الثاني

ان لا يقوم احد منهم ولا يتحرك الا عن وجد صادق وحالة
غالبة ويستغفر بعد ذهابها ٥ الثالث ان يكون الاذكار
اثر عندهم من الاشعار على وجه من السكينة والوقار ٥ الرابع
ان يكونوا حالة ذكرهم وسماعهم مطالعين قلوبهم فان وجدوا
التاثر من ذكر مخلوق استغفروا وان وجدوه بذكر الخالق استبشروا
ثم بعد هذا فعليهم شروط اربعة ٥ احدها ان لا يقترحوا على
قوالهم بل يدعوا سره ويطيبوا نفسه ان كان من غيرهم بما امكن
الثاني ٥ ان لا يشوش بعضهم على بعض بحديث نفس وادخال عادة
من شرب ونحوه ولا يذكروا عادة في اجتماعهم ذلك الا لضرورة
فادحة ٥ الثالث ان ينقادوا لشيخهم او لواحد يقدمونه عليهم
ولا يعترضون عليه فيما يفعل بهم بل لا يتحركون الا باذنه ٥ الرابع
ان لا يتحكموا في خرقته وغيرها مما يكون دخولهم على الحكم به ثم
عليه بعد هذا وظايف اربع ٥ احدها انه يربيهم على قدر علمهم
وحالهم وصدقهم في جلوسهم ٥ الثاني ان يريهم قسمان في الذكر
ونحوه حتى يكونوا متراسلين فينتفع بعضهم بقول بعض ٥ الثالث
ان يقيم لهم نقيبا يكون خطابه له ليكون اجمع لسره عند اعتراض
شي يجب تنبيههم عليه ٥ الرابع ان يفتح لهم ويختم معهم ليكون
اتم لحالهم ويكون ذلك بالقران ثم عليه بعد السماع ان يسال
كل واحد ما وجد وما استفاد من وجده وسماعه وينبغي ان ياكلوا
قبل السماع ما خف ليكون ذلك تانيسا لبعضهم ببعض وان يقراوا
شيا من كتب القوم ويذكروا من حكاياتهم لترتفع هممهم ولا باس
ان يقوموا ترويحا لقلوبهم ولا يتحركوا في ذلك ولا يستظهرون
بحال ليس عندهم منه حقيقة وليس تفصيل الاقدام في هذه الحال

حقيقة

من حقيقة الطريق الا ان يغلب الفقير حال فيسمع ليتعرف ويتفقد
المريد حاله فان كان تاثره بالمعنى فليشكر الله وان وجد
بمجرد الطبيعة فليستغفر الله ٥ وميزان ذلك ان يتلو على
نفسه اية موافقة لما سمعه فان تاثر بها مجردة عن الطبوع
والاوزان فحاله حق والا فهو باطل والله سبحانه اعلم ٥ ولهذه
الجملة تفاصيل ذكرها ارباب هذا الفن ٥ وقد قال الشيخ ابو
الحسن الحرالي رحمه الله يسر السبيل الى الله تعالى اربعة
احدها التقوى وهي وصية الله ٥ وحقيقتها ان تخرج عما عندك
وترجع الى ما عند الله ٥ الثاني ان ترى الواقع فيك وفي العالم
من الله فلا تستقبله بثقل تسليما لعلم الله عز وجل فانه اعلم
بما كون ٥ الثالث الالتفات الى الوقت ان لا تشغله بما مضى
ولا بالفكر فيما يكون بعد ٥ الرابع ان ترى الله كنزا تنفق منه
في ظاهر امرك وباطن علمك ٥ وبعد هذه الامور الاربعة ياتيك
فتح الله والى الله ٥ وقال الشيخ ابو عثمن المغربي رضي الله عنه
من امر السنة على نفسه لحظة وتركا وحبا وبغضا نطق بالحكمة
ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة ٥ وقال ابو عثمان
الحيري رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة
اشيا في المنع والعطا والعز والذلة ٥ وقال سهل رضي الله عنه
اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا
اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر انتهى قلت ولكل
واحد من هذه افة فليحذر المريد افة الترك كما يحذر افة الفعل
وبالعكس عالما بانه لا وصول الا بتوسط في احتياط وتاركا
لكل الخلق ايثارا للحق واذا علمت انه سبحانه جعلك في العالم المتوسط

بين ملكه الذي هو عالم الحس والشهادة وملكوته الذي هو عالم
الغيب والخفا وانه ما فعل ذلك بك الا ليعلمك جلالة قدرك بين
مخلوقاته حتى لا ترضى بان تكون عبدا لها ولا ناظرا اليها في جلب
ولا دفع بل ترفع همتك عنها بالكلية فاذا تحققت ذلك وانك
جوهرة تنطوي عليك اصداف مكنوناته السما تظلك والارض
تقلك والجهات تكتنفك والبهايم تنفعك والمعاني تطلبك تعين
عليك ان تطلب سر وجودك وما اودع فيك من موجبات شهودك
فاخذ في دفع اسباب الحجاب عن ذلك بالمجاهدة الصحيحة ولها
ثلاث مراتب مجاهدة التقوى وهي ترك المحرمات المشهورة
والتزام الفرايض المعلومة ومجاهدة الاستقامة وهي حمل النفس
على مكارم الاخلاق واكتساب الفضايل ومجاهدة الكشف وهي
قصد وجود الحق بلا علة وكلها تكفي فيها الكتب الالهية لقوة الغلط
فيها ومبادئها اطلاع العبد على حقيقة وجوده فاذا رايت انك وسعك
الكون من حيث جثمانيتك اذ هي متوقفة على الاسباب المتعلقة
به ولم يسعك من ثبوت روحانيتك اذ هي لا تصلح ان تكون متعلقة
بغير المولى جلت قدرته ولم تسع غيرها من الكون وجود معرفته
فقد بقيا الفتح وجا النصر ولم يبق المقعود عن طلب الوصول
محل ولله در الشاعر حيث يقول

اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة ... ونارا وافلاكا تدور واملاكا
وكنت من السر المصون سريرة ... وادركت هذا بالحقيقة ادراكا
فقيم التاني في الحضيض تثبطا ... مقيما مع الاسرى اما آن اسراكا

وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى ابن ادم خلقت الاشيا كلها
من اجلك وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن انت له انتهى

فاعلم

فاعمل ايها العبد على تخليص نفسك من عالم جسمك حتى تخرج عن
دايرة رسمك وتصل الى تحقيق فهمك وعلمك فالكاين في الكون
ولم تفتح له ميادين الغيوب المبينة عن جلالة قدره باتم بيان
المترجمة له عن حقايق العرفان مسجون بحيطانه من المخلوقات
التي خلقت من اجله ومحصور في هيكل ذاته الجسماني المقتضي
لطلب الشهوات واستغراق الغفلات الصارفة للعبد عن
التحقيق المخبرة له عن سوا الطريق ثم اذا فتحت لك باب
الغيوب بزوال هذه العيوب فانت مع الاكوان ما التفت اليها
او عرجت بهمتك عليها وذلك حالك تشهد المكون لها
فاعلا وفيها مدبرا وعليها ومعها قايما فاذا شهدته كانت الاكوان
معك اذ انت غني عنها غير ناظر اليها وعلامة ذلك ان تكون
الاكوان مسخرة لك وانت غني عنها او مسلطة عليك فلم تلتفت
اليها وانما هما اثنان ولي وصفي فالولي من يتحقق له كلما يريد
والصفي من يتسلط على قلبه الرضى بما يجري وحقيقة الرضى
تلقي المهالك بوجه ضاحك وفي بعض الاثار المروية عن الله عز وجل
عبدي اجعلني مكان همك اكفك كل همك ما كنت بك فانت في
محل البعد وما كنت لي فانت في محل القرب فلتختر لنفسك
انتهى واذا خرجت عن الاكوان بوجود الخصوصية فاعلم انه
لا يلزم من وجود الخصوصية التي هي المعرفة والتحلي بمعاني
اوصاف الربوبية عدم وصف البشرية بل لا يصح ذلك لبطلان
القول بقلب الحقايق والاصار القديم حادثا والحادث قديما وهذا
محال في العقل بل انما مثل الخصوصية في حق العبد كاشراق
شمس النهار في الكون هذه ظهرت في الافق وليست منه وكذ

ظهرت على العبد ولبست منه ولا انت والا هي عند العبد كما تبدو المرآة
من مقابلها ومواجه الشمس منها ان فتشت ذلك لم تجد له حقيقة
في المواجه به وانما تجد الحكم لاصل وجوده وهو وجود البشرية
غير ان الحق سبحانه علم ضعفك عن معرفته فانهج لك الى ذلك
سبيلا بان جعلك به تارة ولك اخرى فتارة تشرق عليك
شموس اوصافه على ليل وجودك فيغيب وصفك فيما يكسبك
من وصفه اذ تظهر بما افاض عليك منه فتكون عزيزا غنيا قويا
قديرا كما يليق بك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك
من الذل والفقر والضعف والعجز حتى لا تشعر بشي من اوصافك
المقتضيه لاختصاصك فانها ليس منك اليك بل منه بدا واليه
اذ هو المبدي له والمعيد ولكنه وارد ورود عليك ليعرفك وجود
مولاك وينبهك على ما من به عليك واولاك فاكرم وارد الحق بالقيام
بما يقتضيه حقه وعامل كل خلق بما يصلح للخلقة واعلم
ان شروق شمس المعرفة تارة يكون ابتدائيا من الحق بلا واسطة
وهذا حال اهل الجذب وتارة يكون بواسطة العمل والاستدلال
وهذا حال اهل السلوك ثم كل مجذوب فلابد له من سلوك وكل سالك
فانما سلك بجذب اذ لولا عناية الله التي تنبهته ما قصد طريقه فضلا
عن ان يسلكها ثم عنايته سبحانه بالعباد قربت الوصول
اليه بان دل بوجود اثاره على وجود اسمايه لجعل الاسما ورا
حجاب الاثار وبوجود اسمايه على وجود اوصافه اذ لا وجود للعبد
بالصفات الا بالاسما ولهذا لم يقع اطلاق لفظ الصفة في القران
وان وقع المعنى الدال عليها وثبوت اوصافه على وجود ذاته
لا من حيث دلالتها عليها اذ لا يصح ان يقال هي غيرها ولكن من حيث

لزومها لها وشرطية وجود الذات في وجودها اذ محال ان يقوم
الوصف بنفسه فغاية ما ينتهي اليه التصور على تمام الاثار وما
بعدها فلوازم مرتب بعضها على بعض ينتهي العقل في عين التربه
المطلق ثم يقف طالبا للزيادة العلم به على الوجه الذي علم من التربه
حتى يستغرق من التعظيم فلا يحس بفقد شي ولا وجوده سوى الحق
سبحانه لغلبة سلطان العظمة عليه بوجه لا يعلم بالذوق ولا
ينال الا بموهبة الملك الحق من غير اعتقاد حلول ولا اتحاد ولا اضلال
ولا الحاد وهو الفنا في الذات وغاية ما ينتهي اليه في كشفه بالبصاير
في هذه الدار لاهل الاختصاص من سالك ومجذوب فارباب الجذب
يكشف لهم عن كمال ذاته قبل كل شي فيرون موجودا مطلقا لا وجود
لشي دونه فيعرفونه بما هو عليه من صفات الكمال كما راوه يوم
اخذ ميثاقهم فقال الست بربكم ثم يردهم الى شهود صفاته فيروا
انهم لم يعرفوا من الذات الا صفتها اذ لا وصول لهم الى حقيقة الذات
الكريمة وادراكها ثم يردهم الى التعلق باسمايه فيروا انهم لم يعرفوا
من الصفات الا الاسما الداله عليها اذ لا وصول الى الصفات من
نفسها ولا لتحققها في انفسها ثم يردهم الى شهود اثاره فيروا انهم
لم يعرفوا على الحقيقة الا الاثار وان الحق لا يوصل اليه بوجه ولا
بحال فيرجعون الى نفوسهم ويقفون عند حدودهم علما منهم بان
الحق تعالى اجل من ان يعرف واعلى من ان يدرك جلاله او يوصف
فيثبتون الحكم في عين التحكم والتعلق بالحكمة اذ راوا كل شي للحق
وله فهم واصلون بالحق الى الحق والسالكون على عكس هذا وان
وصلوا فوصولهم الى الحق بالخلق فبداية السالكين نهاية المجذوبين
وذلك وجود الاثار ونهاية المجذوبين بداية السالكين وبينهما ايضا [illegible]

الاثار فهم وان اجتمعوا في معنى واحد فاجتماعهم لكن لا بمعنى واحد
اذ المجذوب وصل اليها بغاية التحقيق والسالك خرج عنها طلبا للطريق
ولكنهما وان اختلفا في ذلك فربما التقيا في الطريق اذ مسلكهما ولحد
ومقصدهما ولحد هذا في تدليه من الحقيقة الى الشريعة ومن المؤثر
للاثار وهذا في ترقيه من الخليقة الى الحقيقة ومن الاثار للمؤثر
فكل منهما طالب للخروج عن الخلق طالبا للحق وقاصدا للربوبية في عين
العبودية ومحط رحالهما اثبات الحق بلا واسطة ونفي الخلق بلا علة
ورؤية الحق الكون بعين ولحدة والحق من وجه ولحد وهو التنزيه
المطلق الذي يعجز عنه نطاق العبارة ولا تلحقه الاشارة ٥ وقد
سمعت من بعض الفقراء انه قال الجذب لا يكون الا مع وجود
اثار النفس والانبيا منزهون عن اوصاف النفوس فلا يصح ان يقال
سالكون ولا مجذوبون والله اعلم ٥ واعلم انه لا يعلم قدر انوار القلوب
والاسرار التي هي حقايق المعرفة والتوحيد الا في غيب الملكوت التي
هي عوالم الاخرة فمن امن بالغيب دل على تحققه بحقايق المعرفة كما لا تظهر
انوار السما التي هي الشموس والاقمار ونحوها الا في شهادة الملك
وهو عالم الدنيا فكل قلب له من الانوار بحسب ما ظهر له من الاسرار
فليس من اهتدى بنور الله الى الله كمن اهتدى بنور عقله اليه ولا من
استدل على الاشيا بالله كمن استدل على الله بالاشيا وظهر ان
حال المجذوب اتم من حال السالك ثم من حقايق النور وجدان ثمرات
الطاعات عاجلا من حلاوة المصافات ولذاذة المناجات وهي بشاير
العاملين بوجود الجزا عليها اجلا الا ان الكريم اذا بدا كمل واذا نول
وصل والبشارة تسر ولا تغر والجزا بمقتضى الوعد والاحسان
لا عن مقتضى افعال الانسان فارفع همتك عن طلب الاعراض اعتبارا بانك

الا عن نفس والسلوك لا يكون

لا

232

لا تستحق شيا بعملك على مولاك كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به
عليك اذ انت محتاج اليه في حبالك ووجودك ولولا فضله في توفيقه ما يسر لك
ذلك فان راعيت اشكالك في اعمالك كنت بعلة الخروج عن العبودية موسوما
وبعدم الصدق في اعمالك مرسوما واذا صدقت فالصدق منه لا منك
اذ لا سبب لك فيه وانما هو هدية منه لك لتتم بها اعمالك التي انت محتاج
اليها والى هذا المعنى اشار بقوله ام كيف تطلب الجزا على صدق هو مهديه
اليك والفرق بين الصدقة والهدية ان الصدقة للمحتاجين والهدية
للمحبوبين الصدقة بما تيسر والهدية بما به يستتر وانما كان الصدق لانه
انما يراد الكمال الاعمال والا فوجود الاعمال مع الخلاص كاف في الخلاص وانما
يغني العبد عن حظوظه واغراضه اشراق الحق في قلبه والناس في ذلك
قسمان قسم تسبق انوارهم اذكارهم فيعملون على الفنا في عين البقا
وهم اهل الجذب والعناية العظمى الذين شهدوا قبل كل شي وجود المولى
فيعملون ليصلوا وقوم تسبق اذكارهم انوارهم فيعملون ليصلوا ويذكرون
وهؤلاء هم السالكون اهل الطريقة المثلى ٥ وقد قال الشيخ ابو العباس
رضي الله عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم
وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب ٥ قال في لطايف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا
ان من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول اليه فسار يطوي مهامه
نفسه وبيدا طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ٥ ومن الناس من فاجاته عناية
الله من غير طلب ولا استعداد يشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشا
فالاول حال السالكين ٥ والثاني حال المجذوبين ٥ فمن كان مبداه المعاملة
كانت نهايته المواصلة ومن كانت مبداه المواصلة رد الى وجود المعاملة

ولا تظن ان المجذوب لا طريق له بل له طريق طوته عناية الله تعالى له
فسلكها مسرعا الى الله عاجلا انتهى ه فانت ترى مما تقرر انهما ذاكران
ذاكر ذكر ليستنير قلبه فكان ذكره علة في نوره وبحسب ذكره يكون
طلبه لغرضه والتفاته لعلته ومرضه وذاكر استنار قلبه فكان
ذاكرا على نور من ربه ثم الاول لم يخل من نور اوجب له روية الطريق
كما لاح لهذا بنوره عين التحقيق اذ ما كان ظاهر ذكره الا عن باطن شهود
فكر اوجب النور الكاشف للحوله والداعي الى الحق حسبما تقدم تقريره قبل
مسئلة السلوك والجذب وانما لم يحتج المجذوب الى دليل ولا برهان ويقطع
السلوك بما يظهر له عند العيان لانه تعالى اشهدك كمال ذاته في غيبة
يوم الميثاق من قبل ان استشهدك على انه ربك اذ قال الست بربكم
فنطقت بالالهية الظواهر اذ ذاك وتحققت باحديته القلوب
والسرائر هنا وهناك وانما الحايل مما تحققته السرائر وتيقنته الضماير
التقييد بالعادات والرجوع الى عالم الجسمانيات فاذا تطهر القلب
من الاغيار وزال عنه الصدا والغبار لاح له الحق كراي العيان وبان له
التحقيق باتم بيان فلم يحتج الى دليل على صحة ما وصل اليه ولا الى برهان
فيما فتح به عليه قايلا بلسان حاله ومقاله وليس يصح في الاذهان شي
متى احتاج النهار الى دليل ثم اعلم انه تعالى اكرمك كرامات ثلاث
فيما اولاك من ذكره ولو مرة في عمرك جعلك ذاكرا له اذ اجرى ذكره
على لسانك ولولا ذا لما نطق بالثنا ذاتي حيث وجدنا ولولا فضله لم تكن
اهلا لجريان ذكره عليك والا فمن اين انت ووجود ذكره لولا رحمته
وتوجه بره وجعلك مذكورا به فيقال هو ربك وانت عبده وهو الامر وانت
المامور وهو المذكور وانت الذاكر فما اعظم منته عليك اذ حقق نسبته
لديك ومن انت لولا فضله المتوجه اليك وجعلك مذكورا عنده اذ قال

اذكروني

اذكروني اذكركم فجعل جزا ذكرك ذكره اياك ومن انت حتى يقابل فعله
بفعلك لكنه تفضل باحسانه فتمم نعمته عليك قال الله تعالى
ولذكر الله اكبر ه قيل ولذكر الله عبده افضل من ذكر العبد ربه
وقد قال يحيى بن معاذ رحمه الله يا غفول لو سمعت صرير القلم
حين يجري على اللوح المحفوظ بذكرك لطبت طربا انتهى ه ثم اعلم ان
العباد على قسمين في اعمارهم فرب عمر اتسعت اماده وقلت
امداده كاعمار بعض بني اسرائيل اذ كان الواحد منهم يعيش الالف
ونحوها ولم يتحصل على شي مما تحصل لهذه الامة مع قصر اعمارها
ورب عمر قليلة اماده كثيرة امداده كعمر من فتح عليه من هذه الامة
فوصل الى عناية الله في لحظة ه فقد قال احمد بن ابي الحواري رحمه الله
قلت قلت لابي سليمن الداراني اني قد غبطت بني اسرائيل قال باي شي قلت بثماني مائة سنة
حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت
الا وقد جيت بشي والله ما يريد الله منا ان ييبس جلودنا على عظامنا ولا
يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما ناله
ذاك في عمره الطويل انتهى فاذن من بورك له في عمره ادرك في يسير من
منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة لكثرته
وعظمه ودقته ورفعته وقد قال في تاج العروس من قصر عمره فليذكر
بالاذكار الجامعة مثل سبحان الله عدد خلقه ونحو ذلك قلت ويعني
بقصر عمره والله اعلم ان يكون رجوعه الى الله في معترك المنايا ونحوها
من الامراض المخوفة والاعراض المهولة واذا كان الامر على ذكر فالخذلان
كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه بصدق النية
حتى يفتح عليك بما لا تصل الهمم اليه وتقل عوايقك ثم لا ترحل اليه
عن عوالم نفسك والاستيناس بيومك وامسك ه فقد جا حضلنان

مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ومعناه والله اعلم
ان الصحيح ينبغي ان يكون مشغولا بدين اودنيا والا فهو مغبون
فيهما • وجا ايضا نعمتان وقد يشكل معه ما قلناه والخروج
عنه بان ذلك نعمة في نفسه فمن جهة انه لا يوجب الما ولا نديما
من حيث انه حال سلامته • وفي ذكر الغبن دلالة على حصول
بعض البلا نعم المغبون على الحقيقة من شرد عن مولاه وتعلق
بشهوته وهواه وتقيد بامنيته ومناه فلم يتحقق بحقائق الايمان
ولا سلك مسالك اهل العرفان ولا حام حول حمى اهل الشهود والعيان
فيا لها من احوال ما اسناها ومن منازل ما ابهاها ومن معاهد
ما ابرها وازكاها ... على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم
وانما يرد العبد الى مولاه التفكر في امره والرجوع الى العلم بما هو عليه
في سر الامر وجهره اذ الفكرة سير القلوب في ميدان الاعتبار
بالاعتبار حتى ترى فنا كل شي لبقا مولاك وتميز احوالك بما به
تولاك • فقد قال الحسن رضي الله عنه الفكرة مراة حسنة تريك
حسنك من سيئك • وقال الجنيد رحمه الله اشرف المجالس واعلاها
الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد انتهى • قلت وفي كل منهما
ذكر لمجاري الفكر الثلاثة التي تفني استحسان حسن واستقباح
قبيح وتحقيق حقيقة فتامل ذلك ثم الفكرة سراج القلب الذي به
تهتدي لحقائق الامور فاذا ذهبت فلا اضاءة له ولهذا كان تفكر
ساعة افضل من عبادة سبعين سنة وذلك لان الاقدام والاحجام
على حسب علم العبد بربه وبنفسه ولا يفيده ذلك سوى فكره فيما
هنالك ثم الفكرة من حيث ذاتها ومتعلقاتها فكرتان فكرة تصديق
وايمان وهي الموديه للعلم بالدنيا والاخرة والنفس وخدعها والشيطان

وجيله وما يمنع من ذلك وما يوصل اليه وفكرة شهود وعيان
وهي الفكرة في صفات الحق سبحانه وتنزيه ذاته كما يليق بذاته
فالاولى لارباب الاعتبار واهل السلوك والتسيار اذ هم مقيدون
سايرون الى الحق على منهج الحق والثانية لارباب الشهود
والاستبصار واهل معاينة الحق باسقاط الاثار الذين ارتفعت
درجتهم عن اليقين الى العيان واطمانت قلوبهم لما وجهوا به من
البيان حتى قال قايلهم بيت شعر كبر العيان علي حتى انه
صار اليقين من اليقين توهما • اللهم اجمعنا بك عليك واهدنا
بنورك اليك ويسر امورنا فيما نروم ومن علينا باتم حال واجمل
وفي عيشة بالعافية حتى نلقاك يا اكرم الاكرمين وقال رضي الله عنه
مما كتب به لبعض اخوانه وهو كتاب ضمنه السلوك الى حضرة ملك الملوك
باشارة فايقة وعبارة رايقة وطريق سديد ومسلك حميد •
اما بعد فان البدايات مجلات النهايات التي تجلي فيها حقايقها
ويظهر فيها ما لها من نقص او كمال او تفصيل او اجمال وان من كانت
بالله بدايته بحيث لا يعتمد على غيره بعمل لذلك الغير ولا استدلاله
كانت اليه نهايته بحيث يبقى قايما به عن غيره لا بغيره ولا لغيره
والمشتغل به لك ايها العبد حتى يحصل لك هو الشي الذي احببته
وسارعت اليه لان الجزا على حسب النية والتيسير على حسب الهمة
والمشتغل عنه حتى لا يتصور وجوده ولا يتهيا حصوله هو
المؤثر عليه غيره لان الله تعالى ركب في العوالم غيرة تقتضي
عدم الاقبال على غير من اقبل عليها وبالعكس فلهذا لا يملك الدنيا غالبا
الا مهتو واستهلك نفسه في طلبها او متوكل علق همته بالاخرة
فحصلها لانها من خدم ما توجه له وان قد علم ان الله يطلبه صدق

الطلب اليه اما هربا من عقلة او تعظيما لجنابه او تعلقا باذيال
كرمه اذ لا يفوته هارب ولا يخيب من فضله طالب والمعرفة به
اقصى المآرب ومن علم ان الامور بيد الله اجمع بالتوكل عليه
في امور دينه ودنياه فحصل له ايثاره على ما سواه والانفراد به دون
ما عداه وقد تقدم معنى هذا كله في الكتاب مرارا متماثلة ثم نبه على
سبب الرجوع اليه والتوكل عليه فقال وان لا بد لبنا هذه الوجود
ان تنهدم دعايمه فكيف يصح الاغترار دعليها وان تنسلب كرايمه
فكيف يصح لعاقل الاغترار بها فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه
بما هو يفنى وان كان الفاني اعلى وانفس فكيف والامر بالعكس
قد اشرق نوره فكشف له عن حقيقة الاخرة والدنيا وظهرت تباشره
اي ما يبشره بالوصول الى ربه وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال
على الاخرة اذ راى كل واحد منهما على حقيقته فصد عن هذه الدار
مغضيا لعلمه بما هي عليه من النقص والفنا واعرض عنها موليا طلبا للراحة
والسلامة من العنا والعنا فلم يتخذها وطنا يعز عليه فراقه والجلها
سكنا يضيق بفراقه نطاقه بل انهض الهمة فيها الى الله علما على انها
قنطرة للعبور وصار به مستعينا في القدوم عليه لعلمه ان الامور
بيده فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها اذا انصرمت عوايقها وهي
الدنيا وما يرجع اليها دايما تسيارها اذ مددها من فضل دايم لا ينقطع
فضله الى ان اناخت ركاب النفس بحضرة القدس وهي دايرة العلم المقتضي
للتقديس المطلق وبساط الانس وهو التحقق بكمال صفات الحق حتى يبقى
العبد في عين انسه خلاء وفي عين خلوه متانسا وهذا محل المواجهة
من الحق لعبده بحقايق معاني اسمايه ومواجهة العبد لمولاه بما تقتضيه
تلك المعاني والمطالعة لمعاني اوصافه على بساط او صافه على كل حال

بجمع لا يفترق وفرق لا يقدح في الجمع والمشاهدة للربوبية بنفي
التمثيل والكيفية والمحادثة للاسرار باسرار الحق ومعاني الاذكار
والمجالسة مع التوحيد بالنظر الى مطلق التفريد وهذه معاني لا يمكن
فهمها حق الفهم الا بالذوق وفهمها على ظاهرها مخالف لكل وجه من الحق
وتاويلها بغير معانيها غلط وجهل وكلامنا فيها على قدر فهمنا وان كان
بعيدا من الحقايق فالانس به لا يضر فاذا وصل السادة الى هذا المحل
وفهمه ذوقا كملوا فصارت الحضرة التي هي دايرة التوحيد على الكمال
والتمام معششا قلوبهم اليها ياوون عند ليل الفتن وفيها يسكنون
دايما بمعنى ان العالم لا يجري الا على حكمها والنظر اليها وان كان
الظاهر مخالفا لها فهو دايم فيها وبها فان نزلوا منها الى سما
الحقوق الشرعية وارض الحظوظ الجسمانية فبالاذن الذوقي
الذي هو قيام خاطر لا يمكن رده ولا يستند الى هوى ولا
مخالف للشرع والتمكين الشرعي وجوبا كان او ندبا او اباحة
في عين التمكين في الحال والرسوخ في اليقين الذي ليس للشك
والتردد فيه مجال فلم ينزلوا الى الحقوق بسو الادب المقتضي لعدم
اتباع الشريعة في القيام بها والغفلة المقتضية لوجود الدعوى
ونسيان منة المولى ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة المقتضيين
لنسيان المولى وترك الاهم والاولى بل دخلوا في ذلك بالله مستعينين
ولله عاملين ومن الله شهدوا وجوده والى الله كل مرجوعهم فيه
فاذا اردت اللحاق بحالهم فانسج على منوالهم وقل رب ادخلني مدخل
صدق وهو ان تدخل في الاشيا لا بنفسك واخرجني مخرج صدق
وهو ان تخرج لا بنفسك وكانك تقول في ذلك اذقني الصدق في
العبودية ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا ادخلتني واستسلامي

وانقيادي اليك ذا الخرجتي حتى اكون محققا بحقيقة لاحول
ولاقوة الا بالله في جميع احوالي واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
وهو ما تشرقه من نور معرفتك على وجودي حتى تنصرني في نفسي
وتنصرني غيري كما تنصرني اذ ليس الكامل من كمل في نفسه لكن
من كمل به غيره ولا تنصر علي ولا علي من ينصرني اعدائنا نفسنا احرامن
ولا هوا ولا غير ذلك والمطلوب من النصرتان ينصرني على شهود
نفسي كما يليق بي اذ هي طريق العارف الي ربه ويفنيني عن دائرة
حسي حتى لا اقوم بحقه لانه مطروح عندي او اقوم به لوجود
امرك بي ولغيب عني حتى لا يكون لي خبر ولا عن وجودي مخبر
حقق الله لنا ذلك بمنه وكرمه وقال رضي الله عنه مما كتب به
لبعض اخوانه وضمنه الحقيقة والشريعة في مقام الشكر وهو
اساس الطريقة ان كانت عين القلب تنظر الى ان الله واحد في منته
اعتبارا بالحقيقة المستفادة من العلم بالقدرة والارادة فالشريعة
تقتضي انه لا بد من شكر خليقته فيا ما حق الحكمة وتثبتنا في
حفظ الكرمة وليس احدهما باولى من الاخر اذ ترك الاول تعطيل
لوصفه بالقدرة والثاني تعطيل لوصفه الحكمة وذلك مما لا يصح
فاعلم ذلك وان الناس على اقسام ثلاثة يعني في القيام بحق الشكر
غافل منهمك في غفلته مغلوب بشهوته قويت دائرة حسه
فلم يعرج على غير ما تعلق بجسمه وانطمست حضرة قدسه
فلم يشاهد للحقيقة وجها ولم ير للشريعة مخايل عمي عن الحق
فنظر الاحسان من المخلوقين وقوفا مع الوهم ولم يشهده من رب
العالمين رجوعا الى حقيقة العلم وفرارا من موارد الوهم ونظره
لذلك اما اعتقادا لانهم الفاعلون على الحقيقة فشركه جلي اذ نسب

لغير الله ما هو ملك لله واما استنادا اليهم مع اعتقاد ان الفاعل
هو الله تعالى فشركه خفي اذ هو منطو في مراعاة الوجود الشرعية
ثابت في الاسباب النسبية ثم ابتدأ القسم الثاني فقال وصاحب
حقيقة يعني بمجرده عن ملاحظة الشريعة غاب عن الخلق لشهود
الملك الحق فلم ير احسانا من غيره ولم يشهد محسنا سواه وعن
الاسباب بشهود مسبب الاسباب فهو يرى الحق منها سوانا
والموجود عدما فهو عبد مواجه بالحقيقة من الحق على سبيل
التحقق اذ هو في هذا الحال ظاهر عليه سناها اي ضياها
وهو التعلق بربه بلا علة سالك للطريقة اذ ظهر منه مقصودها
وهو الاعتماد على مولاه بلا واسطة قد استولى على مداها اذ لم
يبق له من درجات الكمال الا البقا بالله غير انه غريق الانوار
لا تكاد ترجى سلامته من امواجها مطموس الاثار التي هي سواحل
السلامة المقتضي لرجوع العبد الى الحق قد غلب سكره بخمرة
الحقيقة على صحوه لاحكام الشريعة وجمعه بالحقيقة على فرقه
بالحق وفناؤه عن نفسه على بقائه بربه لربه وغيبته عن
الخلق على حضوره معهم بالحق والسكر هو الاستغراق في معاني
الاذواق والصحو هو الرجوع الى حقيقة ما سكر به على الاطلاق
والجمع الانفراد بالحق والفرق شهود الخلق والفنا شهود
الحقيقة والفرق مراعاة الخليقة والغيبة نسيان الحظ والحضور
بقا الحظ وكل هذه قريب بعضها من بعض وقد اشبع القول فيها
الامام ابو القاسم القشيري وغيره من الائمة فليعتمد كلامه وبالله
التوفيق ثم ذكر المولف القسم الثالث فقال معرفا له ومضمنا
فيه حكم ما قبله واكمل منه عبد اشرب فازداد صحوا المعرفته

بفقد المشرب ومزج الشرب وهو خمر الحقيقة الذي من شربه
صرفا عن ما الشريعة اوجب له السكر فاداه الي اباحة النكر فتعين
عليه الحد وغاب فازداد بشربه ذلك حضورا مع مولاه لغيبته
به عما سواه ونظر به من عداه فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه
يحجبه عن جمعه ولا فناوه عن بقايه ولا بقاوه يصده
عن فنايه بل يوكد فناوه بقاه ويحقق جمعه فرقه اذ ينسب
كل شي لعينه من وجهه فيعطي كل ذي حق حقه ويوفي كل ذي
قسط قسطه فيشكر الخلق بواسطة حق الحق ويشكر الحق
بواسطة الخلق فيعطيهم ظاهره اعتبارا بظاهرهم ويعطي الحق
حقيقة الامر اعتبارا بباطن الامر وبالحقيقة ما ثم الا معاملة واحدة
لمعامل واحد وهو الله سبحانه الامر بالشكر والموحد له والشاكر
والمشكور عليه وانما فايدة شكر الوسايط تاكيد العبودية والله اعلم
وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لعايشة رضي الله
عنها لما نزلت براتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسبما قص الله علينا في سورة النور يا عايشة اشكري رسول الله
صلى الله عليه وسلم نظرا منه لوجه الكمال لها فقالت لا والله
اشكر الا الله رجوعا منها الي اصل التوحيد اذ لم يسع غيره في تلك الحال
قلبها ادلها ابو بكر في ذلك على المقام الاكمل عند الصحو وهو مقام
البقا بالله المقتضي لاثبات الاثار وعمارة الدارين التزاما لحق
الحكم والحكمة وقد قال تعالى ان اشكر لي ولوالديك فقرن شكرهما
بشكره اذ هما اصل وجودك المجازي كما ان اصل وجودك الحقيقي فضله
وكرمه فله حقيقة الشكر كما له حقيقة النعمة ولغيره مجازه كما لغيره
مجازها وقال صلوات الله وسلامه عليه لا يشكر الله من لا يشكر الناس

فجعل

237

فجعل شكر الناس شرطا في صحة شكره تعالى او جعل ثواب الله على الشكر
لا يتوجه الا لمن شكر عباده وكانت هي يعني عايشة في ذلك الوقت
لا في عموم اوقاتها مصطلمة اي ماخوذة عن شاهدها فلم يكن
لها شعور بغير ربها غايبة عن الاثار لما استولى عليها من سلطان
الفرح لمنة المولى عليها فلم تشهد الا الواحد القهار من غير اعتبار بغيره
وهذا هو اكمل المقامات في حالها وهو مقام نبينا ابرهيم عليه السلام
اذ قال حسبي من سوالي علمه بحالي والله المسول في اتمام النعمة
وحفظ الحرمة والثبات لمرادات الحق والاداب اللايقة بها وهو
حسبنا ونعم الوكيل وقال رضي الله عنه لما سيل عن قوله صلوات
الله وسلامه عليه وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص بالنبي صلى
الله عليه وسلم ام لغيره منه شرب ونصيب وهو سوال يقظان
متعلق بحقايق الايمان وشواهد الاحسان وحسن السوال نصف
العلم اذ عليه يقع الجواب فلذلك توجه الاسعاف اليه فاجاب
بما لم يسبق اليه مجملا ثم ذكره مفصلا اذ قال ان قرة العين
بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود وهذا القدر كاف في الجواب لكن
شرط العالم ان يبين بيانا يمنع السايل من التاويل فلذلك قال
والنبي صلى الله عليه وسلم ليس معرفته كمعرفته فليس قرة عين كقرته
وهذا من المعلوم بالضرورة لان العلم بالله على الحقيقة انما يوصلنا
له من قبله وان كان لنا نظر ففي طرف دون اخر قال وانما قلنا
ان قرة عينه صلى الله عليه وسلم في الصلاة بشهود جلال المشهود لانه اشار بذلك بقوله
في الصلاة فجعلها ظرفا لقرة عينه لا لنفس عينه ولم يقل بالصلاة فتكون
هي المقصود بالذات ثم قرة عينه لا يصح ان يكون بها من جهة النظر
ايضا اذ هو عليه السلام لا تقر عينه بغير ربه بل لا من نقص غفلته

عنه ولا نظره لغيره بحال من صغير الى كبير وكيف لا يكون ذلك وهو
عليه السلام يدل على هذا المقام ويامر به من سواه بقوله اعبد الله
كانك تراه ومحال ان يراه ويشهد معه سواه اذ هو الجميل الجليل
الذي لا يسع في قلب جنه وحب غيره قال له القايل قد تكون قرة العين
بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من عين صفته الله وقد قال
تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهذا تنبيه بحرز الجواب
ويوضح به من صواب فلذلك اجابه بقوله فاعلم ان الاية يعني التي اشرت بذلك
اليها ايها السايل قد اومات الى الجواب عن تفهم سر الخطاب وهو وقوعه
مقصورا على مخاطبة من عبر تعديه لغيره الا بدليل منه فكان الاضراب عن
الخطاب العام او الخاص تنبيها على الاختصاص اذ قال فبذلك فليفرحوا وما
قال فبذلك فافرح او فلتفرحوا بل بجاز الكلام قل لهم يا محمد ليفرحوا
بالاحسان والتفضل اذ لم يعرفوا الحق الا بالعلل ولتكن انت فرحك
بالتفضل اذ لم تعرف الحق بذلك بل عرفته به كما اشار اليه تعالى في كتابه العزيز
اذ قال في الاية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وقد تقدم
معنى هذا المقام مرات في الكتاب والله الموفق للصواب وقال رضي الله عنه
مما كتب به لبعض اخوانه منبها على حقايق الشكر في كل مقام بحسبه الناس
وورود المنن عليهم على ثلاثة اقسام فاولهم فرح بالمنن لا من حيث مهديها
ومنشيها ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين عن مولاه
وعن الشكر لما به تولاه من حيث تولاه والعطب الى هذا اقرب من السلامة
والاهانة ادنى من الكرامة يصدق عليه قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة اما في الدنيا بزوالها بالموت واما في الاخرة بالعذاب والنكال
او فيهما وما ذاك الا لفرحهم الفرح على وجود العطا لا بالنظر للمعطي وفرح بالمنن
من حيث انه شهدها منة ممن ارسلها فلا يراها لغيره ونعمة ممن وصلها

بيان وبوجه ما

فبشكر

238

فبشكرهم لجريانها على يده فيشكر الحق على امتنانه ويكرم المخلوق لما
واجهه من احسانه اعتبارا بالسبب لا بالتحقيق في الفنا وهذا
متوسط المقام يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون حتى من فرحهم برتبتهم اذ
هو معلول بحظهم وفرح بالله لا لعلة يريدها او يريدها عليه من
جلب او دفع ما شغله من المنن ظاهر متعتها لكمال اهل الغرة
وله باطن متعتها كما تقيد به اهل العبرة بل شغله النظر الى الله
عما سواه والجمع عليه فلا يشهد الا اياه ان شكر الخلق فيشكر
مولاه وان شكر الحق راى انه الذي يشكره تولاه فقد قام بكل شي في
محله ونسب كل شي الى اصله يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون وقوله عليه السلام للذي استوصاه
قل ربي الله ثم استقم وقيل اوحى الله الى داود عليه السلام
يا داود قل للصديقين بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا وكيف
لا يفرح من كان الله مولاه ام كيف لا يتنعم من يذكره مولاه سوا
كان العبد هو الذاكر او المذكور قال بعضهم كنت مسافرا
الى مكة فبينا انا امشي اذ رايت شيخا بيده مصحف وهو ينظر فيه
ويرقص فتقدمت اليه وقلت يا شيخ لم هذا الرقص فقال دعني
قلت في نفسي عبد من انا وكلام من اتلو وبين من انا فاصل
فاستفزني الوجد فرقصت وفي معنى ذلك قيل
قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له ... يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا
وروي عن الغلام رضي الله عنه في حلية يتبختر فقيل له ما هذا
الزهو الذي لم نره فيك قبل اليوم فقال ومالي لا اتبختر وقد اصبح

لي ربا واصبحت له عبدًا وفي معني ذلك انشدوا

ان عرفان ذي الجلال لعز ... وضيا وبهجة وسرور

وعلي العارفين ايضا بها ... وعليهم من المحبة نور

فهنيا لمن عرفك الهي ... هو والله دهره مسرور

فالله يجعل فرحنا واياكم ايها الناظر في هذا الكتاب والمنتسب منه بوجه من وجوه الصواب وبالرضى منه حتى لا نفرح بشيء دونه ولا نرضى بشيء دون رضاه وان لا يجعلنا من الغافلين عن ذكره الفرحين بغيره الراضين بسواه وان يسلك بنا مسالك المتقين الذين اتقوا الشرك والعصيان وجانبوا الدعاوي والهذيان بمنه الشامل وكرمه الكامل الذي عمنا اولا واخرا وشملنا ظاهرا وباطنا انه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل وهذا اخر ما ثبت في النسخ المعتمدة من مكاتباته وانما لم ابسط فيها القول لدلالة كلام الكتاب على معانيها بوجه واضح وبالله التوفيق

وقال رضي الله عنه في مناجاته مولاه وقد ضمنها معاني ما في الكتاب دواه واودعها الحق من اسراره العجب العجاب اذ فتح عليه فيها ما يدل صريحا انه من الاحباب فلقد اثنى عليها سيدي ابو عبد الله بن عباد وضمن ذلك اخر رجزه لهذا الكتاب فاجاد اذ قال ما نصه

لم يبق الا ما به المناجاه ... سيافه حققت له المراعاه

لكونه يهذب الاسرارا ... ويجلب الاضواء والانوارا

وانت يا خليلي ويا صفيي ... ان انتهجت نهج ذا الولي

وسقت مساقه لجبلا ... منكسرا وخاضعا ذليلا

رايت في باطنك الزياده ... والخير واستبشرت بالسعاده

قلت وقد اشار بعض مشايخنا رحمه الله علي بذكرها في السحر فرايت لها بركات غير انها توجب لصاحبها بسطا لا يملك نفسه معه في يومه

فليقدم

فليقدم بين يديها قوله اللهم دلني بك عليك وارزقني من الثبات عند وجودك ما اكون به متادبا بين يديك ويكثر عقبها من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبها يعتدل مزاجه ويزول انحرافه واهتياجه وقد اثبتها مسبوكة مع ما يدل على معناها التزاما لقانون التاليف فليذكرها من ارادها مجردة عن غيرها لعدم تحقيق معانيها قايلا الهي انا الفقير في غناي اذ ليس وجوده مني ولا دوامه لي ولا بقاؤه من عندي فكيف لا اكون فقيرا في فقري الذي اليه مرجع احوالي وهو غاية امري انا الجاهل في علمي اذ هو متوقف على التعليم والتعلم والمعلومات فكيف لا اكون جهولا في جهلي الذي هو اصلي وفصلي الهي ان اختلاف تدبيرك في الكاينات وسرعة حلول مقاديرك الجارية على المخلوقات منعا عباد العارفين بك في جميع الحالات وعموم الاوقات عن السكون الى العطا اذ ليسوا على ثقة من بقايه والياس منك في بلا اذ حققوا انك الموجب لامضايه الهي مني ما يليق بلومي من الاساءة والاجرام ومنك ما يليق بكرمك من الاحسان والاكرام فعاملني بما يليق بوصفك لا بما يليق بوصفي وواجهني بحلمك لا بما تقتضيه حالتي الهي وصفت نفسك باللطف والرافة بي قبل وجود ضعفي اذ وصفك قديم بخلاف وصفي افتمنعني منها بعد وجود ضعفي حاشاك من ذلك وانت الكريم المتفضل الذي مننت بالنوال قبل السوال وبدات بالاحسان والافضال الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي اذ ضعفي يقتضي لزوم وصفي من الدناءة والتقصير والعمل في موجبات الخسران والبخس وان ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي بحجتك البالغة ونهي انك مالك واني مملوك والعبيد لا تساوي الملوك

والنقص لوصفي ملازم والكمال لوجودك لازم الهي كيف تكلني لاحد سواك
وقد توكلت بي قبل خلقي اذ سميت نفسك وكيلا بل اظهرت ذلك بايجاد
وبان كنت برزقي كفيلا او كيف اضام وانت الناصر لي اذ سميت نفسك
النصير قبل وجودي بل حققت ذلك لي ببيان طريقك وايضاح تحقيقك
غير اني تخاذلت عن الاستنصار بنصرك ولم اعتمد بجهلي عليك كالاتكال
بل التفت لغيرك فلا تخذلني وان كنت مستنصرا بمن عداك ولا
تكلني وان توكلت على سواك ام كيف اخيب في مطالبي وانت الحفي
بي والعليم بكل مآربي فكما كنت لي حين لم اكن فكن لي حين لا اكون
لنفسي الهي انا اتوسل اليك بفقري اليك اذ ليس للفقير ما يقدم به على الغني
سوى فقره وكيف اتوسل اليك بما هو محال ان يصل اليك
انما هي اوصافي ومعانيها نجات وعلى وجود فضلك بما اوليتها دلت فلا
وسيلة لي اليك سواك ولا موصل اليك الا اياك فاشفع لي بنفسك
عند نفسك في الدنيا ويوم المآل فقد صح فلسي من كل شيء ورايت
اضطراري اليك في كل شيء وتحقق عبدك فضلك عليه في كل شيء
فها انا ذا مقيم على بابك الكريم ملتفت لاحسانك العظيم وانت العليم بما هو
مطلبي منك وباي سبب توجهي اليك ام كيف اشكو اليك حالي وهو
لا يخفى عليك وكيف يخفى عليك وانت العليم الخبير الذي لا يغيب عليك
صغير ولا كبير ام كيف اترجم لك بمقالي واخذ في شرح احوالي القبيحة
الذميمة وهمتي القاصرة السقيمة وهو منك برز واليك يعود امره
اولا واخرا وباطنا وظاهرا اذ انت المقدر على الاطلاق الذي لا يشذ
عن قبضتك مقدور ولا يعزب عن علمك تصاريف الامور ام كيف تخيب
امالي وهي قد وفدت اليك وان كانت في وجودها مدخولة معلولة فهي
بالطمع في كرمك موصولة والظن بك ان لا تخيب القاصدين ولا تهمل الوافدين
ع

ام كيف لا تحسن احوالي وبك قامت اذ منك وجودها وعليك اتكالي
في اصلاحها واليك مرجعها ومعادها وان كان في قيامها ضعيف بالتعلق
بجناب الكريم لا يحوج الى التاثر بالعدم الهي ما الطفك بي اذ فتحت لي باب
التعلق بك والاستناد اليك والاستدلال عليك مع عظم جهلي
الملازم لي في حالي وقولي وفعلي وما ارحمك بي اذ امهلتني وندبتني
للتوبة من ذنبي مع قبح فعلي اعصي فتستر واتوب فتغفر واكل
ذلك واعصي امرك فلا تقطع ما عودتني من خيرك ما ارحمك والطفك
الهي ما اقربك مني اذ لا يكون شي موجودا الا عن امرك وما ابعدني عنك
باشتغالي بما يبعد لي قربك مني فيبدل لي في بعدي وعزك في قربك
فقربني اليك كما قربت اهل حبك ما ادناك بي اذ لم تدع نفعا الا وصلته
لي ودللتني عليه ولم تدع خيرا الا وقد اعتنيت باجتلابي اليه فما
الذي يحجبني عنك وكل شي دليل عليك وما الذي يصرفني عنك وكل
شي موصلي اليك لكن وجود العناية منك هي المحققة لذلك والموصلة
لما هنالك الهي قد علمت باختلاف الاثار ومتنقلات الاطوار من الصحة
والمرض والاعراض الغرض والعوض الى غير ذلك ان مرادك مني
ان تتعرف الي في كل شي فلا يكون لشي سواك سلطان علي الهي
كلما اخرسني لومي وما انا عليه من دناءة الوصف وقبح الحال
انطقني كرمك الذي تقبل به الاعمال ولا يتوقف على وجود الاحوال الهي
من كانت محاسنه مساوي لمصاحبتها بالعلل والافات فكيف
لا تكون مساويه مساوي مع انها لازمة له في جميع الحالات ومن
كانت حقايقه دعاوي اذ ليس له منها في الحقيقة شي فكيف لا تكون
دعاويه دعاوي مع انها لازمة له في كل شي فتعطف على مسكنتي
باحسانك وانظر لفقيرك بعين امتنانك فقد صح فقره وثبت افلاسه

الامن تفضلك يا ارحم الراحمين الهي حكمك النافذ في عبادك ومشيئتك
القاهرة لخلقك لم يتركا لذي مقال مقالا حتى يدعي به او يدل
ولا لذي حال حالا حتى يثبت لنفسه ما يدعيه اذ كل ما اراد الله منه
منه بتقلب الاحوال وسرعة الزوال الهي كم من طاعة بنيتها حتى
قامت في نظري وحالة شيدتها حتى لم تجل في غيرها فكري
هدم اعتمادي عليها عدلك بظهور المساوي والدعاوي بل اقالني
منها فضلك اذ حررتني من رق الاعتماد عليها واخرجتني من سجن الاستناد
اليها نظرا الى ان وجودها من فضلك وتكميلها من منتك والله لا
يقدر لحد حق قدرك الهي انك تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا
جزما في جميع الاوقات والحالات فقد دامت محبة وعزما وهذا من
فضلك واحسانك وجودك وامتنانك فامنن علي بتصحيح عزمي والعمل
كل بما يرضيك لا بما هو من حظي وادم ذلك علي حتى القاك الهي كيف
اعزم وانت القاهر الذي لا تعلل لارادته وقدرته وكيف لا اعزم وانت
الامر الذي لابد للعبد من طاعته لا حول لي الا بحولك وقوتك فهب لي
حولا وقوة استعين به على طاعتك الهي ترددي في الاثار بالنظر اليها
يوجب بعد المزار وهو اللبس بها والاعتماد عليها فاجمعني عليها بخدمة
توصلني اليك حتى استغني بدعها في كل وجه احتاج اليها فيه او اكون
بكرمها ولكن على اتم وجوه الشهود والخروج عن المعهود الهي كيف يستدل
عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك وهي الاثار الحادثة والموجودات
الكائنة ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك وانت مظهر المظاهر
حتى يكون هو المظهر لك هذا ما لا يتصور بوجه ولا يحال ولكنك
اظهرت ما اظهرت وظهرت بما اظهرت متى غبت حتى تحتاج الى دليل
يدل عليك وانت الظاهر بلا علة ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي

توصل اليك

توصل اليك وانت القريب الحاضر اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
الهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا حتى لا تراقب سواك لعلمها بانك اقرب
اليها من طرفها وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا
وان عمل ما عمل لان الاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر
مع الحب منك وما احبك احد حتى سبقت المحبة منك له فاجعلنا ممن
يراك عليه رقيبا ولم يتخذ سواك حبيبا الهي امرت بالرجوع الى الاثار
عبودية وتحقيقا لحق الربوبية فارجعني اليها بكسوة الانوار حتى لا تعدوا
على ظلمتها وهداية الاستبصار حتى لا تغرني زهرتها ولا تصيبني
كدرتها بل حتى ارجع اليك منها بالعبودية التامة على بساط المعرفة
الكاملة كما دخلت اليك منها في بداية السلوك عالما بما هي عليه ولجعل ذلك
حالة كوني مصون السر عن النظر اليها باستغراقي في النظر اليك
ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها بالاعتماد عليك ووجود الاستناد
اليك انه على كل شيء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير وقال رضي الله عنه
ايضا في مناجاته الهي هذا ذلي ظاهر ظاهرا وباطنا بين يديك
لثبوت فقري وعجزي وذلي وضعفي وهذا حالي لا يخفى عليك
وما انا عليه من قبيح وصفي اذ منك برز واليك منك اطلب الوصول اليك
اذ لا موصل اليك سواك وبك استدل عليك اذ لا دليل عليك الا اياك
وان وليت العوالم توصيل ذلك فانت على الحقيقة الذي اوليت ما
هنالك فاهدني بنورك اليك لا بنور عقلي واجمعني عليك بمشاهدتي
اصلي وفصلي حتى لا افتقر الى دليل ولا موصل واقمني بصدق العبودية
بين يديك اذ ذلك اشرف احوالي عندك وافرها فيما تحقق لي وذلك الهي
علمني من علمك المخزون حتى اعبدك على عين المعرفة واليقين وصني
بسر اسمك المصون الذي واجهت به اهل التمكين حتى لا يصح مني التفات

لشي ولا طلب لغير ولا ادب ولا الالمام بعيب الهي حققني بحقايق
مجالس اهل القرب من المراقبة لك والمثول بين يديك واسلك بي
مسالك اهل الجذب من الاكتفا بك والفنا في توحيدك في سهولة بلا
تعب وتحصيل بلا طلب الهي اغنني بتدبيرك عن تدبيري حتى لا ادبر معك
نظرا مني لوجود تدبيرك واختيارك لي عن اختياري حتى لا اختار عليك
اكتفا باختيارك اذ قلت وقولك الحق وربك يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم
الخيرة ووقفني على مراكز اضطراري من العجز والضعف والذلة
والفقر في كل تقلباتي بوجه من اللطف والعافية لا بوجه من النقمة
والبلية الهي اخرجني من ذل نفسي حتى لا اجلب لها ولا ادفع عنها
الا لاجلك وطهرني من شكي وشركي الذين دل عليهم وجود اختياري
معك واعتراضي عليك قبل حلول رمسي لاتدارك ما فات واجي
ما مات واكون بالعبودية لك فيما بقي لي من الاوقات بك استنصر
اذ لا ناصر على الحقيقة سواك فانصرني وان كنت غير صادق في
استنصاري وعليك اتوكل اذ لا يقدر على كفايتي سواك فلا تكلني
لغيرك وان كنت كاذبا في ادعاي لذلك وفي فضلك ارغب اذ ليس
في الدارين غيره فلا تحرمني وان كنت مسي الادب في رغبتي وبجنابك
انتسب اذ ليس ثم اعلى من الانتساب اليه ولا امنع فلا تبعدني وان
كنت غير محقق في انتسابي وببابك اقف اذ كل باب دون [illegible] مخلوق دونه
لعلمي بكرمك فلا تطردني وان كنت من الجفاة حيث انا فانت من الكرم
والجود حيث انت واياك اسال في مهماتي على ما انا عليه وان لم افهم
بحق السوال فلا تخيبني وان كان سوالي بالصورة لا بالحقيقة فان فضلك
اتم وجودك اعم وانت اكبر والكرم الهي تقدس رضاك عن ان يكون له علة
منك لبعد اوصاف الالاهية عن العلل فكيف يكون له علة مني من علم

او عمل فعاملني بافضالك ولا تنظر لافعالي اذ ليست علة في افعالك
الهي ان القضا والقدر غلبني حتى وقعت فيما وقعت وهذا مني
اعتراف بحق الربوبية لا احتجاجا في اسقاط العبودية وان
الهوى بوثاق الشهوة اسرني حتى فعلت ما فعلت وهذا مني رجوع
الى العبودية وقد اعتمدت عليك فيما اهتلك لعلمي بانك القادر على خرق
ذلك فكن انت الناصر لي بما توجد من اثار اسمايك وصفاتك الموجبة
للنور الناصر المقلب على النفس واتمم لي نوري حتى تشرق على نفسي
وعقلي وروحي بما تهب لي من علوم الاحدية وشهود الفردانية
وتنصرني عبادك الذين اردتهم لعنايتك فاكون لهم داعيا مهديا
بسر عنايتك وفضلك بلا واسطة واغنني بجودك عن كل شي حتى
لا احتاج الى شي بل حتى استغني بك عن طلبي اكتفا بما قسمت لي
ونظرا لعلمك وحكمتك فيما به تولبتني كما فعلت ذلك لاهل جنابك
وخاصة اوليايك واحبابك انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليايك
حتى عرفوك ووحدوك فزالت عنهم الشكوك والظنون والاوهام
انت الذي ازلت الاغيار من قلوب احبابك حتى لم يحبوا سواك ولم
يلجوا الى غيرك بل اغنيتهم حتى عن الطلب منك بتزكية احوالهم وتيسير
امالهم انت المونس لهم بما شهدهم جلالك وجمالك حيث اوحشتهم العوالم
بما صدر منها من المضادة وبعدم نفعها لهم في المسرات وانت الذي هديتهم
اليك بسر عنايتك وفضل رحمتك حيث استبانت لهم المعالم [illegible]
من المجاهدات المعترية من حقايق المواصلات ماذا وجد من فقدك
وان وجد كل شي من الدنيا والاخرة والاعمال والاحوال والكرامات
وما الذي فقد من وجدك وان لم يكن له علم ولا اعمال ولا امال ولا كرامة
ولا حال لقد خاب من رضي دونك بدلا اذ لا سواك الا حقير اذ كل عاجز

ضعيف فقير لئيم ولقد خشعت من بغى عنك متحولا اذ باع الغالي
وهو التعلق بك بالدون وترك الموجود واقبل على المعدوم لكل
شيء اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقته من عوض الهي كيف
يرجى سواك وانت ما قطعت الاحسان في حال من احوالي عاصيا
كنت او طائعا معافا او مبتلا وكيف يطلب من غيرك وانت ما زلت
عادة الامتنان التي لولاها ما قام وجودي اذ لو شئت اهلكت
الجميع من غير مبالاة ولا يلحقك نقصان يا من اذاق احبابه
حلاوة موانسته التي تغيب نعيم الجنة في لحظة منها فقاموا
بين يديه متملقين للتلذذ بها في الاسحار وغيرها ويا من البس
اولياءه ملابس هيبته التي لا يقوم شيء لوجودها فقاموا بعزته
مستعزين حتى استظهروا بالقوة على نفوسهم وغيرها
انت الذاكر قبل الذاكرين اذ لو لم تذكرهم ما ذكروك لو لم
تذكرهم بوجود الاحسان ما ذكروك بالقلب وباللسان وانت
البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين اذ لو لم تواجههم
عنايتك ما توجهوا اليك وانت الجواد بالعطايا من قبل طلب
الطالبين اذ لو لم تلهمهم للطلب ما طلبوك وانت الوهاب
للاموال وغيرها ثم انت لما وهبتنا من المستقرضين رحمة منك
ولطفا بعبدك وتنزلا له حتى ينال من رحمتك التي لا تنال الا برحمتك والا
فكيف يصح استقراض الغني على الاطلاق من الفقير على الاطلاق
الهي اطلبني برحمتك حتى اصل اليك اذ كل شيء بدا منك ويعود اليك
واجذبني بمنتك حتى اقبل اليك اذ لولا ذلك لم يكن اقبالي وجود الهي
ان رجائي لا ينقطع عنك في حال من الاحوال بل يلازمني وان عصيتك
لعلمي بان امثالك لا يقطعه فعلي كما ان خوفي لا يزايلني وان اطعتك لعلمي

بان ما عندك لا انا له بعلمي قد دفعتني العوالم اليك اذ لم اجد منها
الا عائقا او مانعا او عارضا او مضرا لا نافعا واوقفني
علمي بكرمك عليك فبقدر دفع العوالم لي وتحققي بذلك
يكون فراري منها وبقدر علمي بكرمك يكون اقبالي عليك
بالاعراض عنها كيف اخيب وانت املي الذي تعلق قلبي بفضله
ومن تعلق به لا يخيب ام كيف اهان وعليك متكلي اذ لم اجد
غيرك قادرا على اذهاب عللي وغفران زللي واصلاح عملي
كيف استعز وفي الذلة اركزتني اذ خلقتني فقيرا لما يقوم به
اودي وجعلته على يد عبادك فاحوجتني الى فقير مثلي وان
كان نيل ذلك بسبب مني كيف لا استعز واليك نسبتني
اذ جعلتني عبدك واهلتني لقبول نهيك وامرك كيف لا افتقر
وفي الفقر اقمتني اذ جعلتني فقيرا لكل فقير كيف افتقر وانت
الذي بجودك اغنيتني حتى كان كل شيء في همتي ذليلا حقيرا
فسبحانك يا علي يا كبير يا عزيز يا غني يا قدير انت الذي لا اله
غيرك فيعبد ولا رب سواك فيقصد تعرفت لكل شيء بما الزمته
من اوصافه الدالة على اوصافك فما جهلك شيء لارتباط علمه بك
بضروراته وتعرفت الي في كل شيء بظهور اثار اوصافك في كل شيء
فرايتك ظاهرا في كل شيء من حيث تعلق ذلك الشيء باذيال اوصافك
يا من استوى اي استولى فظهر برحمانيته على عرشه فلم
يثبت العرش الا للعلم بالرحمانية ولم يدل الا عليها اذ هي التي قوبل
بها حتى وجد ودام لثبوت عنا الحق وافتقار العرش اليه تعالى
فصار العرش غيبا في رحمانيته اذ لولاها ما كان له وجود ولا
بقا كما صارت العوالم غيبا في عرشه فكما ان العرش يحيط بالكائنات

حسنا فالرحمة محيطة به معنا بل هو في رحمة الله الموجبة لظهور
اثار القدرة والعلم والارادة كادني من اقل شي يدرك فسبحانك
يا مولاي ما اعظم شانك وما اعز سلطانك محقق الاثار بالاثار
تغيبت بعضها في بعض الحقير في الخطير والصغير في الكبير حتى ان
الارضين في ادنى السموات كحلقة في فلاة ثم هي فيما فوقها
كذلك الى ان يصير الجميع في العرش كحلقة في فلاة ومكون الاغيار التي
هي العرش فما دونه بمحيطات افلاك الانوار التي هي معاني الاسما
الحسنى والصفات العلى التي مرجعها المعنى الى وصف الرحمانية ونعت
الربوبية والالهية يا من احتجب في سرادقات عزه وكبريايه وعظمته
عن ان تدركه الابصار في هذه الدار وفي تلك الدار وان وعدهم
برويته في تلك فلا يلزم من الروية الادراك للكنه وانما هي روية وجود
لا انه في مكان او محدود يا من تجلى بكمال نقابه لارواح العارفين في اسرار
الموحدين فتحققت عظمته الاسرار فكان ظاهرا من جهة التعريف
باطنا من جهة التكييف كيف تخفى وانت الظاهر ومظهر المظاهر ام كيف
تغيب وانت الرقيب الحاضر الذي لا يغيب والقايم على كل نفس بما كسبت
من بعيد او قريب فاسالك يا قريب يا مجيب اجعلنا لعظمتك شاهدين
وتحت سلطان جلالك خاضعين وبكريم جنابك مستمسكين وبك في
كل حال مستانسين برحمتك يا ارحم الراحمين والله الموفق للعمل بهذا
الكتاب واتباع ما فيه من حق وصواب وبه استعين على ان ينفع
به الخاص والعام وان يوفق لتحقيقه من قصد النظر فيه بانصاف من
ايمة المسلمين وان يفتح على كاتبه وكاسبه والناظر فيه بما يومله من
ربه وان يجعله سببا في غفران ذنبه وستر عيبه واساله عز وعلى ان
يمن علي وعلى جميع اخواني بالعافية في الدنيا والاخرة وان يغفر لي ما

نجمته

244

نجمته من الدعاوي المهلكات وما ارتكبته في هذا المسطور وفي غيره
من الافات وان يخلصني مما تورطت فيه مما لا يعلمه سواه ولا يقدر
على دفعه الا اياه وان يجمع الشمل باهلي ولخواني على وجه يرضيه من
غير فضيحة ولا محنة عاجلا في عافية وان يغفر لنا ولاباينا ولامهاتنا
ولمشايخنا ولمن نظر بعين الانصاف والتمس لاخيه العذر ولكافة المسلمين

قال كاتبه ووافق الفراغ منه في يوم السبت
حادي عشر شهر المحرم الحرام افتتاح عام سبعة عشر
وتسعمايه احسن الله عاقبتها
كتبه احمد بن محمد البحر[illegible]
حامدا ومصليا ومسلما
على سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم

بلغ مقابلة

بلغ بحمد الله مقابلة

صفة دوا [illegible] للقولنج وللقارح [illegible] والنفخة ويهضم
الاكل ووجع الاضلاع والاسهال والزحير ويدر الدم
يوخذ [illegible] صافي نانخة ذكر دارصيني
يانسون فودنج مصري كمون عود جناح عود سوسن
حبة النفلة بزر هندبا [illegible] جاروده زرورد
بزر كرفس ستمرغديه مستكي اجزا سوا يدق الجميع
[illegible] يدق [illegible] درهم [illegible] [illegible] كل
جزء [illegible] فيل [illegible]

فايدة لقطع الدم [illegible]
يوخذ [illegible] حب النيل فلفل [illegible] [illegible]
ورق [illegible] زهري اجزا سوا يدق الجميع ويستف منه على الفطور
وزن [illegible] درهم ويشرب ماباردا وان اراد الاسهال [illegible]
الى الحوايج [illegible] صفاقيس [illegible] [illegible] منه [illegible]